كنيسة القديسين مارمرقس الرسول
و البابا بطرس خاتم الشهداء

أقرأ و أفهم
أستقامة كنيستنا

يا أخوتنا الكاثوليك
متى... يكون اللقاء؟



الجزء الثانى

إهـــــــداء ٢٠٠٩

كنيسة القديسين مار مرقس الرسول و البابا بطرس خاتم

الشهداء

جمهورية مصر العربية

كنيسة القديسين مارمرقس الرسول
والبابا بطرس خاتم الشهداء- الأسكندرية
٠٥٥٠٨٣٩٥ /٠٣ - ٠٥٤٨٧٧٢٨ / ٠٣

اقرأ وأفهم
استقامة كنيستنا

يا أخوتنا الكاثوليك متى يكون اللقاء ؟

الجزء الثانى
أضواء على أراء

الطبعة الثانية

مراجعة
القمص اثناسيوس ميخائيل
استاذ التاريخ الكنسي
بالكليات الاكليريكية

تقديم
الأنبا بيشوى
مطران دمياط وسكرتير المجمع المقدس
وأستاذ اللاهوت العقيدى والحوارات المسكونية



المطبعة : الأنبا رويس الأوفست – العباسية .

الطبعة : الثانية يناير ٢٠٠٧

رقم الإيداع بدار الكتب: ٢٠٠١/١١٩٧٣



حضرة صاحب القداسة والغبطة

البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية



نيافة الحبر الجليل الأنبا بيشوى

مطران دمياط وكفر الشيخ والبرارى

ورئيس دير القديسة دميانة ببرارى بلقاس

تقـــديم

لنيافة الأنبا بيشوى مطران دمياط وكفر الشيخ وبرارى القديسة دميانة
وسكرتير المجمع المقدس وأستاذ اللاهوت العقيدى
والحوارات المسكونية بالكليات الاكليريكية

ظلت كنيسة روما العريقة التى أسَّسها القديس بولس الرسـول مُخلِصـة لكنيسـة الإسكندرية التى أسسها القديس مارمرقس الرسول الإنجيلى إلى عصر البابـا القديـس كليستينوس بابا روما الذى عاصر القديس كيرلس الكبير بابا الإسكندرية .

ففى عصر القديس أثناسيوس الرسول وقفت روما إلى جوار القديس أثناسـيوس فى كثير من الأوقات ، واستضافته فى فترات نفيه لسبب صراعه مع الأريوسيين .

وفى عصر القديس كيرلس الكبير وقف القديس كليستينوس مع البابا كيرلس فـى صراعه ضد نسطوريوس بطريرك القسطنطينية ، وأرسل إليه خطابا يقول لـه فيـه أن ينبوع تعاليمه النقية قد غسل أوساخ تعاليم نسطور وقد أزال البلبلة التـى حدثـت فـى الأذهان ، معتبراً أن القديس كيرلس قد أنار له عقله فى مواجهة تعاليم نسطور الحاملـة للظلمات الروحية ، وقد طلب بابا روما من بابا الإسكندرية أن يمثل كنيستى الإسـكندرية وروما فى مجمع أفسس المسكونى (٤٣١م) ، وأن يقوم بالتوقيع عن الكنيستين فـى آن واحد على قرارات المجمع .

كانت ثقة كنيسة روما بباباوات الإسكندرية لا تقَدَّر ولا يمكن وصفها ، وكان البابـا الرومانى يعتمد على البابا الإسكندرى فى الدفاع عن الإيمان ، إلى جـوار أن المجمـع المسكوني الأول فى نيقية سنة ٣٢٥م قد فوَّض بابا الإسكندرية فى تحديد موعـد عيـد القيامة المجيد لكل كنائس العالم فى كل عام .

ولكن للأسف الشديد فإن بابـا رومـا لاون الأول الـذى كـان شماسـاً للقديـس كليستينوس وعاصر إعتزاز معلمه بالقديس كيرلس الكبـير قـد إنقلـب ضـد كنيسـة الإسكندرية لرغبته فى أن يكون هو المعلم الأول فى الكنيسة بل أن تكون لروما الرئاسة على كل كنائس العالم .

وفى سعيه نحو هذا الغرض سعى لعقد مجمع خلقيدونية حيـث تـم عـزل البابـا ديسقورس خليفة القديس كيرلس الكبير الذى أكمل جهاد القديس كيرلس ضد النسطورية فى الشرق ، وللأسف فقد ساند البابا لاون أسقفين من المدافعين عـن نسـطور وهمـا

ثيؤدوريت أسقف قورش وإيباس أسقف أديسا (الرها) ومنحهما حلاً بعد أن حرمهما المجمع المسكوني الذي إنعقد في أفسس سنة ٤٤٩م برئاسة البابا القديس ديسقورس وكان هذا هو السبب الرئيسي للخلاف بين البابا لاون والبابا ديسقورس .

ولأن " المعتزل يطلب شهوة نفسه . بكل مشورة يغتاظ " (أم١٨: ١) فقد تمادى الباباوات الرومانيون في البعد عن التعليم الأصلي والإيمان المسلَّم للقديسين ، وإنفردوا بتعاليم غريبة أدخلوها إلى الكنيسة الرومانية ، أي إلى كنائس الغرب المسيحي في ظل مفهوم رئاسة بابا روما ورئاسة بطرس الرسول ، وفي ظل مفهوم عصمة البابا الروماني ، وبعيداً عن التشاور مع باقي الكنائس الأرثوذكسية الخلقيدونية منها وغير الخلقيدونية ، فأضاف البابا الروماني في القرن الحادي عشر عبارة " والإبن " Filoque إلى قانون الإيمان في النص اللاتيني للتأكيد على انبثاق الروح القدس من الآب والابن ، وهي العقيدة التي رفضتها جميع الكنائس الأرثوذكسية حتى الآن .

وصارت الكنيسة الكاثوليكية الرومانية في عزلة وحدها بعيدة عن روح المجمع المسكوني ، تضع عقائد جديدة عجيبة مثل عقيدة المطهر ، وعقيدة الحبل بلا دنس في ولادة السيدة العذراء مريم من والديها ، وعقيدة صكوك الغفران ، وزوائد فضائل القديسين ، وعقيدة الزواج بغير المؤمنين ، وعقيدة خلاص غير المؤمنين ، وأن الوثنيين يعبدون الله من خلال التماثيل والأصنام والخرافات التي يمارسونها ، وأنهم يصلون إلى ذروة الاستنارة والتحرر الكامل بجهودهم الخاصة بدون الإيمان بالمسيح وبدون المعمودية .

وفي الآونة الأخيرة وللأسف بعد توقيع إتفاق حول طبيعة السيد المسيح بين كنيسة روما وكنيسة الإسكندرية ، فإن روما المتعاطفة مع الوثنيين قد تعاطفت أيضاً مع النساطرة ، ووقَّع بابا روما مع بطريرك الكنيسة الأشورية النسطورية التي تذكر نسطور كقديس في ليتورجياتها اتفاقاً حول طبيعة السيد المسيح ، ومازالت هذه الكنيسة الأشورية تعلن ولاءها لنسطور ، وأنه شهيد لغطرسة البابا كيرلس الكبير ، وتدافع عن تعاليم نسطور باعتبارها تعاليم ارثوذكسية لا يمكن التنازل عنها .

أما الكاردينال كاسبر رئيس مكتب الوحدة المسيحية بالفاتيكان فقد زار قداسة البابا شنودة الثالث في القاهرة ، وأعلن رغبة الكنيسة الرومانية الكاثوليكية في إستئناف الحوار مع الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ، ولم يمانع قداسة البابا شنودة الثالث في ذلك على أساس أن يكون في أولويات الحوار موقف كنيسة روما الحالي من الكنائس

النسطورية ، وأن يكون الحوار بين كنيسة روما وعائلة الكنائس الأرثوذكسية الشرقية بالشرق الأوسط .

وقد أوصى قداسة البابا شنودة الثالث أن تكون هناك إتصالات عاجلة مع مكتب الوحدة المسيحية فى الفاتيكان بشأن علاقات روما مع الكنائس النسطورية ، وذلك إلى أن يُستأنف الحوار الرسمى المذكور الذى سوف تسبقه ترتيبات عديدة ، وبالفعل بدأت الإتصالات العاجلة فى محاولة لإنقاذ تدهور الموقف الرومانى فى هذا المجال ، ولإيضاح حقيقة الكنائس الأشورية لكنيسة روما .

بالإضافة إلى ذلك فإن كل نقاط الخلاف العقائدى مع روما تكون على قائمة الحوار بين الكنيسة الرومانية الكاثوليكة وعائلة الكنائس الأرثوذكسية الشرقية فى الشرق الأوسط ، وذلك بحسب قرارات المجمع المقدس لكنيستنا برئاسة قداسة البابا شنودة الثالث فى أواخر الثمانينات من القرن العشرين .

إن البحث الذى قام به الأستاذ حلمى القمص يعقوب هو عمل كبير تحتاج إليه المكتبة القبطية فى جيلنا هذا ، وهو يشمل الجوانب التاريخية والعقائدية فى العلاقات بين كنيسة روما وكنائسنا الأرثوذكسية ، ونظراً لأن قداسة البابا شنودة الثالث أطال الرب حياته قد كلفنى بتدريس مادة الحوارات اللاهوتية المسكونية فى الكلية الإكليريكية ، فلهذا رأيت من واجبى أن أشكر الشماس حلمى القمص على هذا البحث الكبير الذى طالعت بعض فقرات منه ، كما أعطيته الفرصة للإطلاع على ما لدينا من معلومات حول هذه القضية الكبيرة فى تاريخ كنيستنا .

لم يمكننى مراجعة البحث بكامله ، ولكن نظراً لرغبة الشماس حلمى القمص فى نشر هذا الكتاب لمنفعة القراء والمكتبة القبطية ، فإننا نضعه بين أيدى القراء ويسعدنا أن تصلنا الآراء والتعليقات التى يمكن أن تساعد الباحث فى صياغته من جديد مع ما يلزم من إضافات أخرى .

الإسكندرية / تذكار نياحة القديس موسى الأسود

فى ٢٤ بؤونه سنة ١٧١٧ش – ١ يوليو سنة ٢٠٠١م

بيشوى

مطران دمياط وكفر الشيخ وبرارى القديسة دميانة

تقــديم

للقمص اثناسيوس ميخائيل

استاذ التاريخ الكنسي بالكليات الاكليريكية

الابن المبارك حلمى القمص يعقوب الذى تتقد مشاعره بالغيرة المقدســة والحــب العميق لعقيدته الأرثوذكسية ، وقد قدم سلسلة كتب عقيدية بلغة الشباب المعاصر غطـت جانباً هاماً فى كنيستنا القبطية .

وهو اليوم يقدم بحثاً شيقاً عن الكثلكة عموماً قديمــاً وحديثــاً وخاصــةً طوائفــها ورهبانياتها التى أتت إلى مصرنا الحبيبة بداءة من عصر محمد على مستندة على معاناة الكنيسة القبطية من كثرة الإضطهادات التى مرَّت وتمرُّ بها .

وقد قمتُ بمراجعة هذا البحث القيّم فوجدته يتميّز بدقة المعلومــات البعيــدة عــن التعصب الممقوت ، كما أنه يتميّز بالأسانيد العلمية الدقيقــة ، وكـثرة المراجــع التــى استعان بها الباحث ، فجاء البحث فى مضمونه بحراً زاخراً وحجةً فى الدفاع عن عقيـدة كنيستنا القبطية الأرثوذكسية الراسخة .

وما كان لهذا المرجع النفيس أن يخرج إلى الضوء لو لم يدعَّمه صــاحب النيافــة الحبر الجليل حجة الإيمان – بعد قداسة البابا شنودة أطــال الله حياتــه – نيافــة الأنبــا بيشوى سكرتير المجمع المقدس وممثل كنيستنا فى حواراتها اللاهوتية .

أدام الله حياتهما زخراً للعقيدة فى كنيستنا المجيدة ، ويعوض الرب الإلــــه الأبــن المبارك حلمى القمص الذى تعب فى هذا البحث .

القمص اثناسيوس ميخائيل

راعى كنيسة الأنبا انطونيوس والأنبا بولا

باللبان – الإسكندرية

الباب الثالث
أضواء على أراء

فى هذا الباب نناقش الموضوعات الأتية :

الفصل الأول : انبثاق الروح القـــدس .

الفصل الثاني : رئاسة بطرس الرسول .

الفصل الثالث : رئاســـة بابـــا رومـــا .

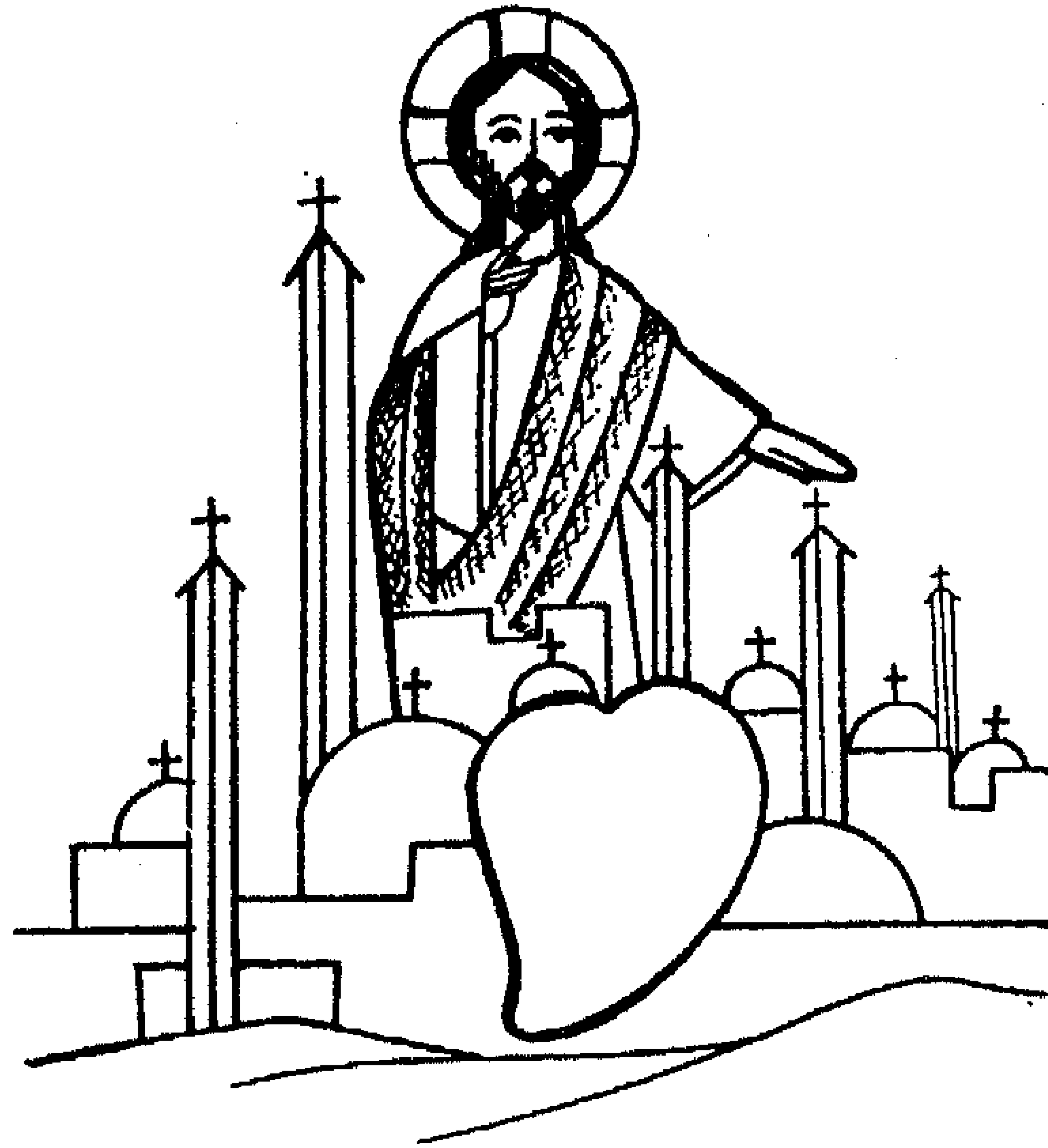
الفصل الرابع : عصمة باباوات رومـــا .

الفصل الخامس : معتقدات خاصة بالسيدة العذراء .

الفصل السادس : معتقدات خاصة بالمطهر وزوائد القديسين وصكوك الغفران .

الفصل السابع : معتقدات خاصة بالأسرار والأصوام وتاريخ عيد الميلاد .

الفصل الثامــــن : معتقدات خاصة بغيرالمؤمنين .



الفصل الأول
انبثاق الروح القدس

نناقش فى هذا الفصل الأمور الآتية :

أولاً : الأصل التاريخى لإضافة " والإبن " لقانون الإيمان .

ثانياً : هل يمكن قبول إضافة " والإبن " ؟

ثالثاً : الأدلة التى يعتمد عليها الاخوة الكاثوليك فى إضافة " والإبن " .

رابعاً : اقتراحات للاخوة الكاثوليك .

خامساً : محاولات الإتفاق على إنبثاق الروح القدس .

أولاً : الأصل التاريخي لإضافة " والإبن " لقانون الإيمان

ظهرت هذه الإضافة أولاً فى أسبانيا فى القرن الخامس الميلادى رداً على الأريوسيين الذين إدعوا بأن الأب أعظم من الإبن بدليل أن الآب يبثق الروح القدس والإبن لا يبثقه ، فلكى يؤكد الأسبان المساواة بين الآب والإبن اضافوا إلى قانون الإيمان " نعم نؤمن بالروح القدس المنبثق من الآب والإبن" ، وفى سنة ٥٨٩م أيد وأكد مجمع طليطلة الثالث هذه الزيادة ، وطلب من المُتنصّرين أن يوقّعوا على قانون الإيمان بالإضافة الجديدة ، وظلت هذه الإضافة محصورة داخل أسبانيا .

وفى القرن الثامن انتشرت الإضافة فى بلاد الغال ، وفى سنة ٨٠٩م أيد الإمبراطور " كارلوس " هذه الزيادة لأسباب سياسية ، وشجعه فى هذا شخص يدعى " لوكيوس " حاول نشر هذه الإضافة فى بلاد فلسطين فى نهاية القرن الثامن فقوبل بالرفض والإذدراء ، فانطلق إلى روما وحاول نشرها فلم ينجح ، فذهب إلى فرنسا حيث وجد قبولاً لفكره من الشعب الفرنسي وتأييداً من الإمبراطور كارلوس ولذلك عقد الإمبراطور مجمعاً فى " اكس لاشايل " سنة ٨٠٩م وأرسل ثلاثة مندوبين إلى بابا روما " لاون الثالث " (٧٩٥-٨١٦م) لفرض هذه الإضافة ، ولكن بابا روما رفض هذه الزيادة قائلاً " أنا لا أضيف شيئا على معتقدات آبائي " ، وأحتج بأن مجمع أفسس المسكوني

الثالث منع إدخال أى زيادة على قانون الإيمان النيقاوي ، وقام البابا لاون الثالث بنقش دستور الإيمان باللغة اليونانية واللاتينية (بدون الإضافة) علـى صـحيفتين مـن الفضة وعلقهما على الباب المقابل لقبر الرسولين بطرس وبولس فى كاتدرائيـة سـان بيتر بروما وكتب عليهما " أنا لاون قد وضعت هذه حباً وحفاظاً للإيمان الأرثوذكسى " .

وفى سنة ٨٥٦م أرسل البابا بنديكتوس الثالث (٨٥٥-٨٥٨م) لبطاركـة الـشرق قائلاً " بأن رؤساء كنيسة رومية لا يقبلون الشركة مع أحـد ما لم يكن محافظـاً علـى دستور الإيمان سالماً كما سلَّمته المجامع المسكونية وحدَّثت المحافظة عليه بأن الروح القدس منبثق من الآب فقط لا من الإبن كما علَّم أبناء الفساد "[١٠]

وخلال الفترة من سنة ٨٥٨م إلى سنة ٨٨٦م قَبِل نيقولاوس الأول (٨٥٨-٨٦٧م) بابا روما الإضافة وحاول فرضها على القسطنطينية فقاومـه بطريركهـا " فوتيـوس " ووصل الأمر إلى تراشق الأثنان بالحرم وألف فوتيوس بطريـرك القـسطنطينية كتابـه " المدخل إلى الروح القدس " أوضح فيه إنبثاق الروح القدس من الآب فقط .

وفى سنة ١٠١٤م قبل بندكتوس الثـامن الإضـافة فإضـاف لفظـة " والإبـن " وباللاتينية " Filioque " فيليو " Filio " = الإبن ، que = و ، ونزع لوحي الفضة اللذين علقهما لاون الثالث والمنقوش عليهما قانون الإيمان النيقاوي باللاتيني واليوناني بدون زيادة ، فكانت هذه الإضافـة سبباً للأنشقـاق الكبير بين الكنيستين الكاثوليكيـة والبيزنطيـة كما رأينا من قبل .

وفى سنة ١٢١٥م فى عهد البابا اينوكنتيوس الثالث (١١٩٨-١٢١٦م) قَبِل مجمع " لاتران" هذه الزيادة ، وفى سنة ١٢٧٤م كرَّس مجمع ليون هذه الزيادة نهائياً ، ويجب ملاحظة أن قبول هذه الزيادة جاء نتيجة ضغوط من الأباطرة على باباوات روما ، وكأن الأباطرة صاروا علماء اللاهوت .

ويعترف الأخوة الكاثوليك بهذه الأحداث فيقول الأب سليم بستروس :

" يبدو أن تلك اللفظة أضيفت أولاً فى أسبانيا فى أواخر القـرن الـسادس تأكيـداً لألوهية الإبن ضد الهراطقة المتشرّبين بالأريوسية الرافضين تلك الألوهية ، فالقول بأن الروح القدس منبثق من الآب والإبن يؤكد وحدة الإبن مع الآب فى الجوهر .. فى سنة ٨٠٩م أمر الإمبراطور شارلمان بإضافة تلك اللفظة إلى قانون الإيمان ، ولكن البابـا

---

[١٠] الصخرة الأرثوذكسية – حبيب جرجس صـ ٣٦ .

لاون الثالث أعلن سنة ٨١٠م فى روما أنه وإن كانت تلك العبارة غير مناقضة للإيمان فلا يجوز إضافتها إليه وحفر قانون الإيمان النيقاوى دون إضافة " والإبــن " بــاللغتين اليونانية واللاتينية على لوحتين من فضة فى كنيسة القديس بطرس فى رومــا .إلاَّ أن شارلمان وسائر الأباطرة الغربيّين الذين خلفوه ظلوا يُضيِّقون على الباباوات لإضــافة " والإبن " إلى قانون الإيمان، ولم يفلحوا فى ذلك إلاَّ بعد مئتي سنة مــن أخــذ ورد بــين رومية والقسطنطينية. وفى سنة ١٠١٤م مع البابا بندكتوس الثامن الذى أدخل رسمياً فى قانون الإيمان لفظة " والإبن " بضغط من الإمبراطور هنرى الثامن . أمــا الــسنوات الصاخبة فى تلك الفترة الطويلة فهى السنوات التــى كــان فيهــا فوتيــوس بطريــرك القسطنطينية ونيقلاوس الأول بابا رومية من سنة ٨٥٨م إلى ســنة ٨٨٦م فقــد كــان البطريرك والبابا يتراشقان الحرم ، وإمبراطور بيزنطة تارة يُقيل فوتيوس وتارة يُعيــده إلى منصبه .. فى هذه السنوات وضع فوتيوس كتاباً عن الروح القدس هاجم فيه الغرب لكونه أضاف وحدهُ لفظة إلى قانون إيمان حظرت المجامع المسكونية إدخال أى تعــديل عليه " [٢]

كما يعترف مؤلف " البوق الإنجيلي " بأن بابا روما يوحنــا أرســل إلــى مجمــع القسطنطينية الذى إنعقد فى زمن القيصر باسيليوس المكدوني رسالة تُليت فى الجلــسة السادسة من جلسات المجمع وفى حضور نواب بابا روما وهم أسقفين وقس حيث حكم البابا على كل من يدعى إنبثاق الروح القدس من الإبن بأن يكون نــصيبه مــع يهــوذا الأسخريوطى فقال " أننا لا نقول أن الروح القدس ينبثق من الإبن أيضاً . لا . بل نحكــم على الذين يجترئون على فعل ذلك . أولاً : لثقتهم بغــيهم وغبــاوتهم أنهــم مخــالفون الأحوال الإلهيَّة ومتعدوها ويغيرون فقه التكلم باللاهوت المستفاد من المسيح والمُــسلَّم من سائر الآباء الذين التئموا فى المجامع إجتماعاً سنودسيا وسنوا الدستور المقــدس ، وترتيب هؤلاء المجرمين مع يهوذا الدافع " [٣]

وإن كانت هذه الإضافة انتقلت من الكاثوليك إلى الكنيسة الأسقفية والبروتــستانت إلاَّ أن بعضهم لا يقبل هذه الإضافة ، فمثلاً عندما انعقد مجمع " بون " سنة ١٨٧٤م بين

---

[٢] اللاهوت المسيحى والإنسان المعاصر جـ٢ صـ ٩٢، ٩٣.

[٣] البوق الإنجيلى جـ١ صـ ١٧١.

الكاثوليك القدامى والكنيسة اليونانية وبعض أساقفة وقسوس من الكنيسة الأسقفية فـــى انجلترا وأمريكا قرَّر الآتى :

" أننا نتفق على أن أدراج لفظة " والإبن " فىَ القانون النيقاوي كان على أســـلوب غير قانوني ، ويليق لأجل السلام والوحدة فى المستقبل أن الكنيسة كافة تنظر فى هـذه المسألة قصد الحكم فى إمكان إرجاع القانون النيقاوي إلى صورته الأصلية (أى بــترك لفظة والإبن) " [٤]

أما عن الصياغات الكاثوليكية المختلفة لموضوع إنبثاق الروح القدس فهى تتمثـل فـى ثلاث صيغات :

١-الروح القدس منبثق من الآب والإبن .
٢- الروح القدس منبثق من الآب بالإبن .
٣-الروح القدس منبثق من الآب بواسطة الإبن .

ثانيا :-هل يمكن قبول إضافة " والإبن " ؟

إنبثاق الروح القدس من الآب أمـراً واضحاً بالنص الإنجيلى " روح الحــق الــذى من عنــد الآب ينبثق " (يو١٥: ٢٦) وثابت فى الكنيسة بالمجمع المسكوني الأول بنقية والثاني بالقسطنطينية ، وحَكَمَ مجمع أفسس المسكوني الثالث فى قانونه السابع على كل من يؤلف أو يزيد فى قانون الإيمان النيقاوي بالحرم " أنه لا يُسمح لأحـــد أن يقــدم أو يؤلف أمانة أخرى غير الأمانة-المُحدَّدة من الأباء القديسين الملتئميـــن بمدينـة نيقيـا بالروح القدس . وأما الذين يتجاسرون أن يؤلفوا أمانة أخرى فإن كـانوا اكلـيريكيين فليقطعوا وإن كانوا عاميين فليحرموا " [٥]

وكتب البابا كيرلس عمود الدين فى رسالته إلى يوحنا بطريرك أنطاكية يقول " أننــا قطيعاً لا نطيق ولا بوجه من الوجوه أن يزعزع أحد الإيمان المُحدَّد أعني دستور الإيمان

---

[٤] علم اللاهوت للقس جيمس صـــ١١٣.

[٥] المطالب النظرية في المواضيع الإلهية صـــ٢٤٨.

الذى كُتِب من آبائنا القديسين الذين اجتمعوا وقتاً ما فى نيقيا ولا نسمح لأنفسنا ولا لغيرنا أن نُغيّر كلمةَ من الكلمات المُسطَّرة فيه أو أن نُخالف تهجئة واحدة منه " [6]

وما أكثر أقوال الأباء التى تؤكد إنبثاق الروح القدس من الآب فقط فعلى سبيل المثال نذكر الآتى :

* قال القديس أوغسطينوس فى رده على أريوس الفصل ٢٣ " لا يُظَن أن الروح بواسطة الترتيب هو منه (من الإبن) كما أنه هو (الإبن) ذاته من الآب . بل كلاهما من الآب . الإبنُ يُولَد والروح ينبثق " [7]
* قال القديس ايرونيموس لداماسوس بابا روما " أننا مؤمنون بالروح القدس أيضاً الذى من الآب خاصة مُنبثق " [8]
* قال بابا روما داماسوس لبطلينوس أسقف سالونيك " أن كل من لا يقول أن الروح القدس هو من الآب حقيقة..أو يقول أنه بواسطة الإبن فليكن مفروزاً "[9] والآباء الثلاثة السابقين من الآباء الغربيّين ، وعندما طلب البابا داماسوس من القديس جيروم أن يكتب كتاباً عن الروح القدس قال القديس جيروم لم أجد كتاباً عن الروح القدس مثل كتاب القديس ديديموس الضرير مدير الكلية الاكليريكية فترجمته من اليونانية إلى اللاتينية .
* قال ديوناسيوس الاريوباغى " أن الآب وحدهُ ينبوع اللاهوت الفائق الجوهر " [10]
* قال البابا اثناسيوس الرسولي فى المجلد الثاني لأنطيوخس فى السؤال والجواب الرابع " كما أن قرص الشمس وحدهُ هو علة وغير مولود من أحد . أما الشعاع فمعلول ومولود من القرص ، والنور منبثق وبارز من القرص وحدهُ وهو بالشعاع مُرسَل ومُشرق على الأرض . هكذا الله الآب وحدهُ علة الأثنين وغير مولود ، وأما الإبن فإنه من الآب وحدهُ معلول ومولود ، والروح القدس نفسه من الاب معلول ومنبثق وهو بالإبن مُرسَل إلى العالم " [11]

---

[6] المطالب النظرية فى المواضيع الالهية صــ ٢٤٨

[7] المرجع السابق صــ٢٥٥.

[8] المرجع السابق صــ٢٥٥.

[9] المرجع السابق صــ٢٥٥.

[10] المرجع السابق صــ٢٥٥ .

[11] المرجع السابق صــ٢٥٦ ، ٢٥٧.

* قال القديس كيرلس عمود الدين " أما الثلاثة الأقانيم .. الآب الذى لا إبتداء له والإبن الوحيد والروح القدس المنبثق من الآب وحدهُ ، فليس مولوداً كالإبن لكنه منبثق من الآب وحده ، وكما أن الإبن من الآب على جهة الوَلَودية هكذا الروح من الآب على جهة الإنبثاق ، وحاشا من القول بخلاف ذلك لأنه تجديف ذوى الآلهة الكثيرين (الوثنيين) لأن عندنا الآب وحدهُ علة الأقنومين " [12]

* قال القديس باسيليوس فى رده على انوميوس " كما أن الروح ليس له الولادة بحالة ما هكذا الإبن ليس له الإنبثاق ، وكما أن الإبن ليس هو من الروح القدس هكذا الروح ليس من الإبن ، وكما أن الإبن مولود من الآب وحدهُ فقط هكذا الروح القدس منبثق من الآب وحدهُ " [13]

* قال يوحنا الدمشقى " أن الروح القدس هو من الآب لأنه ينبثق منه ، وإن كان يُسمى روح الإبن أيضاً بما أنه به يظهر ويمنح للخليقة لكن ليس حاوياً وجوده منه " [14]

* وقال أيضاً " أن الروح القدس هو روح الآب بما أنه من الآب منبثق ، وهو روح الإبن " [15]

ومن المعروف أن للاهوت مبدأ واحد هو الآب . هو الأصل . هو الينبوع . يلد الإبن ويبثق الروح القدس ، فعندما نقول أن الروح القدس منبثق من الآب والإبن فإن معنى هذا أنه أصبح للاهوت مبدأن هما الآب والإبن ، ويصبح الروح القدس فى وضع أقل ، والكنيسة الكاثوليكية أدركت هذا لذلك نفت هذه التهمة عنها فيقول القمص اسكندر وديع :

" لم تصنع الكنيسة الكاثوليكية مبدأين لإصدار الروح القدس لأنها تُعلِم أن الروح القدس يصدر عن الإبن بالقوة التى أعطيت له من الآب . فهذه القوة الإصدارية هى واحدة مشتركة بين الآب والإبن . هى فى الآب بصفته المبدأ الأساسى وفى الإبن بصفته مستمدة من الآب كقول الكتاب " كل ما للآب هو لي" (يو١٦: ١٥) [16]

---

[12] المطالب النظرية فى المواضيع الالهية صـ٢٥٩.

[13] المرجع السابق صـ٢٥٩.

[14] الصخرة الأرثوذكسية – حبيب جرجس صـ٣٧ .

[15] المرجع السابق صـ٣٧.

[16] مجلة الصلاح مايو-يونيو ١٩٩٠م صـ١٤١.

وإن كان الروح القدس مساوٍ للآب والإبن وله كل ما للآب والإبن فيُصدِر أو يُبثِق مــن من الأقانيم ؟!

ولو أخذنا هذه الأية " كل ما للآب هو لي " وطبقناها على الصفــات الأقنوميــة ، وقلنا بما أن الآب يلد فلابد أن الإبن أيضاً يلد .. فهل يقبل الأخوة الكاثوليك هذا الفكر ؟! .. عموما لنا عودة لهذا الموضوع فى مناقشة ذات الأية كدليل يتمــد عليــه الأخــوة الكاثوليك لإثبات إنبثاق الروح القدس من الإبن .

ثالثا : الأدلة التى يعتمد عليها الأخوة الكاثوليك لإضافة " والإبن "

١- " المعزي الذى سأرسله أنا إليكم من الآب " (يو١٥: ٢٦) ، " ولكن إن ذهبت أرسله (المعزى) إليكم " (يو١٦: ٧) يقولون ما دام الإبن يرسل الروح القدس فهو باثق له.

توضيح :

أ- الإنبثاق يختلف عن الإرسال لأن الإنبثاق فعل أزلي أبدي فــوق الزمــن . بينمــا الإرسال يحدث فى زمن معين . وعندما نتأمل الأية " ومتى جاء المعــزى الــذى سأرسله أنا إليكم من عند الآب روح الحق الذى من الآب ينبثق فهو يشهد لــي " (يو١٥: ٢٦) نلاحظ أن الإرسال مُحدَّد بزمن المستقبل (سأرسله) بينما الإنبثاق يأتى فى زمن المضارع المستمر (ينبثق) .. الإنبثاق أزلي أما إرســال الــروح القدس فقد تم فى زمن مُحدَّد وهو يوم الخمسين (أع١: ٤، ٢: ٤) .

ب- لأن هناك فارق بين الإنبثاق والإرسال لذلك ميَّز الإنجيل بينهما ، فعندما يتحــدث السيد المسيح عن الإرسال يقول " وأما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى " (يو١٤: ٢٦) ولكن عندما يتحدث عن الإنبثاق يقول " روح الحق الــذى من عند الاب ينبثق " (يو١٥: ٢٦) إذاً إرسال الآب للروح شئ وبثقه للروح شئ آخر وإلاَّ كان الإنجيل إستخدم لفظاً واحداً وإستخدم زمنــاً واحــداً ، فــلا يضــع الإرسال فى زمن المستقبل ويضع الإنبثاق فى زمن المضارع المستمر .

جـ- كما أن الولادة تختلف عن الإرسال فأيضاً الإنبثاق يختلف عن الإرسال ، فالآب

يلد الإبن منذ الأزل وإلى الأبد ولكنه أرسلهُ فى زمن معين " ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله إبنه مولوداً من امرأة " (غل٤:٤) وقد أظهر أشعياء النبى الفارق بين الولادة والإرسال ، فعندما قال " منذ وجوده أنا هناك " (اش٤٨: ١٦) أشار إلى ولادة الإبن الأزلية من الآب ، وعندما أكمل " والآن السيد الرب أرسلنى " (اش٤٨: ١٦) أشار إلى إرسال الآب للابن فى زمن معين ، ولو أردنا أن نوضح الفارق بين الولادة والإرسال فنقول أن الإنسان يولد من بطن أمه مرة واحدة ، ولكن يمكن أن يُرسَل عدّة مرات إلى عدة أماكن فى أزمنة مختلفة .

د- لو كان الإرسال يعنى الإنبثاق أو الولادة فإن الإبن أُرسِل من الآب والروح القدس " والآن السيد الرب أرسلني وروحُه" (بضم الحاء لأنها الروح الفاعل) .. فهل يعنى هذا ان الإبن مولود أو منبثق من الآب ومن الروح القدس ؟! .. قال القديس امبروسيوس لاغراتيانوس " كما أن الآب والإبن يُرسِلان الروح القدس هكذا الآب والروح يُرسِلان الإبن " [١٧]

هـ- لو كان الروح القدس منبثق من الإبن فلماذا لم يصرح السيد المسيح ولو مرة واحدة بهذا الإنبثاق(بينما تكلم فى مواضع كثيرة عن الروح القدس) ؟!

و- عندما تكلم السيد المسيح عن إرسال الروح القدس قال " سيرسله الآب باسمي " (يو١٤: ٢٦) ولم يقل " سيرسله مني " ، وقد حدَّد مصدره من الآب فقط " الذى من عند الآب ينبثق " (يو١٥: ٢٦) ولم يقل " الذى ينبثق من الآب ومني " ولم يقل " ينبثق من الآب بواسطتي " .

٢- يقول الأخوة الكاثوليك أن الأمور التى تحدث فى الزمن هى صدى للأمور التى حدثت فى الأزلية . أى أن التدبير " الايكونوميا " هو صدى للحياة الباطنية للثالوث " الثيؤلوجيا " فمثلاً يقول القمص اسكندر وديع : " الكنيسة الكاثوليكية لا تخلط بين الإرسال الخارجي الزمني وبين الإرسال الباطني الأزلي ، ولكنها تعتبر الإرسال الباطني كعلة لشرح الإرسال الخارجي حيث لا يوجد بين الأقانيم الثلاثة أى اختلاف إلاَّ فى إختلاف الصدور الباطني ، وهذا ما كان يعبر عنه الآباء بقولهم أن نظام

[١٧] المطالب النظرية فى المواضيع الإلهية صـ٢٦٨.

التدبيـــر " ايكونوميا " يتبع نظام الحياة الباطنية للثالوث " [١٨] أى أنهم يقولون بمـــا أن الآب يُرسِل الإبن فى الزمن فذلك لأنه والد له فى الأزلية ، وبما أن الآب والإبـــن يُرسلان الروح القدس فى الزمن فذلك لأنهما باثقان له فى الأزلية.

توضيح :

هناك فـــرق شاســـع بـــين الأمـــور الإلهيـــة " Θεολογια " ثيؤلوجيـــا Thelogy وبين التدبير الألهى " ايكونوميا " Econmy ، فالثيؤلوجيـــا أى اللاهـــوت خاص بالأمور الألهية مثل وجود الله وصفاته الفريـــدة وعلاقـــة الأقـــانيم معـــاً . أمـــا الايكونوميا أى التدبير فهو خاص بتدبير الله للخليقة ، والايكونوميا ليست صورة طبـــق الأصل من الثيؤلوجيا ، فمثلاً فى الايكونوميا الله يحب ملايين البشر ويرعـــاهم ويـــدبر شئونهم فى نطاق الزمن . أما فى الثيؤلوجيا فكل أقنوم يحب الأقنومين الآخرين اللـــذين من نفس الجوهر منذ الأزل .. فى الثيؤلوجيا الآب والد الإبن وباثق الـــروح القـــدس ، والإبن مولود من الآب ، والروح القدس منبثق من الآب . أما الايكونوميا فالآب والروح القدس أرسلا الإبن إلى العالم ليتمّم الفداء للبشرية ، وبعد صعود الإبن للسماء جـــسديا بعشرة أيام أرسلا الآب والإبن الروح القدس المعزى ليعمل فى الكنيسة إلى يوم المجـــئ الثاني .

إذاً ما يحدث فى الزمن ليس ظلاً لما يحدث فى الأبدية ، وبالتالى فالإرســـال لـــيس ظلاً للولادة والإنبثاق ، فالولادة تختص بكينونة الإبن ، والإنبثاق يختص بكينونة الروح القدس ، وكينونة الإبن وكينونة الروح كلاهما من الآب ، فالآب هو أصل الكينونة فـــى الثالوث .. هو الينبوع .. هو الأصل .. هو العلة الأولي .. هو الوالـــد للابـــن والبـــاثق للروح القدس بدون أن يسبقهما فى الوجود . قال جريجـــورى بطريـــرك القـــسطنطينية (جريجورى القبرصى) فى حواره مع جون فيكوس رداً على الإدعـــاء بإنبثـــاق الـــروح القدس من الآب والإبن :

"الآب هو الألوهة الوالدة ، والألوهة النبع ، والمصدر (النبع) الوحيد لكل الألوهة" [١٩]

---

[١٨] مجلة الصلاح مايو – يونيو سنة ١٩٩٠م صـــ١٤١ .

[١٩] مسكرنيات لنيافة الأنبا بيشوى مطران دمياط وسكرتير المجمع المقدس سنة ١٩٩٨م صـــ٧٢ .

إذاً الإنبثاق وباليونانية " ekπópeυσις " اكبورفسيس EKPOREVSIS خاص باللاهوت وليس بالتدبير .

٣-يقولون ان عبارة قانون الإيمان غير كاملة ، فيقول الآب سليم بسترس :
"يبدو أن هذه العبارة (نعم نؤمن بالروح القدس المنبثق من الآب) تبدو لنا ناقصة لأنها لا توضح دور الإبن فى إنبثاق الروح " [٢٠]

توضيح :

الأمر ببساطة كما أوضحه لنا الإنجيل أن الآب والد للإبن وباثق للروح القدس ، والروح القدس هو روح الآب وهو روح الإبن . فإن كان أحد يسأل عن دور الإبن فى إنبثاق الروح بحجة أن الإبن أرسل الروح ، فإنه سيأتي آخر ويسأل عن دور الروح القدس فى ولادة الإبن بحجة أن الروح أرسل الإبن إلى العالم .

٤- يقولون " أن يسوع فى قوله { روح الحق الذى ينبثق من الآب } لا يشير إلى إنبثاق الروح القدس منذ الأزل ضمن الثالوث ، بل إلى إنبثاق الروح من الآب ليحل على التلاميذ وليعمل فى العالم ، وهذا واضح من قوله { المعزى الذى أرسله إليكم من لدن الآب .. } فالحديث يدور حول إرسال الروح القدس إلي التلاميذ ، وليس حول إنبثاق الروح منذ الأزل ضمن الثالوث . أما نقطة " منبثق " المستعملة فى اليونانية " ekπopeυomaL "
" فتعنى " يخرج " أو " يصدر " .. أما إنبثاق الروح القدس منذ الأزل ضمن الثالوث الأقدس فلا نجد له أى توضيح فى نصوص العهد الجديد . إلاّ أن المجمع المسكوني الثاني فى قوله [بالروح القدس الرب المحي المنبثق من الآب] يشير إلى إنبثاق الروح منذ الأزل من الآب ، ولا يخبرنا عن دور الإبن فى هذا الإنبثاق " [٢١]

توضيح :

قال السيد المسيح " متى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من عند الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي " (يو١٥: ٢٦) .. حقا أنه يتحدث فى هذه

---

[٢٠] اللاهوت المسيحى والإنسان المعاصر جـ٢ صـ٩٠.

[٢١] المرجع السابق صـ٩٠ ،٩١.

الأية عن إرسال الروح القدس ، ولكنه يصف أيضاً هذا الروح بأنه منبثق من الآب ، وإن كان الحديث يدور حول إرسال الروح القدس إلى التلاميذ إلاّ أنـــه ذكـــر أن هـــذا الروح منبثق من الآب صراحة ، وهنا لا يقصد الإرسال بل الإنبثـــاق لأنـــه لـــو كـــان المقصود هو الإرسال لجاء النص كالآتى " سأرسله أنا إليكم من عند الآب روح الحـــق المُرسَل من الآب " مثلما جاء فى (يو١٤: ٢٦) " وأما المعزى الروح القدس الـــذى سيرسله الآب بإسمى " .

أما القول بأن " إنبثاق الروح القدس منذ الأزل لا نجد له توضـــيح فـــى نـــصوص العهد الجديد " فهو قول يجانبه الصواب لأن هناك نص إنجيلى واضـــح (يـــو١٥: ٢٦) اعتمد عليه المجمع المسكوني الثاني فى إقرار العقيدة التى نؤمن بها والتى آمـــن بهـــا الكاثوليك من قبل لمئات السنين .

وفى تعليق الكاتب على قول البابا كيرلس الأول السكندري بأن الروح القدس يصدر من الآب والإبن يشهد بأن البابا كيرلس كان يستخدم لفظة تعبر عن الإنبثاق غير اللفظة التى تعبر عن الإرسال فيقول :

" هنا لا يستعمل كيرلس لفظة " εκοpεvoμεαL " بل لفظة آخـــرى هـــى " Πpoΐεvα L " تعنى " يصدر " ، والفرق بين اللفظتين يقوم على أن الأولـــى تعنى الإنبثاق الجذري من أصل الكيان فلا يكون إلاً من الآب المبدأ الواحد فى الثالوث ، والثانية أن الروح الذى ينبثق من الآب يصدر عنه بواسطة الإبن ، ومما يزيـــد الأمـــر تعقيداً والتباسا بين الشرق والغرب هو أن كلتا اللفظتين تترجمهما اللغة اللاتينية بلفظة واحدة Processio " [٢٢]

٥-" كل ما للآب فهو لي " (يو ١٦: ١٥) ، " وماهو لك فهو لي " (يو١٧: ١٠) لذلك يقول الأخوة الكاثوليك بما ان كل ما للآب هو للابن ، وبما أن الآب باثق للروح القدس إذاً الإبن أيضاً باثق للروح القدس .

توضيح :

أ- هناك خواص جوهرية يتساوى فيها الأقانيم الثلاث مثل الأزلية والقدرة على كـــل شئ وغير المحدودية وعدم التغيَّر ، وهناك خواص أقنومية يتمايز بها كل أقنوم عن الأقنومين الآخرين ، فمثلاً الأقنوم المولود هو الإبن وليس الآب ولا الـــروح

---

[٢٢] المرجع السابق صـــ٢٦٩ .

القدس ، والأقنوم المنبثق هو الروح القدس وليس الآب ولا الإبـــن ، والأقنـــوم الوالد الباثق هو الآب وليس الإبن ولا الروح القدس ، فالاية السابقة تنطبق على الخواص الجوهرية ولا تنطبق على الخواص الأقنومية .

ب- قال السيد المسيح " كل ما هو للآب فهو لي " فهنا يخص السيد المســـيح الآب بلقبه الخصوصي "الآب" ويشترك معه فى الملكية . لقد أستبعد ما هو خاص معـــا هو كل ، ومثال على هذا عندما أقول " كل ما لأبى فهو لي " إذاً كل مـــا يملكـــه أبى هو ملك لي بإستثناء الأبوة التى يملكها هو ولا أملكها انا ، وبالعكس عندمـــا أقول " كُل ما لي فهو لأبى " إذاً كل ما أملكه أنا هو ملك لأبى بإســـتثناء البنـــوة التى أملكها أنا ولا يملكها هو .. فأنا إبن وسأظل ابناً وهو أب وسيظل أبـــاً أمـــا الملكية فمشتركة بيننا فى كل شئ .

حـــ- متى قال السيد المسيح " ما هو لك فهو لي " (يو١٧: ١٠) ؟ لقد قالها عندمـــا كان يتحدث عن أنفس تلاميذه حيث قال عنهم " كانوا لك وأعطيتهم لي " (يو١٧: ٦) ثم قال " وكل ما هو لي فهو لك . وما هو لك فهو لـــي " (يـــو١٧: ١٠) إذاً السيد المسيح يتحدث هنا عن ملكية وليس عن علاقة أقنومية بين الآب والإبـــن والروح القدس.

د- لو أخذنا بمنطق أن كل ما للآب فهو للابن وكل ما للابن فهو للآب ، وطبقنا ذلـــك على العلاقة الأقنومية .. فإلى أى نتيجة سنصل ؟!

مثال (١) : الآب له الولادة فإذاً الإبن له الولادة .. يا ترى يلد مَنْ ؟

مثال (٢) : الإبن له البنوة إذاً الآب له البنوة.. يا ترى الآب يُولَد مِنْ مَنْ ؟

مثال (٣) : الروح القدس مساوى للآب والإبن وكل ما هو لهما فهو له..

فالآب له الايلاد والإبن له البنوة فهل الروح القدس له نفس الصفات ، ويا تـــرى يلد مَنْ ؟ ومولود من مَنْ ؟ ألاً يقودنا هذا إلى التشويش والخلط والمـــزج بيـــن الخواص الأقنومية ويتلاشئ التمايز بين الأقانيم بل أننا نصل إلى القول بـــأن الله له جوهر إلهي واحد وهو أيضاً أقنوم واحد وبذلك نسقط فى بدعـــة ســـابليوس الذى قال أن الله هو أقنوم واحد ولكن له عدَّة أسماء .

٦- يقولون أن الإنجيل دعى الروح القدس روح الابن وروح المسيح لأنه منبثق منه

"إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس لـــه " (رو٨: ٩) ، " ومـــوازرة روح يسوع المسيح " (في١: ١٩) ، (١بط١: ١١) ، " ثم بما أنكم أبناء أرســـل الله روح إبنـــه إلى قلوبكم " (غل٤: ٦) ، وأطلـــق الإنجيل على الروح القدس " روح الحق " (يو١٤: ١٧) والسيد المسيح هو الحق " أنا هو الطريق والحق والحياة "(يو١٤: ٦)

توضيح :

* قال الإنجيل عن الروح القدس أنه روح الإبن أى أنه ليس غريباً عنه بل هو متحد معه فى ذات الجوهر الإلهى الواحد ، ولذلك يقول يوحنا فم الذهب " أنه روح الإبن ولكن ليس من الإبن بل من الآب " [٢٣]

* وقال القديس كيرلـــس الكبير عن ثيؤدوريطس النسطورى" أن قـــال (ثيؤدوريطـــوس) أن الروح القدس خاص بالإبن بمعنى أن لـــه طبيعة واحـــدة معـــه ومنبثـــق مـــن الآب نعترف معه ونقبل هذا القول كقول مستقيم وإن قال أنه من الإبـــن أو أن لـــه الوجـــود بالإبن نُرذل هذا القول كقول منافق مجدف "[٢٤]

* وقال القديس باسيليوس فى رسالة ٤٣ " حيث أن الروح القدس منه تنبع وتفيض كل منح الخيرات للخليقة بأسرها فيقال أنه للابن ويعرف أنه مع الإبن غير منفصل عنه " [٢٥]

* وقال القديس غريغوريوس الثيؤلوغوس فى ميمره عن الروح القدس " إن الروح القدس يُسمى روح الله وروح المسيح وروح الحق وأصبع الله وما أشـــبه لبيـــان المساواة فى الجوهر " [٢٦]

* وقال البابا كيرلس عمود الدين فى كتاب الكنوز " أن بولس المطوب سمى الـــروح روح المسيح ليُبين أنه ليس غريباً عن طبيعة الكلمة بل هو متحد بـــه وإن كـــان قائماً بأقنوم خاص " [٢٧]

* وقال أيضاً " أن الروح القدس هو منبثق من الآب حسب قول المخلص لكنه ليس

---

[٢٣] مذكرة الكلية الاكليريكية فبراير سنة ٨٥ لقداسة البابا شنودة الثالث صـــ٣٦.

[٢٤] مذكرة الكلية الاكليريكية فبراير سنة٨٥ لقداسة البابا شنودة الثالث صـــ٣٦.

[٢٥] المطالب النظرية فى المواضيع الإلهية صـــ٢٦٥

[٢٦] المرجع السابق صـــ٢٦٥،٢٦٦.

[٢٧] المرجع السابق صـــ٢٦٦.

بغريب عن الإبن من حيث وحدة الجوهر " [28]

٧-عند ظهور السيد المسيح لتلاميذه بعد القيامة " نفخ وقال لهم اقبلوا الروح القدس " (يو٢٠: ٢٢) فالسيد المسيح نفخ الروح القدس لأنه باثق له .

توضيح :

أ- إنبثاق الروح القدس من الآب منذ الأزل . أما نفخ السيد المسيح للروح القدس فقد حدث فى زمن معين بعد القيامة ، وليس معنى النفخة هنا هو إنبثاق الروح القدس من الإبن ، وليس معنى النفخة هنا أن السيد المسيح أعطى تلاميذه جوهر الروح القدس ، وبعد هذه النفخة طلب منهم أن يمكثوا فى أورشليم ولا يبرحوها حتى ينالوا قوة الروح القدس (أع١: ٨)

ب-السيد المسيح لم يمنح تلاميذه جوهر الروح القدس إنما منحهم مواهب الروح القدس ، فعندما نفخ فى وجوههم قال لهم إقبلوا الروح القدس وأعطاهم سلطان الكهنوت فى مغفرة الخطايا لذلك أكمل قائلاً " من غفرتم خطاياه تغفر له ومن امسكتم خطاياه أُمسكت " (يو٢٠: ٢٣) .

قال القديس اثناسيوس الرسولي فى السؤال والجواب رقم ٢٩ " أما قوله خذوا الروح القدس فإنه أعطاهم سلطاناً وموهبة بالنفخة ليتركوا (ليغفروا) الخطايا .. وبحلول الروح القدس يوم العنصرة المقدس منحهم المعمودية وفعل الآيات .. أنه سماه روح قدس ليس أقنوم الروح القدس الذى كان دائماً وسيكون دائماً بل نعمة الروح القدس الحالة على التلاميذ من بعد صعوده بعشرة أيام " [29]

وقال القديس يوحنا فم الذهب " أن الروح القدس من الآب ينبثق والروح الذى أعطاه المسيح للرسل عندما نفخ فيهم والذى حلّ عليهم يوم العنصرة لم يكن جوهر الروح ولا أقنومه بل مواهبه " [30]

حـ - فى الأصل اليونانى عندما يتحدث الإنجيل عن أقنوم الروح القدس يذكره معرفاً بال " تو ابنفما اجيون " الروح القدس ، وعندما يتكلم

---

[28] المرجع السابق صـ٢٥٨.

[29] المرجع السابق صـ ٢٦٧.

[30] المرجع السابق صـ ٢٦٧.

عن مواهب الروح القدس يذكره بدون أداة التعريف " اينفما اجيون " روح قدس

د- السيد المسيح أعطى تلاميذه أن يعطوا المؤمنين مواهب الروح القدس فعندما وضع بطرس ويوحنا أيديهم على أهل السامرة حلّ الروح القدس عليهم " حينئذ وضعا الأيادى عليهم فقبلوا الروح القدس " (أع٨: ١٧) ، ونفس الموقف تكرر مع بولس الرسول فى أفسس " ولما وضع بولس يديه عليهم حلّ الروح القدس عليهم فطفقوا يتكلمون بلغات ويتنبأون " (أع١٩: ٦) ، وعندما يرسم الأسقف الكاهن ينفخ فى وجهه قائلاً " أقبل الروح القدس " .. فهل معنى هذا أن الروح القدس ينبثق من التلاميذ ومن الأسقف ؟!

٨- قال الرب يسوع عن الروح القدس " ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم " (يو١٦: ١٤) فيقول الأخوة الكاثوليك أن هذا دليل على إنبثاق الروح القدس من الإبن ، ويستشهدون بقول القديس كيرلس الأورشليمى حيث يقول " الآب يعطى الإبن ، والإبن يعطى الروح القدس ، وفعلاً لست أنا الذى أقول هذا بل السيد المسيح نفسه الذى قال عن الروح القدس " يأخذ مما لي ويخبركم " (فى تعاليمه ١٦: ٢٤) [٣١]

توضيح :

نعود ونقول أن إنبثاق الروح القدس من الآب هو إنبثاق سرمدى منذ الأزل وإلى الأبد . أما قول السيد المسيح عن الروح القدس " يأخذ مما لي ويخبركم " فهذا مرتبط بزمن معين بعد الصلب والقيامة والصعود حيث ينقل لنا الروح القدس إستحقاقات دم المسيح من مغفرة الخطايا ونوال الحياة الأبدية ، والحقيقة أن عمل الثالوث القدوس متكامل فى حياتنا فيقول القديس اثناسيوس الرسولي " الآب يخلق كل الأشياء من خلال الكلمة فى الروح القدس " [٣٢] ويقول أيضاً " الآب يفعل كل الأشياء من خلال الكلمة فى الروح القدس " [٣٣] ويقول القديس غريغوريوس أسقف نيصص " كل عملية تأتى من الله إلى الخليقة وتسمى بحسب فهمنا المتنوع لها . لها أصلها من الآب وتأتى إلينا من خلال

---

[٣١] مجلة الصلاح مايو – يونيو سنة ١٩٩٠م صـ١٤١.

[٣٢] الرسالة الثالثة إلى سيرابيون فصل (٥) الناشر Shapland ١٣٤/١٣٥ .

[٣٣] الرسالة الأولى إلى سيرابيون فصل (٢٨) الناشر Shapland ١٣٤/١٣٥ .

الإبن وتكتمل فى الروح القدس " [٣٤]

ويشرح القديس يوحنا فم الذهب هذه الآية قائلاً " قال لهم أنـه (الـروح القـدس) " يأخذ مما لي " ومراده أن الأقوال التى قلتها أنا هـى نفسها يقولها الـروح .. فـلا تظنوا أن اقواله تناقض أقوالي بـل هى تتضمن ارائي " [٣٥]

ويلقى القديس اثناسيوس الضوء على هذه الآية قائلاً " الروح روح الحق وينبثـق من الآب لكنه يأخذ من الإبن المالك كل ما هو للآب ليُبيّن أن جوهـر الأخـذ (الـروح) والمأخوذ منه (الإبن) والمنبثق منه (الآب) واحد . أن الآب وحده اب لأنه مبدأ ، والإبن وحده ابن لأنه مولود ، والبارقليط وحده روح لأن إنبثاقه من الآب بمفرده " [٣٦]

والملاحظة الأخيرة أن السيد المسيح قال " يأخـذ مما لي " ولم يقل يأخذ منى وهذا دليل على أنه لا يقصد الإنبثاق . أما قول القديس كيرلس الأورشليمي أن الإبـن يعطـى الروح القدس للمؤمنين فبلاشك ان المقصود بالروح هنا هو مواهـب الـروح وليـس أقنومه وإلاَّ صار المؤمنون آلهة .

٩- قال الإنجيل " كل شئ به كان وبغيره لم يكن شئ مما كان " (يو ١: ٣) فيقولـون إذاً الروح القدس يدخل ضمن كل شئ فهو منبثق من المسيح .

توضيح :

" كل شئ " المقصود بها كل شئ مخلوق بينما الروح القدس هـو خـالق وليـس مخلوق ، وقد أوضح معلمنا بولس هذا الكل عندما قال " فإنه فيه خُلِق الكـل مـا فـى السموات وما على الأرض ما يُرىَ وما لا يُرىَ سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسـات أم سلاطين . الكل به وله قد خُلِق " (كو ١: ١٦) إذاً من الواضـح أن هـذا الكـل يخـص المخلوقات دون الخالق .

ويجدر الإشارة هنا إلى مقدونيوس بطريرك القسطنطينية عدو الروح القدس والذى حكم عليه مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م بالحرم ، فقد اعتمد على هذه الآية لإثبـات أن الروح القدس مخلوق وليس خالقاً .

---

[٣٤] مجموعة آباء ما بعد نيقية – المجموعة الثانية جـ٥ صـ٣٣٤ .

[٣٥] المطالب النظرية فى المواضيع الإلهية صـ٢٧٢.

[٣٦] المرجع السابق صـ٢٧٢.

وإن قال البعض أن هذا النص " كل شئ " يدل على زمنية الموجودات وعلى أزلية الروح وإنبثاقه من الإبن لأن النص مطلق .. فلماذا يأخذون هذا المعنى على الروح القدس ويدخلونه ضمن كل شئ بينما يستثنون الآب من هذا النص فلا يقولون عنه أنه صادر من الإبن ؟!

١٠- يقولون أن السيد المسيح أوضح أن الروح القدس منبثق من الإبن ، ولكن الإبن لم يصرح بأن الروح منبثق منه من قبيل الإتضاع .

توضيح :

الإتضاع لا يعطل أبداً إعلان الحقائق الإلهية .. لماذا ؟ لأن حجب الحقائق الإلهية وعدم إعلانها يتسبب فى ضلال وزيغان وضياع كثير من النفوس الغالية . ولو كان السيد المسيح أخفى هذه الحقيقة من قبيل الإتضاع فلماذا أوضح حقيقة أزليتة قائلاً " قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن " (يو٨: ٥٨) وأوضح حقيقة لاهوته بقوله " أني في الآب والآب فيَّ " (يو١٤: ١١) .. فلماذا لم يخفِ هذه الحقائق من قبيل الإتضاع ؟!

١١- السيد المسيح قال " روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي " (يو١٥: ٢٦) فالروح القدس سيشهد للمسيح ، ولذلك لم يصرح السيد المسيح بأن الروح ينبثق منه لئلا تصبح شهادة الروح القدس مشبوهة ، ويشك الناس فى شهادة الروح القدس للسيد المسيح عندما يعلمون أن الروح منبثق منه .

توضيح :

بنفس المنطق نقول أن الآب شهد للإبن أكثر من مرة فى المعمودية (مت٣: ١٧) وعلى جبل التجلى (لو٩: ٣٥) والسيد المسيح أشار صراحة أنه صادر من الآب وهو والآب واحد ، ومع ذلك لم يشك أحد فى شهادة الآب للإبن ، ولم يقل أحد عنها أنها شهادة مشبوهة .

١٢- يقولون أن السيد المسيح بسابق علمه كان يعلم أن أونوميوس المبتدع سيدعى أن الروح القدس منبثق من الإبن دون الآب لذلك لم يصرح بإنبثاق الروح القدس منه .

توضيح :

هذا الرأى لا يتفق مع العقل ، لأنه ليس من المعقول أن ربنا يسوع يهتم بفضح بدعة أونوميوس ، ويترك الكنيسة شرقاً وغرباً أكثر من عشرة قرون تعتقد أن الروح القدس منبثق من الآب فقط والأمر ليس كذلك . بل وتظل الكنيسة الأرثوذكسية وكنائس الروم الأرثوذكس للآن يعتقدون أن الروح القدس منبثق من الآب فقط وهو ليس كذلك ، وعندما يخفى الله الحقيقة عن شعبه إلاَّ يوقعهم بهذا فى الخطأ ؟!

١٣- يقولون لأن الإبن يصدر من الآب فهو يشترك معه فى الإرادة المُخصبة الكائنة ما بين الآب والإبن فيكون الإنبثاق من الآب والإبن .

توضيح :

الإرادة تدخل ضمن الخصائص الجوهرية الخارجية أما الإنبثاق فهو من الخصائص الأقنومية أو الخصائص الجوهرية الداخلية ، فالإرادة لا تخص أقنوم واحد دون الأقنومين الآخرين ، ولا تنحصر فى أقنومين دون الأقنوم الثالث . لكن الأقانيم الثلاثة لهم إرادة واحدة ومشيئة واحدة ، فإرادة الآب هى إرادة الإبن هى هى إرادة الروح القدس ، فإن كان الروح القدس منبثق بإرادة الآب والإبن فهل هو منبثق بإرادة ذاته أيضاً ؟! أى هل هو منبثق من ذاته أيضاً ؟! إلاَّ ترى يا عزيزى أن مثل هذه الأمور تقودنا للتشويش والهرطقة ؟!

١٤- يقول الأب سليم بسترس " كذلك نقرأ فى سفر الرؤيا " ثم آرانى نهر ماء الحياة صافيا كالبلور خارجاً من عرش الله والحمل " (رؤ٢٢: ١) فنهر الحياة هو إشارة إلى الروح القدس ، كما ورد فى إنجيل يوحنا " إن عطش أحد فليأت إليَّ ويشرب.من آمن بي كما قال الكتاب ستجرى من جوفه أنهار ماء حي قال هذا عن الروح الذى كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه " (يو٧: ٣٧-٣٩) والحمل هو المسيح الفادى ، فالروح يخرج من عرش الله أى من الآب ومن المسيح الفادى . هذا النص يشير أيضاً إلى خروج الروح من الآب والإبن فى إطار تاريخ الخلاص " [٣٧]

---

[٣٧] اللاهوت المسيحى والإنسان المعاصر جـ٢ صـ٩٠،٩١.

توضيح :

نحن نتفق معك أن هذا النهر يشير إلى الروح القدس حسب تأملات بعض الآباء مثـــل القديس امبروسيوس . الذى أورد نفس الآيات (يو٧: ٣٧-٣٩) وإن كان البعض مثـــل العلامة ترتليانوس يرى أن النهر يشير إلى مخلصنا الصالح الـــذى يـــروي كـــل نفـــس عطشى ، والعجيب أن يخرج هذا النهر من عرش الملك والحمل لأن الروح القدس هـــو روح الآب وروح الإبن أيضاً ، فهو منبثق من الآب مستقر فى الإبن .

ونحن نتفق معك أيضاً فى أن هذا النهر يشير إلى خروج الروح من الآب والإبـــن فى إطار تاريخ الخلاص . هذا شئ ، وإنبثاق الروح من الآب شئ آخـــر ، لأن تـــاريخ الخلاص يدخل فى إطار الزمن أما الإنبثاق فيدخل فى إطار السرمدية.

وبعد أن ألقينا الضوء على بعض الأدلة التى يعتمد عليها الأخوة الكـــاثوليك فـــى إثبات أن الروح القدس ينبثق من الآب والإبن يجدر الإشارة إلـــى أن معظـــم العلمـــاء اللاتين لم يتعمقوا فى شرح العقيدة ، وقد يكون العائق الذى كان يواجههم هو إعتمـــادهم على لغتهم اللاتينية بينما المصطلحات اللاهوتية والشرح اللاهوتي كان باللغة اليونانيـــة التى لم يهتم بها علماء اللاتين كثيراً .

وأيضاً هناك فارق بين النظرة اللاهوتية الغربية والنظـــرة اللاهوتيـــة الشـــرقية ، فالنظرة الغربية كانت تعتمد اساســـاً على الجوهر الإلهى (أو الطبيعة الإلهيـــة أو الكيـــان الإلهي) الواحد ثم تنطلق إلى الأقانيم الثلاثة ، لذلك تبدو عقيدة الوحـــدة الإلهيـــة وكأنـــها إمتصت عقيدة الثالوث ، فالرجل اللاهوتى اللاتيني يتجه إلى الله الواحد أكثر مـــن إتجاهـــه إلى الأقانيم الثلاثة ، ويركز حول الجوهر الإلهى أكثر من تركيزه حول الثالوث القـــدوس . بينما النظرة اللاهوتية الشرقية تركز على الأقانيم الثلاثة الآب والإبـــن والـــروح القـــدس بحسبما أوحى السيد المسيح لتلاميذه " اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باســـم الآب والإبن والروح القدس" (مت٢٨: ١٩) ثم تنطلق إلى الجوهر الإلـــهي الواحـــد ، فـــالرجل اللاهوتى الشرقى يتجه للآب الذى هو المبدأ والعلة والأصل والينبوع الوالد للإبن والبـــاثق للروح القدس ، ويتجه للإبن المولود من الآب قبل كل الدهور نور من نور إله حق من إله حق الذى تجسد من أجل خلاصنا وصُلِب وقُبِر وقام وصعد وسيأتى ليأخذنا معه ، ويتجـــه إلى الروح القدس المنبثق من الآب منذ الأزل الناطق فى الأنبياء والذى حلَّ على التلاميـــذ فى يوم الخمسين والعامل فى الكنيسة من خلال الأسرار والمواهب والقوة الإلهية .

رابعاً : اقتراحات للأخوة الكاثوليك

يقترح بعض الأخوة الكاثوليك بأنه لا مانع من ترديد قانون الإيمان بالنص اليوناني الذى لا يقبل إضافة "والإبن" ولكنهم يقولون مع الإحتفاظ بحقنا فى إضافة " Filioque " " والإبن " لقانون الإيمان بالنص اللاتينى.

بينما يعترف البعض قائلاً " أن خطأ الغرب يقوم على أنه دون الرجوع إلى الشرق أضاف إلى قانون الإيمان المشترك بينهما عبارة مثبتة ناقصة كان الجدال اللاهوتي لا يزال قائماً حولها ".[٣٨]

ويقترح البعض قائلاً " أن معظم اللاهوتيّين من الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية والبروتستانتية متفقون اليوم على أن موضوع إنبثاق الروح القدس لا يشكل عقبة فى طريق الوحدة المسيحية ، ولكن المطلوب قبلاً من جميع كنائس المسيحية العودة إلى تلاوتها قانون الإيمان إلى الصيغة الأولى التى أقرها المجمع المسكوني الثاني سنة ٣٨١م أى من دون إضافة " والإبن " ليتاح لجميع المسيحيين إعلان إيمانهم المشترك بفم واحد وقلب واحد ".[٣٩] وفى خانة الشواهد يعلق الكاتب قائلاً ' هذا ما أوصت به لجنة مشتركة من لاهوتيّين كاثوليك وأرثوذكس وبروتستانت اجتمعت فى كلينجتال قرب ستراسبورغ فى فرنسا من ٢٦ إلى ٢٩ من أكتوبر سنة ١٩٧٨م ، ومن ٢٣ إلى ٢٧ من مايو سنة ١٩٧٩م .. ومع ذلك لا تزال حتى الآن معظم الكنائس الشرقية الكاثوليكية تتردد فى إلغائها ، وفى حين يوصى كبار اللاهوتيّين الغربيّين الكاثوليك مثل كونغار بإلغائها ! ولقد قرَّرت الكنيسة الكاثوليكية اليونانية إلغاءها فى ٣١ من مايو سنة ١٩٧٣م . وفى منشور بطريركي صدر عن الدائرة البطريركية للروم الكاثوليك يقول غبطة البطريرك مكسيموس الخامس حكيم " بصفتنا المسئول الأعلي عن الليتورجيا فى البطريركية ، وبعد موافقة السينودس المقدس المنعقد فى عين تراز فى أغسطس سنة ١٩٨٠م نجيز الإختصارات الآتية إلى القداس الإلهى :

---

[٣٨] المرجع السابق صـ٩٤.

[٣٩] المرجع السابق صـ٩٤ .

(هـ) يُفضّل حذف " والإبن " فى صلاة نؤمن (قانون الإيمان) (راجع المسرة ت٢- ك١ ١٩٨٠ صـ٦١٥) " [٤٠] وهناك اقتراح كاثوليكي مصري حيث يقول القمص اسكندر وديع تحت موضوع نظرة كاثوليكية فى موضوع إنبثاق الروح القدس :

" التعبير الشرقى " الروح القدس منبثق من الآب " يعبر بطريقة واضحة عن دور الآب الأساسي فى عمل إنبثاق الروح القدس ، ألاَّ يخشى من هذه العبارة إخفاء دور الإبن فى الإنبثاق المؤكد من الكتاب المقدس وأقوال الآباء.

والتعبير الغربى { الروح القدس منبثق من الآب والإبن } يظهر دور الإبن فى الإنبثاق ، ولكنه يخشى من هذه العبارة أن يوضح الآب والإبن كعلتين متساويتين وكأنهما مبداءان للإنبثاق ، ويجب أن نكمل العبارة كمن مبدأ واحد ونفخة واحدة ، فتعبير الآباء أن الروح القدس منبثق من الآب بواسطة الإبن يمكن أن يوفق بين الطرفين بإظهار دور الآب الأساسي ودور الإبن دون الألتباسات المذكورة ويكون قاعدة سليمة للإيمان المشترك .. طالما تاكدنا من ان التعبير الغربى مستقيم فى معناه يمكن للكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية أن تتمسكا بطريقة تلاوتهما لقانون الإيمان إلى اليوم الذى يتم فيه انعقاد مجمع مسكوني يُحدد صيغة واحدة مشتركة تعبر عن إيماننا الواحد .

ولقد صرَّح الأحبار الرومانيون لكنائس الشرق الكاثوليكية أن تحافظ على تلاوة قانون الإيمان بالطريقة الشرقية دون أن يعنى ذلك إنكار الإنبثاق من الآب والإبن التى رأينا أنها مرادفة لتعبير الإنبثاق من الآب بواسطة الإبن " [٤١]

ونحن نقول أنه من الأفضل للجميع العودة إلى الإيمان المسلم مرةً للقديسين ، ونذكّر الأخوة الأقباط الكاثوليك بأن الخولاجى الذى طبع باللغة العربية فى روما سنة ١٧٣٦م جاء فيه أكثر من مرة الروح القدس المنبثق من الآب (بدون إضافة والإبن) فمثلاً فى صـ٢٥٧،٢٥٨ جاء فيه " روح الحق آتى من الآب .. الروح القدس غير المستحيل المتسلط المحيى المنبثق من الآب الذى نطق فى الأنبياء " ، وأيضاً كتاب اللقان والسجدة المطبوع فى روما سنة ١٧٦٢م جاء فيه :

---

[٤٠] المرجع السابق صـ٩٤ .

[٤١] مجلة الصلاح مايو – يونيو سنة ١٩٩٠م صـ١٤١،١٤٢ .

" روح الحق المنبثق من الآب حلَّ على الرسل " صـ٣٦٥ .

" روح الحق المنبثق من الآب حلَّ على الرسل الأطهار " صـ٤٠٠ .

" روح الحق المنبثق من الآب استراح على رؤوس التلاميذ " صـ٤١٦ .

خامساً : محاولات الإتفاق على إنبثاق الروح القدس

كتبت مجلة الصلاح الكاثوليكية تقول : الحوار بين الكنيستين الكاثوليكية والقبطية الأرثوذكسية فى دير الأنبا بيشوى بوادى النطرون :

عقدت اللجنة المختلطة الدولية للحوار بين الكنيستين الكاثوليكية والقبطية والأرثوذكسية دورة عادية للدراسة فى الفترة من ٢٣ إلى ٢٧ أبريل الماضى فى دير الأنبا بيشوى بوادى النطرون . كان الموضوع الرئيسى للمناقشة هو إنبثاق الروح القدس والجدل حول إضافة كلمة (الإبن) فى نص قانون الإيمان .

وقد قدمت كل كنيسة المذكرات التى تحوى وجهة نظرها فى :

١- تاريخ الجدل حول إضافة لفظة (الإبن) .

٢- الجوانب الكتابية واللاهوتية والآبائية حول إنبثاق الروح القدس.

٣- إضافة لفظة (الإبن) على قانون إيمان نيقية - القسطنطينية .

كان هدف هذه اللجنة هو مساعدة كل كنيسة على تفهم الكنيسة الأخرى . فالكنيسة القبطية الأرثوذكسية ، لأسباب عقائدية وقانونية ترى عدم إضافة لفظ (الإبن) فى قانون الإيمان أو فى الطقوس أو فى التعاليم اللاهوتية ، فى حين ترى الكنيسة الكاثوليكية لنفس الأسباب ، أن هذه الإضافة مقبولة ، وقد ناقشت اللجنة بالتفصيل العبارات المستخدمة فى الكنيستين والتصريحات الرسمية الأساسية للكنيسة الكاثوليكية فى هذا الصدد .

وقد عبر أعضاء اللجنة عن اقتناعهم بالإجماع أنه ينبغى القيام بدراسات لاحقة حول النقاط الثلاثة المشار إليها على ان تقدم الدراسات قبل الإجتماع المقبل بفترة معقولة حتى يتسنى لكل عضو دراستها . هذا وقد حددت اللجنة ميعاد اجتماعها المقبل من ١٥ إلى ١٩ أبريل سنة ١٩٩١م . ديرالأنبا بيشوى فى ٢٧ ابريل سنة ١٩٩٠م" [٤٢]

---

[٤٢] المرجع السابق صـ١٣٨ .

الفصل الثاني
رئاسة بطرس الرسول

طوباك يا سمعان بن يونا يامن اعترفتَ بلاهــوت مخلصنــا الصــالح فأســتحقيت التطويب من الفم الصالح ..

طوباك يا سمعان بن يونا يامن أعلنتَ للملاء أن السيد المسيح هو ابن الله الحي ..

طوباك يا سمعان بن يونا لأنك آمنتَ بسيدك مع أخوتك وتمسكتم به " يارب إلى من نذهب ؟ كلام الحياة الأبدية عندك . ونحن قد آمنا وعرفنا أنك أنت المسيح ابن الله الحي " (يو٦: ٦٨،٦٩)

طوباك يا سمعان بن يونا لأن الرب اختارك مع يعقوب ويوحنا فرأيتمــــوه قــاهراً للموت فى بيت يايرس ، ومتجلياً فى مجده على جبل حرمون ، وحزيناً ومكتئباً بـل باكياً وصارخاً فى جثيمانى ..

طوباك ياسمعان بن يونا لأنك تبعتَ سيدك ، وإن كنت قد سقطتَ بســـبب ضعفــك البشرى ، ولكن نظرة الحبيب تلقَّفتك قبل أن تغوص فى هوة الهلاك . كما نجَّتــــك من قبل عند شكك وغرقك ..

طوباك يا سمعان بن يونا يامن مجَّدت التوبة وأعلنتَ قوتها وبالدموع المرة غسلتَ أشنع الخطايا .. إنكار وسب ولعن الإبن الحبيب ..

طوباك يا سمعان بن يونا يامن أعادك إبن الله الحي إلى رتبتك الرسولية ، فطلبه منــك ثلاث مرات أن ترعى غنمه شفاك تماماً من سقطاتك الثلاث .

طوباك يا سمعان بن يونا الصياد البسيط الذى إصطاد بشباك الروح القدس ثلاثـــة آلاف نفس فى دفعة واحدة ..

طوباك يا سمعان بن يونا يامن شهدتَ لسيدك بشفاء الأعرج مـــن بطــن أمـــه ، ووقفتَ أمام بنى أمتك تحرك قلوبهم " أنتم أنكرتم القدوس البار .. ورئيس الحيـــاة قتلتموه " (أع٣: ١٤،١٥) ..

طوباك يا سمعان بن يونا يامن فى لدة حنَّت أحشاؤه فنـــادى " ياإينيـــاس يشــفيك يسوع المسيح . قم افرش لنفسك . فقام للوقت " (أع٩: ٣٤) ..

طوباك يا سمعان بن يونا يا من فى يافا رقَّ قلبه فجثا على ركبتيه أمـــام جثمـــان طابيثا وصلى فرد الرب الإله روحها من جوف الموت ..

طوباك يا سمعان بن يونا يا من عشتَ حياة المحبة والاتضاع والطاعة .. يرسـلونك إلى السامرة فتذهب .. تكتب إلى القسوس فتقول " أنا الشيخ رفيقهم "(١بط٥: ١) .. عشتَ حياتك ، وبصليبك مجَّدت إلهك ، وفى كل هذا لم تفكر فى رئاسةٍ ما .. عجيبـاً .. لماذا ينسبون لك الرئاسة التى لم تفكر فيها ولم تشتهيها ؟!

أترى فعلوا هذا لأن بعضهم فكر فى الرئاسة واشتهاها والبقية سارت فى دروبهم ؟!

هل فعلوا هكذا بطبيعتهم إذ أن أبناء الشرق تستهويهم الفلسفة والعلـوم والعقـائد اللاهوتية بينما أبناء الغرب تستهويهم الرئاسة والسلطة والقوة والسياسة ؟!

هل عندما أنشأ قسطنطين روما الجديدة (القسطنطينية) وبدأ المجد يغيـب عـن رومـا الأولى دفع هذا بباباوات روما للبحث عن زعامة كنسيَّة عامة ؟!

والآن دعنا يا صديقى نناقش هذا الموضوع من خلال الأسئلة الآتية :

س١: من هو رأس الكنيسة ؟

س٢: هل شاء السيد المسيح أن يُقيم رئيساً للرسل ؟

س٣: هل طبيعة بطرس الحماسيَّة تعنى رئاسته ؟

س٤: هل فاق بطرس إخوته الرسل فى شئ ؟

س٥: هل ورود إسم بطرس أولاً فى الإنجيل إشارة إلى رئاسته ؟

س٦: كيف نفهم قول السيد المسيح " أنت بطرس وعلـى هـذه الصخـرة سـأبنى كنيستى" (مت١٦: ١٨) ؟

س٧: هل تحذير السيد المسيح لبطرس ومطالبته بتثبيت إخوته بعد رجوعـه يعنـى رئاسته ؟

س٨: هل قول الملاك للنسوة " قلنَ لتلاميذه ولبطرس " (مر١٦: ٧) يعنـى رئاسـة بطرس ؟

س٩: هل قال السيد المسيح لبطرس "ارع غنمى" ثلاث مرات لأنه هو المسئول عـن الكنيسة الجامعة وهو رأسها ؟

س١٠: هل ورد بكتُبنا الطقسية ما يؤيد رئاسة بطرس ؟

س١١: إن كان السيد المسيح لم يضع نظام الرئاسات فمن أقام رؤساء للكراسي الرسولية ؟

س١: من هو رأس الكنيسة ؟

يقول الأخوة الكاثوليك أن رأس الكنيسة الغير منظور هو الرب يسوع . أما رأس الكنيسة المنظور فهو بطرس الرسول ومن بعده خليفته على كرسي روما ، فالمسيح الصخرة غير المنظورة وبطرس هو الصخرة المنظورة ، " أية جماعة بدون رأس ؟ فللأبناء أب واحد ، وللمملكة ملك واحد ، وللجمهورية رئيس واحد " [٤٣]

" الكنيسة واحدة لها رأس غير منظور بمثابة النفس من الجسم مصدر كل الحياة أعنى المسيح ، ولها رأس منظور للجسم المنظور الممتد من أقصى المسكونة إلى أقصاها أعنى بها سيدنا البابا الحبر الأعظم خليفة وسليل بطرس الرسول على كرسيه نائب السيد المسيح بأمره " [٤٤]

" كل هيئة ومؤسَّسة ليس لها رئيس تخرب لا محالة .. والكنيسة مؤسَّسة إلهيَّة وبشريَّة فى ذات الوقت . فهى إلهيَّة من حيث مبادئها وأهدافها ومؤسّسها السيد المسيح ، وهى بشريَّة من حيث أن أعضاءها جميعاً من البشر وليسوا من الملائكة أو الأرواح ، فوجب أن يكون لها رئيس إلهي وهو السيد المسيح مؤسّس الكنيسة ورأسها ، ولابد أن يكون لها رئيس بشرى منظور من البشر ، وقد كان السيد المسيح حين أسَّس الكنيسة يجمع بين الصفتين فهو إله وهو إنسان وبذلك كانت رئاسته إلهيَّة بشريَّة ، ولكن بعد صعوده إلى السماء أصبح غير منظور للبشر فوجب أن يترك له خليفة على الأرض " [٤٥]

كما يقولون " أن الديانة المسيحية تستند على قاعدتين هما الأساس أن المسيح عمانوئيل والبابا نائبه " [٤٦] ولذلك فإن كل من لا يؤمن بالبابا فهو أشر من غير المؤمن ، وأن بطرس هو الأساس وكل من لا يستند عليه ليس من الكنيسة [٤٧] .

---

[٤٣] الرئاسة البابوية الأب بولس نصير صـ١٢٥.

[٤٤] مرشد الأرثوذكس الكاثوليكى – الأنبا الكسندروس اسكندر سنة ١٩٦٠م صـ٩ .

[٤٥] إيماننا القويم جـ١ الأب مكسيموس كابس صـ٧٦، ٧٧ .

[٤٦] البوق الإنجيلى صـ١٢٩.

[٤٧] بطرس الرسول هل هو رئيس الكنيسة ؟ للقس بولس عطية بسيليوس راجع صـ٦٣.

توضيح :

لا يمكن قبول فكرة تقسيم السلطة بين السيد المسيح وبطرس الرسول لأن معنى هذا التقسيم أن السيد المسيح يكون له سلطان على الكنيسة المنتصرة فى السماء فقط والبابا يكون له سلطان على الكنيسة المجاهدة فى الأرض ، ولو قلنا أن بطرس الرسول ومن بعده خليفته بابا روما له السلطان المطلق والرئاسة العامة على الكنيسة المنظورة فهل معنى هذا أن السيد المسيح ليس له سلطان ورئاسة على هذه الكنيسة المنظورة ؟! .. إن كان سلطان الإبن قبل التجسد كان فى السماء وعلى الأرض ، وأثناء التجسد كان له السلطة على الكنيسة الأولى (جماعة الرسل) فهل يُعقَل أنه بعد الفداء والقيامة والصعود قد تخلى عن سلطانه على الكنيسة المجاهدة ؟!

وعندما نفترض جدلاً أن بابا روما هو رأس الكنيسة لأنه نائب المسيح ، فعند موته ولحين إقامة بابا آخر هل تصبح الكنيسة بلا رأس ؟

وهل السيد المسيح أناب بابا روما عنه ؟

متى وأين وكيف ؟

وهل يصح أن نضع الإعتراف برئاسة البابا على قدم المساواة مع الاعتراف بألوهية السيد المسيح ؟

وهل بدون الإعتراف برئاسة البابا يفقد الإنسان مسيحيته حتى لو كان معترفاً بألوهية المسيح ؟

وهل معنى هذا أن جميع الأرثوذكس والبروتستانت لا يُعدُّوا مع المسيحيين لأنهم لا يعترفون بإنابة السيد المسيح للبابا ؟

وكيف يكون بطرس الإنسان هو أساس الكنيسة ؟

هل بطرس هو الذى افتدى الكنيسة بدمه ؟ وهل هو عريس الكنيسة ؟

هل بطرس هو الذى ذهب ليعد للكنيسة مكاناً ؟ وهل هو الذى سيأتى ليأخذنا إلى ملكوته ؟

أن الإنجيل يعلمنا بآيات كثيرة وصريحة وواضحة أن السيد المسيح هو رأس الكنيسة وليس بطرس الرسول :

" وإياه جعل رأساً فوق كل شئ للكنيسة " (اف ١: ٢٢) .

" ننمو فى كل شئ إلى ذاك الذى هو الرأس المسيح " (اف ٤: ١٥) .

" وهو رأس الجسد الكنيسة " (كو ١: ١٨) .

يقول كيرلس مقار البطريرك الأول للأقباط الكاثوليك بعد عودتـــه للأرثوذكســية :

" إن كتب العهد القديم تُميّز الكنيسة باسم (المملكة) والأناجيل تدعوها (مملكة الســماء) وأنت (أيها الأخ الروماني أي الكاثوليكي) تنزلها دائماً بقولك أن الكنيســة هــي ملكــة بطرس والبابا ، أما بالنسبة لنا فهذه المملكة هي هي وتبقى دائماً مملكة يسوع المسـيح وحده الذى قيل عنه : أن الأب مسح مَلِكه على صهيون الجبل المقدس ، والذى قال عنه الآب : أنت ابني أنا اليوم ولدتك اسألني فأعطيك الأمم ميراثاً لك وأقاصي الأرض ملكــاً لك (مز٢: ٦–٨) .. هذا ما أقوله لك أن الرب يسوع بصعوده إلى السماء لم يكف عـن أن يكون ملكاً .. وأول عمل أفتتح به ممارسة تملُّكه على الكنيسة (بعد الصعــود) هــو إنسكاب روحه يوم عيد الخمسين على المجمع الرسولي ..

ألم تقل (أيها الأخ الكاثوليكي) إذاً أبداً أن المخلص بصعوده إلى السماء تبرأ من أن يمارس مُلكه على الكنيسة ولهذا السبب وضع قضيب ملكه بين يـــدى بطــرس ؟ . أن الرب يسوع بصعوده إلى السماء لم يجعل بطرس ولا شخصاً آخر وارثــاً لمُلكــه علــى الكنيسة ، وإنما جعل بطرس والآخرين سفراءه ووكلاء سرائره (١كـو٣: ٥ ،٤: ١) إن سفير الملك ليس هو الملك ، والمملكةَ ليست للسفير بل لمن جعلـــه ســفيراً ، ونفــوذ السفير فى المملكة ليس نفوذاً ملكياً وإنما نفوذ سفيري محدود .. ثم ماذا تريد أن تعنــى (أيها الأخ الكاثوليكي) بقولك أن يسوع المسيح عيّن بطرس خليفته على الأرض ســوى أن الرب يسوع الذى أصبح بعد صعوده إلى السماء غير أهل أن يمارس سيادته الملكيـة على الكنيسة التى كانت على الأرض فنقل هذه السيادة إلى رأس بطرس " [48]

السيد المسيح هو رأس الكنيسة ، والكنيسة بها رتب كنسيَّة للرئاسة المحلية مـــن أجل التنظيم ، وجميع البابوات والبطاركة هم أخوة ليس فيهم رئيـــس ومـــرؤوس ، ولا يوجد رئيس للمسيحية ولا خليفة ولا نائب للمسيح كما سنرى فيما بعد ، والسيد المسيح هو رئيس الرعاة وليس بطرس الرسول حسب قوله " ومتى ظهر رئيس الرعاة تنـــالون إكليل المجد الذى لا يبلى " (١بط٥: ٤) .

ياربى يسوع المسيح يارأس الكنيسة الممجد فى كنيستك إعطنا اليقظـــة الروحيــة وحياة التوبة النقية لننال إكليل المجد الذى لا يبلى .. بطلبات بطرس الرسول يارب أنعـم لنا بمغفرة خطايانا .

---

[48] الوضع الإلهي في تأسيس الكنيسة صـــ ١٣–١٦ .

س٢: هل شاء السيد المسيح أن يُقيم رئيساً للرسل ؟

يقول الأخوة الكاثوليك عندما قال السيد المسيح لتلاميذه " من أراد أن يكون فيكم أولاً فليكن لكم عبداً " (مت٢٠: ٢٧) أثبتَ أن هناك أوليَّة ورئاسة يطمع فيها كل واحد من الرسل ، وأن أم ابنَّي زبدى عندما طلبت من السيد المسيح أن يُقِيم أبنيها واحداً على يمينه والآخر على يساره لم يزجرها مبيناً لها خطأ فكرها بل صادق على كلامها (راجع الرئاسة البابوية للأب بولس نصيرص٦٩،٧٠) .

كما يقولون أن " هذا النص (مت٢٠: ٢٠-٢٣) الذى يسبق الآية [أن رؤساء الأمم يسودونهم ..] التى استشهدوا بها لينفوا الرئاسة فى الكنيسة يُثْبت أن السيد المسيح يُريد رئاسة فى كنيسته ولكن لا يعطيها إلاَّ للذين أعدَّهم الله الآب " [٤٩]

ويقولون أيضاً أن السيد المسيح أقام بطرس رئيساً لذلك فإن بطرس هو الراعى أصليَّا وإخوته رعاة استمداداً أو فرعياً .

توضيح :

الأوليَّة التى يتحدث عنها الإنجيل " Prime " وباللاتينية " Primus " وباليونانية " Proto " كما نقول أول الشهداء " Proto martyrus " ، هذه الأولية أعطاها السيد المسيح معناً جديداً وهى أن الذى يرغب فى هذه الأوليَّة فليكن عبداً بين إخوته .. فهل يقصد الأخوة الكاثوليك هذه الأوليَّة لبطرس الرسول ؟ .. لو كانوا يقصدون هذا المفهوم الإنجيلى فنحن نوافقهم تماماً ، ولكن إن كانوا يقصدون بالأوليَّة الرئاسة والإرتفاع فوق كل رئاسة فهذا لا نجد له سنداً فى الإنجيل . بل نقول أن السيد المسيح قاوم هذا الفكر الذى كان يحارب التلاميذ فى بداية خدمتهم وهو معهم " وداخلهم فكر من عسى أن يكون أعظم فيهم " (لو٩: ٤٦) ، " وإذ كان فى البيت سألهم بماذا كنتم تتكالمون فيما بينكم فى الطريق . فسكتوا لأنهم تحاجُّوا فى الطريق بعضهم مع بعض فى من هو أعظم . فجلس ونادى الإثنى عشر وقال لهم ان أراد أحد أن يكون أولاً فيكون آخر الكل وخادماً للكل " (مر٩: ٣٣-٣٥) ، " وكانت بينهم أيضاً مشاجرة من منهم يُظنُّ أنه يكون أكبر . فقال لهم . ملوك الأمم يسودونهم والمتسلطون عليهم يُدعون محسنين . وأما أنتم فليس هكذا بل الكبير فيكم ليكن كالأصغر والمتقدم كالخادم " (لو٢٢: ٢٤-٢٦) ، " فلا يكون هكذا فيكم . بل من أراد أن يكون فيكم عظيماً فليكن لكم خادماً " (مت٢٠: ٢٦) .

---

[٤٩] إيماننا القويم جـ١ صـ٧٢.

حتى ولو أخذنا بالتفسير الحرفى فى أن الرئاسة لن تعطى إلاَّ للذين أعدَّ لهم من الآب ، فلنلاحظ ان الذين " أُعدَّ لهم " جمع وليس مجرد شخص واحد وهو بطرس . فكيف يمكن تفسير هذه الأية وتطبيقها على بطرس بمفرده ؟ ولو كان السيد المسيح يقصد من هذا رئاسة بطرس ، فلماذا لم يقل " للذى أُعدَّ له " ؟

هل يريدون أن يقولوا أن الذين أُعدَّ لهم هم بطرس وكل خلفائه من باباوات روما ؟

وهل كل باباوات روما عاشوا فى حياة التقوى والقداسة ويستحقون الجلوس عن يمين مخلصنا الصالح ؟!

لو كان السيد المسيح أقام بطرس رئيساً وعلم بالمباحثة والمجادلة التى حدثت بين التلاميذ وتطوَّرت إلى مشاجرة لمعرفة من هو الرئيس ؟ فلماذا لم يُبصّرهم بالحقيقة ويُصرحِ لهم بأنه إختار بطرس نائباً عنه ورئيساً عليهم ليوُحّد كلمتهم وليكن مرجعهم عند إختلافهم ؟

بل لماذا صمت بطرس أثناء المجادلة ولم يخبرهم أن السيد المسيح إختاره رئيساً عليهم ؟

والإجابة على مثل هذه الأسئلة سهلة وواضحة وهى أن السيد المسيح لم يُعيّن بطرس رئيساً عليهم . بل وهبهم جميعاً ما وهبه لبطرس من عمل المعجزات والكرازة وسلطان الحل والربط .. وإلخ .

ويقول كيرلس مقار " أن يسوع المسيح هو وحده رئيس الكنيسة المسكوني وفى وضعِه سلطان السفارة المتكفلة بسيادة هذه الكنيسة لم يُعيّن سلطاناً (لأحد) بل مجمعاً رسولياً مركباً من اثنى عشر عضواً الذين خولهم السلطة والمواعيد بالمعونة الإلهية ، وقد أهتم جداً فى تحذيرهم بالأكثر بما أنهم كلهم أخوة متساوون بأن لا يخطر على بال أحدهم الفكر بالسلطة العامة ، وبالأولي أن لا توجد فى كنيسته .

أن المجمع الرسولي كان عنده شخص بطرس متقدماً وأوليَّاً لكن ما كان فى احتياج ما لأن يكون عنده شخص بطرس رئيساً أعلى .. لم تخبرنا (الأناجيل) فقط عن كون المخلص إصطفى الأثني عشر الذين دعاهم باسم الرسل ، ولم تخبرنا فقط عن كونه منح هؤلاء الأثني عشر رسولاً ذات الإرسالية وذوات سلطان التعليم والكهنوت والقضاء مع الوعد بالعناية الإلهية ، لكنها إهتمت (الأناجيل) أيضاً أن تخبرنا رسمياً بأن الإثني عشر كلهم أخوة أو متساوون وأن ليس بينهم أحد سيداً أو معلماً سوى السيد والمعلم العام الذى هو للمسيح (مت٢٣: ٨) .. وسبب عدم وجود الترأس فى مجمع

الأثني عشر هو لأن المخلص قلّد جميع الأثني عشر المملكة كما قلّدها له أبوه ، بأن يتحصل الأثني عشر على ذات الفوائد والرتبة والشرب والأكل على مائدته في ملكوته وان يجلس الأثني عشر على كراسي ويدينوا أسباط إسرائيل الأثني عشر (لو٢٢: ٢٩، ٣٠) " [٥٠]

وبطرس الرسول لم يتصرف أو يتحدث كأنه رئيس الرسل با، كتب للمتغربين في الشتات قائلاً " أطلب إلى الشيوخ الذين بينكم أنا الشيخ رفيقهم والشاهد لآلام المسيح وشريك المجد العتيد أن يُعلَن " (١بط٥: ١) تماماً كما قال يوحنا الحبيب " أنا يوحنا أخوكم وشريككم فى الضيقة وفى ملكوت يسوع المسيح وصبره " (رؤ١: ٩) .

فى المجمع الفاتيكاني الأول سنة ١٨٧١م إعترض الأسقف ستروسمير أسقف البوسناوسرميوم على رئاسة بطرس قائلاً فى خطبته " أنى إذ قرأت الكتب المقدسة بالحرص الذى خولنى الله إياه لم أجد إصحاحاً أو عدداً مهما كان صغيراً به يمنح السيد المسيح لبطرس السلطة على بقية الرسل رفقائه فى العمل ، فلو كان سمعان ابن يونا على ما يظن قداسة بيوس التاسع عليه اليوم لكان من أعجب العجب أن المخلص لم يقل " لما أصعد إلى أبى يجب أن تطيعوا جميعكم سمعان بطرس كما تطيعونى لأننى أثبته نائبى على الأرض " [٥١]

" إن شيئاً واحداً حيّر أفكارى كثيراً فقلت لنفسي وأنا أورده فى فكرى لو كان قد أنتخب مار بطرس بابا هل كان يسمح لرفقائه أن يرسلوه هو ومار يوحنا إلى السامرة ليبشر بإنجيل الله (أع٨: ١٤) ماذا تفتكرون أيها الأخوة الموقرون لو قرّرنا قرارنا فى هذه الساعة أن نرسل قداسة بيوس التاسع والسيد بلانتير ليذهبا معاً إلى بطريرك القسطنطينية لكى يأخذا عليه ميثاقاً على إنهاء الإنشقاق الشرقى " [٥٢]

وإن كان الأخوة الكاثوليك ينكرون نسبة مثل هذه الأقوال لهذا الأسقف فيقولون " فى رسالة السيد ستروسمير أسقف البوسناوسرميوم التى وجهها إلى صاحب صحيفة التابلت فى إنجلترا يُكذّب فيها ما قيل عنه افتراء : إطلعت على ما أدرجته فى صحيفتك فى تاريخ ١٤ آيار الماضى ولكن اعمالى جميعها خير شاهد على أن ما قيل عنى ما هو إلاّ إفتراء محض ودعوى خبيثة كاذبة .. ومع ذلك فإننا نؤمن بأنه فى بحر سنوات قلائل

---

[٥٠] الوضع الإلهي في تأسيس الكنيسة صـ٢٦، ٣٨ .

[٥١] الحجة الأرثوذكسية ضد اللهجة الرومانية صـ٦٨.

[٥٢] تنوير الأذهان بالبرهان إلى ما في عقائد الكنيسة الغربية من الزيغان صـ١٦٣.

تتكرس (الكنيسة الأسقفية) للقديس بطرس هامة الرسل مركز الوحدة الكاثوليكية " [٥٣]

والحقيقة أن أقوال ستروسمير فى المجمع الفاتيكاني أثبتها عليه المؤرخون فإن كان قد نقضَ أقواله لسبب أو لآخر فإن هذا لا يلغى ما قاله ، وأيضا الشهادة التى وردت كإلغاء لأقواله بأن " بطرس هامة الرسل مركز الوحدة الكاثوليكية " غير كافية ، لأنه لم يذكر صراحة رئاسة بطرس التى رفضها من قبل .

كما يقول الأخوة الكاثوليك " أما إستشهادكم بقول سيادة الأسقف ستروسمير فى خطابه فإنه على افتراض صحته فهو سند واهٍ ، وشهادة لا يليق بمن كان عنده شئ من المنطق أن يتسلح بها ، وإلاَّ فعلي سبيل المقابلة قل لي .. باسيليوس مطران كرسي أبوتيج .. أنكر ضرورة عزوبة الأساقفة والقسوس الذين ماتت زوجاتهم تقول أن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية هى على غير حق فى تصرفها لأن أحد أساقفتها قال ذلك " [٥٤] والحقيقة أن كلام الأنبا باسيليوس هو ضد ما هو ثابت فى الكنيسة من قرارات المجامع وأقوال الأباء ولا أخال أن أحداً من الكنيسة الكاثوليكية يوافق المتنيح الأنبا باسيليوس على فكره هذا .

وإن طعنَ الأخوة الكاثوليك فى أقوال الأسقف ستروسمير ، فما رأيكم فى أقوال كيرلس مقار أول بطريرك قبطى كاثوليكى الذى قال :

" أن بطرس ما كان وحده صخرة أساسيَّة للكنيسة بل كل الرسل كانوا صخور مماثلة مثله ومعه ، وليس بطرس استلم وحده مفاتيح ملكوت السموات بل كل الرسل الآخرين استلموها مثله ومعه ، وليس بطرس وحده أحرز وظيفة رعاية الخراف بل كل الرسل أحرزوها مثله ومعه .. فليس إذاً بطرس الذى أعطى الرسل إرساليتهم الرسولية بل رب الكل الذى قال للجميع بعد قيامته كما أرسلني الأب أرسلكم أنا أيضا (يو٢٠: ٢١) ، فليس عن بطرس إستلم الرسل ملء السلطان الكهنوتي بل من رب الكل الذى جعلهم جميعاً أحباراً للعهد الجديد بقوله لهم فى بدء تقديس عناصر الإفخارستيا { اصنعوا هذا لذكرى } (١كو١١: ٢٤) .. وبقوله لهم بعدئذ { اقبلوا الروح القدس من غفرتم لهم خطاياهم تصير مغفورة ومن امسكتموها عليهم تصير ممسكة (يو٢٠: ٢٢،٢٣) وأخيراً بفيض ملء الروح المعزي عليهم يوم الخمسين الذى كان

---

[٥٣] الرئاسة البابوية الأب بولس قصير صــ ٧،٨.

[٥٤] الرئاسة البابوية للأب بولس قصير صــ٧.

وعدهم به مساء موته ووقت صعوده إلى السماء } (أع١: ٤) .

وليس من بطرس إستلم الرسل تعليم الإيمان بل من سيد الكل الذى كان مدة حياته البشرية استاذهم الوحيد (مت٢٣: ٨،٩) وبعد صعود هذا الأستاذ إلى السماء كان الروح المعزى الذى أرسله لهم والذى يمكث معهم وفيهم إلى الأبد تماماً لكى يلهمهم كل تعليم أستاذهم الأوحد ولكى يعلمهم من قبله كل الحق(يو١٤: ١٦،١٧،٢٦ – يو١٥: ٢٦) وليس من بطرس إستلم الرسل سلطتهم القضائية فى الكنيسة بل من رب الكل الذى قال لجميعهم [وأنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتاً . لتأكلوا وتشربوا على مائدتي فى ملكوتي وتجلسوا على كراسي تدينون أسباط إسرائيل الأثنى عشر] (لو٢٢: ٢٩،٣٠) أخيراً ليس من بطرس تقلّد الرسل وخلفاؤهم وظيفة الرعاية .. بل من السيد العام الذى قال لجميعهم [اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الاب والإبن والروح القدس وعلّموهم أن يحفظوا كل ما أمرتكم وهوذا أنا معكم كل الأيام إلى إنقضاء الدهر] (مت٢٨: ١٩،٢٠) [٥٥]

ويضع باباوات روما فى أصابعهم خاتماً عليه صورة بطرس الرسول وهو فى زي الصيادين ، فلماذا يقيمونه نصب أعينهم رئيساً للرسل والمسيحية ونائباً للمسيح ؟!

س٣: هل طبيعة بطرس الحماسية تعنى رئاسته ؟

يقول الأخوة الكاثوليك أن " تصرفات بطرس الشخصية مع الرسل والشعب تفترض رئاسته العامة على الجميع .. أثناء قيام المسيح مع الرسل قبل موته ، فواضح جداً من تصرفات بطرس أنه هو لسان حال الجميع والمتقدم فيهم .. هذه الرئاسة بالأكثر تزداد وضوحاً فى تصرفاته بعد موت المسيح " [٥٦]

توضيح :

كان بطرس يملك طبيعة حماسية لذلك كان متقدماً فى الحديث والأسئلة ، ومن أمثلة أحاديث بطرس الآتى :

---

[٥٥] الوضع الإلهي في تأسيس الكنيسة صـ٦٢-٦٤ .

[٥٦] الرئاسة البابوية للأب بولس نصير صـ٦٦.

١- عندما ترك السيد المسيح كثيرون قال للتلاميذ الباقين " ألعلكم أنتم أيضا تريدون أن تمضوا . فأجابه بطرس يارب إلى من نذهب ؟ كلام الحياة الأبدية عندك " (يو ٦: ٦٧،٦٨) .

٢- " حينئذ تقدم إليه بطرس وقال يارب كم مرَّة يخطئ إليَّ أخي وأنا أغفر له ؟ " (مت١٨: ٢١) .

٣- عندما جاء السيد المسيح لتلاميذه في الهزيع الأخير ماشياً على البحر والسفينة معذَّبة من الأمواج فخاف التلاميذ وصرخوا ، فطمأنهم السيد المسيح " قائلاً تشجعوا . أنا هو . لا تخافوا . فأجابه بطرس وقال ياسيد إن كنت أنت هو فمرني أن آتي إليك على الماء " (مت١٤: ٢٧،٢٨) .

٤- بعد أن شهد بطرس للمسيح أنه ابن الله الحي ثم بدأ يسمع كلام السيد عن آلامه " فأخذه بطرس إليه وابتدأ ينتهره قائلاً حاشاك يارب . لا يكون لك هذا " (مت١٦: ٢٢) تصوَّر يا صديقي بطرس في إندفاعه وهو ينتهر رب المجد ، أو تصوَّر بطرس يعطي فرصة لعدو الخير لينتهر رب المجد على لسانه كيف كان حاله ؟ وكيف كان شكله ؟ ، وماذا كانت النتيجة ؟ " التفت (يسوع) وقال لبطرس أذهب عني يا شيطان . انت معثرة لي لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس " (مت١٦: ٢٣) .

٥- عندما كان يتحدث السيد المسيح عن الاستعداد " فقال له بطرس يارب ألنا تقول هذا المثل أم للجميع أيضاً " (لو ١٢: ٤١) .

٦- عندما تحدث السيد المسيح عن صعوبة دخول مُحبي الأموال إلى ملكوت السموات " فأجاب بطرس حينئذ وقال له ها نحن قد تركنا كلَّ شئ وتبعناك فماذا يكون لنا ؟ " (مت١٩: ٢٧) .

٧- على جبل التجلي قال للسيد المسيح " فلنصنع ثلاث مظال . لك واحدة ولموسى واحدة ولإيليا واحدة " (مر٩: ٥) فهل كان أحدهم في حاجة إلى مظلة ولكنه " لم يكن يعلم ما يتكلم " (مر٩: ٦) .

٨- عندما غسل السيد المسيح أرجل تلاميذه رفض بطرس فقال له السيد "إن كنتَ لا أغسلك فليس لك معي نصيب" (يو١٣: ٨) فماذا كان جواب بطرس "يا سيد ليس رجليَّ فقط بل أيضا يديَّ ورأسي" (يو١٣: ١٩)

٩- عندما قال السيد المسيح للتلاميذ " أنا معكم زماناً قليلاً بعد " (يو١٣: ٣٣) " قال له

سمعان بطرس يا سيد إلى أين تذهب ؟ " (يو١٣: ٣٦) .
١٠- عندما حذَّر السيد المسيح التلاميذ قائلاً لهم كلكم تشكُون فيَّ فـي هـذه الليلـة " فأجاب بطرس وقال وإن شكَّ فيك الجميع فأنا لا أشك أبداً . فقال له يسـوع الحـق أقول لك أنك فى هذه الليلة قبل أن يصيح ديك تنكرنى ثلاث مرات . فقال له بطـرس ولو اضطررت أن أموت معك لا أنكرك " (مت٢٦: ٣٣-٣٥) .
١١- عند القبض على مخلصنا الصالح إندفع بطرس وضرب ملخس عبد رئيس الكهنـة فقطع أذنه " فقال له يسوع ردَّ سيفك إلى مكانه . لأن كل الذيـن يـأخذون السـيف بالسيف يهلكون " (مت٢٦: ٥٢) .
١٢- هو صاحب الرأى بإقامة البديل ليهوذا (أع١: ١٥-٢٦) فأحياناً كان يصـل هـذا التقدم فى الحديث إلى درجة الإندفاع فكان الرب يسوع يوقفه ويراجعه وأحياناً يبكتـه ، وهذه الطبيعة الحماسية لمعلمنا بطرس الرسول لا تعنى أبداً أنـه صـار رئيسـاً للتلاميذ والكنيسة .

س٤: هل فاق بطرس إخوته الرسل فى شئ ؟

توضيح : قال الكردينال نيكولاس من كوزا " نحن نعلم أن بطرس ما اسـتلم مـن يسوع المسيح أكبر من سلطان باقى الرسل فإنه فى الواقع لم يقل له شئ إلاَّ ما قيـل لباقى الرسل .. " [٥٧]
فعلاً بطرس الرسول لم يتفوق بشئ عن إخوته كما أن الرب يسوع لم يُميّزه بشـئ عن أخوته بدليل :
١- هناك نبوات عن التلاميذ ككل مثل " فى كل الأرض خرج منطقهم وإلـى أقصـى المسكونة أقوالهم .. " (مز١٩٠: ١٤) ، وأرميا تنبأ عنهم أيضاً " وأُقيم عليـها رعاة يرعونها فلا تخاف بعد ولا ترتعد ولا تُفقَد يقول الرب " (ار٢٣: ٤) ولكـن لا توجد نبوة قط عن بطرس الرسول بمفرده .
٢- أرسل الرب يسوع التلاميذ للكرازة فى أرض إسرائيل بعد أن منحهم جميعاً رتبة الرسولية ، وأعطاهم سلطاناً متساوياً على شفاء المرضـى وعمـل المعجـزات وإخراج الأرواح الشريرة ، وفى هذا لم يُميّز بطرس عنهم ، ولم يقمـه رئيسـاً

---

[٥٧] لجة . تعليم مسيحى لـ٢ ف٢١ (راجع تنوير الأذهان بالبرهان – للأسقف ايسيذورس صـ١٤٨) .

عليهم ولذلك عندما رجعوا حدثوه بكل ما فعلوا ، ولم يقدموا تقريراً إلى بطرس لأنه ليس هو المسئول عنهم .

٣- قال السيد المسيح لهم جميعاً " لا أعود أسميكم عبيداً لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده . لكنى قد سميتكم أحباء لأنى أعلمتكم بكل ما سمعته من أبى . ليس أنتم أخترتمونى بل أنا أخترتكم وأقمتكم لتذهبوا وتأتوا بثمر ويدوم ثمركم " (يو١٥: ١٥، ١٦) فواضح أن التلاميذ جميعاً تساووا فى المعرفة وفى الإختيار .

٤- بعد القيامة وهب السيد المسيح جميع التلاميذ بلا استثناء سر الكهنوت " ولما قال هذا نفخ وقال لهم إقبلوا الروح القدس . من غفرتم خطاياه تُغفر له . ومن أمسكتم خطاياه أُمسكت " (يو٢٠: ٢٢، ٢٣) ، ولم يذكر الإنجيل أن الرب يسوع ميَّز بطرس بنفخة زائدة من أجل سر الرئاسة .

٥- عندما أرسل السيد المسيح تلاميذه للكرازة عقب القيامة وقال لهم " فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس" (مت٢٨: ١٩) لم يذكر لا بالتصريح ولا بالتلميح أنه عندما تواجههم المشاكل أو عندما يختلفون يعودون إلى بطرس رئيسهم . إنما قال لهم " ها أنا معكم كل الأيام إلى إنقضاء الدهر " (مت٢٨: ٢٠) .

٦- عندما تحدث السيد المسيح عن الذى سيسلمه لم يجد بطرس الدالة ليسأله عمن هو . لذلك اومأ إلى يوحنا الحبيب فسأله يوحنا " يا سيد من هو ؟ " (يو١٣: ٢٥).

٧- لو كان الرب يسوع ميَّز بطرس بالرئاسة لرشح وعيَّن وأقام بطرس البديل ليهوذا مباشرة ، ولكنه لم ينفرد فى هذا الأمر لا بالإنتخاب ولا بالصلاة ولا بإلقاء القرعة (أع ١٥ :١٥-٢٦) .

٨- عند إنتخاب السبعة شمامسة لم يختارهم بطرس الرسول ، ولم يختر أحدهم . بل أختارهم الشعب وسامهم الرسل شمامسة (أع٦: ٢-٦) .

٩- صرَّح الإنجيل بأن بطرس تخصَّص لكرازة اليهود وبولس لكرازة الأمم الوثنيين " أنى اؤتمنت على إنجيل الغرلة كما بطرس على إنجيل الختان " (غل٢: ٧) مع ملاحظة أن الذى أرسل بولس لخدمة الأمم هو الرب يسوع (أع٢٢: ٢١) فذهب وكرز وأقام قسوساً وأساقفة ولم يرجع فى كل هذا إلى بطرس الرسول فى شئ .

١٠- عندما ظهرت مشكلة التهود فى أنطاكية وكان بطرس هناك لم يقدر أن يحسم المشكلة .

١١- عندما انعقد مجمع أورشليم رأسه يعقوب وليس بطرس ، وجاء القرار الجماعى " لأنه قد رأى الروح القدس ونحن .. " (أع١٥: ٢٨)

١٢- لو كان الرب يسوع ميَّز بطرس بالرئاسة هل كان يستجرئ الرسل الذين تحت رئاسته أن يرسلوه مع يوحنا إلى السامرة ؟!

١٣- لو كان بطرس رئيساً هل كان يتجرأ بولس الرسول أن يواجهه ويلومه ويوبِّخه علانية ؟! .. ليس هذا فقط بل ويسجل هذا الأمر فى رسالته إلى شعب غلاطية .

١٤-التلاميذ جميعهم متساوون فى المجد المُعَد لهم " فقال لهم يسوع الحق أقول لكم أنكم أنتم الذين تبعتمونى فى التجديد متى جلس إبن الإنسان على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضا على اثنى عشر كرسيا تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر " (مت١٩: ٢٨) .

١٥- أشار سفر الرؤيا للرسل بالأكليل الموضوع على رأس الكنيسة والمكوَّن من اثنى عشر كوكباً (رؤ١٢: ١) ولم يذكر أن كوكباً مُميزاً بالرئاسة عن بقيتهم .

١٦- الرسل هم الصخور والاساسات المُشيَّد عليها سور أورشليم السمائية " وسور المدينة كان له إثنا عشر أساساً وعليها أسماء رسل الخروف الأثنى عشر " (رؤ٢١: ١٤) .

س٥ : هل ورود اسم بطرس أولاً فى الإنجيل إشارة إلى رئاسته ؟

يقول الأخوة الكاثوليك أن كتبَة العهد الجديد أوردوا إسم بطرس أولاً فيقول الأب بولس نصير { وأما أسماء الأثنا عشر رسولاً فهى هذه الأول سمعان الذى يقال له بطرس واندراوس أخاه } (مت١٠: ٢) ، (مر٣: ١٤-١٦) ، (لو٦: ١٣،١٤) ، (أع١: ١٣) ، وهذا دليل على إقرارهم بالرئاسة لأنهم إتفقوا جميعاً فى ذكره أول أسماء الرسل بينما إختلفوا فى ترتيب بعض الأسماء الأخرى فمثلاً اندراوس الذى ذكره متى الإنجيلى فى الترتيب الثاني ذكره مارمرقس فى الترتيب الرابع . إذاً ذكرٌ إسم بطرس أولاً ليس من باب بدء العدد .

وذكر بطرس الأول فى الرسل لا تعنى الأسبقية فى الدعوة لأن اندراوس عرف السيد المسيح قبله وهو الذى دعاه قائلاً { قد وجدنا مسيا الذى تفسيره المسيح . فجاء به إلى يسوع .. } (يو١: ٤١،٤٢) .

يقول يعقوب السروجى صـ٥٥٥ فى الميمر الخمسين المعتمد من الكنيسة القبطية الأرثوذكسية والمسجل بالبطرخانة تحت نمرة (٨ سجل) : { لأجل هذا بُنيت البيعة على الجاحد لتكون متفقة جميع ادماسها بغير تخبيط .. صار أولاً وبعد أن اخطأ وتاب بالحق لم ينزل درجة ليكون ثانياً أو ثالثاً . صعد بالدموع وقام فى موضعه بغير تغيير وحمل بيده المفاتيح والإسم والأمر .. لأنه هو الأساس }.

ويؤكدون أيضاً أن بطرس هو الأول بمعنيِ رئيس الرسل والكنيسة ونائب المسيح بدليل :

أ- أن المسيح غيَّر إسم بطرس { وجعل لسمعان إسم بطرس } (مر٣: ١٦) لأنه مزمع أن يقيمه رئيساً على كنيسته .

ب- عندما رجعت مريم المجدلية من القبر جاءت إلى سمعان بطرس لأنه الرئيس ، وعندما تحرك بطرس مع يوحنا تجاه القبر وركض يوحنا فوصل أولاً إلاَّ أنه انتظر عند باب القبر حتى جاء بطرس ودخل ، وقال يعقوب السروجى " خرج سمعان مع يوحنا . سبق الشاب البتول لذاك القديس رئيس التلاميذ .. بلغ يوحنا باب قبر العريس الملك ولم يدخل حتى أتى سمعان الكامل . انتظر ذاك الحامل مفاتيح الخزانة ليأتى لأنه أولاً يفتح ويدخل كالوكيل . قام يوحنا كالحكيم لئلا يبلبل صف الكرازة . ثبت ليأتى رئيس التلاميذ لأنه تأخر منه لأنه هو أولاً ينظر ويشهد على القيامة . سمعان بطرس رئيس الأدماس أتى ودخل قدام " [٥٨]

حـ- الذين يحصلون الضرائب لم يتحدثوا مع أحد من التلاميذ إلاّ سمعان بطرس ، والسيد المسيح اختاره ليسدد الضريبة عنهما بطريقة معجزية فيقول الأب مكسيموس كابس :

" ولقد فهم الناس رئاسة بطرس على التلاميذ فى حياة السيد المسيح لأنهم عندما كانوا يريدون الإستفهام عن شئ كانوا يلجأون إلى بطرس ..{ ولما أتوا إلى كفر ناحوم دنا الذين يجبون الدرهمين إلى بطرس وقالوا له أما يؤدى معلمكم

[٥٨] الرئاسة البابوية للأب بولس نصير صـ٥٣،٥٤.

الدرهمين ..} (مت١٧: ١٢) ولما أراد يسوع ألاَّ يشكك الذين يجمعون الجباية قال لسمعان بطرس { أمضى إلى البحر .. } (مت١٧: ٢٦) فلم يدفع الجزية عن باقى الرسل ، ولكن وضعه وحده فى صف الرئاسة كأنه يريد بذلك أن يُظهر للناس بما أنه سيمثله على الأرض يدفع عنه الجزية " [٥٩]

د- يوم الخمسين ألقى بطرس العظة الأولى ، وإليه لجأ الناس يسألونه عما يفعلون ؟

هـ- بينما أغفل سفر الأعمال معجزات الرسل فإنه أورد معجزات بطرس الرسول ..

و- بطرس الرسول هو الذى أصدر الحكم بالإعدام على حنانيا وسفيرة لتظل كنيسته نقية ، ولأنه له حق القصاص .

ز- عندما كان بطرس فى السجن صارت صلاة بلجاجة من الكنيسة حتى أرسل الله ملاكه ونجاه .

ح- كان بداية دخول الأمم (كرنيليوس) للكنيسة على يد بطرس رئيس الكنيسة .

ط- قال بطرس الأول عن مرقس الإنجيلى " مرقس ابني " (١بط٥: ١٣) .

توضيح :

لفظة " الأول " لها أكثر من معنى مثل :

أ- الأول فى الزمن : مثل قولنا " أول أمس " أو " أول الأسبوع " وسواء أول أمس أو أول الأسبوع فهو مجرد يوم يتساوى مع بقية الأيام .

ب- الأول فى العدد : مثل قول الكتاب " سبعة أيام تأكلون فطير . اليوم الأول تعزلون الخمير من بيوتكم " (خر١٢: ١٥) ومثلها " اليوم الأول من الفطير " (مر١٤: ١٢) .

حـ- الأول فى الرتبة والمقام .

فلماذا تأخذون المعنى الثالث دون الأول والثاني ؟

واسم بطرس الذى ورد أولاً فى عدَّة آيات ، لم يرد أولاً فى آيات أخرى مثل :

" كل واحد منكم يقول أنا لبولس وأنا لأبلوس وأنا لصفا " (١كو١: ١٢) .

" أبولس أم أبلوس أم الصفا .. " (١كو٣: ٢٢) .

" ألعلنا ليس لنا سلطان أن نجول بأخت زوجة كباقى الرسل وأخوة الرب وصفا " (١كو٩: ٥) .

---

[٥٩] إيماننا القويم جـ١ صـ٨٢.

" فإذا علم بالنعمة المعطاة لي يعقوب وصفا ويوحنا المعتبرون أعمدة أعطوني وبرنابا يمين الشركة " (غل٢: ٩) .

وهل عندما نقول " باسم الآب والإبن والروح القدس " ويرد إسم الآب أولاً . هل معنى هذا أن الآب مُميز وأفضل ورئيس على الإبن والروح القدس ؟

أما قول يعقوب السروجى بأن الكنيسة بُنيت على بطرس فسنلقى الضوء عليه فى إجابة السؤال السادس .. لو كان هناك أفضلية ورئاسة وتميّز فماذا نقول عن يوحنا الحبيب التلميذ الذى كان يسوع يحبه ؟ وماذا نقول عن بولس الرسول الذى قال " أنا تعبت أكثر من جميعهم " (١كو١٥: ١٠) ؟

لقد غيَّر السيد المسيح اسم سمعان إلى بطرس ، ولكنه غيَّر أيضاً اسمي ابني زبدى " ويعقوب بن زبدى ويوحنا أخا يعقوب وجعل لهما اسم بوانرجس أى ابني الرعد" (مر٣: ١٧) وما رأيك عندما نادى الرب يسوع بطرس على بحيرة طبرية بإسمه السابق " فبعدما تغدوا قال يسوع لسمعان بطرس يا سمعان بن يونا.." (يو٢١: ١٥) .. هل بهذا يكون جرَّده من رئاسته ؟!

وعندما عادت مريم المجدلية من القبر تحدثت مع بطرس ويوحنا وليس مع بطرس فقط " فركضت وجاءت إلى سمعان بطرس وإلى التلميذ الآخر الذى كان يسوع يحبه .. " (يو٢٠: ٢) . أما إنتظار يوحنا عند القبر حتى وصول بطرس ودخوله أولاً فهذا تأدباً من يوحنا وتقديراً لبطرس الأكبر منه سناً . حتى لو إفترضنا جدلاً بأن بطرس هو الرئيس ويوحنا وصل أولاً للقبر ودخل وأنتظره داخل القبر فإن هذا لن يؤثر على رئاسة بطرس ، ودخوله قبر المخلص ليس أكلة عدس تُفقِد البكورية ، وقد يرجع هذا لإيمان يوحنا فبمجرد أن رأى الحجر مدحرجاً آمن بقيامة الرب . أما أقوال يعقوب السروجى فهى مجرد تأملات ..

فلماذا سأل جُباه الضرائب بطرس بالذات ؟ لأنه هو الذى تصدى لهم ، وكان هو المتقدم فى الحديث ذو الطبيعة الحماسية . كما أننا لو تصوَّرنا فرضاً أن بطرس هو رئيس التلاميذ فكيف علم جباه الضرائب هذا ؟ هل كان بطرس يرتدى زياً يميزه عن غيره ؟ أو هل كان يحمل شارة الرياسة على صدره ؟ .. كلا .. وأيضا السيد المسيح أرسل بطرس بالذات ليُسدّد الضريبة عنهما بطريقة معجزية لأنه هو الذى أبلغه الرسالة.

أما عن حديث بطرس يوم الخمسين فإنه لم يتكلم بمفرده .. قال الإنجيل

" وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى .. كل واحد كان يسمعهم يتكلمون بلغته .. أترى ليس جميع هؤلاء المتكلمين جليليين ." (أع٢: ٤-٧) . حقاً بطرس ألقى أول عظة فاصطاد ثلاثة آلاف نفس للمسيح لكن هل تظن أن هذه هى العظة الأولى التى ألقيت فى فجر المسيحية ؟! .. هل كان بطرس يعظ والتلاميذ جميعهم يصمتون ؟! .. وما رأيك فى بولس الرسول الذى إجتذب للمسيح عشرات الألوف ؟! وأيضا لم يسأله اليهود بمفرده عما يفعلون لأن الكتاب يقول " فلما نخسوا فى قلوبهم وقالوا لبطرس ولسائر الرسل ماذا نصنع أيها الرجال الأخوة .. فقال لهم بطرس .. " (أع٢: ٣٧-٤١).

ولقد ذكر سفر الأعمال بعض المعجزات التى صنعها الرب على يد بطرس رسول الختان ولكنه لم يذكر جميع المعجزات التى صنعها ، وأيضا بالمثل ذكر بعض المعجزات التى أجراها الرب على يد بولس الرسول وليس كل المعجزات التى صنعها . بل نقول أنه بمجرد ظهور بولس على مسرح الأحداث لم يذكر سفر الأعمال شيئاً عن بطرس ويعقوب ويوحنا ، وهناك أكثر من عشرة اصحاحات (من ١٦-٢٨) دارت الأحداث خلالها حول بولس الرسول وكرازته ولم يُذكَر قط إسم بطرس الرسول . فمن منهما يكون الرئيس ؟ لا هذا ولا ذاك لأنهم جميعاً أخوة لهم رأس واحد هو عريس الكنيسة ورأسها .

وفى موضوع حنانيا وسفيرة لم يكن بطرس الوحيد الذى له حق الحكم والقصاص ، فبولس الرسول أصدر حكمه على خاطئ كورنثوس ولم يحيله إلى بطرس الرسول ، وعندما طلب ايليا نزول نار من السماء لتأكل رئيس الجند مع الخمسين جندياً التابعة له ، وحدث هذا مرتين فهل هذا يُعدُّ مبرّر لدعوة إيليا رئيس الأنبياء ورئيس كنيسة العهد القديم ؟

وصارت الكنيسة تصلى بلجاجة من أجل بطرس لأنه عضو من أعضائها وواحد من الإثنى عشر ومُهدَّد بالذبح ، ولم يكن قد مضى وقتاً طويلاً على إستشهاد يعقوب أسقف أورشليم ، وثق يا صديقى لو كان الذى فى السجن يوحنا أو مرقس أو غيرهما لصارت نفس الصلاة بنفس القوة واللجاجة .. ألم تصنع الكنيسة مناحة عظيمة ليس من أجل أحد الآباء الرسل بل من أجل اسطفانوس رئيس الشمامسة ؟!

ودخول كرنيليوس الأممي للإيمان على يد بطرس الرسول كان استثناء ، وعندما تم تقسيم العمل تولى بولس كرازة الأمم ، وأخذ بطرس ويعقوب ويوحنا بركة الكرازة

لأهل الختان ، ونقول أيضاً أن الرسل كان لهم صفة العموميَّة فبولس الرسول الذى تخصَّص فى كرازة الأمم كان يكرز لليهود اولاً فى كل مدينة يدخلها وكثير من اليهود قبلوا الإيمان على يديه ، والحقيقة أن الذى كان مسئولاً عن تدبير أمور الخدمة مجمع الرسل ، ولذلك إضطر بطرس أن يشرح لهم كيف تم قبول الأمم عن طريق رؤيا سمائية ، ولا ننسى أن مجمع الرسل هو الذى أرسل بطرس ويوحنا فى السامرة ، وهذا ما قاله كيرلس مقار أول بطريرك كاثوليكى فى كتابه الوضع الإلهى لتأسيس الكنيسة أن الذى كان يقود الكنيسة مجمع الرسل وليس بطرس .

وأخيراً قول بطرس الرسول " مرقس إبني " يرجع إلى فارق السن بينهما ، فوقت الصلب كان مرقس شاباً نحو سبعة عشر عاماً بينما كان بطرس رجلاً ناضجاً ، وأيضا فلتلاحظ ياصديقى أن بطرس لم يقل " مرقس تلميذى " أو " مرقس مرؤوسى " .

وفى نهاية الإجابة على هذا السؤال نعيد القول بأنه لو كان بطرس هو الأول بمعنى أنه رئيس الرسل والكنيسة ككل ما كان بولس الرسول يواجهُهُ ويلومهُ ويوبّخهُ مجاهرة ويسجل هذا فى رسالة عامة لشعب غلاطية بل لكل المسيحيين فى كل زمان ومكان ، وإن كان الأخوة الكاثوليك يقولون بأن لوم بولس لبطرس كان مجرد تمثيلية وأن بولس أوقع الملامة على بطرس بينما كان المقصود ملآمة اليهود كقول الآب بولس نصير " وهكذا فاز الرسولان بمأربهما فلم يكن لوم بولس لبطرس ، وصمت بطرس عن هذا اللوم إلاَّ بناء على مؤامرة واتفاق سابق بين الرسولين " [٦٠] فإن كان الرسول بولس يعتبر الصراحة فضيلة ويمدح تلميذه تيموثاوس عليها فكيف يحطم هذه الفضيلة ويدخل فى دور التمثيل والمؤامرة ؟! وهل أسَّس الرسل الأطهار المسيحية على التمثيليات والمؤامرات والإتفاقيات السريَّة ؟!

س٦ : كيف نفهم قول السيد المسيح لبطرس "أنت بطرس وعلى هذه الصخرة سأبني كنيستى" (مت١٦: ١٨) ؟

يقول الأخوة الكاثوليك : إن اعتراف بطرس بألوهية السيد المسيح أهَّلهُ للرئاسة العامة على الكنيسة ، ففى العهد الجديد طبعة دار الشرق ببيروت سنة ١٩٩١م جاء تحت عنوان يسوع يجعل بطرس رئيس الكنيسة { فأجابه يسوع طوبى لك يا سمعان بن

[٦٠] الرئاسة البابوية للأب بولس قصي صـ٧٧، ٧٨ .

يونا ، فليس اللحم والدم كشف لك هذا ، بل أبى الذى فى السموات . وأنا أقول لك : أنت صخر وعلى الصخر هذا سأبني كنيستي فلن يقوى عليها سلطان الموت } .. [٦١]

وجاء فى الحاشية تعليقاً على كلمة " صخـر "ترجمة عربية للإسم الأرامى " كيفا " ، وعلى كلمـة " كنيستي " .. تستند الكنيسة الكاثوليكية إلى هذا النـص وتبنـى عليـه تعليمها القائل بأن خلفاء بطرس يرثون رئاسته .. ويعتقد التقليد الأرثوذكسي بأن جميـع الأساقفة المعترفين بالإيمان القويم فى ابروشياتهم هم خلفاء بطرس وخلفاء الرسل .

وجاء فى ترجمة العهد الجديد النص الآتى : "وأنا أقـول لك أنت الصفـاة وعلـى هذه الصفاة سأبني كنيستى " [٦٢] ، وجاء فى التعليق على هذا بالحاشية " فى هذا الكـلام يتضح جلياً رئاسة القديس بطرس على الكنيسة بأسرها لما صرح به السيد له المجد من أن القديس بطرس هو فى كنيسته بمنزلة الاساس من البيت . فكما أن البيت لا يقـوم إلاَّ بالأساس كذلك الكنيسة لا تقوم إلاَّ برئاسة بطرس ويؤيـد ذلـك تـأييداً قولـه التـالى " وسأعطيك مفاتيح ملكوت الله " لأن تسليم مفاتيح مدينة إلى شخص يتضمَّـن تسـليم المدينة بأسرها له وجعلها تحت سلطانه فنتج من ثم ان المسيح لما سلّم المفاتيح إلـى بطرس جعله رئيساً مطلقاً على كنيسته ، وفوَّضه الله كمال السلطان على أن يحل ويربط أى أن يسن شرائع ويلزم المرؤوسين بحفظها ويعاقب من لا يحفظها وأن يصنع كل مـا يؤول إلى فائدة الكنيسة بحسب إختلاف الأزمنة على ما يرتئيه . ثم أن " الصفاة " كلمة عربية ترادف لفظ " بطرس " فى اليونانية . كما أن " كيفا " ترادفها فـى السـريانية ، ومعنى الكل واحد وهو الصخرة .لقّب السيد المسيح بطرس بذلك توطئه لما أتم به كلامه من قوله وعلى هذه الصفاة سأبني كنيستي.

ويقول الأخوة الكاثوليك " فمكافأة له على إعترافه الحسن بلاهوته أعلن له بأنـه سيجعله صخرة الكنيسة أعنى رأساً لها (بالنيابة عنه) فإذا افترضنا المُحَال وقلنـا أن صحة الآية هى { أنت بطرس } بالمعنى الذى يقصده الخصوم (يقصد الأرثوذكـس) أى { إسم لا أكثر ولا أقل } لما كان فى ذلك أى مكافأة بل كان كل ما فى الأمـر أن السـيد المسيح أراد أن يلفت نظر بطرس إلى اسمه كأنه كان ساهياً عنه . فهل ذلك قول معقول ؟ لا عمرى هذا من جهة ومن جهة أخرى أين تكون الصلة التى تربط نقطتى هذه الأيـة .

---

[٦١] الكتاب المقدس – العهد الجديد طبعة دار الشرق بيروت سنة ١٩٩١م صـ٨٣.

[٦٢] ترجمة العهد الجديد الدار الكاثوليكية المصرية سنة ١٩٥١م .

أنت بطرس وأنا الصخرة ؟ أين هذه الإشارة المزعومة . أنت بطرس وعلى هذه الصخرة (أعنى أنا المسيح) ابني بيعتي ؟ " ٦٣

كما يقولون " يقول البعض أنه بنى كنيسته على إيمان بطرس وليس على شخصه فنقول لهؤلاء أن هذه شهادة تُميّز بطرس عن سائر الرسل لأنه كان أكثر الرسل إيماناً بالسيد المسيح . فإن قلنا أنها مبنية على صخرة إيمان بطرس أقول أيضا أن هذا دليل على أنه يستحق الرئاسة لأن إيمانه ثابت كالصخرة وقد نال بسبب إيمانه واعترافه الطوبي من المسيح " ٦٤

وأيضا يقول الأخوة الكاثوليك أن الرب يسوع وعد بطرس " سأعطيك مفاتيح ملكوت السموات " وقد تحقّق هذا الوعد بعد القيامة (يو٢٠: ١٢،١٣) ، يقول الأب مكسيموس كابس " أما القديس كيرلس بطريرك الإسكندرية فيقول : لا ريب عند أحد بل أنه معلوم فى كل الدهور أن القديس بطرس الجزيل الطوبي مقدام الرسل ورأسهم وعمود الإيمان وأساس الكنيسة الجامعة قد تسلَّم من سيدنا يسوع المسيح مخلص الجنس البشرى ومنقذه مفاتيح ملكوت السموات وأُعطى السلطان على حل الخطايا وربطها ، وهو يحكم بواسطة خلفائه بالرب ، وضابط مكانةُ البابا القديس والجزيل الطوبي سلفينوس الأسقف قد أرسلنا نيابة عنه إلى هذا المجمع (القى هذا الخطاب فى افتتاحية المجمع المسكوني الذى أثبتَ فيه أمومة العذراء لإبن الله) " ٦٥

توضيح :

فى كل اللغات القديمة مثل اليونانية والقبطية والسريانية واللاتينية يظهر الفارق واضحاً بين بطرس وبين صخرة ، فمثلاً فى اللغة القبطية نجد نص الأية :

بطرس	أنت	لك	أقول	أنا
Πετρος	ϵΝθΟΚ	ΝΑΚ	ΤΧῺΜΜΟϹ	ΑΝΟΚ
الصخرة	هذه	على	كنيستى	سابنى
Πετρα	ΤΑΙ	ϨΙΧΕΝ	ΘΕΚΥΛΠCΙΑ	ΙΕΚΩΤΗΤ

[63] الرئاسة البابوية الأب بولس نصير صـ ١٣.

[64] إيماننا القويم جـ١ الأب مكسيموس كابس صـ٨١.

[65] إيماننا القويم جـ١ صـ٨٨ .

وباللغة الإنجليزية :

That thou art Pet:r , and Upan this rock I will build my Church .

والمقصود بالصخرة هو الإيمان بالمسيح ابن الله الحى ، لأن الإعتراف بألوهية المسيح هو صُلب المسيحية وجوهرها وأساسها ، كما وردَت آيات كثيرة تشير إلى أن إلهنا الصخرة الحقيقية ومن هذه الآيات :

" وليس صخرة مثل إلهنا " (اصم٢:٢) " الرب صخرتي وحصني ومنقذي " (٢صم٢٢: ٢) " ومن هو صخرة سوى إلهنا " (مز١٨: ٣١) " إنما هو صخرتي وخلاصي وملجأي " (مز٦٢: ٦،٧) " هلم نرنم للرب . نهتف لصخرة إلهنا " (مز٩٥: ١) " مبارك الرب صخرتي " (مز١٤٤: ١) " ها أنا أضع فى صهيون حجر صدمة وصخرة عثرة وكل من يؤمن به لا يخزى " (رو٩: ٣٣) " لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم والصخرة كانت المسيح " (اكو١٠: ٤) فإلهنا هو صخر الدهور بينما لم ترد آيه واحدة تحدثنا عن بطرس الصخرة (معرف بالألف واللام) .

أن بطرس ليس صخرة بل هو عيناً ، لأن الصخرة التى شرب منها بنو إسرائيل أينعت أثنى عشرة عيناً إشارة للإثني عشر تلميذاً كما كان فى إيليم سبعون نخلة إشارة للسبعين رسولاً .. إيمان بطرس صخرة وأيضا إيمان أى من الرسل صخرة لذلك قال الإنجيل "مبنيّين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية " (اف٢: ٢٠) والمقصود بأساس الرسل هو إيمان الرسل وليس أشخاصهم . أما حجر الزاوية وصخر الدهور الذى نشأت الكنيسة على أكتاف صليبه فهو ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح ، والرسل بنُوا كرازتهم على الإيمان به .

والرب الذى طوَّب بطرس عندما أصاب ، وبَّخه بشدة عندما اخطأ قائلاً له " أذهب عنى يا شيطان أنت معثرة لي " (مت١٦: ٢٣) ، فالرب طوَّب بطرس على روح الإيمان ووبَّخه على روح العثرة . لأنه لو كان المقصود بالصخرة التى ستُبني عليها الكنيسة هى شخص ، فكيف تُبنى الكنيسة على شخص وصفه يسوع المسيح بأنه شيطان عثور ؟!! فهل يُعقَل أن تبني كنيسة على إنسان معرض للضعفات والسقوط والهلاك ، وبطرس ليس الشخص الوحيد الذى اعترف بألوهية السيد المسيح بل اعترف قبله نثنائيل " أجاب نثنائيل وقال له يامعلم أنت ابن الله . أنت ملك إسرائيل . أجاب يسوع وقال هل آمنت

لأنى قلت لك .. " (يو١: ٤٩، ٥٠) فواضح أن نثنائيل آمـن واعـترف بنفـس إيمـان واعتراف بطرس وقبله ، وقبل نثنائيل آمن واعترف بهذا يوحنا المعمدان " وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله " (يو١: ٣٤) ، وبهذا الإيمان إعترف تلاميذه الذين كـانوا فى السفينة " والذين فى السفينة جاءوا وسجدوا له قائلين بالحقيقـة أنـت ابـن الله " (مت١٤: ٣٣) وقد اعترف بطرس أن إخوته نالوا نفس الإيمان بالسيد المسيح إبـن الله الحى " ونحن قد آمنا وعرفنا أنك أنت المسيح ابن الله الحى " (يو٦: ٦٩) .بل أنه منـذ صنع الرب يسوع أول معجزة فى عرس قانا الجليل وأظهر مجده فـآمن بـه تلاميـذه (يو٢: ١١) وهذا الإيمان أعلنته مرثا أخت لعازر " أنا قد آمنت أنك أنت المسيح إبن الله الآتي إلى العالم" (يو١١: ٢٧) وأعلنه لونجينوس وجنوده " وأما قائد المئة والذين معه يحرسون يسوع فلما رأوا الزلزلة وما كان خافوا وقالوا حقـاً كـان هـذا إبـن الله " (مت٢٧: ٥٤) .

ويجب أن نلاحظ أن بطرس ليس له فضل فى شهادته للسيد المسـيح لأن الـذى أعلن له هذا ليس لحم ودم بل الآب السمائي ، وبذلـك لا نسـتطيع أن نقـول مـع الأب مكسيموس كابس " أن هذه الشهادة - إيمان بطرس - تُميز بطرس عن سائر الـرسل لأنه أكثر الرسل إيماناً بالسيد المسيح " .

وذات التطويب الذى ناله بطرس على إيمانه واعترافه يناله كـل إنسـان يؤمـن ويعترف بالمسيح إبن الله الحي ، وهذا ما أعلنه مخلصنا الصالح لتوما قـائلاً " طوبـى للذين آمنوا ولم يروا " (يو٢٠: ٢٩) .

والرب يسوع الذى أعطى بطرس مفاتيح ملكوت السموات أى سلطان الحل والربط قد أعطى أيضاً هذا السلطان لتلاميذه الأطهار " الحق أقول لكم كل مـا تربطونـه علـى الأرض يكون مربوطاً فى السماء وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً فى السماء " (مت١٨:١٨) " ولما قال هذا نفخ وقال لهم إقبلوا الروح القدس . من غفرتـم خطايـاه تغفر له . ومن أمسكتم خطاياه أمسكت " (يو٢٠: ٢٢، ٢٣) وبولس الرسول مارس هـذا السلطان مع خاطئ كورنثوس (١كو٥:٥) ، وجميع الآباء الكهنة نالوا هذا السـلطان ، فيقول أحدهم " فالكاهن له سلطان المفاتيح أن يخلص الخاطئ من جهنم ويجعلـه أهـلاً للفردوس وينقذه من عبودية الشيطان ويصيّره إبناً لله .. أن الكهنة هم الموزِعون النعم

الإلهية وشركاء الرب ..هم البوابون الذين لهم وحدهم أعطيت مفاتيح ملكوت السموات " [٦٦]

وقال آخر " الكاهن وكيل المسيح وبسلطانه يحـل ويربـط لأنـه كقـول المجمـع التريدنتينى رأس ٨ جلسة ١٤ أن الآباء القدماء إعتقدوا وعلَّموا أن المفاتيح لـم تعـط للكهنة للحل فقط بل وللربط أيضاً " [٦٧]

وبهذا المفهوم السابق أى أن المقصود بالصخرة هو إيمان بطرس وليـس شـخص بطرس إعترف الآبـاء القديسون فمثلاً :

* قال القديس كيرلس عمود الدين " إنى أظن أن لفظة " بيترا " ليست بشئ سـوى أمانة التلميذ الثابتة الغير المتزعزعة المؤسَّسة عليها كنيسة المسيح ولـن تقـوى عليها أبواب الجحيم إلى الأبد " [٦٨]

* وقال يوحنا ذهبى الفم " على هذه البيترا أبنى بيعتي. لا يقول على بطرس لأنـه بنى كنيسته لا على الرجل بل على إيمانه ، وماذا كان هذا الإيمان ؟ أما هـو هـذا { أنك أنت المسيح ابن الله الحى } ؟ " [٦٩]

* وقال أورجينيوس " أن هذه الصخرة هى كل تلميذ للمسيح ، وعلى كل صخرة مـن هذه يُبنى كل تعليم كنسي ، إن كنت تظن إن جميع الكنيسة مبنيَّة على بطرس وحـده فماذا نقول عن يوحنا بن الرعد ؟! وفى كل واحد من الرسل ؟! هل نجسر أن نقـول عن بطرس وحده أن أبواب الجحيم لن تقوَ عليه وأنها تقوى على بقيـة الرسـل ؟! ألعل مفاتيح ملكوت السموات معطاة لبطرس وحده مـن الـرب وليـس أحـد مـن المغبوطين الآخرين تسلمها ؟! " [٧٠]

وقال اغسطينوس " لم يقل (لبطرس) أنت البيترا بل أنت بطرس . فـالصخرة هـى المسيح الذى من اقرار سمعان به أخذ اسمه بطرس " [٧١]

* وقال أيضا " أن الكنيسة مؤسَّسة على البيترا التى منها أخذ بطرس إسمه ، لأنـه ليس البيترا من بطرس بل هو منها كما أن اسم المسيح ليس هو من المسيحي بـل

---

[٦٦] روض الواعظ لليكورى صـ ٩.

[٦٧] لاهوت انطونين مجلد ٢ صـ ٣١١.

[٦٨] مفاوضة عن الثالوث ك (٤) راس (١) – اورده الأسقف ايسيذورس فى البرهان القاطع .

[٦٩] مقالة٥٤، ٨٢ فى تفسير إنجيل متى فى عظته على الفصح :١- اورده الأسقف ايسيذورس فى البرهان القاطع

[٧٠] تنوير الأذهان بالبرهان للأسقف ايسيذورس صـ١٣٦ .

[٧١] مراجعة ١ فصل ٢١ –اورده الأسقف ايسيذورس فى تنوير الأذهان بالبرهان صـ١٣٦، ١٣٧ .

المسيحي من المسيح ، فلذلك يقول الرب { أنى على هذه البيـــترا أبنـــي بيعتـــي } لأن بطرس قال { أنت المسيح ابن الله الحى } ، وهكذا قال المسيح أنى على هذه البيترا التى إعترفتَ بها (يابطرس) أبنى بيعتي ، فالبيترا كانت المسيح وعلى هذا الأساس كـــان بطرس مبنيّاً لأن ليس أحد يستطيع أن يضع أساساً غير الموضوع وهو يسوع المسيح ، وهكذا الكنيسة التى هى مؤسَّسة على المسيح قبلت منه بواسطة بطرس مفاتيح ملكـوت السموات التى (هى) ربط الخطايا وحلها ، وكما أن الكنيسة فى المسيح بالحقيقة هكـــذا بطرس فى البيترا فى الشبه والمعنى " [٧٢]

وقال فى هذا الشان كيرلس مقار أن " بطرس لم يفه بهذا الإعتراف بإسمه الخاص الشخصي بل باسم كل المجمع الرسولي الذى كان المخلص سأله بهذا الخصوص . وأنتم من تقولون أني أنا ؟ (مت١٦: ١٥) ومن حيث أن السؤال لم يوضع لبطرس وحـده بـل للأثنى عشر فهكذا لما أجاب بطرس وحده أجاب عن الجميع ، وفى هذه الحالـة يكـون الوعد الذى منحه (السيد المسيح) على أثر إقراره (إقرار بطرس) سـلَّمه للجميـع ولا لوحده ..

ويستكمل كيرلس مقار حديثه قائلاً : القديس أغسطينوس .. قال { بما أنهم سُـئلوا جميعاً وأجاب بطرس وحده : أنت هو المسيح ، وقال له تعالي سأعطيك مفاتيح ملكـوت السموات ، كأنه إستلم وحدهُ سلطان ربط الخطايا وحلَّها ، والحقيقة هي أنـــه اعـترف باسم الجميع وانه اتسلم الوعد مع جميعهم بحيث أنه كان ممثلاً وحده المجمع الرسـولي هكذا بصورة الجميع لأن الوحدة كانت فى الجميع } (على يوحنا خطبة ١٨) وهـذا مـا يكرّره على الخصوص بإختصار بهذه الجمل { فى بطرس كل الرسل إسـتلموا مفـاتيح ملكوت السموات } (خطاب ١٤٩ على كلام الرسول) .

وفى مكان ثان يُعلِّم القديس اغسطينوس .. أن هذه المفاتيح ليست سوى غفـران ومسك الخطايا إذ كتب { هل بطرس استلم هذه المفاتيح وبولس لم يسـتلمها ؟ هـل بطرس تقلَّدها ولم يتقلَّدها يوحنا وباقى الرسل ، أو هذه المفاتيح أيضاً ليست فى الكنيسة حيث كل يوم تغفر الخطايا ؟ فليس إذاً بشر مفرد إستلم هذه المفاتيح بل وحدة الكنيسة } (خطاب ١٤٩ على كلام الرسول وخطاب ٢٩٥ على بطرس وبولس الرسوليين) ..

أن القديس كبريانوس القرطجني الذى كان مصباح افريقيا قبل القديس أغسطينوس

---

[٧٢] تفسير الأصحاح الأول من إنجيل يوحنا – اورده الأسقف ايسيذورس فى البرهان القاطع .

قال فى الجيل الثالث فى تأليفه عن وحدة الكنيسة أن هذه الكلمات { أنت بطرس وعلــى هذه الصخرة سأبني كنيستي وسأعطيك مفاتيح ملكوت السموات } وهكذا هــذه الكلمــات الأخرى { أرع خرافي } لم تكن لتجعل بطرس ذا سلطة عالية على سلطة باقى الرسل ..

وإليك ما كتبه ايرونيموس بهذا الموضوع فى مؤلفه ضد يوبيان { أنــت تقــول : أن الكنيسة بُنِيَت على بطرس : هذا حق ، ولكن نحن نعلم من نصوص الكتاب الأخــرى أن ذلك عينه متعلق بكل الرسل أى أن الكنيسة مبنيَّة على كــل الرســل ، وأن جميــع الرســل قبلوا مفاتيح السموات .. فقوة وثبات الكنيسة مرتكزان بنفس الدرجة على كــل الرسل } (ضد يوبيان ك١) .

أن القديس امبروسيوس ..يقول{ أن ما قيل لبطرس قيل لبــاقى الرســل وهــو : سأعطيك ملكوت السموات } (على مز٣٨ أنظــر مؤلفــه عــن الكــهنوت ك١: ٢) .. فارجوك ان تلاحظ كل ما تضمَّنه هذا الشرح : أولاً أن المواعيد الموجهــة لبطــرس لا تختص به وحده بل تخص أيضاً كل الرسل الآخرين لأن كل الرسل استلموا فى بطــرس الوعد بالمفاتيح : ثانياً كلهم تقلَّد من الرب الذى قام من الأموات لا فى بطرس بل مــع بطْرس إمتياز المفاتيح الموعود بها سلفاً فى شخص بطرس : ثالثاً كل الرسل اســتلموا مع بطرس مفاتيح الملكوت السمويَّة لما قال الرب للجميع : اقبلوا الروح القــدس : أن الخطايا تصير مغفورة إلخ . وأيضاً فإن مفاتيح ملكوت السموات هــى ســلطة غفــران الخطايا ومسكها بنعمة الروح القدس السلطة المسموح بها بالإشتراك لكل الرسل وكــل الأساقفة خلفائهم لا تلك السلطة الخيالية لبطرس على رفقائه ..

أن أوريجانوس .. يشرح هكذا نص القديس متى { إذا كنت تعتقد أن كل الكنيســة مبنيَّة على بطرس وحده فماذا تقول بشأن يوحنا ابن الرعد وكل واحد من باقى الرسل ؟ هل نجرأ أن نقول أن أبواب الجحيم لن تقوى على بطرس بالخصوص وأنها كانت مُزمعة أن تقوى على باقى الرسل ؟! أليس الحق أن الوعد توجَّه إلى الجميع وإلى كل واحــد ؟.. فهل السيد أعطى لبطرس وحده مفاتيح ملكوت السموات وواحد من الرسل السعداء لــم يستلمها ؟! .. } (تفسير الإنجيل لمتى مجلد ١٢: ٢) ..

أن القديس أفرام السرياني فى كتابه عن وفاة القديــس باســيليوس قــال .. { أن باسيليوس بإشغاله منزلة بطرس وتقلده بسلاح حبريته وسلطته جاوب الملك فــالنس } بالنسبة لعلامــة الشرق القديس باسيليوس (كان يشغل منزلة بطرس) كما كان القديس

امبروسيوس فى نظر جودانس الذى من برسيا الذى قال عنه { أنه كان خليفة بطرس } فتكلم الأثنان هكذا لأنهما كان متفقين فى أن الأساقفة حازوا كل سلطة بطرس ..

أخيراً أن اولوجيوس الإسكندري الذى كان فى نهاية الجيل السادس قال فى مؤلفه ضد النوفاتيين كتاب ٢ { أن السلطان المُعبَر عنه بمفاتيح ملكوت السموات أُعطى لباقى الرسل فى شخص الزعيم } هذا مختصر ولكنه بادر إلى شرحه قائلاً : أن ما وعد به وأُعطى لزعيم المجمع الرسولي فليس له دون غيره بالخصوص بل بالإشتراك لكل الباقين " [٧٣]

وقال صاحب البوق الإنجيلي " أن المعلمين كلهم على الإطلاق يفسرون قوله تعالى { على هذه الصخرة } أى على الإقرار الذى أقرَّ به بطرس بقوله {أنت هو المسيح ابن الله الحى} أسَّس المسيح الكنيسة . هكذا يفسر هذا النص القديس يوحنا العسجدي الفم فى تفسيره بشارة متى الإنجيلى ، وفى تفسيره الفصل الأول من رسالة بولس إلى أهل غلاطية ، وكذلك أيضا يفسره القديس يوحنا الدمشقى بقوله .. أن الرب يسوع قد أبتنى الكنيسة على صخرة إقرارك (يابطرس) وتكلمك باللاهوت " [٧٤]

ونختم إجابة هذا السؤال باعتراف الأسقف الكاثوليكي ستروسمير فى المجمع الفاتيكانى الأول :

" أنكم بكلمة الصخرة Pietra التى عليها بُنيت الكنيسة المقدسة تفهمون بطرس Pietra .. مار كيرلس (عمود الدين) فى كتابه الرابع عن الثالوث الأقدس يقول أنا أؤمن أنه يجب أن تفهموا بالصخرة إيمان الرسول غير المتزعزع ، ومار إيلارى أسقف بواكتيار فى كتابه الثاني يقول أن الصخرة Pietra هى صخرة الإيمان المباركة الوحيدة . الإيمان الذى به أقرَّ مار بطرس ، وفى المجلد السادس يقول أن الكنيسة مبنيَّة على صخرة الإقرار بالإيمان هذه ، وقال مار ايرونيموس فى كتابه السادس على إنجيل متى أن الله أسَّس كنيسته على هذه الصخرة التى على الإقرار ، وأنه من هذه الصخرة تسمى الرسول بطرس ، وفم الذهب يقول فى مقالته الثالثة والخمسين على إنجيل متى أنه بقوله على هذه الصخرة ابني كنيستي يعنى على إيمان الإقرار ، وأما إقرار الرسول فهو هذا { أنت المسيح إبن الله الحي } ، وامبروسيوس رئيس أساقفة ميلان فى قوله على

---

[٧٣] الوضع الإلهي فى تأسيس الكنيسة صـــ ٤٢-٦١ .

[٧٤] البوق الإنجيلي صـــ١٥١.

الإصحاح الثاني من الرسالة إلى أهل أفسس ، وباسيليوس السلوكى ، وآبـــاء المجمـــع الخلقيدونى يعلمون هذا التعليم عينه .. قال (اوغسطينوس) فى موعظته الثالثة عشرة : أنت بطرس على هذه الصخرة التى أقرَّت بها . على هذه الصخرة التى عرفتها قـــائلاً { أنت هو المسيح إبن الله الحي } . نعم على هذه الصخرة سأبني كنيستي . أى علـــى نفسي وأنا إبن الله الحي . اننى سأبنيها على نفسي ولا ابني نفســـي عليــك ، والـــذى إعتقده مار أوغسطينوس فى معنى هذه الأية الجليلة إعتقده كل العـــالم المســـيحى فـــى عصره وبناء على كل ما تقدم أقدم هذه النصائح :

١- أن السيد المسيح أعطى لرسله نفس القوة التى أعطاها لمار بطرس .

٢- أن الرسل لم يعرفوا مار بطرس نائب المسيح ولا مُعلّم الكنيسة المعصوم

٣- أن مار بطرس لم يعرف نفسه " بابا" ولم يتصرف أبداً كإنه " بابا " .

٤- أن المجامع فى القرون الأربعة الأولى بينما أقرَّت سمو مقام أسقف رومية فـــى الكنيسة لسبب عظمة مدينة رومية حَسبت له (لأسقف رومـــا) التقـــدم فـــى الشرف فقط وليس فى الحكم الشرعي .

٥- أن الآباء القديسين لم يفهموا فى القول { أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي } أن الكنيسة كانت مبنية على بطـــرس **Superpetrum** بـــل علـــى الصخرة **Superpetram** أى على إقرار إيمان الرسول فإذن تاريخياً وعقليـــاً ومنطقياً وحسب الذوق السليم والضمير المسيحي أستنتجُ ما لا يُـــرَدْ . أى أن يسوع المسيح لم يعط أقل رئاسة لمار بطرس وأن أساقفة رومية لم يصـــيروا رؤساء للكنيسة إلاَّ باختلاسهم كل حقوق الأسقفية واحدة فواحدة " [٧٥]

س٧ : هل تحذير السيد المسيح لبطرس ومطالبتـــه بتثبيـــت أخوتـــه بعـــد رجوعه يعنى رئاسته ؟

يقول الأخوة الكاثوليك أن " قول الرب لبطرس { سمعان سمعان هـــوذا الشـــيطان سأل أن يغربلكم مثل الحنطة . لكنى صليتُ من أجلك لكى لا ينقُص إيمانك وأنـــت متـــى رجعتَ فثبت إخوتك } (لو٢٢: ٣١،٣٢) لم يقل المسيح لئلا يفنى إيمانك " [٧٦] دليل على

---

[٧٥] الحجة الأرثوذكسية صـــ١٢١-١٢٣ .

[٧٦] مرشد الأرثوذكس الكاثوليكى صـــ١٣.

رئاسة بطرس المسئول عن أخوته .

وعندما عاد السيد المسيح من صلاته وجه كلامه إلى بطرس بالذات " يا سمعان أنت نائم .. أما قدرت أن تسهر ساعة واحدة " (مر ١٤: ٣٧) .. لماذا ؟ لأن بطرس هو الرئيس المسئول عن إخوته .

والسيد المسيح كان يعلَمُ أن جميع التلاميذ سينكرونه ولكنه طلب خصيصاً من أجل بطرس .. لماذا ؟ لأنه رئيس الكنيسة .

ويقول الأخوة الكاثوليك أيضاً أن السيد المسيح صلى من أجل بطرس حتى لا ينقص إيمانه ، وليس لكي لا يفنى إيمانه . فمثلاً عندما نقول " لئلا ينقص كيس نقودك " فمعناه أنه لا ينقص شيئاً ولا حتى القليل منه . أما عندما نقول " لئلايفنى كيس نقودك " فمعناه أن الكيس ينقص كثيراً ولكنه لا يفرغ ، ومن الطبيعي أن صلاة المسيح قوية قادرة أن تحفظ إيمان بطرس حتى لا ينقص شيئاً . كما يقولون بأن فناء إيمان بطرس ضد علْم الله السابق لأنه كيف يختار السيد المسيح بطرس وهو يعرف بسابق علمه أن إيمانه معرض للفناء ، فيقول الأب بولس نصير " كما أنه ليس بخافٍ على أحد بأن السيد المسيح كان عالماً جيد العلم بما سيأتيه بطرس من الإنكار . فكون السيد المسيح يُقيم بطرس صائداً للناس رغم علمه بنكرانه بالمستقبل له فهذا دليل على أن هذا النكران المستقبل لا يزعزع وظيفته هذه . وأن أى شك أو ظن من هذا القبيل هو شك في علم السيد المسيح أو صدق أقواله الأمر الذى يلحق به تعالى إهانة وأى إهانة " [٧٧]

كما يقولون بأن نكران بطرس للسيد المسيح لم يزعزع إيمانه شيئاً ، لأن هناك فارق بين الإيمان فى حد ذاته وبين المجاهرة بالإيمان . فقد يكون الشخص مؤمناً إيماناً كاملاً لا يشوبه أدنى ريب في حقيقة ما بينما لا يمكنه المجاهرة بهذه الحقيقة خوفاً من الطوارئ ، وأن باقي الرسل لم ينكروا السيد المسيح بلسانهم لكنهم أنكروه بهروبهم . بينما بطرس تميَّز عنهم بأنه تبع سيده إلى دار الولاية .

توضيح :

السيد المسيح لم يعاتب بطرس بالذات " يا سمعان أنت نائم . أما قدرت أن تسهر ساعة واحدة " (مر ١٤: ٣٧) لأنه رئيس التلاميذ بل لأنه كان على أبواب تجربة قاسية تحتاج إلى صلوات عميقة ، ومع أن السيد المسيح أنذره مع إخوته أكثر من مرة

---

[٧٧] الرئاسة البابوية صـ٣٣.

وأوصاهم بالسهر إلاّ أنهم استسلموا للحزن والنوم ، ولولا صلاة الرب يسوع من أجلـه ونظرته الحانية له ساعة سقوطه لهلك بطرس وفني إيمانه.

والقول بأن السيد المسيح كان يعلَمُ بأن جميع تلاميذه سينكرونه ولكنه طلب مـن أجل بطرس بالذات لأنه رئيس الكنيسة .. فهل معنى هذا أن السيد المسيح يهتم ببطرس ولا يهتم ببقية التلاميذ ؟ كلا ، فالسيد المسيح الذى صلى من أجل بطرس " طلبت مـن أجلك " (لو٢٢: ٣٢) صلى أيضا من أجل جميع التلاميذ " من أجلهم أنا أسـال .. أيـها الأب القدوس إحفظهم فى إسمك .. لست أسال أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم مـن الشرير." (يو١٧: ٩-١٥) .

يقول كيرلس مقار البطريرك الكاثوليكي الأول بعد عودته إلى كنيسته الأرثوذكسية :

" انظر (أيها الأخ الكاثوليكي) بأى شئ يحتج لاهوتيوك المتـأخرون قـائلين : أن الشيطان رام أن يغربل كل الرسل مثل القمح لكن الرب ترك باقى الرسل وصلـى لأجـل بطرس وحده كيلا ينقص إيمانه ، وأعطى وظيفة التعليم المعصوم لبطرس وحده ، ولـه وضع وظيفة تثبيت أخوته باقى التلاميذ .. أنا لا أقدر أن أكتفى بالعجب من ذهول هؤلاء الأناس الذين يغمضون الطرف عما هو واضح فى الإناجيل (صلاة السيد المسيح من أجل التلاميذ) حتى يتشبثوا ببعض كلمات غامضة لا تبلغ إلى المعنى ولا المفهومية .. مـا أحذقهم فى الإختراع بقولهم أن الرب أهمل باقى الرسل تاركـاً إيـاهم هدفـاً لـهجمات الشيطان لكى يُعدَّ بطرس وحده بالتعليم المعصوم من الغلط ويعطيه وظيفة تثبيت أخوتـه فى تعليم الإيمان . ولكنهم لم يروا ما يفلق العين فى إنجيل القديس يوحنا حيث نجد فـى أربعة اصحاحات مطوّلة خطاب السيد عن البارقليط وصلاته الرسمية عن كل الرسـل .. ولكن لاهوتييك بالرغم من كل صراحتها (الصلاة) لم يلتفتوا إليها ، ولم يفهموها بـالرغم من كل وضوحها . فإن لهم عيني نسناس يرقمون بهما فائدة الصـلاة هـذه لبطـرس وحده .. أنه (السيد المسيح) يضعه (يضع بطرس) قليلاً تحت زملائه بإنكاره وشكّه فـى إيمانه ، يضعه وحده بالأحرى دون الآخرين " [٧٨]

وخطاب السيد المسيح لبطرس " سمعان سمعان هوذا الشيطان طلبكم لكى يغربلكـم كالحنطة .." (لو٢٢: ٣١،٣٢) لم يكن خطاب تعيّين لبطرس ليتولـى رئاسـة الكنيسـة إنما كان خطاب تنبيه وتحذير لذاك الرجل المزمع أن يسقط فى خطايا الإنكـار والشـتم

---

[٧٨] الوضع الإلهي فى تأسيس الكنيسة صـ٧٤-٧٨ .

والسب .. أنه أشبه بتحذير الله لقايين فى العهد القديم " لماذا اغتظت ؟ ولماذا سقط وجهك ؟ أن أحسنت أفلا رفع ؟ وإن لم تحسن فعند الباب خطية رابضة وإليك اشتياقها وأنت تسود عليها " (تك٤: ٦،٧) .. لقد كان بطرس محتاجاً لهذا الإنذار بسبب حماسه واندفاعه واعتقاده بأنه أفضل من إخوته ، وأكثرهم شجاعة وشهامة ، وأقواهم ثباتا وإيماناً ، فهو وضع نفسه فى مستوى أعلى من إخوته قائلاً لمخلصنا الصالح " وإن شكَّ فيك الجميع فأنا لا أشك أبداً " (مت٢٦: ٣٣) ، ولا يشتَم أحد من هذا الخطاب أى رائحة لرئاسة بطرس ، حتى إن السيد المسيح عندما قال له متى رجعت ثبت إخوتك لم يقل مثلاً " إخوتك الأصاغر ".. إنما كان يقصد ثبت إخوتك من خلال خبرتك التى اختبرتها فى فاعلية التوبة ، فالتوبة هى التى ترد الشئ إلى أصله وهى التى تنجى الإنسان لئلا يفنى إيمانه .

لقد تعرض بطرس للهلاك وقال أحد الأخوة الكاثوليك " لو مات بطرس عندما جحد سيده لأهلكه فى جهنم " [79] ومن الطبيعى أن الهلاك = فناء الإيمان لذلك قال له السيد المسيح " لئلا يفنى إيمانك " ، وفى ترجمة الأخوة الكاثوليك للعهد الجديد نجد النص كالآتى :

" سمعان سمعان هوذا الشيطان قد طلبكم ليغربلكم كما تُغربل الحنطة . ولكننى دعوت لك ألاَّ تفقد إيمانك وأنت ثبت أخوتك متى رجعت " [80] ومن الطبيعى أن فقدان الشئ لا يعنى نقصانه بل ضياعه كلية أى فناءه.

أما تمثيل الإيمان بكيس النقود والربط بين قوة صلاة المسيح التى تؤدى إلى عدم نقصان إيمان بطرس وليس إلى عدم فنائه فإننا نقول أن الإيمان ليس ككيس النقود .. لماذا ؟ لأن كيس النقود يمثل عدد من القطع النقدية ، وكل قطعة قائمة بذاتها ولها قيمتها ، فلو أن هناك كيساً به عشرة آلاف جنيهاً ونقص منهم تسعة آلاف جنيهاً فإن الألف العاشرة تظل صالحة للصرف ، لكن ماذا تنتظر يا صديقى من إنسان فقد إيمانه وأنكر إلهه ؟! وهل مع الإنكار يستطيع الإنسان أن يجد مسلكاً للملكوت أو مأوى صالح فى الأبدية ؟!

وقد اورد الأب مكسيموس كابس لفظة " يفنى " أكثر من مرة فكانت شهادة قوية ،

---

[79] احتقار اباطيل العالم صـ٧١.

[80] العهد الجديد طبعة دار الشرق ببيروت سنة ١٩٩١م صـ٢٧٠.

وشهد شاهد من أهلها فيقول " السيد المسيح صلى من أجله حتى لا يفنى إيمانه ومتى ما رجع أى متى ما فهم خطأه من الإنكار فليثبت أخوته .. وقد خصَّه بالصلاة من أجله بنوع خاص حتى لا يفنى إيمانه أو ينقص عندما قال له { سمعان سمعان .. لكنى صليت من أجلك لئلا يفنى إيمانك }.. "[٨١] أليس القانون الإلهي واضح تماماً " من أنكرنى قدام الناس يُنكر قدام ملائكة الله " (لو١٢: ٩) .. ألاَّ يساوى الإنكار فناء الإيمان ؟

والقول بأن فناء إيمان بطرس ضد علم الله السابق لأنه كيف يختار السيد المسيح بطرس وهو يعرف بسابق علمه ان إيمانه معرض للفناء ؟ فنقول وما رأيك فى إختيار يهوذا .. كيف يختاره الله ويعلم أنه سيكون سارقاً " لأنه كان سارقاً وكان الصندوقَ عنده وكان يحمل ما يلقى فيه " (يو١٢: ٦) ؟ وكيف يختاره وهو شيطان " أليس أنى أنا اخترتكم الإثني عشر وواحد منكم شيطان " (يو٦: ٧٠،٧١) وكيف يختاره وهو يعلَمُ أنه سيخونه ويسلمه وبعد ذلك سيشنق نفسه ويفنى إيمانه ويهلك ؟! هل اختيار يهوذا ضد علم الله السابق ؟ كلا .. يوم إختاره كان مستحقاً أن يكون تلميذاً للسيد المسيح ثم بعد ذلك انحرف للهاوية ، ورغم ان الله أعطاه الفرصة كاملة للتوبة فلم يتب .

وأخيراً القول بأن نكران بطرس لم يزعزع إيمانه لأن الإيمان شئ والمجاهرة بالإيمان شئ آخر ، فمن المسلَّم به أن سبب عدم المجاهرة بالإيمان الخوف ، والإنسان الذى يخاف هو إنسان بلا إيمان لذلك فالخائفون لا يدخلون الملكوت (رؤ٢١: ٨) . ثم أن الذى فعله بطرس ليس مجرد عدم مجاهرة بالإيمان بل هو إنكار لأنه سُئِل فخافَ وكذبَ وأنكر وشتمَ وسبَ . أما بقية التلاميذ فلا يُحسَب هروبهم إنكار .. لماذا ؟ لأن رغبة السيد المسيح ان ينطلقوا ولا يموت أحد منهم الآن لذلك اشترط على الجند لكى يُسلِم لهم نفسه أن يطلقوا تلاميذه " فإن كنتم تطلبوننى فدعوا هؤلاء يذهبون " (يو١٨: ٨) .. حقاً لو إنطلق بطرس معهم لكان فى وضع أفضل ولنجا من السقوط .

س٨ : هل قول الملاك للنسوة " قلن لتلاميذه ولبطرس " (مر١٦: ٧) يعنى رئاسة بطرس ؟

يقول الأخوة الكاثوليك أن الملاك عندما قال للنسوة " اذهبنَّ وقلنَّ لتلاميذه ولبطرس أنه يسبقكم إلى الجليل . هناك ترونه كما قال لكم " (مر١٦: ٧) فصل إسم

---

[٨١] إيماننا القويم جـ١ صـ٧٨،٤٩.

بطرس .. لماذا ؟ ليؤكد رئاسته على التلاميذ وعلى الكنيسة .

ويقولون أن البعض- من الأرثوذكس- يقول بأنه لو لم يذكر الملاك إسم بطرس منفرداً لما تجرأ وذهب إلى الجليل للقاء معلمه ، والحقيقة أن بطرس التقى بمعلمه منذ اليوم الأول " وأنه ظهر لصفا ثم للاثنى عشر " (١كو١٥: ٥) فهل هذا اللقاء المنفرد معه ، واللقاء الجماعى فى العلية لم يشع فى بطرس روح الهدوء والطمأنينة على رتبته الرسولية ؟

توضيح :

بلا شك أن فصل اسم بطرس عن بقية التلاميذ لهو اهتمام خاص من الرب يسوع بتلميذه بطرس ، ولكن لماذا هذا الإهتمام الخاص ؟ هل لأن بطرس رئيس الكنيسة ؟ كلاَّ .. بل لأن بطرس مثله مثل إنسان جاز فى مرض خطير وهو الآن فى دور النقاهة يحتاج إلى التشجيع . التشجيع الذى يداويه من اليأس وصغر النفس بسبب ما سقط فيه من كذب وإنكار وسب ولعن للمعلم الصالح ورب الكل .. حقاً أن بطرس كان محتاجاً إلى من يطمئنه على علاقته بمعلمه بعد النكران .. هل سيقبله ؟ وإن قبله كإنسان تائب هل سيردُّه إلى رتبته الرسولية التى فقدها ؟ لذلك عندما جاء إسم بطرس منفرداً كان كالمرهم الشافي الذى طيب جراحات بطرس .

ثم أنه لو كان بطرس رئيساً أفليس من المنطقى أن ينطق الملاك إسمه أولاً ثم إسم مرؤوسيه بعد هذا . فما بال الملاك يقدم إسم التلاميذ عليه ؟!

وإن كان البعض يفسرون فصل إسم بطرس عن التلاميذ بسبب الرئاسة فالبعض يفسره بسبب السقوط ، ونحن لا نوافق الذين يقولون بأن فصل اسمه بسبب رئاسته ، لأن الحقيقة أن فصل إسمه كان نوع من انواع التشجيع لإنسان جرحته الخطية ويحتاج إلى دفء المحبة الأبوية .

وليس المقصود بالجليل هنا المكان ذاته ، ولكن الملاك يذكرهم بالأيام الأولى الحلوة لإختيارهم وتبعيتهم لسيدهم الصالح عندما كانوا فى الجليل ، والدليل على هذا أن السيد ظهر لهم أولاً فى العلية بأورشليم وليس بالجليل . لقد كان بطرس محتاجاً إلى هذه الرسالة لكيما يتشجع ويلتقى بالرب فى الجليل الروحى .

س٩ : هل قال السيد المسيح لبطرس " إرع غنمى " ثلاث مرات لأنه هــو المسئول عن الكنيسة الجامعة وهو رأسها ؟

يقول الأخوة الكاثوليك أن قول الرب لبطرس " ياسمعان بن يونا أتحبنى أكثر مــن هؤلاء . قال نعم يارب أنت تعلم أنى أحبك قال لــه إرع خرافــى .. إرع غنمــى .. إرع غنمى " (يو٢١: ١٥-١٧) دليل على أن الرب وكّله على رعاية الخراف والغنم أى على كل الكنيسة ، فيقول الأب بولس نصير :

" أن الذى يرعى الخراف والغنم أى عامة الشعب ورؤساءه هو بلا شك ذو رئاســة عامة على رعية المؤمنين ورعايتهم . فوجب إذن الإقرار بأن السيد المســيح بخطابــه البادئ الذكر قد أقام القديس بطرس وحده رئيساً على كل كنيسته بلا قيــد ولا إســتثناء { فقد وكَّل إليه أمر خرافه أولاً ثم نعاجه وجعله ليس راعياً فقط بل راعى الرعاة ولذلــك بطرس يرعى الخرفان ويرعى النعاج اى يديــر المرؤسـين والرؤســاء } (القديــس إفخاريوس) {إن السيد المسيح قد إختص بطرس بالخطاب دون غيره وإليه وحده عــهد بأمر إخوته لأن الرب قد اسند إليه السلطة على أخوته ووكَّل إليه حراسة كــل المسـكونة } (القديس يوحنا فم الذهب) " [٨٢]

توضيح :

لماذا سأل السيد المسيح بطرس ثلاث مرات بالذات ؟

لأن بطرس أنكره ثلاث مرات " قبل أن يصيح ديك تنكرنى ثلاث مرات " (مت٢٦: ٣٤) ، لذلك خاطب السيد المسيح بطرس بهذا لكى يردَّه إلى رتبته ويحيي أمله ورجائه وينزع عنه كل صغر نفس وروح يأس . كان بطرس فى موقف لا يحسد عليه ، وفهم جيــداً أن الرب يوبّخه بلطف زائد على نكرانه ، ويريد ان يشفى جراحاته ، ونلاحــظ أن الســيد المسيح ناداه بإسمه العلمانى " سمعان بن يونا " ولم يناديه بإسم التكريس " بطــرس " ، وبقوله " إرع غنمى " أعاده إلى رتبته الأولى .

قال القديس أغسطينوس فى خطبته الـ١٣٧ " إنما أراد المسيح من بطرس بأن يعلن حبه إياه ثلاث مرات ليمكنه من التكفيرعن إنكاره المثلث " [٨٣]

---

[٨٢] الرئاسة البابوية صـــ٣١، ٣٢ .

[٨٣] تنوير الأذهان بالبرهان إلى عقائد الكنيسة الغربية من الزيغان صـــ١٣٨ .

ولو كان القصد من القول منح بطرس الوكالة وتتويجه رئيساً على الكنيسة فلماذا حزن بطرس " فحزن بطرس لأنه قال له ثالثة أتحبنى " (يو ٢١: ١٧) ؟ أما كان بالأولى أن يسر ويفرح ويبتهج ؟ أو على الأقل يظهر إتضاعه وإنسحاقه وعدم إستحقاقه .

ولا ننسى أن وظيفة الرعاية التى وهبها السيد المسيح لبطرس وهبها الروح القدس لأساقفة أفسس بل لجميع الأساقفة ، وهذا ما أوضحه بولس الرسول قائلاً لأساقفة أفسس " إحترزوا إذاً لأنفسكم ولجميع الرعية التى أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التى إقتناها بدمه " (أع ٢٠: ٢٨) . فإن كان قول الإبن لبطرس " إرع غنمى " يعنى منحه الرئاسة العامة على الكنيسة فبالمثل قول الروح القدس لأساقفة أفسس يعنى منحهم الرئاسة العامة على الكنيسة ككل .. أن الرعاية هى عمل كل راعٍ كقول الإنجيل " أعطى البعض أن يكونوا رسلاً والبعض أنبياء والبعض مبشرين والبعض رعاةً ومعلّمين " (أف ٤: ١١) .. قال القديس أغسطينوس فى إجتهاد المسيحى رأس ٣٠ " أن المسيح حين قال لبطرس إرع غنمى قال ذلك للجميع " وقال فى تفسيره يو ٢١ " كما أن المسيح راعي هكذا أعطى تلك الوظيفة إلى اخصائه لأن بطرس كان راعياً وبولس كان راعياً وكذلك الرسل كانوا رعاة وكل أسقف صالح هو راعى " [٨٤] ، وقال القديس باسيليوس الكبير فى نظاماته الرهبانية " أن يسوع المسيح رتّب بطرس راعياً لكنيسته من بعده لما قال له : يا بطرس أتحبني أكثر من هؤلاء ؟ أرع خرافي : ويعطى نفس هذا السلطان لكل الرعاة ولكل العلماء الذين ينبغى أن يأتوا على التوالي " (قانون ٢٢: ٥) [٨٥]

ولو كان السيد المسيح أقام بطرس راعياً للرعاة فلماذا لم يصف بطرس نفسه بهذه الصفة بل قال عن نفسه " أطلب إلى الشيوخ الذين بينكم أنا الشيخ رفيقهم " (١بط٥: ١) ؟ ولو أقام السيد المسيح بطرس رئيساً للرعاة فلماذا قال عن السيد المسيح "متى ظهر رئيس الرعاة تنالون إكليل المجد الذى لا يبلى" (١بط٥: ٤) ؟ ..

عجباً.بطرس يقول عن سيده أنه رئيس الرعاة والبعض يقولون . بل أنت يابطرس رئيس الرعاة وخليفتك بابا روما رئيس الرعاة بالتبعية .

وقال صاحب كتاب الفاحص والمؤمن (الكاثوليكى) " أقول رأى اغسطينوس

---

[٨٤] المرجع السابق صـ١٢٩ .

[٨٥] الوضع الإلهي فى تأسيس المكنيسة صـ ٦١ .

وأمبروسيوس والذهبى وأبيفانيوس وكيرلس وآخرين غيرهم كثيرين . فدونك أقوال الأخير (كيرلس عمود الدين) وهى { أن باعتراف بطرس المثلث مُحيت خطيئة الجحدات الثلاث ، وبأقوال يسوع المسيح لبطرس ثلاث إرع غنمى قد عيَّنه جديداً فى رتبة الرسولية كى لا يتبيّن بأنه قد عدمها بسبب الجحد الذى حصل بحسب ضعف البشرية } "[٨٦]

وقال صاحب البوق الإنجيلي (الكاثوليكي) " لأنه من الواضح البيّن أن الرب إنما سأل بطرس وحده إن كان يحبه . لأنه وحده دون الآخرين جحده وأنكره .. كما يفسر ذلك القديس غريغوريوس الثيؤلوغوس بقوله فى الميمر الذى ألفه فى عيد الأنوار { أن الرب بتثليث السؤال والإقرار يشفى تثليث الجحود والإنكار } هذه الألفاظ نفسها قد كتبها أيضا الدمشقي الشريف فى عيد الرسل فى ذكصا صلاة الغروب بقوله { هكذا أن المسيح بتثليث سؤاله يا بطرس أتحبنى قوَّم الثلاث جحدات } ، وأيضاً يقول فى القطعة الثالثة من التسبحة السابعة من قانون عيد الرسل { أن السيد الإله بنطقه بتثليث السؤال أثبت لك (يابطرس) المحبة ومحا تثليث إنكارك إياه قبل الآلام } "[٨٧]

س١٠ : هل ورد بكتبنا الطقسية ما يؤيد رئاسة بطرس ؟

يقول الأخوة الكاثوليك وردً بالكتب الطقسية بالكنيسة القبطية الأرثوذكسية ما يثبت رئاسة بطرس ولكن " يلاحظ أن سوء المأرب قضى على كلام ومعتقد الآباء بالحذف من الكتب المطبوعة حالياً "[٨٨] ومن أمثلة هذه الأدلة :

ورد فى قطمارس شهر توت بالمطبعة القبطية الأهلية طبعة سنة ١٥٨٨ش " انت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني كنيستى " (صـ٤٩، صـ٩١) وفى شهر أبيبَ " الأول سمعان الذى يدعى الصخرة " صـ١٢، صـ١١١) .

وورد فى السنكسار المدَّون بخط اليد قبل سنة ١٩١٤ تحت يوم ٥ أبيب " أن المسيح أقام بطرس رئيس الكنيسة وجعله لها ركناً وأساساً ثم صيَّره رأس الرسل والصخرة التى تبنى عليها بيعته ، وحيث أنه كان شديد الإيمان والحدة والغيرة إستحق

---

٨٦ الفاحص والمؤمن صـ٩١ .

٨٧ البوق الإنجيلى صـ١٥٣.

٨٨ مرشد الأرثوذكسى الكاثوليكى للأنبا الكسندروس اسكندر صـ٢٠.

أن يصير رأس التلاميذ " وتحت ٧ مسرى " فمن هذا اليوم صار (بطرس) رئيساً للتلاميذ وصار خليفة هذا الرسول بروميه له الرئاسة على سائر بطاركة الدنيا في الأقاليم كلها .. " [٨٩]

وجاء في كتاب اللقان والسجدة للقمص بلخوم البراموسي طبعة سنة ١٩٢١ " الأول في الرسل يدعى سمعان بطرس وهو أيضا الذى أُئتمن على مفاتيح ملكوت السموات " [٩٠]

وفي صلاة القسمة لصوم الرسل " أما بطرس وبولس هامتا الرسل " ، وفي تحليل الأب بالقداس الإلهي " أنت الذى قلت لأبينا بطرس من فم إبنك الوحيد أنت هو الصفاة وعلى هذه الصخرة أبني بيعتي " .. " هذا التحليل يرتكز على السلطان المُعطى لبطرس وسُمى تحليل الأب لأن بطرس أب الكنيسة " أنت الذى قلت لأبينا بطرس .. " [٩١]

وفي ثوكصولوجية ٥ أبيب " الأول في الرسل يدعى سمعان بطرس وهو أيضاً الذى أُئتمن على مفاتيح ملكوت السموات ، والآخر أيضا يوحنا المحبوب جداً اتكأ على صدر مخلصنا ، وبقية التلاميذ لهم الكرامة من أجل رسوليتهم لأنهم تبعوا مخلصنا " [٩٢]

" السلام لأبينا بطرس رئيس الرسل وخليفة يسوع المسيح . السلام لأبينا بطرس الذى جعله يسوع المسيح هامة الرسل " [٩٣]

وفي مديحة صوم الرسل بكتاب مدائح الخدمة الكنسية جمع وتنقيح المعلم فرج عبد المسيح والارشيذياكون جميل توفيق ابراهيم طبعة ١٩٥٩م ورد في صـ٤٦٨،٤٦٩ بعض الأبيات التى تؤكد رئاسة بطرس الرسول وهي :

خصَّه بالرئاسة على الأطهار	وابرأ حمَاته من كل الأضرار
زيادة الرفعة أنا أعطيك	الرئاسة على الرسل أولئك
باسم الصخرة أنا أدعيك	أساس البيعة رأس الخيرات
سمى بطرس رئيس وتلميذ	مرسوم على رئاسة التلاميذ
أبا ممدوح وحبر حميد	أقامه يسوع رب القوات

---

[٨٩] المرجع السابق صـ٢١.

[٩٠] المرجع السابق صـ٢٤.

[٩١] المرجع السابق صـ٢٥.

[٩٢] المرجع السابق صـ٢٤،٢٥ .

[٩٣] المرجع السابق صـ٢٥ .

توضيح :

إن كان هناك بعض الأفكار الغير الأرثوذكسية قد تسرَّبت إلى كتبنا الطقسية فلا مانع أن نصحح هذه الأفكار . هذا ليس بعيب ولا سوء قصد ومأرب ولا تغيير لمعتقد الآباء كما يقولون ، ومع هذا فإن هناك عشرات الأدلة من داخل الكتب الطقسية واللاهوتية وأقوال الآباء تثبت بشكل قاطع أن كل الرسل أخوة ليس بينهم رئيس ومرؤوس .

وما جاء فى بعض الكتب من القول بأن " الأول سمعان وهو الذى أُتمن على مفاتيح الملكوت " مثلما وردً فى قطمارس شهر أبيب وكتاب اللقان والسجدة فهذا يتفق مع ما ورد فى الإنجيل ، ولكن المهم كيف نفهم لفظ الأول ؟! .. وكما أُتمن سمعان على مفاتيح الملكوت هكذا كل إخوته الرسل .. أليس كذلك ؟!

وإن كان الأب الكاهن يصلى فى صلاة القسمة " أما بطرس وبولس هامتا الرسل فقد كان ظل أحدهما يشفى الأمراض وعصائب ومناديل الآخر تُذهِب الأمراض وتُخرج الأرواح الشريرة " فهل معنى هذا أن هناك رئيسان فى المسيحية هما بطرس الذى يمثل الكارزين لأهل الختان وبولس الذى يمثل الكارزين للأمم ؟! لا أظن أن الأخوة الكاثوليك يوافقون على هذا ، وعلي كلٍ لكيما لا يسئ أحد فهم هذه العبارة فقد قرَّر المجمع المقدس لكنيستنا القبطية فى جلسة ١٩٨٩/٦/١٧م " فى قسمة صوم الرسل بالخولاجي قرَّر المجمع تصحيح عبارة بولس وبطرس " هامتا الرسل " لتصير بطرس وبولس الرسولان " . " [٩٤]

أما ما وردً فى صلاة تحليل الأب " أنت هو الصفاة " فقد تم تصحيحه فى الطبعات اللاحقة " أنت هو بطرس " [٩٥] ، وهذا هو النص الصحيح حسب الأصل اليونانى ، وهذا ما اورده الأب مكسيموس كابس وهو يذكر نفس التحليل فيقول :

" وفى القداس الإلهى يقول الأب الكاهن تحليل الأب : أيها السيد الرب الإله ضابط الكل شافى نفوسنا وأجسادنا وأرواحنا . أنت الذى قلت لأبينا بطرس من فم إبنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح أنت هو بطرس وعلى هذه الصخرة أبنى بيعتى

---

[٩٤] القرارات المجمعية فى عهد صاحب القداسة والغبطة البابا شنودة الثالث صـ٦٤ .

[٩٥] الخولاجى المقدس طبعة مكتبة المحبة صـ١٣٨.

وأبواب الجحيم لن تقوى عليها .. "[٩٦]

كما تلاحظ ياصديقى فى تحليل الخدام مثلاً يصلـــى الأب الكـــاهن " .. كـل الشـــعب وحقارتي يكونوا محاللين من فم الثالوث القدوس الآب والإبن والروح القـــدس ومـــن فـــم الكنيسة الواحدة الوحيدة المقدسة الجامعة الرسولية ومن أفواه الإثني عشر رسولاً ومـــن فم ناظر الإله الإنجيلي مرقس الرسول .. " ولم يذكر اسم بطرس الرســـول .. فلـــو كـــان مستقراً فى الكنيسة أن بطرس هو رئيس الكنيسة ورئيس الرسل وخليفة ونائب المسيح أمـــا كانت تذكر الكنيسة اسمه فى تحليل الخدام والمجمع وخلافه على رأس قائمة القديسين ؟!

وورد فى ابصالية آدام صوم الرسل " هؤلاء هم أسس الأرثوذكسية الذين وضعـــوا الإيمان فى الكنيسة .. أولئك الإثنى عشر الأحجار الجوهوية والإثنان والسبعون تلميـــذاً المختارين " ، وجاء فى إبصالية واطس صوم الرسل " كراسي مقدسة حقيقية تجلســـون عليها وتدينون رجال الأجيال " فيظهر من النصين مساواة الرسل معاً بدون تمييز لأحـــد منهم على الآخر .. هذه مجرد أمثلة قليلة جداً . أما ما يرد فى بعض الترانيم والمدائـــح فهذا مرجعه أن الإنسان الذى له موهبة نظم الشعر قد يكون علمـــه اللاهوتـــى بســـيطاً واضحاً مما يؤدى إلى توارد أفكار غير أرثوذكسية بدون قصد ، ولذلك تقـــوم الكنيســـة الواعية بين الحين والآخر بالتنقيح والتصحيح .

س١١ : إن كان المسيح لم يضع نظام الرئاسات فمن أقام رؤساء للكراســـي الرسولية ؟

يقول الأب مكسيموس كابس : " أمام إنكار قداسة البابا شنودة للرئاسة الواحدة وإنكارهم بالذات رئاسة القديس بطرس نتساءل من الذى وضع نظـــام الرئاســـات فـــى الكنيسة وجعل كما يقول البابا شنودة إن كل بطريرك رئيس دائرتـــه .. فـــإن قلنـــا أن المجامع المسكونية هى التى وضعت هذا النظام فأقول إن كان نظام الرئاســـات مخـــالف لتعاليم المسيح فكيف تضعه المجامع مخالفة بذلك التعـــاليم الخلاصيـــة .. ؟ وعلـــى أى شئ استندوا فى وضع هذا النظام ؟ فإن كان هذا النظام غير وارد فـــى الإنجيـــل فمـــن أعطى البابا شنودة السلطة ليتحكم فى الكنيســـة الأرثوذكسية ويرأس المطارنة ويخلـــق

---

[٩٦] إيماننا القويم جـــ١ صـــ٩٢،٩٣.

ايبارشيات جديدة ويخلع من يشاء منهم ويثبت من يشاء ؟ " [٩٧]

كما يقول الأب مكسيموس أن " وحدة الكنيسة تتطلب وحدة الرئاسة .. ولا أعلم بعد قراءة هذا النص (يو١٧: ١١-٢٣) كيف أن البابا شنودة ينكر الرئاسة الواحدة للعالم المسيحى كله .. ويسخر من وجود رئاسة واحدة للمسيحية فى العالم كله ويقول {كل كرسي من الكراسي له رئاسته المحلية ولكن لا توجد رئاسة عامة للعالم كله . يعنى كرسي الإسكندرية له الرئاسة فى نطاقه ، الكرسي الأورشليمي له رئاسته فى نطاقه ، كرسي روما له رئاسته فى نطاقه ولكن لا توجد رئاسة عامة للعالم كله } فإن كان الأمر كذلك فأين هى الوحدة التى جعلها السيد المسيح من أهم علامات كنيسته ؟ وكيف يمكن أن تتوحد كلمتهم وعقيدتهم ؟ " [٩٨]

كما يقول الأب مكسيموس كابس أيضا " فالوحدة ليست معناها الخضوع فى الإدارة والتصرفات ولكن الوحدة قائمة فى العقيدة وهذا ما لا يريد أن يفهمه إخوتنا الأقباط الأرثوذكس . فالرئيس الواحد لا يريد أن يسيطر على العالم ولكن أن يحافظ على العقيدة الواحدة فقط " [٩٩]

ثم يتجرأ الكاتب باتهام رأس الكنيسة بتغيِّير الحقائق وطمسها او بالجهل بها فيقول " والآن بعد هذا البحث الطويل هل يستطيع البابا شنودة أن يقول أن الكاثوليك متطرفون فى رئاسة القديس بطرس . أم يمكننا القول أنه يريد أن يشوش الحقائق ويطمسها ويقلب الأوضاع إن كان يعرفها ، وأني أطلب له ولأمثاله من العلي القدير أن ينير بصيرته ليرجع إلى حظيرة السيد المسيح الواحدة الوحيدة الكنيسة الجامعة " [١٠٠]

توضيح :

لو أقام السيد المسيح نائباً عنه وصرح بهذا الإختيار للرسل الأطهار وأوصاهم بالخضوع له والطاعة لكلمته لصح كل ما يقوله إخوتنا الكاثوليك فى موضوع رئاسة بطرس ، ولكن مخلصنا الصالح أقام الإثنى عشر وأرسلهم جميعاً إلى الخليقة كلها فكرزوا وعلَّموا وتلمذوا وعمَّدوا شعوب كثيرة وأسَّسوا كراسي رسولية يدبرونها

---

[٩٧] إيماننا القويم جـ١ صـ٧٠، ٧١.

[٩٨] المرجع السابق صـ٧٣، ٧٤ .

[٩٩] المرجع السابق صـ٧٦ .

[١٠٠] المرجع السابق صـ٩٩.

ويرعونها وينظّمون شئونها كلٍ فى حدود دائرته الجغرافية ، وبعد إنتقالهم قام خلفاءهم بنفس ما كانوا يقومون به من أعمال ، وهكذا إستقرت الأمور منذ القرون الأولى .. لعل سفر الرؤيا يوضح هذه النظرة فعندما أراد السيد المسيح أن يوجه رسائل لملائكة الكنائس السبع لم يوجهها إلى خليفة بطرس الرسول بإعتبار أنه رئيس الكنيسة وهذا الأخير يوزع الرسائل على مرؤوسيه من أساقفة الكنائس ، ولكن السيد المسيح وجه رسائله مباشرة إلى ملائكة هذه الكنائس .

وعندما جاءت المجامع المسكونية لم تخلق وضعاً جديداً ضد وصايا الإنجيل . إنما أرثت نظاماً ثابتاً راسخاً معروفاً فى الكنيسة . أما إن كانت الرئاسة العامة وُضِعت فى الكنيسة من أجل الحفاظ على العقيدة فبالأولى تكون هذه الرئاسة لباباوات الإسكندرية الذين قادوا العالم كله فى علم اللاهوت وحفظوا العقيدة ، وهل ننسى أن العالم كله كان مهدداً بالأريوسية لولا أثناسيوس ضد العالم ؟! وهل ننسى جهاد البابا كيرلس الكبير ضد النسطورية ؟!

وأخيراً لا يسعنا إلاّ تقديم الشكر للأب مكسيوس كابس على أسلوبه الموجه لبابا الإسكندرية خليفة مارمرقس الرسول ، وبعد ان قرأت كتابيه عن " إيماننا القويم " ولمست اسلوبه الجارح أدركت لماذا إستقال من إدارة مجلة الصلاح ، ولِمَ صدَّر كتابه بهذه العبارة "طبع بدون إذن الرؤساء لأن الدفاع عن الحق لا يحتاج إلى إذن ، ولأنى لا أريد إحراج رؤسائى الروحيّين فى سياستهم العامة للكنيسة "[١٠١] وفقط أهديه قول بطريركه الأول كيرلس مقار بعد عودته إلى أحضان أمه الكنيسة الأرثوذكسية :

" هذا إدعاء واضح بإنه لا يوجد فى الكنيسة بين السفراء البسطاء ليسوع المسيح إلاَّ رجلاً واحداً (يقصد بطرس الرسول) متقلّداً مكان يسوع المسيح السلطان المطلق والعام على الكنيسة وعلى أولئك السفراء أنفسهم . زد على ذلك (جنون أعظم أيضاً) قولك أن قوة هذا السلطان مُنِحت لواحد الغرض منه افتراض وحدة الكنيسة فى خضوعها لتعليم وإدارة رجل واحد ، ونسيتَ (أيها الأخ الكاثوليكي) أن وحدة الكنيسة ثابتة فى البر والحق وهذا عمل فائق طور البشر يفيض من قدرة الله وحده ، الذى لهذا السبب نفسه وعد الرب يسوع بإنجازه لا بواسطة بشر بل بذاته صراحة وبعمل روحه الثابت الذى هو روح الحق والعدل ، والذى يريد أن يقلّد الكنيسة رجلاً بصفة رئيس عام

---

[١٠١] إيماننا القويم جـ٢ طبعة أولى سنة ١٩٨٧م صـ٢

ينكر سيادة الرب يسوع ويقتدى بشعب اليهود فى زمن صموئيل (الذى طلب ملكاً له مثل ملوك العالم رافضاً مُلك الله عليه) .. ومن ثمَ ليس من الصعوبة أن نطبق هذه الرواية المؤلمة رواية شعب الله الذى قايض مملكة الله فى مقابل مملكة إنسان على تاريخ المسيحية الغربية التى بدّلت فى الكنيسة سيادة الرب يسوع بسيادة بشر . ما الذى قسَّم الكنيسة العمومية وقسَّم أيضاً الشرق من الغرب سوى هذه المسألة التعسة وهى سيادة إنسان عامة على الكنيسة بدل سيادة الرب يسوع ؟! .. من الذى فصل بلا جدال الولايات البروتستانتية من الكنيسة الرومانية يعنى نصف الغرب اللاتيني إلاَّ سيادة البابوات الذين اضحوا ممقوتين بواسطة استبدادهم والذين خدعوا الشعوب بقدوة شنعاء .. ؟!

فهوذا السلطة العامة لرجل واحد التى اتخذنها –أيها الأخ الكاثوليكي– الأساس لوحدة الكنيسة كيف كانت الأصل لنجاح الإنقسام ، وكيف كانت قيمة الكنيسة فى الغرب منذ ما اعترفت بسلطة رجل واحد عامة ؟! .. فإن الأساقفة الذين حسب تعليم الكتب يستلمون سلطانهم أبداً من يسوع المسيح الملك والرب الوحيد الذين هم سفراؤه .. تربصوا متوسلين ونائلين كل سلطتهم وكل حكمهم كنعمة من سلطان البابوات الأعلى العام .. ومنزلة الملوك المسيحيين الذين هم رؤوس جسم شعب الله لم يحصلوا سخرية أقل .. أن هؤلاء البابوات إدعوا بإنهم قياصرة هؤلاء السلاطين .. وبلغ من أمرهم أن إدَّعوا بحق أن يحلُّوا رعاياهم من يمين الأمانة لملوكهم وبحق خلعهم من عروشهم ، الأمر الذى لم يقصّروا عن أن يجربوه .. مثيرين هكذا فى جملة ممالك حروب مدنيَّة عديدة هائلة ومريقين سيولاً من دماء المسيحية ..

أن البابوات بعد أن اعترفوا زمناً طويلاً بتعليم نظري وعملي بسلطة الكنيسة العليا عروس يسوع المسيح على ذواتهم كما على الآخرين ، انتهوا بأن وجدوا أن هذه لا يتفق مع سيادتهم الشاملة ، فحالاً إدَّعوا .. بأن سلطتهم العامة هى أعلى من سلطة كل الكنيسة الأسيرة عندهم . وبالجملة أنها هى التى يجب أن تخضع لهم فى كل أمر لا هم الذين يجب عليهم ان يخضعوا لها .. لأن الكنيسة العامة غير معصومة بذاتها من الغلط لأن كل عصمة تتعلق بشخصهم .. أن البابوات بدعواهم بالسيادة العليا العامة على الكنيسة اغتصبوا مكان يسوع المسيح الذى هو رب الكنيسة وحده هو رئيسها الحقيقى العام وينبوع الحق لعصمتها وقداستها بروحه الحق " [١٠٢]

---

[١٠٢] الوضع الإلهي فى تأسيس الكنيسة صـ ١٧–٢٢ .

كما يقول كيرلس مقار أيضاً في **حديثه التصوري** مع أحد الأخوة الكاثوليك :

" قال حينئذ زميلي الروماني : لا تُعجل بالحكم . أنه باق لنا البرهان المأخوذ من وحدة الكنيسة . ألا تقبل أن الكنيسة واحدة ؟ ألا تقبل أن هذه الوحدة توجد في الإيمان والشركة ؟ ومن ثم بما أن الكنائس متفرقة ورعاتها متفرقون فوحدة إيمانها وشركتها مستحيلة بدون سلطة راع واحد عام الذى يعين للكل ذات الإيمان وذات الشركة .. [وجاء فى رد الأرثوذكسي] بالحقيقة نحن نؤمن بوحدة الكنيسة ونقر في دستور الإيمان أن الكنيسة الجامعة واحدة .. لكن ننكر بجرأة وقطعياً أن وحدة كل الكنائس في ذات الإيمان وذات الشركة تستدعى لأصلها وقاعدتها سلطة رجل واحد بصفة راعٍ عام يعيّن ذات الإيمان وذات الشركة لرعاة مخصوصين.. أصل هذه الوحدة فى كل الرسل حسب وضع المسيح يسوع ليس بطرس بل الروح القدس الذى أرسل من الآب باسم إبنه ونزل يوم الخمسين ليكون مع الرسل وفى الرسل أبداً (يو ١٤: ١٦) روح الحق كان ذاته فى الكل ومع الكل ليذكّرهم بكل تعليم المعلم العام ويُعلّمهم كل حق (يو ١٤: ٢٦، ١٥: ١٣) روح التقديس كان ذاته فى الكل ومع الكل ليفعل فيهم ذات الأسرار هكذا قال المخلص للكل (يو ٢٠: ٢٢،٢٣) .. وأخيراً روح المحبة نفسه كان فى الكل ومع الكل ليستمر فيهم الود المتبادل الذى يكون للعالم علامة تميز تلاميذ المسيح يسوع (يو١٧: ٢٣) .. أعتقد ان الروح القدس الذى استمر مع الرسل وفى الرسل أبداً وذلك لكى يذكّرهم بدقة كل تعليم المسيح يسوع ويعلمهم كل الحق لكى يثمر فيهم أسرار الحياة الأبدية لكى يكون بمحبته رباط السلام بينهم هو الأصل الحقيقى لا لبطرس ..

حسب القاعدة الإلهيَّة بيسوع المسيح فوحدة الرسل أو وحدانية الجسم الراعوي هى إلهيَّة بالذات . لكن حسب القاعدة البشريَّة التى وضعها لاهوتيك فوحدانية الرسل أو الجسم الراعوي هى وحدانية بشرية بحتة .

حسب الأصل الإلهي وحدانية الرسل أو الجسم الرعوي هى شئ ثابت تماماً وغير منقطع وهى لا يمكن أن تتزعزع أو تتوراى حيناً طرفة عين لأن يسوع المسيح الذى هو هذا الأصل يحيا حقاً كل الأيام إلى انتهاء العالم ، ولا يمكن أبداً ان يكف عن أن يوجد مع الرسل (وخلفائهم) ويعطيهم ثباتاً اكيداً ولأن روحه الذى هو ذات هذا الأصل معه يحيا أيضاً أبداً ، ولا يمكنه أن لا يستمر مع الرسل ويمارس فيهم عمله السلامي بنوع كامل وأكيد ، ولكن حسب الأصل البشرى الذى تؤهلون له بطرس والبابوات خلفاءه حسب

الزعم فوحدانية الهيئة الرسولية والجسم الرعوي الكنيسي تصير قابلة التغير بذاتها وفاسدة شكلاً خاضعة لكل تقلبات الوجود البشرى ولكل عدم تاكيدات ، لأن الإنسان الذى تجعلونه قاعدة هذه الوحدة ليس غير قابل الموت ، وصفته يمكن أن تكون خاضعة للنزاع ..

آنى تأتى الوحدة عند وفاة كل بابا ومدة خلو كرسيه لو استمر اسبوعياً واحداً أو يوماً واحداً ؟! فهل يكف وجودها مدة هذا الزمن من حيث توارى الرجل الذى كان قاعدتها كما تكف الحياة عن وجودها فى جسم من حيث خرجت النفس منه التى كانت قاعدة الحياة ؟!

آنى تأتى هذه الوحدانية لو أدعى اثنان أو ثلاثة فى وقت واحد بوظيفة البابوية ، والتى لا يتأتى للكنيسة أن تعرف بتأكيد من هو البابا الشرعى ، كما حصل ذلك فى الكنيسة الرومانية مدة انشقاق الغرب العظيم ؟!

حسب القاعدة الإلهية أن الكنيسة هى جمعية مشتركة بشرية إلهية بحيث أن هذه الجسم المشترك منتعش بالروح القدس .. أما حسب قاعدتك البشرية فالكنيسة هى جمعية بشريَّة ، ولا شئ إلاَّ بشريَّة بما أن قاعدة كيانها الفرعى ووحدانيتها وحياتها المشتركة هى بشر لا إله على حسب زعمك أن بطرس أو البابا بصفة كونه الراعى العام يضع لكل الرعاة ولكل الكنائس إيماناً واحداً وشركة واحدة .. بهذه القاعدة البشرية رابطة الوحدة الرسولية هى بطرس الذى هو ليس أقنوماً من الثالوث الذى لا يقدر أن يربط التلاميذ مع الإبن ومع الآب .. هذه اللهجة نفسها موجبة للضحك بكل راحة لأن الحاكم ورعاياه ليسوا واحداً وسلطة الحاكم لا تكون لرعاياه قاعدة للوحدانية معه بل قاعدة الإذلال العام لقدرة شخص واحد .. وأخيراً ماذا تجني من جعلك بطرس الرئيس العام للكنيسة بدل يسوع المسيح ، والقاعدة الباعثة لوحدة هذه الكنيسة مكان الروح القدس ؟ " [١٠٣]



---

[١٠٣] الوضع الإلهي فى تأسيس الكنيسة صـ ١١٨-١٢٥ .

الفصل الثالث
رئاسة بابا روما

فى هذا الفصل نناقش النقاط الخمس الآتية :

أولاً : هل أسَّس بطرس الرسول كرسي روما ؟

ثانياً : كرازة بولس الرسول فى روما .

ثالثاً : تقدم كنيسة روما .

رابعاً : هل أقرّت المجامع المسكونية رئاسة بابا روما ؟

خامساً : هل كان مرقس تلميذاً لبطرس ومترجماً له وكاتباً لمذكراته ؟

أولاً : هل أسَّس بطرس الرسول كرسي روما ؟

يقول الأخوة الكاثوليك أن " أول من أنكر ذهاب بطرس الرسول إلى روما إنما هو لوثيروس (مارتن لوثر) وتبعه فى ذلك بروتستانت ألمانيا ، وأهل كنيسة إيطاليا المستقلة ، والبعض من أبناء الكنيسة المرقسية فى هذه الفترة الأخيرة .. وأما أهل كنيسة إيطاليا المستقلة فكان الغرض من نكرانهم ذهاب بطرس إلى رومة وبالتالى رئاسة الأحبار الرومانيّين إنما هو إيجاد سند ليضعوا اليد على أملاك الكنيسة الرومانية الضخمة وأوقافها الكثيرة ، وإذا تسألت عما حمل أبناء الكنيسة المرقسية الفتاة فى هذه الأيام الأخيرة على نكران هذه الحقيقة الثابتة فى كل كتبها كما سنرى ، أجبناك بأن الكنيسة الرومانية كانت سبقت وأوقعت عليهم الحرم لسيرهم سيراً مغايراً للقوانين المقدسة ، فنكاية بها لم يروا إلاَّ الخروج من حضنها ونكران كل سلطة لها " [١٠٣]

ويقولون أن بطرس الرسول تقلَّد إدارة الكنيسة الرومانية لمدة خمسة وعشرين عاماً بدليل قول القديس ايرونيموس فى كتابه مشاهير الرجال الفصل الأول " أن سمعان

---

[١٠٣] قيام الأرثوذكسية الحقيقية على الإعتصام بكاتدرا بطرس الرومانية – نيافة الأنبا اغناطيوس برزى أسقف كرسي طيبا صـ٢ .

بطرس زعيم الرسل بعد رعايته لكنيسة أنطاكية توجه إلى رومة فى السنة الثانية من ملك كلوديوس لمحاربة سمعان الساحر وهناك تولى الكرسي الكهنوتي مدة خمسة وعشرين سنة لغاية آخر سنة من ملك نيرون "[١٠٤] ، ويقول بابياس فى كتاب الأخبار سنة ٤٤م " أن بطرس الجليلى الجنس هو أول حبر المؤمنين وبعد أن أسَّس كنيسة أنطاكية ذهب إلى روما حيث كرز بالإنجيل ومكث ٢٥ سنة أسقفاً عليها "[١٠٥] .. " قال بابياس .. " أنه من المحقَّق أن القديس بطرس يذكر فى رسالته الأولى القديس مرقس ، وأنه كتبها فى رومة التى ذكرها بالرمز والإشارة تحت إسم بابل " (أوسابيوس التاريخ الكنسي ك٢ ,ص١٥) "[١٠٦]

كما يقول نفس المؤلف الكاثوليكي " لقد سمعتم أيضا أوسابيوس أقدم مؤرخ كنسي قد أتقن معرفة تاريخ الأجيال الأولى للثلاثة يقول بنص صريح بأن بطرس أول حبر المسيحيين بعد أن أسَّس كنيسة أنطاكية ذهب إلى رومة سنة ٤٤م وأسَّس كنيستها وقام بتدبيرها ٢٥ سنة بصفته أسقفاً عليها "[١٠٧]

ويورد الأخوة الكاثوليك قول ايريناؤس بأن بطرس وبولس اسَّسا كنيسة روما حيث يقول " أن سلسلة الخلفاء المتصلة إلينا تُخجِل كل معارض ، فإن هذين الرسولين الطوباويين (بطرس وبولس) بعد ما أسَّسا هذه الكنيسة (الرومانية) ووطداها بالتعليم قد سلَّما رعاية تدبير هذه الكنيسة للينوس ، وهذا قد خلفه اناكليت ، وثالث خليفة كان اكليمنضس .. فبتلك الخلافة الغير منقطعة قد وصلت إلينا التقاليد الرسولية وتعاليم الحقائق الدينية ففى الكنيسة الرومانية وبالكنيسة الرومانية قد حافظ جميع مسيحى العالم على إيمان الرسل الكرام "[١٠٨]

ويؤكد ترتليانوس أن الرسولين بطرس وبولس أسَّسا كنيسة روما " أيها الإنسان الراغب فى تشغيل فكرك فيما يعود لخلاصك تفقَّد بالأولى الكنائس الرسولية حيث جالس خلفاء الرسل على كراسيهم وحيث رسائلهم القانونية تتلى مردَّدة أصواتهم وممثلة

---

[١٠٤] المرجع السابق صـ٢٩ .

[١٠٥] المرجع السابق صـ٥٠ .

[١٠٦] المرجع السابق صـ٦٠ .

[١٠٧] المرجع السابق صـ٥٤ .

[١٠٨] المرجع السابق صـ٢٣ .

أشخاصهم فيما بيننا ، فبالقرب منك أخائية مجد مدينة كورنتس .. وإذا توجــــهت إلـــى إيطالية وجدت رومة حيث تأتينا منها السلطة تلك الكنيسة الســعيدة التـــى نشـــر فيـــها الرسولان تعليمهما وسفكا دمهما حيث بطرس تشبه بآلام المسيح وحيث بولس نال فـــى الختام إكليل يوحنا المعمدان " [١٠٩]

كما يُحدّد الأنبا اغناطيوس برزى (الكاثولكي) خط سير بطرس الرسول منذ قيامـــة السيد المسيح وحتى نهاية حياته فى روما فيقول " أنه بعد موت المسيح الواقـــع علـــى حسب الرأى العام فى سنة ٣٣م مكث بطرس الرسول أربع سنين فى أورشليم ، وذهـــب فى بحر سنة ٣٧م إلى أنطاكية .. أنشأ فى أنطاكية كرسياً أسقفياً وأقام فيه إلـــى ســـنة ٤٢م .. لقد غادر بطرس فى سنة ٤١م مدينة أنطاكية وأقـــام عليـــها راعيـــاً القديـــس افوديوس وعاد إلى أورشليم حين ألقاه هيرودس فى الســـجن فأخرجـــه منـــه مـــلاك الرب..وفى نفس السنة باين (أى فارق) القديس بطرس الشرق وتوجه إلى رومة حيـــث جعل هناك مقره وسند رئاسته ، والأرجح أنه وصل إلى المدينة المؤيدة فى السنة الثانية من مُلك كلوديوس .. ثم فى السنة السابعة من حلوله بمدينة روما أى فى سنة ٤٩م قـــد صدر أمر من الإمبراطور كلوديوس بطرد اليهود .. ومن هنا يستفاد أن بطرس قد طُـــرد كيهودى ، ويقال أنه فرَّ هارباً قبل الكل بما انه كان فى إعتبار أهل الســـلطة الرومانيـــة رئيس الأعتصاب تلك هى التهمة التى نسبوها لليهود المتنصرين ، وهذا ما ألجأ بطـــرس رئيس الرسل أن يرجع إلى الشرق ويتمَّم هناك كرازته بالإنجيل ، وفى سنة ٥٢م كـــــان بطرس فى أورشليم حيث رأس المجمع الأول .. ولما كانت أوامر كلوديوس بطرد اليهود قد ضعفت مع تمادى الأيام .. عاد بطرس الرسول إليها ســـنة ٥٣م واســـتلم كرســـيه وجلس عليه بعد ذلك نحو الأربع عشرة سنة وسام فى هذه الفترة القديس اكلمينضـــوس أسقفاً وجعله شريكاً له فى الخدمة الرسولية ، وأناط به إدارة الكرسي الرومـــــانى مـــدة تغيبه عنه أثناء جولاته فى أقاليم الغرب وهو لم يزل صاحب الكرسي وأسقف رومـــة .. قال القديس ابيفانيوس أسقف سالامينا { أنه كان يجوز إقامة أساقفة فى رومة حتى فـــى حياة الرسولـــين بطرس وبولس لأنهما كانا يجولان فى بلاد أخرى ويبشرنهما بكلمة الله ، والحالة هذه لم تستطع رومة أن تكون فى غنى عن أسقف يرعاها لا سيما وأن بولس

---

[١٠٩] المرجع السابق صـــ٢٤،٢٥ .

فى ذلك الوقت كان فى أسبانيا ، وكان بطرس من جهته يجول مراراً فى بــلاد بنطــس وبيثينية } (مجموعة الآباء اليونان مجلد ٤١وجه٣٧٤) .. قضى بطرس نحبه على عهد نيرون مصلوباً ومنكس الرأس فى نفس اليوم الذى قطعت فيه رأس القديس بولس الذى مات فى محل يدعى المياه السالفينية وأما بطرس فمات فى جبل جانيكول بعــد ما تقــلّد إدارة الكنيســة الرومانيــة نحو ٢٥ سنة أى على الأرجح من سنة ٤٢ إلى سنة ٦٧م " [١١٠]

ويعترف الأخوة الكاثوليك بأن بطرس الرسول كرز فى أسيا الصغرى أثناء إقامتــه فى أنطاكية سبع سنين " والحقيقة التى لا نزاع فيها أن القديس بطرس قدم إلى أنطاكيــة وأقام فيها كرسيه نحو سبع سنين وفى أثناء هذه المدة وليس بعدها كان يتفقد ما جــاور أنطاكية مثل أورشليم واسيا الصغرى وبثينية وكبادوكية وبنطس وغلاطيــة كمــا قــال أوسابيوس فى كتاب ٣ص١ من تاريخه الكنسي " [١١١]

كما يعترف الكاثوليك باختلافهم فيما بينهم على سنة قــدوم بطــرس إلــى رومــا فيقولون " أننا لا ننكر أن علماء الكاثوليك قد إختلفوا فى تحديد السنة التى ذهــب فيــها بطرس إلى رومة .. غير أن الكل قد أجمعوا على تبشيره بالإنجيل برومة قبل أى رسول كان ، وتأسيسه كنيستها وإقامة كرسيــه هناك إلى الممات وجلوسه عليــه أســقفاً ٢٥ سنة ، وهل يا ترى عدم اتفاقهم فى تحديد زمن ذهابه إلى رومة ينفى كل هذه الحقــائق التاريخية الثابتة " [١١٢]

وقد جعل الأخوة الكاثوليك يوم ١٨ يناير عيداً يسمونه عيد كرسي بطــرس " وأن يوم ١٨ يناير من كل سنة يحتفل العالم الكاثوليكى بعيد كرسي القديس بطرس برومــة المرموز به تذكار رئاسته العليا " [١١٣]

وأخيراً يستشهد الأخوة الكاثوليك بأقوال المؤرخين غير المسيحيين فيوردون قــول إبن خلدون فى مقدمة تاريخه " إفترق الحواريون شيعاً ودخل أكثرهم إلى بــلاد الــروم داعين إلى دين النصارى ، وكان بطرس كبيرهم فنزل برومة دار ملك القياصرة " وقــول المقريزى فى كتابه دخول قبط مصر إلى النصرانية " فســار بطــرس رأس الحواريــن

[١١٠] المرجع السابق صـ٣-٥ .

[١١١] المرجع السابق صـ٦٣ .

[١١٢] المرجع السابق صـ٦٤ .

[١١٣] المرجع السابق صـ٤٠ .

وإسمه شمعون الصفا إلى أنطاكية ورومية " (الرئاسة البابوية للأب بولس نصيرص ٩٤،٩٥) .

وفى كتابه القول الأبريزى للعلامة المقريزى طبع سنة ١٨٩٨م " فسار بطرس رأس الحواريين إلى أنطاكية ورومية فاستجاب له بشر كثير ، وقتل فى خامس أبيب " [١١٤]

توضيح :

أولاً : يقول الأخوة الكاثوليك أن أول من أنكر ذهاب بطرس فى روما هو مارتن لوثر فى القرن السادس عشر بسبب إحتجاجه على الكنيسة الكاثوليكية وإنفصاله عنها . ثم أهل كنيسة إيطاليا المستقلة طمعاً فى الأوقاف الرومانية ، وقالوا أن بعض أبناء الكنيسة المرقسية الفتاة فى الأيام الأخيرة انكروا ذهاب بطرس إلى روما بسبب حرمهم من الكنيسة الرومانية ، ومن المعروف أن الانشقاق بين الكنيستين وقع فى مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م فما الذى دفع بأبناء الكنيسة المرقسية لإنكار ذهاب بطرس إلى روما فى الأيام الأخيرة مع ان الكنيسة الرومانية قد حرمتهم منذ أكثر من خمسة عشر قرناً ؟! وهل إنتظر الأقباط ظهور لوثر لكيما يعلمهم كيف تكون النكاية فى كنيسة روما ؟! ومع هذا فإننا نحن أبناء الكنيسة المرقسية الفتاة لا ننكر ذهاب معلمنا بطرس الرسول إلى روما ، ولكننا نقول الحق بأن بطرس الرسول ذهب إلى روما قبيل استشهاده .

ثانياً : يقولون أن بطرس مكث فى روما ٢٥ سنة ، ويوردون قول أوسابيوس بأن بطرس ذهب إلى روما سنة ٤٤م . إذاً فهو ظل بها إلى سنة ٦٩م بينما من الثابت تاريخياً أن بطرس استشهد مع بولس يوم ١٢ أبيب سنة ٦٧م .

ثالثاً : يعترفون بأن بطرس الرسول أسَّس أولاً كرسي أنطاكية ، فلماذا لم يساوون بين كرسي أنطاكية مع كرسي روما ؟!

رابعاً : يعترفون بأن الذى أسَّس كرسي روما بطرس وبولس فلماذا يُقصِرون الكرسي على بطرس ؟ وأين إذاً كرسي بولس الرسول ؟

خامساً : إن كان بطرس الرسول أقام لينوس ثم اناكلاتيوس واستشهد الأثنان ثم أقام

---

[١١٤] مرشد الأرثوذكسي الكاثوليكى للأنبا الكسندروس اسكندر ص ٢٦ .

بطرس أيضاً الأسقف وهو اكلمينضس ، فلمن كانت الرئاسة وقتئذ ؟ هل لبطرس أم لأساقفة روما ؟ .. يقول كيرلس مقار البطريرك الكاثوليكي الأول للأقباط الكاثوليك " أن القديس ايريناوس قال { أن المغبوطين بطرس وبولس الرسوليين علَّما ونظَّما كنيسة رومة وسلَّما الأسقفية وولاية هذه الكنيسة الى لينوس ، وإن لينوس هو أول أسقف لرومة (منذ الرسوليين) الذى خلفه أنا كلاتيوس الذى خلفه اكليمندس} (جدل ضد الهراطقة ك١ ف٣:٣) والقصيدة الشعرية ضد ماركوريس التى هو مؤلفه فى الجيل الثانى تُثبت أن بطرس رقى وهو حي لينوس ذاته الذى صار أول أسقف لرومة وجعل يعلّم الرومانيّين الديانة (سير آباء يونان مجلد ٢٠ف٣٧٧) .. وكتاب سير الأحبار الذى هو جزء من التقليد الروماني يخبرنا على المفتوح فى سيرة حياة القديس بطرس أن لينوس وأناكلاتيوس الأسقفين الأولين لرومة ماتا فى الإضطهاد الذى أثاره نيرون قبل الرسوليين بطرس وبولس.. (ثم يطرح كيرلس مقار الأسئلة الآتية) لما نصَّب بطرس وهو حي على كرسي رومة لينوس أولاً ثم أناكلاتيوس هل احتفظ لذاته بالرئاسة على كل الكنيسة أو تركها منَّة لهذين أسقفي رومة الأولين ؟ فإذا كان إحتفظ بذلك لحسابه فيكون الأسقفان الأولان لرومة عاريّين لحد الموت من سلطتهما فلا تكون إذاً حقيقة كما يقال وكما يزعم لاهوتيوك (أيها الأخ الكاثوليكي) أن تلك السلطة مقطوعية لا تنفصل عن كرسي رومة ، وإذا كان بطرس تخلى من السلطة كرماً منه للينوس واناكلاتيوس اللذين نصَّبهما على كرسي رومة وماتا قبله فيكون بطرس أيضاً منزوعة منه السلطة ، ومن ثم لا تكون حقيقة ولا لها ثبات ، وذلك عكس ما يتقوله لاهوتيوك بأن السلطة هى ملك بطرس لا بيع له ولا رهن بفضل وضعها الإلهي " [115]

سادساً : يقولون بأن بطرس الرسول كان فى روما سنة ٤٢ حيث كتب رسالته الأولى من هناك وأشار إليها ببابل المختارة . مع العلم بأن الرسول كتب رسالته هذه خلال المدة من سنة ٦٣ إلى سنة ٦٧م أثناء إضطهاد نيرون (سنة٥٤-٦٨م) ، وقد اختلفت الأراء فى تحديد مدينة بابل :

١- يقول البعض أن بابل هى مدينة بابل القديمة على نهر الفرات بالعراق فيقول

---

[115] الوضع الإلهي فى تأسيس الكنيسة صـ١٥٦-١٥٨ .

ف.ب. ماير " قيل أن عدد اليهود فى بابل فى الوقت الذى نتحدث عنه لم يكن يقل عن مليونين . يقرر العميد " ميلمان " Dean Milman فى كتابه { تاريخ اليهود} أن بابل كانت مزدهرة جداً بسكانها اليهود حتى أن " فيلو " يشير أكثر من مرة أنه فى استطاعتهم الإنتقال لمساعدة أخوتهم فى فلسطين وبذلك يرجحون كفة الحرب مع روما . كان هؤلاء اليهود البابليون متمسكين جداً بالتقاليد القديمة فقد وُصفوا بأنهم عبرانيون من العبرانيين ، وكانوا يقدمون سنوياً تقدمات سخية حسبما تتطلبه خدمة الهيكل . وكانوا يطيعون أوامر السنهدريم فى النواحى الروحية ، ورغم بعد المسافة ومشقة السفر فإنهم كانوا يأتوا بأولادهم للعبادة فى هيكل أورشليم .. إذن يحق لنا أن نستنتج بأن العاصفة الهوجاء التى عصفت على الكنيسة فى أورشليم وجدت فى هذه المدينة الجميلة مرفأ هادئاً ، وهناك أيضا كتب راعى المتشتّتين (بطرس) رسالته الأولى " [116]

ويقول وليم باركلى " لقد كانت بابل هذه مركزاً للدراسات اليهودية ، فأعظم تعليق على الناموس اليهودى يُسمى { التلمود البابلى } . ولقد كان يهود بابل يشكلون قوة كبيرة حتى أن يوسيفوس أصدر نسخة خاصة من الدراسات التاريخية لهم ، فليس من شك فى أنه كانت هناك فى بابل مستعمرة خاصة بهم ، ولذا فمن الطبيعى أن يبشر بطرس رسول اليهود ويعظ هناك . ولكننا لا نجد إسم بطرس مرتبطاً ببابل ، فليس هناك أى دليل ملموس على وجوده هناك " [117]

٢- أن ترتيب البلاد التى ذكرها فى بداية رسالته من الشرق إلى الغرب تشير إلى أن الرسالة كُتبت فى مكان ما بالشرق فربما يكون المقصود ببابل بابليون أى مصر القديمة ، وقد كانت مقراً لمعسكر رومانى كما كان بها جالية يهودية .

وإن كان الأخوة الكاثوليك يقولون بأن المقصود ببابل هى روما كما أشار إلى ذلك سفر الرؤيا ، فإننا نقول لهم أن سفر الرؤيا سفر رمزى كتب بعد ما كُتِب بطرس بنحو ثلاثين عاماً ، وقد كتب بطرس بأسلوب بسيط وصريح وواضح وذكر المدن بنتس وغلاطية وكبادوكيا وآسيا وبيثينية بأسمائها فلماذا أشار إلى روما بالرمز ولم يذكرها صراحة ؟! .. يحتجون بهذا قائلين " كان من الفطنة أن

---

[116] حياة بطرس طبعة مكتبة المحبة سنة ١٩٨١م صـ٣٣٣،٣٣٤ .

[117] تفسير العهد الجديد رسائل يعقوب وبطرس صـ٣٣٠.

بطرس الرسول يخفى محل إقامته ، فإنه لم يكن فى إستطاعته أن يقول { تسلم عليكم الكنيسة التى برومة } بدون أن يطوح نفسه فى أخطار عظيمة واضطهادات جديدة " [118]

ونحن نقول أن الرسل كانوا جنوداً يحملون رؤوسهم على أيديهم . أن بولس الرسول لم يخفَ إسم روما فى رسائله بل ذكر إسم بيت قيصر " يسلم عليكم جميع القديسين ولا سيما الذين من بيت قيصر " (في٤: ٢٢) أى من يقطنون فى القصر الإمبراطورى .

سابعاً : إذا تتبعنا خط سير بطرس الرسول نجد أنه لم يمكث فى روما ٢٥ سنة بل أنه من الأصل لم يؤسّس كرسي روما:

١- ظل بطرس الرسول فى أورشليم فترة بعد استشهاد استفانوس " فتشتَّت الجميع فى كور اليهودية والسامرة ما عدا الرسل .. فالذين تشتَّتوا جالوا مبشرين بالكلمة " (أع٨: ١، ٤) ، " وأما الذين تشتَّتوا من جراء الضيق الذى حصل بسبب استفانوس فاجتازوا إلى فينيقية وقبرص وأنطاكية وهم لا يكلمون أحداً بالكلمة إلاَّ اليهود فقط " (أع ١١: ١٩) ، وبعض من هؤلاء الذين تشتَّتوا كرزوا فى أنطاكية ، والبعض ذهب إلى روما وكرز هناك .

٢- بعد قبول السامرة الإيمان أرسل إليهم الرسل بطرس ويوحنا (٨: ١٤) " وبشرا قرى كثيرة للسامريين" (أع٨: ٢٥)

٣- ذهب بطرس إلى لدَّة حيث شفى اينياس المفلوج (أع٩: ٢٢-٢٤) ، وذهب إلى يافا حيث أقام طابيثا من الموت (أع٩: ٤٠) وذهب إلى قيصرية إلى بيت كرنيليوس (أع١٠) .

٤- بعد أن قتل هيرودس يعقوب أخا الرب بالسيف قبض على بطرس نحو سنة ٤٤م ولكن ملاك الرب أنقذه (أع١٢) .

٥- فى سنة ٥١م كان بطرس الرسول حاضراً مجمع أورشليم (أع١٥: ٧) وحتى هذا التاريخ لم يخرج بطرس من منطقة اليهودية .

٦- فى سنة ٥٢م قرر الإمبراطور كلوديوس قيصر طرد جميع اليهود من روما ، وحيث أنهم كانوا ينظرون إلى المسيحية كشيعة من الشيع اليهودية فبالتالى لو

---

[118] قيام الأرثوذكسية الحقيقية صـ١٠.

كان بطرس هناك لطُرِد مع اليهود .

٧- ذهب بطرس إلى أنطاكية وكرز فيها ، فيقول " خريسوستُمس بابـــا دوبولـــس " استاذ التاريخ فى جامعة أثينا " وأقام بطرس فى أنطاكية عـــاملاً علـــى ترســـيخ وتوطيد المسيحية ، والظاهر أنه أسهم فى تكثيف جماعات المســـيحيين كـــارزاً ومعلماً بين يهود أنطاكية .. أما مدة الوقت التى قضاها فى أنطاكية فـــهى غـــير معلومة ، ومنها قام بجولات رسولية مختلفة إلى منـــاطق البنطـــس وغلاطيـــة وكبادوكية وآسيا وبثينية (١بط١:١) وأخيراً حين إنتقل إلى رومية حـــول عـــام ٦٧م لقى موت الإستشهاد " [١١٩] " وكل ما نعلمـــه أن أول أسقف على أنطاكيـــة بعد الرسول بطرس هو افوديوس أو افوذيوس سنة ٥٦م " [١٢٠] .. وفـــى نحـــو سنة ٥٥م كان بطرس فى أنطاكية مع بولس الرسول (غل٢: ١١) .

٨- فى سنة ٥٧م كان بطرس فى رحلات تبشرية مع زوجته كما أشر بهذا بولـــس الرسول " ألعلنا ليس لنا سلطان أن نجول بأخت زوجة كباقى الرسل وأخوة الرب وصفا " (١كو٩: ٥) .

٩- فى سنة ٥٨م كتب بولس الرسول إلى رومية وسلَّم على ٢٧ شخصاً ولم يذكـــر إسم بطرس ، فلو كان بطرس هناك أما كان يهديه السلام ؟

بل أن بولس الرسول يظهر إشتياقاته لتبشيرهم فيقول " فهكذا ما هو لى مســـتعد لتبشيركم أنتم الذين فى رومية أيضا " (رو١: ١٥) فلو كـــان بطـــرس الرســـول بشّرهم فهل كان بولس يظهر اشتياقاته لتبشيرهم بهذه الصورة ؟ مع ملاحظة أن منهج بولس الرسول فى الكرازة هو تبشير المناطق المحرومة التى لم يبشـــرها أحد من الرسل قبله " ولكن كنت محترصاً أن أبشر هكذا . ليـــس حيـــث سُـــمى المسيح لئلاً أبني على أساس لآخر " (رو١٥: ٢٠) فلو كرز بطرس الرسول فـــى روما فما كان بولس الرسول يفكر فى الكرازة فيها .

١٠- فى سنة ٦٠م أقبل بولس الرسول مع لوقا إلى روما " وهكذا اتينا إلى روميـــة . ومن هناك لما سمع الأخوة بخبرنا خرجوا لأستقبالنا إلى فورن أبيوس والثلاثة الحوانيت . فلما رآهم بولس شكر الله وتشجع " (أع٢٨: ١٤،١٥) فلم يذكر لوقا

[١١٩] تاريخ كنيسة أنطاكية صـــ٥٤.

[١٢٠] المرجع السابق صـــ٥٨.

إســم بطرس ولم يشر إلى وجوده ، فلو كان هناك أما كان يخرج للقــاء الأخ الحبيب " أخونا الحبيب بولس " (٢بط٣: ١٥) ؟

١١- وصل بولس إلى روما فلم يجد هناك كرسي رسولي لبطرس بل عندما استدعى وجهاء اليهود ليعرض عليهم أمره قالوا لــه " نستحسن أن نسمع منك ماذا تُرى لأنه معلوم عندنا من جهة هذا المذهب أنه يقاوم في كل مكان . فعينوا له يومــاً فجاء إليه كثيرون إلى المنزل فطفق يشرح لهم شاهداً بملكوت الله ومقنعاً إيــاهم من ناموس موسى والأنبياء بأمر يسوع من الصباح إلى المساء . فاقتنع بعضهم بما قيل وبعضهم لم يؤمنوا " (أع٢٨: ٢٢-٢٤) ترى لو كرز بطرس في رومــا أد[illegible]ح يسمع هؤلاء اليهود عن المذهب المسيحي شيئاً ؟! .. وهل من المعقـول أن لوقا كاتب سفر الأعمال الذى لم يغفل حلاقة بولس الرسول لشعره في كنخريا لأن كان عليه نذر يغفل توجه بطرس أحد أعمدة الكنيسة الثلاثة إلــى رومــا ؟! أقول حتى لو كان مقر كرسي بطرس الرسول في روما وذهب ليبشر في مكــان آخر ، فلا أظن أن لوقا كان يغفل الإشارة إلى هذا .

١٢- ظل بولس الرسول يكرز في روما لمدة سنتين من سنة ٦٠م إلى ســنة ٦٢م وكتب أربع رسائل إلى أفسس وفيلبي وكولوسي وفليمون ، وأرسل تحيات الذيـن معه في روما ، ولم يذكر قط اسم بطرس الرسول أو أي إشارة له .

وأخيراً نطرح عرض البطريرك كيرلس مقــار الكــاثوليكي بعـد عودتــه إلــى أحضــان الأرثوذكسية لهذه القضية حيث يقول :

" فإن قصة خيالية جعلت ذهاب بطرس إلى روما في الســنة الثانيــة للإمــبراطور كلوديوس بقصد أن يوسِّس الكنيسة الرومانية ويجلس فيها أسقفاً إلى آخر حياته . مــع أنه (أى سفر الأعمال) يخبرنا أنه في السنة الأولى لكلوديوس كـــان رئيــس المجمــع الرسولي يطوف كل كنائس اليهودية ليُثبت الأخوة ، وأنه في آخر هذه الزيارة الرسولية هدى كرنيليوس قائد المئة بناء على أمر الرب . ثم يرينا إياه معتقلاً في سجن هيرودس في أورشليم في أثناء السنة الثالثة لكلوديوس .. وأنى لفي سرور أن أقــول أن ســفر الأعمال ينفي بتاتاً رأى من يقاطع بالكلام إياً كان بالنسبة لأعمال أسقفية بطرس في بلاد الختان منذ صعود المخلص إلى السنة الخامسة من مُلك كلوديوس .. وما أوضح القصة التي دونّها الكاتب المُلهَم (لوقا) عما حدث في مجمع أورشليم الذى أنعقد كما يُعلَم بعــد

إهتداء القديس بولس باربع عشرة سنة (غل٢: ١) .. وفى الواقع أن بطرس ذاته الذى ألقى خطاباً فى وسط المجمع ذكر فيه بفخر اهتداء كرنيليوس وأسرته الذى كان منذ جملة سنين.. ولم يقل فى هذا خطاب أنه كرز بالإنجيل فى روما عاصمة العالم الوثنى ..

أخيراً أن القديس بولس أخبرنا برسالته إلى أهل غلاطية أن بطرس منذ ذيوع مجمع أورشليم لم يطرق أبواب روما ، وبالأخص بشأن الأسقفية ..

وفوق ذلك أن سفر الأعمال يخبرنا أن كل اليهود فى هذا الوقت (السنة العاشرة من مُلك كلوديوس) طُردوا من روما بأمر ملكى (اع١٨: ٢) وأن التاريخ يُعرّفنا أنهم لم يستطيعوا أن يضعوا فيها أقدامهم إلاّ فى عهد مُلك نيرون خليفة كلوديوس مباشرة .. فكل ما يمكننا أن نستنتج من ذلك هو أن بطرس الرسول ما ذهب إلى روما إلاّ بعد زمن طويل من خدمة بولس الرسولية فى هذه المدينة .. وفى الحقيقة أن السندات الحقة التاريخية عن المسيحية القديمة تعلمنا أن بطرس لم ينطلق إلى روما إلاّ فى آخر حياته كما قال أوريجانوس (انظر أوسابيوس ك٣ ف٣: ١) وأنه لم يذهب إليها إلاّ برفقة بولس الرسول بعد ما مرَّ معه بكورنثوس كما يؤكد ذلك القديس ديوناسيوس الكورنثي فى رسالته إلى الرومانيين (انظر نصه فى أوسابيوس ك٣ ف٢٥) وأنه اقتاد بولس رسول الأمم إليها لداعي محاربة سيمون الساحر كما يشهد ايجيزيبوس فى تاريخه المختص بخراب أورشليم (ك٢ ف٢) .

فمن هم المؤرخون القدماء الذين يجعلون سفر بطرس إلى روما فى السنة الثانية من ملك كلوديوس ؟ لا أحد إلاّ أوسابيوس المتأخر عن ايجيزيبوس وديوناسيوس الكورنثي وأوريجانوس لأنه من رجال الجيل الرابع والذى نقل عنه حرفياً القديس ايرونيموس معتقداً بصحة واعتبار ما نُقل مع أن رواية أوسابيوس ليست عكس الحقائق الرسمية الواردة فى سفر الأعمال فقط كما أوضحنا سلفاً لكن فى نفس الوقت ليس لها قيمة تاريخية وهى تتضمن أن بطرس انطلق إلى رومية ليحارب سيمون الساحر الذى حضر إليها قبله ليطغى الرومانيين بشعوذاته وأن هذه الحادثة جرت فى السنة الثانية لكلوديوس ، ولكن من أى مصدر استقى أوسابيوس تفاصيل روايته هذه المتعلقة بالحادثة التى رواها ؟ .. أن قاعدة هذه الرواية التاريخية هى فقرة من القديس يوستينوس الذى قال فيها { فى بدء ملك كلوديوس جاء سيمون الساحر إلى روما وتعلق بخزعبلاته عدد عظيم من التلاميذ به عموماً كأنه إله ، وأن عاصمة المملكة

أقامت له على شاطئ نهر التيبر بين قنطرتين هناك تمثالاً تاريخه السنة الثانية لملك كلوديوس قيصر مكتوباً عليه Simoni deo suneto " أى سمعان الإله القدوس " . لاحظ أن القديس يوستينوس لم يضف أن بطرس وآفى إلى روما فى هذا الوقت وإنما استنتج أوسابيوس ذلك فى رواية المغبوط الشهيد لأنه كان راسخاً فى ذهن هذا المؤرخ أن هاتين الحادثتين متلاحمتين معاً ، ومن ثم ينبغى أن نلاحظ هنا أمرين أحدهما أن رواية القديس يوستينوس ذاتها هى فى الواقع شعوذة ذهب القديس الفيلسوف ضحيتها ، ولكنه اعتنى بأن يشير لنا إلى مصدرها الوحيد يقول أنه (رأى على شاطئ نهر التيبر بين قنطرتين تمثالاً منقوشاً عليه كتابة تاريخها السنة الثانية لكلوديوس) وظنَّ أن هذا التمثال أقيم للإله سيمون الساحر فى حين أن هذا التمثال (أكتشف منذ قرنين) شُيّد بإسم الإله (سامين) إله العقود والإتفاقات . فالأساس الذى وضع علّيه أوسابيوس روايته هو منقوض من الأصل . والأمر الثانى هو أن جميع المؤرخين القدماء الذين تكلموا بخصوص قتال سيمون الساحر وبطرس الرسول جعلوا هذا الحادث لا فى بدء ملك كلوديوس بل فى نهاية ملك نيرون وفى وقت ما كان القديس بطرس والقديس بولس فى روما معاً وذلك مثل ايجيزيبوس والقديس فيلاستروس (كتاب الهرطقات ف٣) وسلبيس ساويرس (تاريخه ك٢) والقديس اغسطينوس والقديس مكسيموس (خطبة على الرسولين بطرس وبولس) واناستاسيوس صاحب مكتبة الكنيسة الرومانية .. إلخ . ومنذ بارونيوس كل المؤرخين الرومانيين اتبعوا عموماً ذلك الرأى (المخالف) المبنى على رواية أوسابيوس الوهمية بكل أجزائها " [١٢١]

كما يقول كيرلس مقار أيضاً فى الجزء الثانى من كتابه :

" فلو كان مجئ بطرس إلى رومة فى السنة الثانية لكلوديوس وقبل هذا التاريخ قضى خمس سنوات فى الأقاليم الخمسة المذكورة ، وسبعاً (سنين) أخرى فى أنطاكية فيكون وجوده فى السنة الأولى بأنطاكية موافقاً بالضرورة للسنة الأولى من موت المخلص ويكون تأسيس هذه الكنيسة الأولى الأممية موافقاً لزمن تأسيس كنيسة أورشليم . ذلك يكون بكل أسف مستحيلاً ومعارضة جنائية ضد الروايات الرسمية التى فى سفر الأعمال فيما يختص بأصل الكنيسة .. أن تاريخ أوسابيوس والقديس ايرونيموس فى تعيّين زمن سفر القديس بطرس إلى روما فى السنة الثانية لكلوديوس

---

[١٢١] الوضع الإلهى فى تأسيس الكنيسة جـ١ صـ٩٥-١٠١ .

.. هو ضلال مؤكد لا بالنسبة للآراء التاريخية فقط التى تضمنها سفر الأعمال الذى عيَّن إقامة القديس بطرس الثانية فى الأرض المقدسة إلى السنة العاشرة لملك كلوديوس بل بالنسبة لإعتراف أوسابيوس نفسه والقديس ايرونيموس أيضاً اللذين أقرَّا فى روايتهما أن القديس بطرس لم ينطلق إلى رومة إلاَّ بعد مضى سبع سنوات فى أنطاكية وبعد أن كرز بالإنجيل فى الأقاليم الخمسة .. وأن المقصود من سفره إلى رومة كان محاربة سيمون الساحر .. والتقليد الرومانى نفسه مُسلَّم فى كتاب جناز الأحبار أن محاربة القديس بطرس لسيمون الساحر كانت فى آخر ملك نيرون ويثبت ذاته أن القاء القبض على الرسولين بأمر إمبراطوري قبل موتهما بسنة كان سببه بالتأكيد كسرة الساحر المفجعة الذى كانت له حظوى عظمى عند نيرون ..

وإذاً كانت مدة حضوره فى كنيسة هذه المدينة (روما) هكذا قصيرة محدودة بسنتي نيرون الأخيرتين . وإذا كان المقصود من حضوره على الخصوص محاربة سيمون الساحر فإذا ذلك لا يجعله أن يصير الأسقف الخاص لعاصمة المملكة الرومانية وبالتأكيد فإنه فى مدة اثني عشر أو أربعة عشر أشهراً التى عاش فيها بحريته قبل أن يطرح فى السجن مارس الخدم الأسقفية فى الكنيسة الرومانية معلماً قواعد الإيمان وموزعاً الأسرار ولا تجد صعوبة فيما أنه رضي أن يعظ فى رومة فى الديماس ويجلس على كرسي من خشب (كاثذرا) كما فعل ذلك فى أنطاكية وكورنثوس وفى كل الأماكن الأخرى التى مرَّ فيها . لا نجد أبداً إقل صعوبة أنه رضي أن يعمد فى نهر تيبر كما عمد يوحنا فى الأردن لكن ذلك لا يجعله أن يصير أسقف رومة الخصوصي ، كما أنه لم يجعله أن يكون أسقف أنطاكية الخصوصي أو كورنثوس أو المدن الآخرى التى أجرى فيها الوظائف الأسقفية " [١٢٢]

أما قول إبن خلدون بأن بطرس نزل برومة دار ملك القياصرة ولم يُحدِّد زمن نزوله فنحن نعترف بأن بطرس نزل بروما قبيل استشهاده ، وأيضا قول المقريزى صحيح وهو أن بطرس سار إلى أنطاكية وورومية ولكن لم يقل أنه أسَّس كرسيه فى روما ، وقال أوريجانوس بأن بطرس الرسول ذهب إلى روما فى أواخر حياته لمقاومة سيمون الساحر { أن مار بطرس بعدما كرز بالإنجيل فى بلاد بنطس وغلاطية وبيثينية وكبادوكية وآسيا ذهب أخيراً إلى رومة حيث صُلب منكس الرأس } (راجع تفسيره سفر

[١٢٢] المرجع السابق جـ٢ صـ١٤٤-١٥٣ .

التكوين) "[123]، وقال القديس مكاريوس " أن بطرس صُلِب فى روما بعد أن زارها لمدة خمسة شهور لتفقد المسيحيين هناك أبان إضطهاد نيرون القاسى الشديد .. قيل أيضا أن المسيحيين شجعوه على الإبتعاد عن روما ، وأنه أخذ سبيله ذات مساء إلى طريق إبيان الشهير وظل سائراً الليل كله ، ولكنه فى الصباح الباكر عند شروق الشمس أبصر شخصاً مهيباً أمام عينيه وإذا عرف أنه المسيح صاح إلى أين يا سيدى ؟ وجاء الجواب { أن لي تلميذاً كان هناك ثم هرب وأنا ذاهب لآخذ مكانه وأصلَب مرة ثانية عنه } فصرخ بطرس : لا يا سيد . أنا عائد . وعاد ليموت مصلوباً وعندما أرادوا أن يصلبوه قال : أنه شرف لا أستحقه أنا أن أموت مثل سيدى ، ولكنى أرجو أن أصلَب وقدماى إلى أعلى ورأسى إلى أسفل لأنى أضأل من أن أكون كسيدى ، ونظر إلى روما وهو يقول : يا روما . عما قريب تتحولين أيتها الهياكل الوثنية المتعالية إلى معابد للمسيح ، وقال للجماهير المحتشدة أن أولادكم سيكونون خداماً للمسيح " [124]

ثانيا : كرازة بولس الرسول فى روما

بما أن مدينة روما من المدن الأممية فهى إذاً تقع فى إختصاص بولس الرسول بحسب قوله للآباء الرسل يعقوب وبطرس ويوحنا " وعرضت عليهم الإنجيل الذى أكرزُ به بين الأمم .. وأعطونى وبرنابا يمين الشركة لنكون نحن للأمم وأما هم فللختان " (غل٢: ٢-٩) . بل أن السيد المسيح هو الذى أرسل بولس الرسول إلى الأمم " فقال لي أذهب فإنى سأرسلك إلى الأمم بعيداً " (أع٢٢: ٢١) بل هو الذى أرسله إلى روما بالذات " وقف بي الرب وقال ثق يابولس لأنك كما شهدت بما لي فى أورشليم هكذا ينبغى أن تشهد فى رومية أيضا " (أع٢٣: ١١) .

وقد يتسأل البعض أنه بالرغم من أن بولس الرسول لم يذهب إلى روما حتى كتابته الرسالة إليهم فكيف نالوا الإيمان بالمسيح ؟ فيقول سيادة الأنبا اغناطيوس برزى " أما قول الرسول بولس لأهل رومية { أنى أشكر إلهي بيسوع المسيح من أجلكم أجمعين

---

[123] قيام الأرثوذكسية الحقيقية على الاعتصام بكاتدرا بطرس الرومانية صـ٦٨ .

[124] بطرس الرسول هل هو رئيس الكنيسة ؟ للقس بولس عطية باسيليوس صـ٣٣ .

على أن إيمانكم يبشر به فى العالم كله } (رو١: ٨) وأيضاً .. (رو١٥: ١٤) فقل ناشدك الله من أين للرومانيين هذا الإيمان العظيم ؟ .. هل يا ترى كان سبق بولس وبشرهم بالإنجيل ؟ كلا فإنه قال صريحاً { أنه كثيراً ما قصد أن يأتيهم فمنع إلى الآن } (رو١: ١٣) فأى رسول إذاً أتاهم ببشرى الخلاص وملأهم من البركات الإنجيلية ؟ قل أن الرسول بطرس هو الذى بشّرهم بالإنجيل " [125]

ونحن نعيد القول بأن الذين تشتّتوا من جراء الضيق الذى حدث بسبب استشهاد استفانوس ذهب بعضهم إلى روما وبشّروهم بالإيمان ، بالإضافة إلى أن معلمنا بولس الرسول أثناء بشارته فى مدن آسيا ومقدونية وأخائية نال بعض سكان روما الإيمان على يديه ، وهذا واضح من طريقة السلام عليهم فى الأصحاح الأخير من رسالته إلى رومية .

وظل معلمنا بولس الرسول يكرز فى روما سنتين " وأقام بولس سنتين كاملتين فى بيت أستأجره لنفسه . وكان يقبل جميع الذين يدخلون إليه . كارزاً بملكوت الله ومعلماً بأمر الرب يسوع المسيح بكل مجاهرة بلا مانع " (أع٢٨: ٣٠،٣١) ولذلك يعترف كل آباء الغرب بان الذى أسّس كنيسة روما هما بطرس وبولس ، ونحن نقول لهم نعم من الثابت أن بولس الرسول هو الذى أسّس كنيسة روما ، ولكن معلمنا بطرس الرسول لم يذهب إلى روما إلاّ قبيل استشهاده .

ثالثاً : تقدم كنيسة روما

يقول الأخوة الكاثوليك بما أن بطرس كان رئيساً للرسل وله الولاية على الكنيسة ككل فبالتالى يجب أن يكون لخليفته أسقف روما الولاية على الكنيسة ككل فيقول الأنبا اغناطيوس برزى " ولا تظنوا أن الكنيسة القبطية قد أكتفت بذكر كل هذه الحقائق بل أنها أثبتت بلفظ صريح فى سنكسارها وجود الكرسي البطرسي فى رومة . اسمعوها تنادى على مسامع الشعب فى ٧ أبيب قائلة أثناء القداس " فى هذا اليوم نال أكليل

---

[125] قيام الأرثوذكسية الحقيقية على الاعتصام بكاتدرا بطرس الرومانية صـ١٤،١٥.

الشهادة لينوس بابا روما أول خلفاء بطرس " [١٢٦]

ويرجع الأخوة الكاثوليك تقدم كنيسة روما ورئاستها على كنائس العالم إلى استشهاد الرسوليين العظيمين بطرس وبولس بها . قال القديس لاون فى عظته على استشهاد الرسولين بطرس وبولس " ذلكما هما أبواك يا رومة اللذان بواسطتهما قد أضاء نور الإنجيل فى ديارك .. فذلكما هما اللذان بلغا بك قمة المجد .. فقد دان لسلطانك الروحى ما لم تستطيعى أن تتسلطى عليه بحكمك الزمنى .. كما ترون أن بطرس وبولس هما أبوا الكنيسة الرومانية ولكن كرسيها الأسقفي قد خُصَّ ببطرس وحده وبه صارت رومة رأس العالم المسيحى كله فتدير الكنائس بأجمعها بسلطة رئاستها .. أن كليهما (بطرس وبولس) كرسا الكنيسة الرومانية المقدسة للمسيح الرب وجعلاها متسامية فوق جميع كنائس العالم لداعى حضورهما فى رومة واستشهادهما المجيد بها " [١٢٧]

ويقول الأب مكسيموس كابس " أن المكان الذى استشهد فيه المؤسِّس هو الذى يحمل اسمه . فلقد استشهد مرقس فى الإسكندرية فحملت الإسكندرية اسمه رغم أنه كان فيها مسيحيون قبل وصوله ورغم أنه بشر فى غيرها من المدن وهكذا حملت روما لقب كرسي بطرس لأنه نال الشهادة بها رغم أنه أسَّس كنائس أخرى غير مدينة روما " [١٢٨]

وقال القس فيلبس النائب البابوى فى مجمع أفسس المسكونى فى الجلسة الثالثة " ليس من يرتاب بل بالحرى جميع الأجيال تعلم أن القديس بطرس الكلي الطوبى رئيس الرسل ورأسهم وعمود الإيمان وأساس الكنيسة الكاثوليكية .. هذا عينه لا يزال حياً للآن ولن يزال دائماً يحيا ويحكم فى شخص خلفائه." [١٢٩]

كما يقول الأخوة الكاثوليك أن أقوال الأباء القديسين تؤيد هذا ، فمثلاً القديس ايرونيموس سنة ٢٧٥م يقول { وأما أنا إبتغاء أثار المسيح والسلوك فى منهج الخلاص فإنى فى شركة طوباويتكم . أعنى مع كرسي القديس بطرس وأعترف أن الكنيسة قد شُيِّدت على هذه الصخرة فكل من ادعى وأكل الحمل خارجاً عنها فهو نجس .. ومن لم

---

[١٢٦] المرجع السابق صـ٧١ .

[١٢٧] المرجع السابق صـ٣٥،٣٦ .

[١٢٨] إيماننا القويم جـ١ صـ٨٦.

[١٢٩] الرئاسة البابوية صـ١١٩،١٢٠.

يكن فى سفينة نوح فهو هالك ، فالكنيسة قد إنقسمت إلى ثلاثة أحزاب وكل منهم يفــرغ جهده ليضمني إليه ، وأما أنا فأناديهم صارخاً فيهم من منكم مع كرسي بطــرس فأنــا معه } " [١٣٠] (وقد أورد نفس النص الأب مكسيموس كابس فى كتابه إيماننــا القويــم جــ١ صــ٨٨) .

ويوردون قول القديس امبروسيوس (٣٤٠-٣٩٧) {أن الكنيسة حيــث بطــرس} (تفسير مزمور ٤٠: ٣) [١٣١] وقول القديس كبريانوس سنة ٢٥٠ فى كتاب وحدة الكنيسة الفصل الثانى{ قد أقام (السيد المسيح) كرسياً واحداً ووضع مبدأ الوحدة وأساســها فــى واحد لا غير . قد تسلَّم بطرس زمام النصرانية وأعطى الرياسة حتى لا يكون إلاَّ كرســي واحد وكنيسة واحدة ، فلا يظن من نبذ هذه الوحدة أنه متمسك بالإيمــان المســتقيم ولا يغرر بنفسه أنه فى حظيرة المسيح من قاوم الكنيسة وانفصل عن الكرسي البطرســي .. أنكم إن إنفصلتم عن كرسي بطرس مبدأ الوحدة واساس الكنيسة فباطلاً تقولون وعبثــاً تتفاخرون بأنكم من كنيسة الله } " [١٣٢]

كما يذكرون قول القديس أثناسيوس " أن بابا روما هو بابا الكنيسة الجامعــة وأن الكنيسة الرومانية هى أم ومعلّمة كــل الكنــائس فــى العــالم " [١٣٣] وقــول القديــس غريغوريوس النزينذى بطريرك القسطنطينية " أن الطبيعة لم تتحفنا بشمســين ولكنــها منّت علينا برومتين (روما والقسطنطينية) إحداهما يضئ نورها فى المشــرق والثانيــة ترمى باشعتها الباهرة فى الغرب . فهما درتان متضاهيتان بهاءً وجلالاً كأنهما كوكبــان تألقاً وسناء ، وأما حظهما فى الإيمان فليس كذلك فإن إيمان رومة القديمة كــان دائمــاً بغير عيب وفساد ولن يزال فى غاية النقاوة والضياء ، فلــها وحدهــا أن تجمــع فــى وحدانية الإيمان ومنهج الخلاص الكنائس المتزعزعة الأركان المفتقرة إلى الثبات لأنــها قابضة بيدها على أزمة سلطان العالم بأسره ، وأما رومة الجديدة فهى على عكس ذلــك أم الأضاليل ومنبع الشقاق " [١٣٤]

---

[١٣٠] مرشد الأرثوذكسي الكاثوليكى صــ١٨،١٩ .

[١٣١] الرئاسة البابوية صــ٨٦ .

[١٣٢] مرشد الأرثوذكسى الكاثوليكى صــ١٧ .

[١٣٣] إيماننا القويم صــ٨٨ .

[١٣٤] قيام الأرثوذكسية الحقيقية على الإعتصام بكاتدرا بطرس الرومانية صـــ ٤٨ .

كما يذكرون أن القديس كيرلس البطريرك السكندرى قال " لا ريب عند أحد بل أنه معلوم فى كل الدهور أن القديس بطرس الجزيل الطوبى مقدام الرسل ورأسهم وعمود الإيمان وأساس الكنيسة الجامعة قد تسلّم من سيدنا يسوع المسيح مخلص الجنس البشرى ومنقذهُ مفاتيح ملكوت السموات ، وأعطى السلطان على حل الخطايا وربطها وهو يحكم بواسطة خلفائه بالرب ، وضابط مكانه البابا القديس والجزيل الطوبي سلفينوس الأسقف قد أرسلنا نيابة عنه إلى هذا المجمع المقدس } " [١٣٥] وقال أيضا " ما من مصيبة نخشاها وما من بلية نتحاشاها أكثر من إنفصالنا عن شركة الكنيسة الرومانية فهى سفينة الخلاص وأورشليم المقدسة فما من أحد يأكل الحمل السماوي خارجاً عنها إلاَّ ويصير نجساً . هى الكرمة التى تعطى للأغصان غذاءها ونضارتها . هى المُعلّمة التى أقامها الله لتكون مستودع التعليم الخلاصية والبحر الزاخر الذى يستقى منه ماء الحياة الصافى } " [١٣٦]

ويذكرون أيضاً قول يوحنا أسقف أنطاكية الذى تولى بطريركية القسطنطينية " أتعلمون لماذا يذوب قلبى حباً لروما ؟ إليكم السبب لأن هذه المدينة هى أشبه بجسم قوى طويل القامة له عينان كأنهما سراجان لامعان أقصد بذلك جسدى الرسولين بطرس وبولس . أن السماء الساطعة بأشعة الشمس ليست بأشد ضياء من رومة المستضيئة بمنارتين منيرتين على العالم بأسره . فمن رومة خُطِف بولس إلى السماء ، ومن رومة طار بطرس إلى ربه ، فضعوا نصب أعينكم هذا المشهد المحفوظ لنظر رومة التى رأت بطرس وبولس منتقلين لملاقاه ربهما . فما أجمل الوردة التى يتناولها الرب من يد رومة ؟! وما أثمن التيجان التى يعصب بها جبين المدينة المقدسة ؟! ، وما أبهى الزنار الذهبى الذى يشد وسطها ؟! .. فها كم ما يجعلنى أن أهيم غراماً وأتيه عجباً برومة ، فلا كنوزها ولا اساطين قصورها ولا كل مجدها يشغل فكرى ويلفت نظرى ، فكفاها مجداً كونها استولت على عامودي الكنيسة (بطرس وبولس) " [١٣٧]

توضيح :

ناقشنا من قبل قضية رئاسة بطرس الرسول على إخوته الرسل وعلى الكنيسة

---

[١٣٥] مرشد الأرثوذكسي الكاثوليكى صـ١٧، ١٨ .

[١٣٦] قيام الأرثوذكسية الحقيقية على الإعتصام بكاتدرا بطرس الرومانية صـ٨ .

[١٣٧] المرجع السابق صـ٥٢، ٥٣ .

العامة وأوضحنا عدم صحة هذه الدعوى وأن الذى أسَّس كنيسة روما هو معلمنا بولس الرسول ، وهذا ما اعترف به الأخوة الكاثوليك غير أنهم ضموا إليه بطرس وتمسكوا بهذا بهدف الحفاظ على الرئاسة والزعامة . أما خليفة بطرس أو بولس فمثله مثل خليفة أى رسول من الرسل الأطهار ، وسنكسار كنيستنا يوم ٧ أبيب أورد فقط نياحة الأنبا شنودة رئيس المتوحدين وشهادة القديس أغناطيوس أسقف أنطاكية " وفى مثل هذا اليوم أيضا استشهد القديس اغناطيوس (ذكرت سيرته فى اليوم الرابع والعشرين من شهر كيهك) فى رومية سنة ١٠٧م هذا الذى انتخبوه أسقفاً على أنطاكية بعد القديس بطرس الرسول " [١٣٨]

والحقيقة أن وراء رئاسة روما أهداف سياسية ، فأساقفة روما لم يرضهم أن يكون أسقف العاصمة الإمبراطورية مثله مثل أى أسقف لمدينة بسيطة ، وعندما بنى قسطنطين مدينة القسطنطينية وجعلها عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية شعر باباوات روما بأن مجد المدينة قد تضاءل ، فأرادوا إستعادة هذا المجد فى صورة رئاسة بابا روما كقول لاون " فقد دان لسلطانك الروحى (ياروما) ما لم تستطيعى أن تتسلطى عليه بحكمك الزمنى ".

ولو إفترضنا جدلاً بأن بطرس كان رئيساً للرسل ونائباً للسيد المسيح ، فهل معنى هذا أن جميع باباوات روما يرثون هذه الإمتيازات ؟!

وهل ورث هؤلاء الباباوات من بطرس الرتبة الرسولية التى تخصَّه شخصياً ؟!

وهل جميع باباوات روما على نفس الدرجة من الأمانة والشهادة والكرازة والقداسة التى كانت لبطرس ؟!

وهل هذا يعود بنا إلى كهنوت العهد القديم وتوارثه فى نسل هارون ولو بصورة أخرى ؟!

ولو كان هناك شخصاً مميزاً بصفته الشخصية فهل معنى هذا أن خليفته ينال نفس التمييز بغض النظر إلى كفاءته ؟!

وما رأيك فى قول بطرس الرسول عن مرقس الإنجيلى "مرقس ابنى" (١بط٥: ١٣) أليس من الأولى أن يرث الابن أباه ؟!

فهل معنى هذا أن مرقس الإنجيلى هو الوريث الشرعى لبطرس الرسول ؟

وهل باباوات الإسكندرية بهذا يعتبرون خلفاءاً لمرقس خليفة بطرس وبالتالى تكون لهم

---

[١٣٨] السنكسار جـ٢ طبعة مكتبة المحبة سنة ١٩٧٩م صـ٢٩٤.

الرئاسة على العالم كله ؟! .. صدقونى لا بطرس الرسول ولا مرقس الإنجيلـــى يوافــق على هذا لأن هذا لا يرضى مخلصنا الصالح .

وعندما إستشهد بطرس الرسول سنة ٦٧م وصار خليفته الثالث اكليمنضس رئيســاً على الكنيسة كلها بحســب قولهم . بينما ظل يوحنا الحبيب حيّاً بعد ذلك لمــدة ثلاثيــن عاماً . فهل كان أسقف روما رئيساً على يوحنا الحبيب أحد أعمدة الكنيسة الثلاث ؟!

وإن كان الأخوة الكاثوليك يعترفون بأن بطرس الرسول أسّس كرسي أنطاكيـــة أولاً قبل كرسيهم فلماذا لا تكون الرئاسة لأسقف أنطاكية على كنائس العالم كله ؟!!

أما الذين يبرّرون رئاسة روما بسبب إستشهاد الرسولين العظيمين بطرس وبولس ، فما بالك يا صديقى بأورشليم مدينة الملك العظيم .. المدينة التى عــاش فيــها الــرب يسوع أثناء فترة تجسده فشهدت ميلاده وطفولته وصبُوته وشبابه وكرازته ومعجزاتـــه وصلبه وقبره وقيامته وظهوراته وصعوده .. المدينة التى بها القبر المقدس الذى يسطع بالنور الإلهى للآن كل عام فى سبت النور .. كنيسة أورشليم التى قال عنها الآباء أنــها " أم الكنائس " هل تخضع أيضاً لكنيسة روما ؟! أليس بــهذا المقيــاس نرفــع بطــرس وبولس فوق يعقوب أخا الرب بل فوق الرب يسوع ذاته ؟!!

وقول القس فيلبس فى مجمع أفسس بأن بطرس ما زال حياً فهذه حقيقة لأنه لا مــوت لعبيدك بل هو انتقال .

أما قوله بأن بطرس ما زال حياً وما زال يحكم فى شخص خلفائه فهو قول غـــير مقبول ولا يوافق عليه معلمنا بطرس الرسول لأنه لم يسعَ هو للحكم والرئاسة ، وأيضــاً ليس كل خلفائه بالأتقياء القديسين بل أن بعضهم انحط فى شره إلـــى درجــات تفــوق التصوُّر .

أما الآباء الذين مدحوا كنيسة روما وإيمانها فجميعهم كانوا قبل حدوث الانشـــقاق فى الكنيسة سنة ٤٥١م بسبب مجمع خلقيدونية ، فمثلاً ايرونيموس رجل مـــن رجــال الكنيسة الغربية تربى فى روما وكان قساً بها وكادوا ينتخبونه بابا بعد البابا داماســوس ، وعندما تكلم عن إنشقاق الكنيسة إلى ثلاثة أحزاب سنة ٢٧٥م كان يقصد الهراطقـــة الذين خرجوا من الكنيسة ولم يقصد بالطبع كنائس الإسكندرية وأنطاكية وغيرها .. أنظر إلى قوله الآتى " أننا لا يجب أن نعتبر كنيسة روما سوى كنيسة من كنائس العالم . فإنه حيث يكون أسقف سواء كان فى رومية اوغوبيون أو القسطنطينية أو فى ريكيون أو فى

الإسكندرية أو فى طانيَة له القدر عينه والكهنوت نفسه ، فلا قوة الغنى ولا دناءة الفقر تجعل الأسقف سامياً أو حقيراً لأنهم جميعاً خلفاء الرسل " [١٣٩]

وقول امبروسيوس " أن الكنيسة حيث بطرس " قول مبتور .. هل يقصد إيمان بطرس بألوهية السيد المسيح ؟ إن كان الأمر هكذا فهو مقبول ، وبالمثل نقول أن الكنيسة حيث بولس ، وحيث مرقس ، وحيث الأسقف المسيحى الأمين ، وحيث الكاهن المستقيم الإيمان . أما أن أخذنا المعنى على أن الكنيسة حيث بطرس كشخص فهل صار بطرس عريساً للكنيسة ؟!

ألعله هو الذى مات وفداها بالدم الكريم وخلصها من قبضة الجحيم وسلطان الشيطان ؟!

ألعله هو الذى ذهب ليعدَّ لها مكاناً فى الملكوت ؟!

والوحدة التى تكلم عنها القديس كبريانوس بلا شك نحن نتمسك بها فى شخص المسيح الواحد . كما يجب أن نلاحظ يا صديقى أنه يتحدث عن هذه الوحدة سنة ٢٥٠م أى قبل إنشقاق الكنيسة ، والعلامة ترتوليانوس يقول " أن الأمم تقلَّدوا التعليم المسيحي من الرسل ، والرسل تقلدوه من الروح القدس الذى علمهم الحق .. وشادوا (الرسل) فى كل من المدن التى بشروا فيها هذه الكنائس (الرسولية) التى استلمت منها بعدئذ الكنائس الأخرى .. أن هذه الكنائس التالية هى محسوبة ذاتها رسولية بقدر كونها (نازلة) متعاقبة من الكنائس الرسولية ، لأن كل فرع مشارك بالضرورة لطبع أصله .. كل الكنائس (الأصلية والفرعية) هى أولى وكلها رسولية " [١٤٠]

ويقول كيرلس مقار أن " القديس كبريانوس لما قال أن الكنيسة الرومانية هى الأرومة والأمومة للكنيسة الكاثوليكية (رسالة٤٥) وأن الكنيسة الأصلية هى التى تفيض وحدة الكهنوت (رسالة ٥٦) .. كل الكنائس الرسولية كانت كنائس أمهات وأرومات وأن كل الكنائس الرسولية هى واحدة .. أن الكنيسة الرومانية ليست الأصل والأمومة لكنيسة أورشليم وباقى كنائس الأرض المقدسة التى هى العنصر الأول للكنيسة الجامعة كما أعلنه ترتوليانوس ذاته . فليست مطلقاً (الكنيسة الرومانية) الأصل والأمومة لمعظم كنائسنا الشرقية التى هى كلها رسولية والتى وُجدت قبلها بزمن طويل . أليس باطلاً الإدعاء بأن الكنيسة الرومانية هى أصل وأم الكنائس التى وجدت قبلها وبدونها ..

---

[١٣٩] تاريخ الانشقاق جـ١ صـ١٤١.

[١٤٠] الوضع الإلهي في تأسيس الكنيسة صـ٢٠٢-٢٠٣ .

وبالتالى أنه من الواضح أن الكنيسة الكاثوليكية فى الغرب هى التى تفرعت من الكنيسة الرومانية وعلى الخصوص الكنيسة الكاثوليكية الأفريقية كما يشهد بذلك البابا اينوشنسيوس الأول . فإذاً إلى هذه الكنيسة الغربية كان يشير القديس كبريانوس بقوله . أن الكنيسة الرومانية هى أصل ومصدر الكنيسة الكاثوليكية " [١٤١]

كما يذكر كيرلس مقار قولين لكبريانوس وفرميليانوس عن اسطفانوس بابا روما فيقول " قدم القديس كبريانوس إلى الكورنتس هذه الملحوظة { أن بطرس الذى أختاره الرب الأول عند حصول جدل له مع بولس بسبب الختان لم يظهر بمظهر قليل أدب ولم يدع بقحة أنه مُتَقلد الأولَية وأن الذين أتوا فى الرسولية متأخراً يلزمهم الخضوع له } .. أن القديس فرميليانوس يعرف تماماً أن اسطفانوس كان يفاخر بشرف مركزه .. ومع ذلك فإليك أية عبارات تكلم بها عن هذا البابا وعن تصرفه من نحو القديس كبريانوس .. { قد ابى أن يقبل رسلكم وبأبسط عبارة قد منع كل الرومانيين من قبولهم فى بيوتهم ، مع أن هؤلاء الناس أتوا بنيات صالحة ، فوضح لهم أنه يرفض لا الصلح والشركة بل أيضاً حمى الضيافة .. عدم إنسانيته صارت السبب لكوننا نستدل على إيمانكم وحكمتكم وفى الإمكان أن يقال أنه لم يجد سبباً يجعله أن يصنع لنا خيراً إلا تصرفه على قياس يهوذا الذى ما امكنه أن يمجد ذاته بسبب غدره لربنا . وعلة خيانته أعطت فرصة لخير عظيم وهو خلاص العالم . ولكن فلندع اسطفانوس وما فعله لئلا ذكرى جسارته وقلة أدبه تجدد الألم الذى فينا من نحو سوء تصرفه } (رسالة ٦٥ لكبريانوس وفيرميليانوس) " [١٤٢]

وإن كان أثناسيوس الرسولي يمتدح بابا روما والكنيسة الرومانية إلاَّ أنه لا يقصد رئاستها على بقية الكنائس الرسولية بدليل أنه كان يتصرف بدون الرجوع إلى بابا روما ، فلو كان خاضعاً لبابا روما فما كان يتصرف بدون استشارته واستئذانه ، وعلى سبيل المثال نذكر الأمور الآتية التى تؤكد استقلالية كل كنيسة رسولية (راجع تاريخ الأنشقاق للأرشيبندريتي جراسيموس مسرَّة اللاذقى جـ١صـ١٢٦-١٣٨) :

١-عندما أعاد قسطنطين أريوس رفض أثناسيوس قبوله ولم يلجأ للبابا ليستصدر منه أمراً برفض أريوس .. فلو كان هناك سلطة علمة لبابا روما أما كان يعرض

---

[١٤١] المرجع السابق صـ٢٠٥-٢٠٧ .

[١٤٢] المرجع السابق صـ٢٥٦-٢٥٧ .

أثناسيوس الأمر عليه أولاً ؟

٢-إشتكى الأريوسيون أثناسيوس للإمبراطور الذى فحص بنفسه شكواهم ولم يلتفت إلى قرار مجمعهم الذى عقدوه فى أنطاكية وخلعوا فيه أثناسيوس ، وفى هذا لم يعترض بابا روما ، ولو كان بابا روما رئيساً عاماً للكنيسة فلماذا لم يشكو له الأريوسيون أثناسيوس ؟! ولماذا لم يستشره الإمبراطور ؟!

٣-عندما حكم مجمع صور على أثناسيوس لجأ أثناسيوس للإمبراطور ولم يلجأ إلى بابا روما .. لماذا ؟!

٤-عندما نفى أثناسيوس إلى تريف لم يشكو ظلمه لبابا روما .

٥-عندما أجبر الإمبراطور بطريرك القسطنطينية الكسندروس على قبول أريوس لم يلجأ إلى بابا روما يحتج لديه . إنما دخل الهيكل واحتمى بالله ولم يلتمس الحماية من بابا روما .

٦-عندما أعاد قسطنطين الصغير أثناسيوس من منفاه بعد موت والده قسطنطين الكبير وحسب وصيته لم يستأذن من بابا روما فى عودة أثناسيوس إلى كرسيه .

٧-عندما حاول حزب أريوس استمالة يوليوس بابا روما ، كتب يوليوس لأثناسيوس يخبره بشكاوى الأريوسيّين ضده ، فعقد أثناسيوس مجمعاً بالإسكندرية وردُّوا على بدع الأريوسيّين فى منشور أرسلوه لأساقفة الكنائس المختلفة ولم يُرسَل لبابا روما رغم أنه كان هو السبب فى هذا الإجتماع ، وفى هذا لم يغضب بابا روما مطالباً بحقه كرئيس على الكنيسة ككل ، وعندما أرسل أثناسيوس سفراءه إلى روما وكان هناك سفراء الأريوسيين لم يتحاكما الإثنان أمام البابا ، ولم يقيما البابا حكماً بينهما بل طلبا بعقد مجمع فسمح بابا روما لهما بهذا .

٨-يشهد القديس أثناسيوس فى رسالته إلى الأنطاكيين " أن الكنيسة فيها رؤساء كثيرون متساوون فى الكرامة يقودهم رئيس واحد ربنا يسوع المسيح " [١٤٣]

٩-كتب أثناسيوس للمتوحدين يقول " أن مشايخ الشعوب ومعلمى الإيمان يُطرَدون ، والكفرة يدخلون الكنائس ، فلما نُفى ليباريوس أسقف رومية وكابد أوسيوس <u>العظيم أبو الأساقفة</u> ما يكاد لا يُحصى.. " [١٤٤] فبينما ذكر أثناسيوس ليباريوس أسقف روما بدون <u>تعظيم ولا تفخيم</u> وصف أوسيوس <u>بالعظيم وأبو الأساقفة</u> ، فلو

---

[١٤٣] فى رسالته إلى الانطاكيين . وذوسيثارس ١: ١٧ – أورده تاريخ الانشقاق جـ١ صـ١٣٦ .

[١٤٤] تاريخ الانشقاق جـ١ صـ١٣٦.

كان ليباريوس زعيماً ورئيساً للجميع أما كان يكرمه مثل أوسيوس أو أكثر ؟!

١٠-كتب أثناسيوس أيضا فى كتابه للمتوحدين : أن البابا ليباريوس طلب إلى القيصر أن يجمع مجمعاً ، وأن البابا الرومانى ليباريوس سقط فى الأريوسية وأمضى عليها أما الأسقف اوسيوس قال للملك " أن الله سلَّمك مملكة وائتمنَّا نحن على الكنيسة " (ولم يقل له أن الله إئتمن بابا روما فقط على الكنيسة) .

١١-وصف البابا أثناسيوس فيلكس أسقف روما خليفة ليباريوس بأنه هرطوقى ، وأنه شُرطن من اثنين من الأساقفة فى أحد البيوت ، ويقول " أن جنون الهراطقة قد أقام واحداً إسمه فيلكس أسقفاً على كنيسة رومية عوضاً عن ليباريوس ، وقد حلَّ عليه جزاء من عند الله فإنه أولاً فقد بصره وكان يعترف بأن الغضب الإلهى جاءه بحق . ثم أصيب بمرض وبائى مدة فانحلَّ ومات " [١٤٥]

يقول كيرلس مقار :

" أضع أمام العيون ترجمة لاتينية لفقرة القديس غريغوريوس النازينزى حيث قال فيها عن القسطنطينية { المدينة التى لا نظير لها فى العالم التى تتصل بها جميع المراكز البعيدة من الكرة والتى منها أخذ الكل مبدأه بصفة كونها مخزن الإيمان العام } (خطب النازينزى: ٣٢) .. فهل هذا يعطينا الحق أن نستدل من ذلك على أن رومة الجديدة هى مركز سلطانة المسيحية الروحية وأنها مركز شركة الأرثوذكسية الجامعة ؟ " [١٤٦]

فإذاً فى القرون الأولى لم يعتقد أحد برئاسة بابا روما ولا البابوات أنفسهم طالبوا بأن يكونوا رؤساء للكنائس أما أقوال البابا كيرلس عمود الدين فلنا عودة معها فى النقطة القادمة ، ويسرُّنا أن نختتم هذه الجزئية برد البطريرك الكاثوليكي العائد إلى أصله الأرثوذكسي حيث يقول :

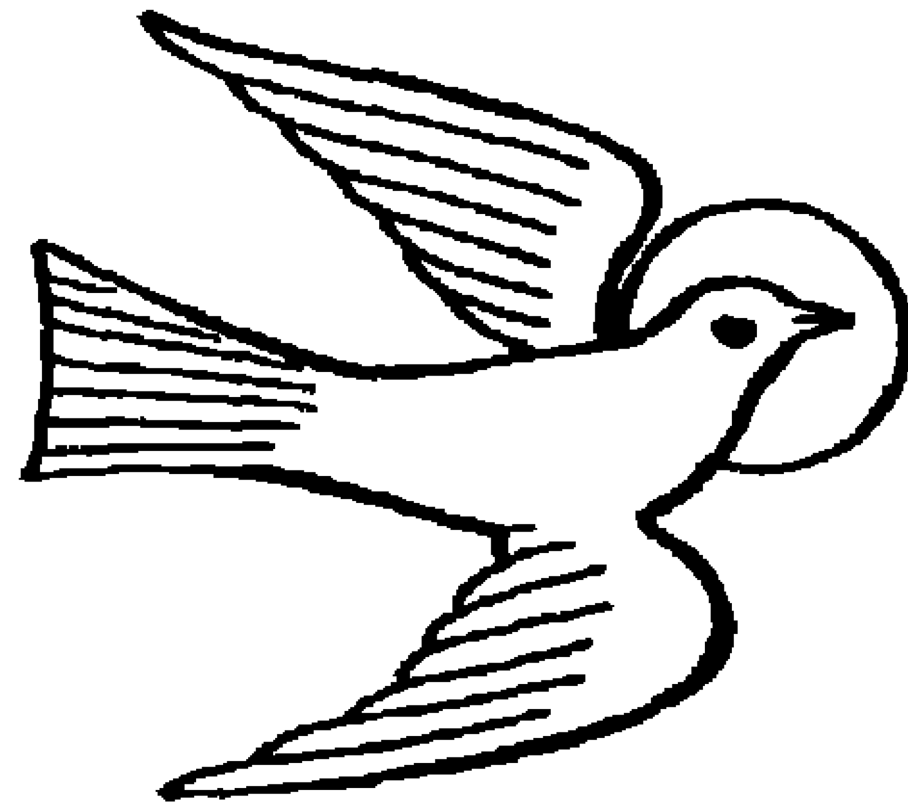
" ومن المؤكد أنه فى الوقت الذى ترى فيه قديماً رومة وإسكندرية وأنطاكية أصبحت ثلاثة مراكز أولي لكل الكنيسة ترى فى نفس الوقت كنيسة أورشليم خاضعة لمركز قيصرية بصفة كونها مركز مطرانيتها (راجع مجمع نيقيا قانون ٧،٦) لماذا وُضِعت المدينة المقدسة لقيادة مدينة أخرى فى وسط بلاد الختان ؟ بالتأكيد أن السبب

---

[١٤٥] ذوسيثاوس ١: ١٧ – أورده تاريخ الانشقاق جـ١صـ١٣٨.

[١٤٦] الوضع الإلهي ف تأسيس الكنيسة صـ٢٣٢ .

لذلك ليس هو انحطاطاً ذاتياً خُصّص لها بالنظر إلى قيصرية لأن جانب أورشليم بالنسبة للوضع الإلهي هو أنه أصل ومركز المسيحية المكان الذى أُكملت فيه كل أسرار سلامنا وعاصمة مملكة يسوع المسيح ملك إسرائيل ومنشأ كل الكنيسة .. فالسبب الوحيد الذى خُضِعت به المدينة المقدسة فى النظام الكنسي لقيصرية كأنها البلد الأم لها هو من جهة نظام فلسطين السياسي المعمول من الإمبراطورية الرومانية في وقت تسلطها .. وبهذا السبب ذاته حصلت قسمة الكنيسة العمومية إلى ثلاث بطريركيات وتحديد درجاتها المعتبرة لأن الحكومة الرومانية كانت حينئذ ثلاث ولايات مدنية ، ولاية الغرب وعاصمتها رومة ، وولاية مصر وعاصمتها إسكندرية ، وولاية الشرق وعاصمتها كانت أنطاكية وبين هذه المدن الأساسية الملكية رومة وقد امتازت بأول درجة بصفتها مركز الإمبراطورية وتليها فى الرتبة الثانية الإسكندرية .. أن المجمع الخلقيدونى لنهى هذا الموضوع بكلمته الأخيرة فقد سجّل هذا البند الذى هو الـ١٧ من قوانينه المجمعية قائلاً { إن كانت قد تجددت أو ستجدد فيما بعد مدينة من سلطة ملكية فليكن ترتيب الأبروشيات الكنسية تابعاً لصفة الحكومة المدنيَّة } .. قال المجمع المسكونى الثانى فى القانون الثالث { وأما أسقف القسطنطينية فلتكن له أولية الكرامة بعد أسقف روما بسبب كون (أرجوك أن تلاحظ ذلك) القسطنطينية هى رومة الجديدة } .. هذه الأولّية ليست وضعاً إلهيا بل وضع كنسي من أصل بشرى بحت فنقول أن الأباء (لا يسوع المسيح) أعطوا التقدم لكرسي رومة القديمة بما لها فى الأصل من الأولّية فى الكنيسة ، وأن أصل هذا الأمتياز الوحيد هو أنها المدينة المالكة وبذلك فقط نالت التقدم على إسكندرية وعلى أنطاكية " [١٤٧]



[١٤٧] المرجع السابق جـ٢ صـ١٧١-١٧٥ .

رابعاً : هل أقرت المجامع المسكونية رئاسة بابا روما ؟

يقول الأخوة الكاثوليك أن المجامع المسكونية عُقدت برئاسة بابا روما بدليل الآتى :

أولاً : مجمع نيقية إنعقد بأمر سلفستروس بابا روما وتحت رئاسته ممثلاً فى شخص نوابه هوسيوس أسقف اسبانيا وفيتون وفنسان الكاهنين الرومانيّين (راجع الرئاسة البابوية صـ٩٧،٩٨) . هذا فضلاً عن أن المؤرخين اليونانيّين سقراط وسوزومان يقرّران " أنه كان يوجد عند إنعقاد المجمع النيقاوى قانون كنائسي ينهى عن إصدار أى قانون أو أمر من غير مصادقة أسقف روما عليه" (رور بلكر ج٣ص٨٧) " وإلاّ فهو باطل وليس له قوة التنفيذ " (سقراط تاريخ الكنيسة ج٢ص١٠ وسوزومان ج٣ص١٠ ونيسيورس ج٩ص١٠) "[١٤٨]

ثانياً : يقولون أن مجمع نيقية سنّ مجموعتين من القوانين وفى قوانين المجموعة الثانية نجد رئاسة بابا روما " وقد سنّ هذا المجمع (النيقاوى) عدة قوانين قسمها إلى قسمين : إحدهما يتضمن عشرين قانوناً والآخر ٨٤ وقد ادعى البعض أنه لا يوجد إلاّ القسم الأول فقط ، ولكن شهادات العلماء والمؤرخين الكثيرة تؤيد الخلاف إذ تثبت وجود القسمين كما سنرى : أما إذا كان البعض من المؤرخين أو العلماء لا ينسب للمجمع النيقاوى إلاّ العشرين قانوناً فما ذلك إلاّ لأنها هى التى وحدها قد سُنت مباشرة من المجمع ذاته ، وأما الأربعة وثمانون الأخرى فقد كانت سابقة للمجمع متفرقة فوفقها المجمع النيقاوى وصادق عليها فنسبت كلها إليه . كما وقد نسب إليه أيضا قوانين مجمع سرديكا العلامة فرناند موريه ج٢ص٥٨ على لسان العلامة هيفل لكليرك { أنه بروما كان يوجد فى مؤلف واحد تحت العنوان ذاته قوانين مجمع نيقية وسرديكا الأمر الذى تسبب عنه أن يُنسب إلى مجمع نيقية كل القوانين التى كانت فى المجموعات النسخية من غير عنوان "[١٤٩]

ثالثاً : أن أثناسيوس عندما ظُلم لجأ إلى بابا روما الذى أعاده إلى كرسيه ، فهذا ما يؤيده أيضا المؤرخان سقراط وسوزومانوس بذكرهما حوادث سبقت المجمع السرديقى منها قولهما " أن أثناسيوس اسقف الإسكندرية .. وبولس أسقف

---

[١٤٨] الرئاسة البابوية صـ١٠٠.

[١٤٩] المرجع السابق ص٨٩ .

القسطنطينية وأسكلباس .. إذ قام عليهم الأعداء وطردوهم من كنائسهم قصدوا رومة المدينة العظمى وقصَّ كل منهم أمره على الحبر الرومانى الذى حسب سلطته السامية عضدهم برسائل منه وأرسلهم إلى الشرق راداً لكل منهم كرسيه .. فسافر هؤلاء الأساقفة من روما واسترجعوا كراسيهم معتمدين على حكم البابا "[150]

رابعاً : يقولون عن مجمع سرديكا " ثم أن المجمع الساردیکی الذى عقده البابا يوليوس سنة ٣٤٧م وحضره أكثر من ١٤٠ أسقفاً يقرّر هذه الحقيقة عينها . تعلمون أنه فى أثناء القلاقل التى سببتها بدعة أريوس فى الكنيسة صار إنعقاد مجمع غير قانونى فى أنطاكية كان من شأنه تنزيل أبينا أثناسيوس من السدة البطريركية وإقامة من يدعى غريغوريوس الكبادوكى بدلاً منه ، فلما بلغ يوليوس هذا الأمر المجحف بحقوق القديس أثناسيوس عنَّف الأنطاكيّين على عملهم هذا الغير شرعى ، وأمر أن يعقد مجمع فى سرديكا لفحص أعمال المجمع الأريوسي الأنطاكي الذى فضلاً عن عدم قانونيته إذ أنه عمل ما عمل بدون إخطار الكرسي الرسولي حكم على القديس أثناسيوس ظلماً وعدواناً .. أما آباء المجمع السرديكى فأعلنوا براءة القديس أثناسيوس من التهم الكاذبة التى قرفوه بها وسنّوا واحد وعشرين قانوناً أخصها ثلاثة تبين الصفة الواجب مراعاتها فى الحكم على الأساقفة وتقرّر حق الأستئناف للبابا بما أنه خليفة بطرس هاكم نص القانون الخامس " إذ حُكِم على أسقف وكان هذا متحققاً براءته مما اشتكوه به ، وشاء أن يعاد النظر فى دعواه – فلنكرّم هنا ذكر القديس بطرس – سبيل كل الذين نظروا فى كنه المسأله أن يكتبوا للحبر الرومانى فإن شاء البابا النظر فى الحكم الأول يختار من أراد من القضاة لذلك ، وإذا إرتأى أنه لا حاجة إلى إعادة النظر يعتبر الحكم الأول صحيحاً "[151]

ومن قوانين مجمع سرديكا أيضا " إذا أُنزِل أسقف عن كرسيه بحكم أساقفة الأقاليم المجاورة وأراد هو أن يستأنف الحكم لروما فلا يُقام أسقف بدلاً عنه إلى أن يبت أسقف روما فى الأمر أن بنفسه أو بواسطه من ينتدبه لذلك لأنه صاحب السلطان المطلق "

---

[150] المرجع السابق صـ١١٠.

[151] قيام الأرثوذكسية الحقيقة على الاعتصام بكاتدرا بطرس الرومانية صـ٨١،٨٢ .

(لاب الجزء الثانى قانون ٣، ٤، ٥ ورورباكير جـ٣ص١٢٥)[١٥٢].. " فالبابا هو الجالس على كرسي بطرس وعليه فهو رئيس اساقفة العالم بأسره " [١٥٣]

وقد ضُمَت قوانين مجمع سرديكا إلى قوانين مجمع نيقية ، وهى تمثل المجموعة الثانية من قوانين مجمع نيقية ، ويقول الأب بولس نصير " ثبت إذن وجود القسم الثانى من قوانين المجمع النيقاوى المتضمن الأربعة وثمانين قانوناً . لذلك فإنى أذكر ثلاثة من هذه القوانين تؤيد صريحاً صدق قضيتنا .

أولها : القانون السادس .. { لقد حفظت الرئاسة دواماً للكنيسة الرومانية فلتحفظ إذن بدقة فى مصر وليبيا والخمس مدن العادة القديمة والتقاليد المرعيَّة بأن تكون السلطة على هذه لأسقف الإسكندرية إذ أن هذه هى العادة المرعيَّة من أسقف روما .. } (روباكر ج٣ص٩٢) ..

ثانيهما : القانون السابع والثلاثون : جاء فى كتاب مجموعة القوانين للصفي بن العسال ص٢١: الباب الرابع -فى البطاركة - { والمجمع المقدس (نيقية قانون ٣٧) أمرً أن تكون البطاركة فى جميع الدنيا أربعة لا غير مثل كتبة الإنجيل الأربعة ، والأنهار الفردوسية الأربعة ، والرياح ، وعناصر العالم ، ويكون الرأس منهم والمقدم صاحب كرسي بطرس برومة على ما أمر به الرسل ، وبعده صاحب الإسكندرية العظمى وهو مرقس ، والثالث صاحب كرسي أفسس وهو كرسي يوحنا الثاؤلوغوس ، والرابع صاحب كرسي أنطاكية وهو كرسي بطرس أيضا ومن خالف هذه السنة التى رسمناها فالسينودس يحرمه } ..

ثالثها : القانون الرابع والأربعون نيقاوى ص٢٣ من مجموع القوانين { وكما أن البطريرك أمرهُ وسلطانهُ على من تحت يده كذلك لصاحب رومية سلطان على سائر البطاركة فإنه الأول مثل بطرس .. فى ما كان له من السلطان على جميع رؤساء النصرانية وجماعة أهلها لأنه خليفة المسيح ربنا على شعبه وكنائسه } هذه هى بعض قوانين المجمع النيقاوى المقدس الناطقة صريحاً برئاسة القديس بطرس وخليفته على الكنيسة بأسرها " [١٥٤]

---

[١٥٢] الرئاسة البابوية صـ١٠٩.

[١٥٣] مرشد الأرثوذكسي الكاثوليكي صـ١٨ .

[١٥٤] الرئاسة البابوية صـ١٠٠-١٠٤.

ويستدلون على صحة هذه القوانين بأن الصفي إبن العسال أوردها فى كتاب القوانين الذى ألفه سنة ٩٥٥ للشهداء وطبع سنة ١٩٢٧م ، وأن البابا كيرلس الخامس السكندرى عندما حرم أسقف صنبو بمنشوره فى ٣ أغسطس سنة ١٨٩٢م استند على قوانين ٣٠،١٣، ٤٩، ٥٠، ٧٦ من قوانين مجمع نيقية ، وكذلك فعلت الجمعية التوفيقية إذ اعتمدت على قوانين ١١، ٣٠، ٤٧ (الرئاسة البابوية صـ١٠١)

خامساً : يقولون أن مجمع القسطنطينية فى مادته الثالثة قد أقرَّ برئاسة بابا روما فقال " أننا نقرُّ بأن الأولوية والسلطان الأعظم هو للحبر الرومانى " [155]

سادساً : فى مجمع أفسس عندما وصل نواب البابا بعد الجلسة الأولى وقرئت رسالة البابا الرومانى أثنى آباء المجمع على البابا سلتينوس قائلين " أنه الحارس الأمين للإيمان والحافظ له وأن حكمه هو الحكم العادل " ثم قال القس فيلبس النائب البابوى " تعلمون أن الطوباوى بطرس هو هامة الرسل ولذا نسألكم أن تطلعونا على ما قرَّره المجمع قبل حضورنا لكى نثّبته باسم خليفته بابانا الطوباى سلستينوس أسقف رومة " [156]

سابعاً : يقولون أن بابا روما كان الملاذ للمظلومين لذلك كتب إليه القديس يوحنا فم الذهب عندما حكموا عليه بالحرم والنفى يطالبه بمناصرة الحق .

ثامناً : أن القديس كيرلس عمود الدين " لم يتجرأ على الحكم على نسطور ولا على قطع الشركة معه قبل أن يصدر الحبر الرومانى حكمه بذلك بعد مخابرة القديس كيرلس له بهذا الشأن وذلك علماً منه بأنه لا توجد سوى سلطة واحدة فى الكنيسة هى المختصة للفصل فى المسائل الهامة مثل مسألة نسطور هذه ألاً وهى سلطة أسقف روما ولذا كتب إليه حالاً قائلاً : { بما أن التقاليد المرعية تقرر أن الفصل فى المسائل الهامة هو من اختصاص الكرسي الرومانى رأيتُ من اللازم والضرورى إخطار قداستكم بمسألة نسطور لتصدروا حكمكم فيها وتعلنوه للجميع للسير بموجبه .. فبعد اطلاع البابا سلستينوس على رسالة القديس كيرلس أسقف الإسكندرية عقد مجمعاً برومة فى أغسطس سنة ٤٣٠م

---

[155] مرشد الأرثوذكسي الكاثولكي صـ١٩.

[156] الرئاسة البابوية صـ١١٩ .

شجب فيه تعليم نسطور ، وحكم عليه بالحرم والنزول عن كرسيه وقطعــه مــن شركة المؤمنين إن لم يرجع عن أضاليله ويدحضها كتابة فى ظرف عشرة أيــام من تاريخ إعلانه بالحكم . ثم أرسل فى الآن ذاته هذا الحكم للقديس كيرلس مــع خطابه له يكلّفه فيه بتنفيذه بالنيابة عنه بقوله له { أننا نخصك بسلطان كرســينا ونقلّدك سلطتنا الرسولية فتستعمل وظيفتنا وسلطاننا لتنفيذ حكمنــا هــذا بشــدة معتبرة على نسطور بحيث إذا لم يعدل عن أضاليله فــى ظــرف العشــرة أيــام المحدَّدة له ، عليكم أن تقطعوه هو بدون شفقة من جسم الكنيســة وأن تبــادروا بتنصيب راع جديد مكانه على كرسي القسطنطينية .. وما كتبنــاه إليكـم نكتبــه أيضا لقــداسة إخوتنــا وشركائنا فى الأسقفية يوحنــا وروفــس ويوفينــال حتــى أن حكمنا هذا أو بالحرى حكم السيد المسيح ذاته يكون معنا للجميع } "[157]

تاسعاً : يقولون عندما أصدر مجمع خلقيدونية القانون ٢٨ بشأن رفع القسطنطينية فــى المرتبة لتتساوى مع روما وخفض الإسكندرية لتأخذ المركز الثالث تصدى لــهذا لاون بابا روما قائلاً " وأما بخصوص القوانين التى وضعــها آبــاء خلقيدونيــة خلافاً لما رتبه المجمع النيقاوى فبسلطان الرسول بطرس نلغيها ونبطلــها إبطــالاً مطلقاً "[158]

توضيح :

أولاً : بالنسبة لعقد مجمع نيقية بأمر سلفستروس بابا رومــا وتحــت رئاسته متمثلاً فى نوابه هوسيوس أسقف اسبانيا وفيتون وفنسان الكاهنين الروميّين نقول : أنه عندما علم الإمبراطور قسطنطين الكبير بمشكلة أريــوس أوفــد هوسيوس أسقف كوردوى باسبانيا إلى مصر لعقــد الصلــح بيــن البابــا الســكندرى الكسندروس وبين أريوس ، ولكن عندما جاء هوسيوس إلى مصر وعرف أبعاد المشكلة ووقف على الحقيقة عاد إلى قسطنطين يعرض عليه الأمر بالتفصيل ، فأمر قســطنطين بعقد مجمع نيقية ومنح الرئاسة لهوسيوس لأنه كان مُلماً بأبعاد القضية ، وبالتالى فــإن نواب بابا روما لم يكن لهم الرئاسة ، وكان رئاسة هوسيوس رئاسة تقدم وليس رئاســة

---

[157] المرجع السابق صـ١١٦، ١١٧.

[158] قيام الأرثوذكسية الحقيقة على الاعتصام بكاترا بطرس الرومانية صـ٨٨ .

حكم ، وأسقف اسبانيا لم يكن خاضعاً لكرسي روما لأن أسبانيا كانت كرسياً قائماً بذاته مثل فرنسا وقرطاجنة .

لقد إعتمد الأخوة الكاثوليك فى قولهم هذا على المؤرخ جيلاسيوس الذى قال أنه نقل عن افسابيوس بامفيلياس الذى حضر المجمع بالحرف الواحد مع أنه غيَّر الحقيقة ، فانظر ياصديقى إلى قول كل منهما :

قال افسابيوس "وكان أسقف الأسبانيين الذائع الصيت جداً واحداً جالساً مع الكثيرين" (تاريخ حياة قسطنطين٣: ٧) ونقل جيلاسيوس هذا القول كالآتى " وكان جالساً مع الكثيرين هوسيوس أسقف الأسبانيّين الذائع الصيت جداً مع قسي رومية { ويتن } و{ ديكنديوس } فى مكان سيلبستروس أسقف رومية العظمى" (جيلاسيوس فى المجمع النيقاوى٢: ٥)

كما إعتمد الأخوة الكاثوليك أيضا على المؤرخ سوزمينوس الذى يقول " وقد إشترك فى هذا الاجتماع من الكراسي الرسولية مكاريوس الأورشليمى وافسطانيوس الانطاكى والكسندروس الإسكندرى . غير أن يوليوس أسقف الرومانيين لم يحضر بسبب الشيخوخة وقد حضر عوضاً عنه { ويتن } و{ ويكنديوس } قساً تلك الكنيسة عينها " (سوزومينوس ١: ٨) ويعلق على هذا الارشميندريتى جراسيموس مسرة قائلاً " فهنا نرى المؤرخ :

أولاً : يعدّد الكراسي الرسولية معتبراً أقدميتها مبتدئاً من الأورشليمي فالأنطاكي فالإسكندري فالروماني .

ثانياً : أنه بدلاً من سيلبستوس يذكر سهواً يوليوس الذى قام بعد المجمع بنحو ١٢ سنة

ثالثاً : أنه لا يميز نواب البابا عن أحد من الحاضرين بشئ فضلاً عن أنه ما ذكر لهم أو للبابا رئاسة على المجمع .

رابعاً : أنه لم يذكر الأسقف هوسيوس مع نواب البابا البته مع أنه ذكر النواب بأسمائهم فأين تكون دعوى الغربيين من هذه البيانات الواضحة ؟ "[159]

أما بالنسبة للدعوى بأنه كان يوجد قانون كنائسي ينهى عن إصدار أى قانون أو أمر من غير مصادقة أسقف روما عليه فقد إتضح لنا من قبل أن هناك أوامر كثيرة

---

[159] تاريخ الانشقاق جـ١ صـ١١٥.

اتخذت بخصوص حرم أريوس ورجوعه ونفى أثناسيوس ورجوعه وجميعها من الإمبراطور بدون إذن أو معرفة بابا روما .

وقد سجل كيرلس مقار البطريرك الكاثوليكى المصرى الأول بعد عودته إلى أحضان الأرثوذكسية هذه الأحداث قائلاً :

" يتضح من الوثائق التاريخية القديمة أن هذا المجمع (النيقاوي) إنما إنعقد بدعوة من الملك قسطنطين لا من البابا (الروماني) سلفستروس ، وأن هذا البابا لم تكن له يد فى عقده ، وتدل الإمضاءات التى ذيل الأساقفة بها أعمال كل من جلسات ذلك المجمع المؤلف من ثمانية عشر وثلاثمائة أباً على أنه لم يكن ليمثل الغرب كله غير أباء خمسة ، كما تدل على أن بقية الآباء إنما كانوا شرقيّين يمثلون الكنائس الشرقية ، ومع أن ترؤس بابا رومة على هذا المجمع بصفة أسقف الكرسي الأول فى الكنيسة كان أمراً ميسوراً إلاّ أن الواقع كان على النقيض من ذلك ، فقد أسند المجمع منصب الرئاسة إلى هوسيوس أسقف قرطبة وكان شيخاً وقوراً مهيباً .. ولذا ترى اسم اسقف قرطبة مكتوباً فى رأس قائمة اسماء الأساقفة الذين حضروا جلسات ذلك المجمع ..(هنا وجه المؤلف الخطاب إلى اللاتين ..) : يزعم لاهوتيكم أن هوسيوس كان ممثلاً للبابا سلفستروس بالإشتراك مع الكاهنين الرومانيّين ويتون وويكنديوس ، يزعمون ذلك لأن من عقائد الإيمان عندهم أن لا يلتئم مجمع إلاّ برئاسة البابا ، ويدعمون زعمهم هذا بشهادة جيلاسيوس (مؤرخ كنسى عاش فى اواسط القرن الخامس) فى تاريخه عن مجمع نيقية ، ولكننا لو امعنا النظر فى هذه الشهادة لوجدناها عليهم لا لهم لأن جيلاسيوس هذا الذى كتب تاريخه فى آخر القرن الخامس لم يكن إلاّ مُردداً لما كتبه أوسابيوس (اسقف قيسارية الذى حضر مجمع نيقية) فى الموضوع ممسوخاً ، إذ لم يذكر النص الأوسابيوسي بحروفه فجاءت عباراته مخالفه للحقيقة .. أما القديس أثناسيوس فإنه بتلقيبه هوسيوس " بأبى الأساقفة " قد أبان بجلاء أن الحبر الأسبانى العظيم لم يرأس جلسات المجمع بإسم البابا سلفستروس أو بإسم غيره من الأساقفة .. أن دعوى ترؤس بابا روما للمجمع المسكونى الأول إنما هى محض كذب على التاريخ ..

والمهم الآن أن نعرف هل كان المجمع عندما أصدر حكمه فى القضايا الأربع مقيداً بأوامر بابا رومة ؟ وهل أعتبر أن ما يصدره من الأحكام يعدم قيمته القانونية إن لم يكن مصادقاً عليه من البابا ؟ هذه دعوى الكنيسة الرومانية العصرية ، ولكنها كلها مبنية

على جرف واه ، إذ من الثابت المقرر أن البابا سلفستروس لم يبعث إلى المجمع بتعليمات أياً كانت .. ومن الحقائق التى لا تُنقَض أن حكم المجمع قد أبلغ على أثر النطق به إلى كنيسة رومة كما أبلغ إلى غيرها من الكنائس ليُنفذ فيها على السواء باعتباره حكماً إلهياً لا يقبل نقضاً ولا إبراماً ، أو قل أنه حكم الروح القدس الذى يسرى على الكنائس جميعاً .. وإنكم معاشر البابويّين لتعجزون عن أن تأتونى ولو برسالة واحدة موجهة من البابا سلفستروس إلى المجمع النيقاوى بشأن العقيدة أو النظام ..

كان البابا (الرومانى) استفانوس الأول قبل إنعقاد المجمع النيقاوى بقرن كامل قد أصدر حكماً فى " قضية عماد الهراطقة " .. ولكن الآباء الـ٣١٨ لم يكتفوا بعدم العمل بتعليم البابا استفانوس ، بل هم على النقيض من ذلك رذلوه وعدوه تعليماً هرطوقياً وبدعة فى الدين .. وهذا ما سجله عليكم بنيديكتوس ال١٢ أحد بابواتكم .. فإذ كان المجمع النيقاوى قد حكم بفساد تعليم بابا رومة أفلم يكن يعتقد إعتقاداً راسخاً أن سلطته المسكونية إنما هى فوق سلطته ، وأن سلطة المجامع المسكونية سلطة عامة معصومة على النقيض من سلطة البابا ؟؟ ..

كان البابا (الرومانى) فيكتور قبل أن يعقد المجمع النيقاوى بقرن ونصف قرن قد أصدر قراراً بشأن تعيّيد الفصح .. ألم يكن من واجب المجمع أن يقرر على الأقل أنه إنما يؤكد القرار البابوى الذى صدر منذ ١٥٠ سنة ، والذى يسرى مفعوله على المسيحية جمعاء منذ يوم صدوره ؟ .. لم ير آباء نيقية فى قرار البابا فيكتور قانوناً تتقيد به جميع الكنائس ، وما ذلك إلاّ لأنهم كانوا يعلمون أن المجمع المسكونى هو وحده الذى له سلطة التشريع فى الكنيسة الجامعة ، وأن القرار الذى أصدر بشأن قضية يوم تعيّيد الفصح كان أول قرار صدر فى تلك القضية فتقيّدت به المسيحية بأسرها .. وهذه الحقيقة الراهنة يؤيدها القديس أثناسيوس فى تصريحه { أن آباء نيقية عندما أصدروا حكمهم فى قضية الفصح قالوا : هذا ما وجدناه حسناً : لأن تلك المرة الأولى التى فيها سُنّ قانون عام فى تلك القضية (قضية يوم تعيّيد الفصح) } " [١٦٠]

ونجدر الإشارة هنا إلى أن قرارات مجمع نيقية بمجرد صدورها أصبحت واجبة النفاذ ولم تحتاج إلى تثبيت أسقف روما ، فيقول كيرلس مقار " هل كان المجمع النيقاوي والمسيحية فى ذلك العهد يعتقدان أن القرارت التى أصدرها الآباء الـ٣١٨ لم

---

[١٦٠] الوضع الإلهى فى تأسيس الكنيسة جـ٣ صـ١٨-٢٨ .

يكن لها قيمة أو قوة نافذة بدون تثبيت أسقف رومية ؟

أن كل الوثائق الرسمية القديمة تدل على أن شيئاً من ذلك لم يكن .

أولاً : تدل شهادة هذه الوثائق على أن المجمع المسكوني الأول والمسيحية بأسرها في ذلك العهد كانا يعتبران أن القرارات المتعلقة بالعقيدة الصادرة من هيئة نيقيا المجمعية هي من تلقاء نفسها معصومة وذات سلطان .. هذا ما جاء حرفياً في الرسالة التي أعلن فيها الملك قسطنطين قرارات نيقية .. { .. وهكذا فقد بت الآباء الـ ٣١٨ وباتحاد الآراء – بعد مداولة تامة – في جميع القضايا المختلف عليها ، مشمولين بالنعمة السماوية والروح الإلهي لأن كل ما قرره الأساقفة المجتمعون إجتماعاً مسكونياً يجب نسبته لروح الله ولإرادته الإلهية } .

ثانياً : هناك وثيقة ثانية هي الرسالة الخاصة التي بعث بها الإمبراطور قسطنطين لكنيسة الإسكندرية بهذه المناسبة .

ثالثاً : وهناك وثيقة ثالثة .. هي رسالة المجمع المسكوني لكنيسة الإسكندرية ..{ لا يجوز في المقاطعات الثلاث-مصر وليبيا والخمس مدن الغربية – أن يسلم أسقف على كنيسة ما ، إلاَّ إذا أنتخبه شعب هذه الكنيسة وثبّته أسقف الإسكندرية } .. فإذا كان إعتقاد الآباء الـ٣١٨ أن قوانيهم في حاجة إلى تثبيت بابوي ، فكيف جاز لهم – بل كيف سمحوا لأنفسهم – أن يعلنوها للكنيسة المختصة مُحتمين عليها أن تعجل بتنفيذها قبل أن تصل هذه القوانين إلى علم البابا ؟ " [١٦١]

ثانياً : أما عن قوانين مجمع نيقية فهي ثابتة ومعروفة وهي عشرون قانوناً فقط لا غير ، وأما المجموعة الثانية التي تشمل ٨٤ قانوناً فهي لم توضع بمعرفة مجمع نيقية ، وأيضاً لم يصدق عليها مجمع نيقية بدليل :

١- هناك بعض القوانين من قوانين مجمع نيقية تجدها مكررة في المجموعة الثانية .. فما الداعي للتكرار لو كانت جميعها من وضع مجمع واحد ؟!

٢- لماذا لم يجمعوا المجموعتين معاً ويقولون أن لنيقية ١٠٤ قانوناً .

٣- القوانين ٤،٥،٦ ضد القوانين ٣٧،٤٤ .

---

[١٦١] المرجع السابق جـ٣ صـ ٣٢-٣٥ .

وإن كان الصفي بن العسال قد أورد هذه القوانين فى كتابه القوانين فذلك لأنه إهتم بجمع القوانين وتسجيل كل ما استطاع التوصل إليه بكل أمانه بصرف النظرعما إذا كانت موافقة للمبادئ الأرثوذكسية أو مخالفة ، وحتى لو كان إبن العسال سقط فى هذا الخطأ فلا تُحسَب عثرته هذه على الكنيسة الأرثوذكسية كنيسة المجامع المسكونية .

قال كيرلس مقار البطريرك الكاثوليكى العائد إلى أرثوذكسيته " المسيحية تشهد فى ذلك العهد بصوت واحد بأن المجمع المسكونى الأول لم يسن إلاَّ عشرين قانوناً لم تزل موجودة باللغة اليونانية ومنقولة بأمانة من مجموعة المجامع للابيه "[١٦٢]..

وأورد الأرشمندريت حنانيا الياس كساب ما كتبه هيفيله فى مؤلفه تاريخ المجامع (المجلد الأول صـ٣٥٥ وما بعدها من الطبعة الثانية) " لنراجع أولاً شهادات المؤلفين من يونان ولاتين الذين ظهروا فى العصر المتصل بزمن التئام المجمع :

أ- فأول من يُرجَع إليه هو العالم اليوناني ثيودوريطس الذى ظهر بعد نحو قرن من انعقاد مجمع نيقية ، فهو يقول فى مؤلفه تاريخ الكنيسة " أن الأساقفة بعد أن حكموا على أريوس اجتمعوا ثانية ووضعوا عشرين قانوناً فى النظام الكنسي " .

ب- وبعد نحو عشرين سنة من ذلك كتب جيلاسيوس أسقف كيزيكوس تاريخ مجمع نيقية بعد أن قضى وقتاً طويلاً يبحث فى الصكوك القديمة . وقد ذكر القوانين العشرين بنصها كما هى وكما وصلت إلينا تماماً .

حـ- وروفينوس قبل هذين المؤرخين ، وقد وُلِد فى نحو الوقت الذى التأم فيه المجمع ، وضع بعد نحو نصف قرن تاريخه المشهور للكنيسة وأضاف إليه ترجمة لاتينية لقوانين مجمع نيقية ولم يذكر إلاَّ العشرين قانوناً .

د- وفى البحث الذى دار بين أساقفة أفريقية وأسقف رومة فى موضوع الاستئناف إلى رومة شهادة ناصعة على أن عدد قوانين مجمع نيقية لم يزد عن عشرين ..

هـ- أن كل مجموعات القوانين القديمة فى اللاتينية واليونانية التى أُعدَّت فى القرن الرابع أو أثناء القرن الخامس تتفق فى أنها لا تذكر أكثر من عشرين قانوناً وضعها المجمع النيقاوي ، وأقدم هذه المجموعات أُعدَّت فى الكنيسة الشرقية اليونانية وصدر منها نسخ عديدة فى مدة قصيرة .. وفى سنة ١٥٤٠م قدم الأسقف الفرنسي

---

[١٦٢] المرجع السابق حـ٣ صـ٣٨ .

يوحنا تيليوس مخطوطة من هذه المجموعات اليونانية كما وُجدت فى القرن التاسع للمكتبة فى باريس ، وفى هذه المخطوطة عشرون قانوناً لا غير لمجمع نيقية ..

و- ويمكننا أن نذكر من الثقات اليونانيين فى القرون التالية فوتيوس وزونارس وبلسامون . وكلهم لا يذكرون للمجمع النيقاوي إلاَّ عشرين قانوناً كما وردت فى سائر المجموعات ولا يعترفون بوجود غيرها .

ز- وعلماء القانون فى اللاتين فى العصور الوسطى لا يعترفون أيضاً بغير هذه العشرين قانوناً للمجمع النيقاوي .. والعالم المشهور هنكار رئيس أساقفة ريمس القانوني الأول فى القرن التاسع لا يذكر لمجمع نيقية إلاَّ عشرين قانوناً " [١٦٣]

ثالثاً : أما عن قضية أثناسيوس والإدعاء بأنه التجأ إلى بابا روما الذى رده إلى كرسيه ، وانعقاد مجمع سرديكا وقراراته فيحسن يا صديقي أن نأخذ فكرة مختصرة أولاً عن هذه الأحداث ثم نناقش الفكر الكاثوليكي معاً ..فبعد أن أعاد قسطنت بن قسطنطين الكبير أثناسيوس إلى كرسيه من منفاه فى أتريف تحركت الغيرة فى قلوب الأريوسيّين فعقدوا مجمعاً سنة ٣٤٠ فى أنطاكية أدانوا فيه أثناسيوس لأنه عاد إلى كرسيه بدون قرار مجمعي ، ومع أنه نفى إلى اتريف بأمر الملك قسطنطين وليس بحكم مجمعي ، وأرسل مجمع أنطاكية ثلاث قسوس إلى يوليوس أسقف روما لإستمالته إليهم ، فما كان من أسقف روما إلاَّ أنه أرسل خطاباً رقيقاً لأثناسيوس يطلعه على شكاوى الأريوسيين عليه ، فلم يتظلم أثناسيوس لدى البابا بل عقد مجمعاً مكوناً من ٨٠ أسقفاً سنة ٣٤٠م واحتجوا على أعمال الأريوسيّين ، وحرَّر أثناسيوس رسالة إلى جميع أساقفة المسكونة تُظهِر براءته وقال " أن مثل هذه المجامع (يقصد مجمع أنطاكية) ليس لها أن تقاضى أسقف كنيسة الإسكندرية الذى لا يقاضيه إلاَّ مجمع مسكونى يمثل الكنيسة بأسرها " وأرسل بهذا أيضاً إلى أسقف روما مع وفد إسكندرى ، فاقترح بابا روما عقد مجمع للفصل بين الطرفين ، ولم يتخذ قراراً فردياً ولم يفكر أن يحكم بنفسه فى هذه القضية فلو كان له السلطة العامة على الكنيسة لحكم فى الأمر ، واستشار البابا أثناسيوس فى المكان الذى يستحسنه لعقد المجمع فاختار أثناسيوس مدينة روما ، وأرسل يوليوس أسقف روما كاهنين ليحضرا آباء مجمع أنطاكية إلى روما ، ولكن

---

[١٦٣] مجموعة الشرع الكنسي صـ٩٨-١٠٠ .

مجمع أنطاكية الأريوسي عطّل الكاهنين الرومانيّين لمدة شهرين عقد خلالـــهما جلســة بمناسبة الإحتفال بتدشين الكنيسة الذهبية وكان عددهم ٧٩ أسقفاً أيدوا قـــرار حرمـــان أثناسيوس ، ثم أرسلوا إلى أسقف روما يحتجون قائلين "أن الدعوة التـــي وردت إلينـــا لحضور مجمع رومية لم تكن دعوى مجمعية بل فردية (يقصدون أنها موجهه إليهم مـن بابا روما فقط) ولذا فأننا لم نعتد بها" [١٦٤] فكتب إليهم يوليوس أسقف روما يعرفهم بأنه لم يكتب لهم بصفته الفردية بل بصفته ممثلاً لمجموع إكليروس إيروشيته وقال لهم " أن القوانين الكنسية لا تخول حق الحكم على أسقف كرسي رســولي مثـل أثناســيوس إلاّ لمجمع اساقفة الكنيسة الإسكندرية ، أو لمجمع مسكوني ، و نه في الحالة الثانية يجــب إخطار جميع الأساقفة أصحاب الكنائس الرسولية "[١٦٥] (أليس هذا إعتراف بعدم ســلطة بابا روما العامة على الكنائس ، واقرار بأن حكمه ليس فوق حكم المجامع ؟!!) .

وفي شهر نوفمبر عقد يوليوس أسقف روما مجمعاً مكوناً من ١٥٠ أســـقفاً مـــن أساقفته وبرئ أثناسيوس من التهم الأريوسية . ثم إنعقد مجمع سرديكا المكـــوَّن مـــن ١٠٠ أسقف غربي ، و٧٠ أسقف شرقي أريوسي وترأس المجمع هوســـيوس أســـقف قرطبة الذى رأس من قبل مجمع نيقية ، وأراد الأساقفة الغربيـــون دعـــوة أثناســـيوس للمجمع فاحتج الأريوسيون وتركوا المجمع حيث عقدوا مجمعاً فـــي مدينـــة " فيلبـــو " حرموا فيه أساقفة الغرب مع أسقف روما . أما المجمع السرديكى فقـــد حكـــم بـــبراءة أثناسيوس ، وأرسلوا الحكم للملك قسطنت إمبراطور الغرب الذى أحسن استقبال البابـــا أثناسيوس الرسولي ، وأرسله برسالة إلى أخيه الملك قســطنطس إمــبراطور الشــرق والمسئول عن مدينة الإسكندرية يُهدّده بالحرب إن لم يُعِد أثناسيوس إلى كرسيه قـــائلاً " أنه ينادى عليه بالحرب إن لم يرجع القديس أثناسيوس إلى كرســـيه " وعندمـــا وصـــل أثناسيوس بالرسالة إلى قسطنطس إمبراطور الشرق وجده قد ملَّ من مؤامرات وكـــذب ودسيسة الأريوسيّين فلذلك أحسنَ استقباله ووفادته وأعاده إلى كرسيه . إذاً أثناســـيوس عاد إلى كرسيه بأمر الملكين قسطنت وقسطنطس وليس بأمر بابا روما ، ويعلق علـــى هذا كيرلس مقار في شكل حوار بين شخصين إحدهما رومـــاني أى كـــاثوليكي والآخـــر أرثوذكسي فيقول :

[١٦٤] تاريخ الكنيسة القبطية للقس منسي يوحنا صـــ١٢٥.

[١٦٥] المرجع السابق صـــ١٢٥.

" الرومانى : إذا لم يكن للبابا كما تقول حق إلهي فى استئناف قضايا الأساقفة ، وإذا كان هذا الحق قد منحه إياه مجمع سرديكا لمحادثة معينة فكيف تفسر مسلك القديس أثناسيوس الرسولي الذى بعد أن حكم الشرقيون بإسقاطه عن كرسيه استأنف ذلك الحكم الظالم أمام محكمة البابا يوليوس ، وما قولك فى البابا يوليوس الذى قبل استئنافه وإعاده إلى كرسيه بمحض سلطته ؟ ألم يكن البابا قد أتى ذلك - كما يقول سقراط - (فى تاريخه ك١١ ق٨) وسوزومينوس (فى تاريخه ك٣: ٥) معتمداً على قانون كنسي يحظر على الكنائس أن تقضى فى شئ بدون مصادقة أسقف روما ؟ ..

الأرثوذكسي : فلنبحث هذه النقط واحدة واحدة .. أن من يسمع أن الشرقيّين قد حكموا بإسقاط القديس أثناسيوس عن كرسيه يتوهم أن جميع الكنائس الشرقية قد دنست يدها بهذا الظلم ، وما ذلك إلاَّ محض كذب وافتراء .. فالقديس أثناسيوس اسقطه مجمع صور الأول مرة سنة ٣٣٥ م كمرتكب لثلاث جرائم : هى تدنيس المقدسات والقتل والزنى ، ثم أسقطه مجمع أنطاكية سنة ٣٤٠م لرجوعه إلى كرسيه بغير مصادقة المجمع ، ولكن لم يكن بين جميع أساقفة المجمعين المذكورين أسقف واحد تابع لبطريركية الإسكندرية ، بل ولا أسقف واحد تابع للكنائس الرسولية التى فى قبرص وكريت ومقدونيا وأخائيا وبلاد اليونان إلخ إلخ . أما أساقفة أنطاكية فلم يكن منهم فى المجمعين إلاَّ الأساقفة الأوسابيوسيون الذين انقادوا لأوسابيوس أسقف نيكوميديا وهو أكبر أنصار اريوس .. يحلو لمؤرخيكم أن يذكروا.ظلم الشرقيّين .. ولكنهم يتعمدون ألاَّ يذكروا أن هناك أسقفين غربيّين (اورزاس وفالانس) وأنهما هما اللذان وضعا للأوسابيوسيّين.الشرقيّين كل الأسباب التى بُني عليها هذا الظلم .. أن هذين الأسقفين الغربيّين هما اللذان - عند انعقاد مجمع صور- ذهبا إلى مريوط لأجراء تحقيق قانوني عن الجرائم المنسوبة إلى القديس أثناسيوس ، وهما اللذان حرَّرا محضراً قرَّرا فيه إدانه أسقف الإسكندرية {ثم ذكر كيرلس مقار فى الحاشية أقوال المؤرخين ثيؤدورتيس (ك٤ ف ١٦) وأوسيوس فى رسالته للإمبراطور قسطانس وأبيفانيوس أسقف قبرص فى مؤلفه عن الهرطقات والتى تذكر جميعها ندم واعتذار اورزاس وفالانس عن اتهامهما الظالم للقديس أثناسيوس } .

على أن الكنائس الغربية لم تجحد الإيمان مرة واحدة بل ثلاث مرات ! الأولى : سنة ٣٥١م وذلك فى مجمع " ارلس " حيث كان فنستنوس أسقف كابوا نائباً عن البابا

ليباريوس. فإن هذا الأسقف ومعه جميع الأســاقفة الغربيّيــن قــد نزلــوا علــى إرادة الإمبراطور قسطانس وحكموا على القديس أثناسيوس بــالاحرام وقــرروا ارثوذكســية الأساقفة الأريوسيّين ! والثانية : سنة ٣٥٥م وذلك فى مجمع ميلانو حيث صــدَّق ٣٠٠ أسقف غربي على خلع أثناسيوس .. والثالثة : سنة ٣٥٩م وذلك فى مجمــع ديمينــي الشهير حيث إجتمع ٤٠٠ أسقف غربي ثمانون منهم من الأريوســيّين والبــاقون مــن الأرثوذكسيّين ، وقد آل الأمر بهم (إلاَّ ١٨ منهم) إلى جحد دستور الإيمــان النيقــاوي والتوقيع على خلع أثناسيوس .. أضف إلى هذا الإلحاد إلحاد البابا ليباريوس نفســه .. فإن ليباريوس هذا بعد أن سئم آلام النفى مدة سنتين وتاقت نفسه إلــى أن يعــود إلــى التربع على كرسي رومة الكبير .. جحد إيمان نيقيا وقطع القديس أثناسيوس عن شركة الكنيسة واعتنق الأريوسية .. تدعون بعد ذلك أن القديس أثناسيوس – بعد أن حكم عليه مجمع صور وأسقطه عن كرسيه – إستأنف هذا الحكم للبابا يوليوس ، وأن ذلك البابــا قبِل إستئنافه وردهُ إلى كرسيه بمحض إرادته .. ولكن من المقرر الثــابت أن الأســاقفة الذين تألف منهم هذا المجمع لم يكونوا ليملكوا حق مقاضــاة أثناســيوس وعزلــه لأن أسقف الإسكندرية- بصفته أسقفاً لكرسي رسولي هو ثانى الكراســـي الرَسـولية فــى الكنيسة – لا يمكن قانوناً أن يقاضيه ويحكم بعزله إلاَّ مجمع بطريركيته المؤلـــف مــن مجموع أساقفة الأرثوذكسيين ، أو المجمع المسكونى ، ولم يكن أساقفة مجمع صور من الهيئة الأولى ولا الثانية لذلك لما رأى القديس أثناسيوس أن المحكمة التى نصَّبت نفسها لمحاكمته غير مختصة بادر إلى الانسحاب منها ، غير أن مجمع صور لم يمنعه إنسحاب أثناسيوس من أن يُصدر حكمه عليه غيابياً وهو يقضى بخلعه من كرسي الإســكندرية . على أن القديس أثناسيوس لم يستأنف هذا الحكم كما تدعون (لبابا روما) ولكنـــه كمــا يقرر ذلك هو نفسه – ذهب تواً إلى القسطنطينية وتظلَّم للإمبراطور قسطنطين من الحكم الباطل الصادر ضده ومن المحكمة المُغتصبه التى أصدرته ، ولما كان الأوسابيوســيون قد اوغروا صدر الإمبراطور على أثناسيوس .. نفاه إلى مدينة أتريف ، ولم يحتج البابــا يؤمئذ على هذا الظلم !! .. أن الأحتقار الذى قابل به الأسقف الأسكندري مجمع صــــور وحكمه الباطل قد أثارسخط الأوسابيوسيّين فاجتمعوا فى أنطاكية سنة ٣٤٠م وأســقطوه عن كرسيه للمرة الثانية .. ورغم هذا الاغتصاب لم يفكر أثناسيوس فى ان يستأنف حكم الأوسابيوسيّين للبابا ، ولكنه بادر فكتب " رسالة دورية " إلى جميع أســـاقفة الكنيســة

الجامعة أنبأهم فيها بما حلّ بكنيسة الإسكندرية ، وأوقفهم على أسماء الظَلمة الغاصبين.. هذا ولو صح إفتراض الرومانيّين وكان البابا معتبراً القاضى الأعلى فى القضايا الإكليريكية . أفلم يكن الواجب- منطقياً- أن يطلب أثناسيوس تدخل البابا وحده ولا سيما إن البابا يوليوس كان على علم بقضيته منذ سنة مضت ؟؟ ثم أن القديس أثناسيوس لم يكن هو الذى أدخل البابا فى قضيته ، وإنما أدخله الأوسابيوسيون أنفسهم . لا لأنهم كانوا يعتقدون بسلطانه - الذى انكروه قولاً وعملاً - بل لأنهم كانوا يأملون أن يكسبوه لجانبهم ويخرطوه فى صفهم .. أما المؤرخان اليونانيان سقراط وسوزومينوس فلا يمكن أن يستنتج مما قالاه شئ يخالف ما سبقنا فذكرناه ، إذ أنهما عند كلامهما على عدم قانونية مجمعى صور وأنطاكية- اقتصروا على أن أوردا رسالة البابا يوليوس فى هذا الصدد .. " [١٦٦]

رابعاً : أما عن مجمع سرديكا وقوانينه فيعلق كيرلس مقار قائلاً :

" هناك شهادة التاريخ تنطق بأن المسيحية لم تعتبر مجمع سرديكا مجمعاً مسكونياً فى عصر من عصورها ، وأن حق الأستئناف الذى نصت عليه قوانين هذا المجمع ، لا يتناول جميع القضايا الكنسية وليس هو حقاً إلهياً غير قابل للتحول . بل هو حق وقتى يشمل قضايا الأساقفة فى عصر البابا يوليوس ، وهو حق مستحدث .. وإذا كانت المسيحية لم تعتبر مجمع سرديكا مجمعاً مسكونياً فما ذلك إلاّ لأنه إنعقد سنة ٣٤٧م أى بعد المجمع النيقاوى باثنين وعشرين سنة ، فلو كانت له الصبغة المسكونية لسمّته الكنيسة المجمع المسكونى الثانى .. وفوق ذلك فإن أحد هذه القوانين يحظر على الكهنة والشمامسة وذوى الدرجات الصغرى المحكوم عليهم فى جهاتهم أن يستأنفوا قضاياهم فى رومة ويأمرهم أن يستأنفوها فى مجمع الجهة المجاورة لهم ، وذلك القانون يدل على أن مجمع سرديكا لم يكن يرمى فى قوانينه إلى السلطان العام الذى يدعيه باباواتكم والذى يريدون بمقتضاه أن تنظر محاكمهم فى جميع القضايا الكنسية بلا إستثناء ..

وهذا نص القانون الثالث : { قال الأسقف أوسيوس : يجب أن ينظر أيضاً فى المسألة الآتية وهى إذا كان لأحد الأساقفة قضية ضد زميل له فى الأسقفية .. فأجاب آباء المجمع (السرديكى) أنا لنجد ذلك حسناً } .

---

[١٦٦] الوضع الإلهى فى تأسيس الكنيسة جـ٣ ص٥٨-٧٣ .

وجاء فى القانون الرابع : { قال الأسقف غودنسيوس " إذا حط الأساقفة المجاورن أسقفا من درجته .. فأجابه الجميع انا لموافقون } وجاء فى القانون الخامس { قال الأسقف اوسيوس : اذا حط الأساقفة جهة أسقفاً عن درجته فانَّا نرى مناسباً أن يستأنف ذلك الأسقف قضيته أمام أسقف الرومانيّين (يوليوس) .. فأجابه الجميع انا لموافقون }

فمن هذه القوانين .. لم يرد المجمع السرديكى إلاَّ أن يؤيد العدل بأن يمنح المحكوم عليهم حقاً يمكّنهم من إعادة قضاياهم أمام هيئة ثانية غير الهيئة الأولى التى حكمت عليهم أو لم يكن فى نية المجمع أن يعبر عن سلطان أسقف رومة على الأساقفة المحكوم عليهم الذين يطلبون منه أن يرسل إليهم قضاة جدداً ..ويمكننا أن نفهم من قول هذه القوانين { إذا رأيتم ذلك مناسباً } و { انا وجدنا ذلك مناسباً } أن ما نصَّت عليه هذه القوانين إنما هو نظام حديث وليس بحق إلهي بل ولا بعادة قديمة .. ولولا هذا لما رأينا كنيسة افريقيا (وهى غربية لا شرقية) – على الرغم من وجود هذه القوانين السرديكية – ترفض رفضاً باتاً الاعتراف بهذا الحق للبابا ، ولما رأيناها تحظر على اكليروسها – من أيه درجة كانوا –الألتجاء إلى رومة فى قضاياهم ، وإلاَّ وقعوا تحت طائلة الحرم .. ولما اراد البابا زوزيموس للأفريقيّين الدليل على ما له من الحق فى قبول قضايا أساقفة أفريقيا وكهنتها ، أطلق على مجمع سرديكا اسم مجمع نيقية ! .. ولكن ذلك لم يُجدِه نفعاً لأن كنيسة أفريقيا بعد أن تأكدت من هذا التزوير كتبت إلى البابا سلستينوس– وهو ثانى بابا أُقيم على رومة بعد زوزيموس – رسالة مجمعية غاية فى الشدة فضحت فيها الغطرسة الرومانية .. وقد نفت هذه الرسالة نفياً باتاً كل سلطة يدعيها أسقف رومة للتدخل فى قضايا كهنة أفريقيا " [167]

كما أن قانون ٣٥ للرسل وقوانين ٤،٥،٦ لمجمع نيقية تؤيد أن حقوق كرسي رومية محصور فى منطقته مثله مثل كرسي الإسكندرية وأنطاكية وأورشليم ، فالقانون ٣٥ للرسل يقول " لا يجسرنَّ أسقف على ملء شرطونيات خارج حدوده فى المدن والبلاد غير الخاضعة له " [168]

أما بالنسبة للقانون السادس الذى ترجمه الأخوة الكاثوليك إلى النص الآتى " لقد حفظت الرئاسة دواما للكنيسة الرومانية فلتحفظ إذاً بدقة فى مصر وليبيا .." فيطلق

---

[167] المرجع السابق جـ٣ صـ٤٣–٤٧ .

[168] تاريخ الانشقاق جـ١ صـ ٥٤.

على هذه الترجمة كيرلس مقار قائلاً :

" أن مجمع نيقية لم يكتب بلغتكم العصرية (أيها الأخ الكاثو ليكي) على ما أظن بل كتب باللغة اليونانية ، وهذا هو تعريب النص اليوناني : { فلتحفظ العادة القديمة التي في مصر على ليبيا والخمس مدن بحيث يكون لأسقف الإسكندرية السلطة على هذه المقاطعات . بما أن أسقف روما هو أيضاً محتفظ (عنده) بهذه العادة ، ولتحفظ هذه العادة كذلك في أنطاكية وفي سائر ابروشيات الكنيسة ، تلك الأبرشيات التي تتمتع بإمتيازاتها القديمة ، والمبدأ العام الواضح الذي لا يحتاج إلى برهان هو من يسام أسقفاً بدون موافقة المتروبوليت (أسقف المدينة الرئيسة) فإن المجمع العظيم لا يعتبره أسقفاً على هذه الصفة ويقول عن هذا الرجل لا يجب أن يكون أسقفاً } فليس في النص اليوناني { قانون وضعه أسقف روما } ولكن فيه " عادة قديمة " .. أني أظن أن روفينوس كان أكثر من لاهوتييكم العصريين قدرة على معرفة موضوع القانون السادس النيقاوي لأنه كان كاهن كنيسة اكويلا بايطاليا وكان معاصراً للمجمع النيقاوي .. وإليك ما قال في ذلك القانون " لقد قرَّر الآباء بأن العادة القديمة يجب حفظها في الإسكندرية وفي رومة ، وبمقتضى هذه العادة يكون لأسقف الإسكندرية الحكم في مصر ولأسقف رومة الحكم على الكنائس التابعة له " [١٦٩]

أما عن القانون ٣٧ الذي حدد البطاركة بأربعة مثل كتبة الإنجيل الأربعة ، فلماذا أهمل كتَبة الرسائل ؟ وكيف يمكن إهمال كرسي أورشليم ؟ ومتى كان كرسي أفسس من الكراسي الرسولية الأربعة ؟ وما رأيك في كرسي القسطنطينية الذي تساوى فيما بعد مع كرسي روما ؟ هل تصبح له الزعامة أيضا بحسب القانون ٢٨ من مجمع خلقيدونية ؟! والقانون ٤٤ الذي يتحدث عن البطريركية والبطريرك مع أن هذه الألقاب لم تعرف إلاَّ في مجمع خلقيدونية في القرن الخامس ولم تكن معروفة في مجمع نيقية ..

يقول كيرلس مقار البطريرك الكاثوليكي العائد " ومن له بعض المعرفة بالتاريخ الكنسي لابد أن يحكم بأن هذه المجموعة لم تكتب إلاَّ بعد المجمع النيقاوي بزمن طويل ، والبرهان على ذلك ما جاء بتلك القوانين عن البطريركيات والبطاركة .. فقد قال القانون الـ٣٧ منها ما يأتي { لا يجب أن يكون في الدنيا إلاَّ أربع بطريركيات .. والرابعة في أفسس كرسي القديس يوحنا الإنجيلي ، وقد نُقِلت هذه الأخيرة إلى

---

[١٦٩] الوضع الإلهي في تأسيس الكنيسة جـ٣ صـ٣٠،٣١ .

القسطنطينية } وإذا غضضنا النظر عن بطريركية أفسس التى لم يسمع بها أحد !! فإنه لا يمكننا أن نغض النظر كذلك عن لفظتي { بطريركية وبطريرك } اللتين لم تسمعا للمرة الأولى إلاَّ فى المجمع الخلقيدونى .. وفضلاً عن هذا فإننا نرى النسخة العربية تتكلم عن أسقف الحبشة ، وكلنا يعلم أن الحبشة لم تعتنق المسيحية قبل المجمع النيقاوي بل بعده !!

انى اتحداك (أيها الأخ الكاثوليكي) أن تذكر لي أباً أرثوذكسياً واحداً إعتقد هذا الإعتقاد ، فإن لاهوتيكم الرومانيّين بعد أن تصبّبت جباههم دماً وماء لم يعثروا إلاَّ على كاتبين اثنين يقولان بالطبيعة الواحدة قد عاشا فى القرن الثالث عشر وهما وحدهما القائلان بنيقاوية هذه القوانين { هما أبنا العسال وهما من أبناء الكنيسة القبطية ، ولكن يجب أن يلاحظ أن عثرة هذين المؤلفين لا يمكن عقلاً أن تُنسب إلى تلك الكنيسة } وعلى كل حال فما تأثير ذلك على الكنيسة الأرثوذكسية كنيسة المجامع المسكونية ؟ .. لقد قلت (أيها الأخ الكاثوليكي) أن هذه القوانين العربية موجودة عندنا واردت أن تستنتج عن ذلك القول أننا نقدسها تقديساً ونجلُّها إجلالاً :

فهل كل ما يوجد بين ايدينا فهو مقدس وجليل ؟ ألاَّ يجرنا هذا المنطق المضحك إلى تقديس الأناجيل المزوَّرة بما أنها بين أيدينا وتحمل من الأسماء الرسولية ما راق لواضعيها أن يصدروها بها ؟! ألاَّ تشعر بأن هذا الأستنتاج من البلاهة بمكان ؟!! اعلم أن آباءنا الذين نبذوا الأناجيل المزوَّرة نبذ النواة هم أنفسهم الذين نبذوا القوانين النيقاوية المزوَّرة قائلين أن الكنيسة لم تعرف للأباء الـ ٣١٨ غير عشرين قانوناً فقط .. أن القانون ٤٤ بقوله أن سلطة البابا على البطاركة شبيهة بتلك التى كانت للقديس بطرس على الرسل والمجامع الرسولية ينفى كل سلطان للبابا على الأساقفة !! لأن سلطة القديس بطرس التى تكلمنا عنها بإسهاب (فى الجزأين الأول والثانى) ليس لها خاصية السيادة أذ لم يكن للقديس بطرس سلطاناً على الرسل بل زميلاً لهم .. " [١٧٠]

خامساً : بالنسبة لمجمع القسطنطينية والقول بأن المادة الثالثة تنص على " أننا نقرُّ بأن الأولوية والسلطان الأعظم هو للحبر الرومانى " فإننا نقول بأن هذا المجمع قد إنعقد فى القسطنطينية وقد أرسل البابا الرومانى داماسوس للمائة وخمسين أسقفاً ليحضروا إلى روما لينضموا إلى مجمع كبير كنائسي غربي فرفض هؤلاء

---

[١٧٠] المرجع السابق حـ٣ صـ٣٩-٤٢ .

الأساقفة وكتبوا إلى بابا روما يشيرون إلى كسل الغربيّين في الحضور إلى القسطنطينية بينما يطلبون سفر الأساقفة الشرقيين إلى روما ، وفعلاً إنعقد المجمع فى القسطنطينية ولم يحضر بابا روما ولم يرسل نواباً عنه ولم يبعث برسالة للمجمع ، وجاء فى القانون الثانى " لا يتعدينَّ الأساقفة الذين خارج إدارتهم على الكنائس التى خارج حدودهم ولا يشوشنَّ الكنائس . بل وفقاً للقانون لأسقف إسكندرية أن يسوس أمور مصر فقط . ولأساقفة الشرق أن يسوسوا الشرق فقط .. ولأسافقة ولاية أسيا أن يسوسوا أمور أسيا فقط ..والمحافظة على القانون السابق تدوينه فى الإدارات نقتضى صريحاً أن يسوس أحوال كل إبروشية مجمع الأبروشية كما هو مُحدَّد فى نيقية " .

والقانون الثالث " أما أسقف القسطنطينية فليكن له التقدم فى الكرامة بعد أسقف رومية لكونها (أى القسطنطينية) رومية الجديدة " .

ويعلق على هذا الأرشميندريتى جراسيموس مسرَّة اللاذقي قائلاً " أن هذه الشهادات التاريخية تؤيد ما يأتى :

١- أن الملك ثيؤدوسيوس هو الذى عقد المجمع ..

٢- أن المجمع عقد بإلتئام بطاركة وأساقفة الشرق فقط مع قطع النظر عن الغرب .

٣- أنه سنَّ للبطريرك القسطنطيني مساواة الأسقف الروماني فى الكرامة لأنه أسقف كرسي رومية الجديد ، وهذا الأمر يوضح كل الوضوح أن أسباب تقدم الأساقفة بعضهم على بعض إنما هى إمتيازات المراكز العالمية .

٤- أن موافقة القيصر قرارات المجمع قبل أن يوقّع عليها بابا رومية وأساقفته تقطع كل شبهة فى صحة قول الغربيّين .

٥- أن المجمع قد عين حقوق الأساقفة وذكر حقوق البابا بأنه متقدم فى الكرامة .. فلو كانت له رئاسة وسلطة .. فكيف لم تعترض رومية وتطلب حقوقها وتلغى أعمال المجمع الذى لم تزل تعترف به إلى اليوم أنه مسكونى مُلهم من روح الحق ؟

٦- أن قرارات المجمع المسكونى كان يصدّق عليها الملوك كما يتضح من طلب المجمع إلى القيصر ثيؤدوسيوس الكبير أن يصدّق على أعماله ..

٧- لو كان تصديق الباباوات على أعمال المجامع معناه التثبيت كما يدعون ، فاعمال المجمع المسكونى كانت من ذى قبل مصدقاً عليها . فلماذا لم يرسلها الملك إلى البابا للتصديق ويرفع عن نفسه وعن المجمع ثقلة عقد المجمع على أمور تخص البابا

وحده ؟ أو لماذا لم يُقم البابا الحجة على القيصر لبخسه حقوقه وتسليمها إلى مجمع الأساقفة ؟ .. " [171]

سادساً : ومما سبق نجد الرد واضحاً على قول القس فيلبس النائب البابوي الروماني فى مجمع أفسس " تعلمون أن الطوباوى بطرس هو هامة الرسل ، ولذا نسألكم أن تطلعونا على ما قرره المجمع قبل حضورنا لكى نثبتّه بإسم خليفته بابانا الطوباى سلستينوس أسقف رومية " .

العجيب أن أساقفة الغرب يتمسكون بأى كلمة تكريم قيلت لأسقف روما أو أى رسالة أرسلت إليه ويعتبرونها أنها إعتراف برئاسة بابا روما ، مع العلم بأن رسائل الآباء مملؤة ومشحونه بعبارات التبجيل والتقريظ والتكريم ، فمثلاً " القديس غريغوريوس قال فى كبريانوس { أنه راعٍ وأفضل وأحسن الرعاة لأنه لم يكن رئيساً على كنيسة القرطاجنيّين فقط ولا على أفريقيا وحدها الشهيرة به من وقته بل على الغرب وتقريباً على الشرق عينه أيضاً من جنوبه إلى شماله حيث جاء هو بالعجائب } وقال أيضاً فى أثناسيوس { أنه إذ صار أسقفاً على إسكندرية أؤتمن على إدارة الشعب ورئاسته ، وبقولٍ واحدٍ أُؤتمن على كل المسكونة } " [172]

سابعاً : كتابة يوحنا فم الذهب لبابا روما لا تثبت رئاسة بابا روما ، فقط إرتبطت مشكلة فم الذهب بمشكلة الأخوة الطوال ، ويرد على هذا الأرشميندريتي جراسيموس مسرّة قائلا :

" يرى الغربيون أن كتابة القديس (يوحنا فم الذهب) للبابا اينوشنسيوس دليل على سلطة للبابا على الكنيسة ، ولكن الشرقيّين يدفعون هذه الدعاوى .. فيقولون :

١- أنه لو كان البابا ذا سلطة على الكنيسة لما التجأ الرهبان الهاربون من ثاؤفيلس (الأخوة الطوال) إلى القسطنطينية بل إلى رومية .

٢- لما تظلّم الرهبان إلى الملكة قالت " من متعلقاتى أنا أنى أجمع مجمعاً وأدعو

---

[171] تاريخ الانشقاق جـ١ صـ١٥١-١٥٤.

[172] المرجع السابق صـ١٦٣ .

ثاوفيلس " ولم تقل أن ذلك من متعلقات البابا البتة .

٣- أن ثاوفيلس وابيفانيوس جمعا مجمعاً بسلطانهم ولم يستشيروا أسقف رومية .

٤- لما لم يرضَ يوحنا بمجمع البلوطة لم يرفع قضيته إلى رومية بل إلى مجمع مسكونى .

٥- لما رجع من منفاه الأول كان يستعفى من أن يدخل المدينة قبل عقد مجمع كبير لرؤية القضية ، ولم تخطر رومية على باله ..

٦- لما نفى المرة الثانية لم يكتب للبابا وحده.. بل لرؤساء كنائس كثيرة مستقلة ..

وأخيراً لما كتب البابا يلوم ثاوفيلس على سلوكه فى مسأله يوحنا الذهبى الفم . فمع أن ثاوفيلس ملام حقيقة على ذلك السلوك لم يطق ملآمة البابا (بابا روما) إياه بل رفضها بكل سلطان إيضاحاً لمساواة الحقوق ولتعدى البابا على ما ليس له " [١٧٣]

ثامنا : القول بأن البابا كيرلس عمود الدين كتب إلى البابا بخصوص قضية نسطور لأن بابا روما هو الرئيس المسئول عن الكنيسة ككل ، فقول مردود عليه بدليل :

١- البابا كيرلس عندما علم بهرطقة نسطور لم يعرض الأمر على بابا روما بل كتب يفنّدها فى منشوره الفصحى.

٢- كتب البابا كيرلس لكلستينوس بابا روما لأنه علِم أن نسطور كتب له ، فخوفاً على بابا روما من الإنحدار إلى بدعة نسطور كتب إليه البابا كيرلس وأوصى رسوله أن لا يُسلّم رسالته إلى بابا روما إلاَّ بعد التأكد من أن نسطور كتب له .

٣- البابا كيرلس لم يكتب لبابا روما فقط بل كتب لنسطور ذاته ، وعندما لم يرضَ نسطور برسالة البابا كيرلس كتب يرد عليه ولم يشكوه لبابا روما . كما كتب البابا كيرلس للملوك والإكليروس وأساقفة الكنائس وقال لشعب الإسكندرية " أن المجمع يطهر الكنيسة " ولم يقل " أن البابا يطهر الكنيسة " .

٤- كتب البابا كيرلس لرهبان القسطنطينية يقول " أنى لا أعطي نوما لعينى ونعاساً لأجفاني إلى أن أجاهد الجهاد فى سبيل خلاص الجميع " فيعتبر نفسه مسئولاً عن توضيح الإيمان ككل ، ولم يلق بالمسئولية على بابا روما.

---

[١٧٣] المرجع السابق صـ١٦٨-١٧٢.

٥-قول بابا روما للبابا كيرلس " أننا نخُصّك بسلطان كرسينا ونُقلّدك سلطتنا الرسولية فتستعمل وظيفتنا وسلطاننا لتنفيذ حكمنا " معناه إضافة سلطة بابا روما إلى سلطة البابا كيرلس ، وليس معناه منح السلطة للبابا كيرلس لأنه لم يقل له " أننا نمنحك سلطتنا " ، ويوضح هذا عندما أرسل بابا روما نوابه إلى مجمع أفسس المسكوني أوصاهم بأنه بمجرد وصولهم يضعوا أنفسهم تحت أمر وسلطة البابا كيرلس .

٦-عندما صدر حكم مجمع أفسس على نسطور قال " فإننا قد إضطررنا ضرورة من القوانين ، ومن كتابة أبينا الجزيل القداسة ومساهمنا فى الخدمة كلستينوس أسقف كنيسة الرومانيّين . فبعد أن أذرفنا الدموع مراراً كثيرة أصدرنا الحكم عليه " فلا توجد فى هذا أى إشارة إلى رئاسة بابا روما .

تاسعاً : أما قانون ٢٨ من مجمع خلقيدونية الذى ساوى كرسي القسطنطينية بكرسي روما حتى لو إعترض عليه نواب البابا ثم البابا فإنه لم يقدر على إلغائه من جملة القوانين الصادرة من هذا المجمع المشئوم .

ملاحظة : جميع الدساتير والمراسيم والقرارات التى صدرت من المجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢-١٩٦٥م) مُزيَّلة بالتوقيع الآتي " أنا بولس أسقف الكنيسة الكاثوليكية " أليس هذا اعتراف واضح وصريح بان بابا روما أسقف مساو لأخوته أصحاب الكراسي الرسولية فى الرتبة ؟!

خامساً : هل كان مرقس تلميذاً لبطرس ومترجماً له وكاتباً لمذكراته ؟

يقول الأخوة الكاثوليك أن مرقس لم ير السيد المسيح ولم يسمعه . إنما كان تلميذاً لبطرس وسكرتيره الخاص وترجمانه وكاتب مذكراته ، فيقول الأب مكسيموس كابس :

" مرقس .. لم يكن رسولاً ولكنه تتلمذ أولاً لبولس مع برنابا وكان يدعى يوحنا . ثم تركهم والتحق بالخدمة مع القديس بطرس الذى أملاه الإنجيل الذى كتبه ، حيث أنه

لم يكن تابعاً للسيد المسيح منذ البداية وبالتالى لم يكن يَعلَم تعاليمه كلها ولكنه استقاها من الرسول بطرس ، وهذا الرأى يتفق عليه جميع المؤرخين والمفسرين وأن بطرس هو الذى أرسله ليبشر فى ليبيا أولاً ومنها سار إلى الإسكندرية " [١٧٤]

ويقولون " أمر (بطرس) تلميذه العزيز (مرقس) بخدمة هذه الكنيسة (رومية) "[١٧٥]

وأن بطرس الرسول أرسله إلى أكويلا " كان مرقس مرافقاً لبطرس الرسول فى رومية وأرسله للتبشير فى اكويلا ثم الإسكندرية كما أبان بارونيوس نقلاً عن اوسابيوس .. وأيضاً أن مارمرقس كان مرافقاً زعيم الرسل فى الإنذار ثم أرسله للتبشير فى اكويلا فى البندقية كما قدمنا بعد أن رسمه أسقفاً فآمن على يده كثيرون ، ثم أرسله مار بطرس بعد كتابة إنجيله إلى الإسكندرية فى مصر فأقام هناك كنيسة زاهية بأزهار الإيمان وثمار القداسة ودبر تلك الكنيسة أقدس تدبير تسع عشرة سنة وكتب إنجيله بروما بإملاء القديس بطرس " [١٧٦]

وقال كيرلس مقار البطريرك الكاثوليكى قبل عودته إلى الأرثوذكسية:

" أن القديس بطرس الجالس على الكرسي الروماني هو الذى أرسل مرقس رسولنا وأول بطاركتنا يهدى الشعب الذى زاره المخلص فى صباه ، ويتولى إدراة كرسي مدينة إسكندرية العظمى بأمر أول خليفة السيد المسيح ، فالفضل فى هدانا عائد لمكارم القديس بطرس كما أن الفضل فى تأسيس كنيسة الإسكندرية عائد لتعطفاته علينا لأنه لم يساونا بالغير بل فضّلنا ورقانا " [١٧٧]

وقال مكسيموس مظلوم بطريرك الروم الكاثوليك بأن " القديس بطرس أرسل القديس مرقس إلى الإقليم المصرى سنة ٤٩م كى ينذر أولئك الشعوب بموجب الإنجيل الذى حرّره " [١٧٨]

والأب شينو يُحدّد العلاقة بين مارمرقس وبطرس الرسول على أنه " سكرتيره

---

[١٧٤] إيماننا القويم جـ١ صـ٧٨.

[١٧٥] مروج الأخبار فى تراجم الأبرار صـ٢٣٣.

[١٧٦] قيام الأرثوذكسية الحقيقية على الاعتصام بكاتدار بطرس الرومانية صـ٥٩،٦٠.

[١٧٧] المرجع السابق صـ٧١ .

[١٧٨] مرقس الرسول–قداسة البابا شنودة الثالث صـ٣١ .

ومترجمه العزيز "[١٧٩] وقال أيضا " وهو (مرقس) ملتهب بالرغبة فى أن يرى مرة أخرى معلمه الموقر الرسول بطرس ذهب إلى روما ليقدم له حساباً عن الإرسالية التى عـــهد إليه بها " [١٨٠] وفى السنكسار الذى نشره رينيه باسيه يقول تحت يـــوم ٣٠ برمـــوده " ومضى (مرقس) إلى بطرس برومية وصار له تلميذاً ، وهناك كتب إنجيله أملاه عليـــه بطرس ، ويشر به فى رومية " [١٨١]

ويؤيدون أفكارهم هذه ببعض أقوال الآباء ، فيقولون " وأما اكلمينضس الاسكندري استاذ اوريجانوس فقال { أن مارمرقس لم يدون فى إنجيله إلاّ ما كـــرز بـــه القديـــس بطرس فى رومة } (الأشارات ك٣) .. أن ماربطرس كان قد بشر فى رومـــة بيســـوع المسيح أمام البعض من حاشية الملك فهؤلاء التمسوا من مار مرقس أن يكتب لهم مـــا سمعوه مشافهة من معلمه بطرس فكتب لهم الإنجيل الطاهر " [١٨٢]

" أن هناك مصدراً آخـــراً هو { الاكليمنضيات } فقد نقل عنها أوسابيوس تأســـيس بطرس لكنيسة أنطاكية سنة ٣٦م ، واســـتصحابه مرقـــس إلـــى رومـــة ســـنة ٤٢م ، واستكتابه لإنجيله بها واتخاذه إياه تلميذاً له " [١٨٣]

وقال بابياس فى نهاية القرن الثانى " أن مرقـــس الذى كان مفسراً لأقوال بطـــرس ، كتب بدقة ولكن ليس بالترتيب ، كل ما جمعه مما قاله يسوع أو فعله لأنه لم يكن تابعاً ليسوع ولم يكن يسمع أقواله مباشرة ، وأنه كان تابعاً لبطرس كما قلت مؤخراً ، وقـــد عمل بطرس على أن يقدم تعاليمه لتفى بحاجة الشعب ، دون محاولة تقديم كلمات الـــرب بصورة منتظمة ، ولذا فإن مرقس لم يكن مخطئاً فى تدوين بعض الأشياء من الذاكـــرة لأن إهتمامه الأوحد كان ألاّ يحذف أو يبطل أى شئ مما قد سمعه " [١٨٤]

---

[١٧٩] Chineau :Les Saints d, Egypt I.P 500 – أورده قداسة البابا شنودة الثالث فى كتابه مرقـــس الرسول صـــ٢٩ .

[١٨٠] Chineau :Les Saints d, Egypt I.P 500 – أورده قداسة البابا شنودة الثالث فى كتابه مرقس الرسول صـــ٣١

[١٨١] Le Synaxaire Arab – Jacobite – أورده قداسة البابا شنودة الثالث فى كتابه مرقس الرسول صـــ٣٠ .

[١٨٢] قيام الأرثوذكسية الحقيقية على الاعتصام بكاتدرا بطرس الرومانية صـــ٦٨،٦٩.

[١٨٣] المرجع السابق صـــ٥١.

[١٨٤] تفسير رسائل يعقوب وبطرس –وليم باركلى صـــ٣٣١ .

ويقول ايريناؤس أيضاً أنه بعد موت بطرس وبولس فى روما " كتب إلينا مرقس تلميذ بطرس ومفسر أقواله كل ما بشر به بطرس " [185]

وأخيراً يقول المطران يوسف الدبس أن مرقس الإنجيلى ليس هو يوحنا مرقس " قد زعم تاوافيلاكتوس ووأوتيميوس وغيرهما أن مرقس الإنجيلى هو يوحنا مرقس نفسه الذى ورد ذكره فى الابركسيس (سفر الاعمال) ص١٢ وإبن عم برنابا ، والصحيح أنه غيره ، لأن يوحنا مرقس كان مرافقاً لبولس فى أنطاكية وبلاد اليونان فى الوقت نفسه الذى كان فيه مرقس مرافقاً لبطرس الرسول فى رومة " [186]

توضيح :

إسمح لي ياصديقى أن أحيلك فى مناقشة هذا الموضوع بالتفصيل من جميع جوانبه إلى كتاب " مرقس الرسول " لقداسة البابا شنودة الثالث ، ولا مانع ان نقتطف هنا بعض العبارات القليلة .

" بيت مارمرقس أول كنيسة مسيحية .. ومن الشهادات على هذا ما ذكره الأب بول دورليان شينو فى كتابه (قديسو مصر) حيث قال : أن مرقس عرف باسم ابن مريم { جارة ومضيفة المسيح } وإن { بيت مريم حيث احتفل المسيح بالفصح الأخير كان على جبل صهيون على صخرة كبيرة } ومن الشهادات الواضحة ما سجله الكاردينال بارونيوس (من أشهر علماء الكاثوليك فى القرن ١٦) حيث قال عن بيت مار مرقس أنه { كان محط رجال المسيح وتلاميذه : ففيه أكل الفصح معهم ، وفيه اختفوا بعد موته ، وفى علية منه حلَّ عليهم الروح القدس . قد كان هذا البيت أولاً كنيسة مسيحية } وقالت دائرة المعارف البريطانية أن بيت مارمرقس كان مركزاً للحياة المسيحية فى أورشليم ، ولأن السيد المسيح صنع الفصح فى بيت مارمرقس لذلك أجمع العلماء على أن مارمرقس كان هو الرجل حامل جرة الماء الذى عناه الرب (مر١٤: ١٣-١٥ ، لو٢٢: ١٠-١٢) هذه العلية .. هى التى كان يجتمع فيها تلاميذ الرب (اع١: ١٣،١٤) وفى هذه العلية حيث كانوا مجتمعين حلَّ عليهم الروح القدس (اع٢: ١-٤) " [187]

---

[185] المرجع السابق صـــ٣٣١.

[186] قيام الأرثوذكسية الحقيقية على الاعتصام بكاتدرا بطرس الرومانية صـــ٦٠ .

[187] مرقس الرسول – قداسة البابا شنودة الثالث صـــ١٣،١٤.

" أحد السبعين رسولاً .. ذكر هذه الحقيقة ساويرس بن المقفع اسقف الأشمونين فى القرن العاشر ، وقد وصفه ابن كبر فى قائمتين بأسماء السبعين رسولاً .. وذكر هذه الحقيقة أيضا المقريزى .. فقال { ومن هؤلاء السبعين مرقس الإنجيلى ، وكان إسمه أولاً يوحنا .. } وكذلك إبن الصليبى أسقف أمد (سنة١١٤٩) ذكر أنه { من جوقه الأثنين والسبعين } ومن الآباء الأول ذكر هذه الحقيقة القديس ابيفانيوس أسقف قبرص فى كتابه ضد الهراطقات (٥١: ٥) وذكرها من قبله العلامة اوريجانوس .. ومن غير الأرثوذكس نجد أن المشرقى فى مقدمة تفسيره لإنجيل مرقس يقول أنه { دُعى للتلمذة برفقة السبعين تلميذاً ، وسُمى الثيؤفورس أى حامل الله } ، وشينو (الكاثوليكي) فى كتابه " قديسو مصر " يلقب مرقس رسولاً "[188]

" والأقباط الكاثوليك يمجدونه فى كتاب الثيؤطوكيات الخاص بهم قائلين له { أيها الرسول الإنجيلي .. المتكلم بالألهيات ، والإنجيلى ، والرسول .. نلت إكليل الرسولية .. رفقاؤك الرسل يفتخرون بك ، ونحن نفتخر بك وبهم } (من ثيؤطوكيات شهر كيهك صـ١٧٥-صـ١٧٧).. ما أصدق قول دائرى المعارف الفرنسية (وناشروها كاثوليك) : { أن دعوى تتلمذ مرقس لبطرس لم تكن سوى خرافة بُنيت على سقطات بعض الكتّاب } .. والعجيب انهم أدخلوا مثل هذه الأقوال فى كتبنا الطقسية عندما نشروها فى بلادهم " [189]

" محاولة نسبة كرازة مارمرقس إلى القديس بطرس .. المعروف أن روح الله هو الذى كان يحرك الرسل فى كرازتهم .. (أع١٦: ٦-١٠) والعجيب أن شينو هذا الذى يذكر أن مرقس الرسول قد ذهب إلى معلمه بطرس ليقدم حساباً .. هو نفسه يقول فى نفس الفصل من كتاب (قديسو مصر) عن القديس مرقس {ومن ثم بوحى من الروح القدس أبحر إلى سيرين (القيروان) ومنها أبحر نحو الإسكندرية } " [190]

" ادعاءات رسامته أسقفاً .. من العجيب فى هذه الادعاءات ما قيل عن مرقس الرسول أنه أقيم أسقفاً فى ثلاث مناطق مختلفة .. قيل أنه أُقيم من بطرس الرسول أسقفاً على اكويلا .. فى قارة أوربا ، وقيل أنه أُقيم من بطرس الرسول على

[188] المرجع السابق صـ١٥،١٦.

[189] المرجع السابق صـ٢٨،٢٩.

[190] المرجع السابق صـ٣١ .

حبيل (د.اسد رستم : مدينة الله أنطاكية العظمى حـ٣صـ٢٩٨) .. بقارة آسيا ، وقيل أنه أُقيم من بطرس أسقفاً على الإسكندرية فى قارة أفريقيا .. وأمام هذه الإدعاءات يقف القارئ حائراً . كيف يمكن أن يقام إنسان أسقفاً على مناطق متفرقة فى ثلاث قارات تمثل العالم القديم كله " [١٩١]

هل إنجيل مرقس هو مذكرات بطرس .. " ما معنى أن مرقس ترجمان بطرس ؟! هل معنى ذلك أن القديس بطرس العظيم فقد موهبة التكلم بألسنة التى أخذها من الروح القدس فى يوم الخمسين .. ؟ وإن كانت موهبة التكلم بألسنة لا تستخدم فى هذا المجال ففيم تستخدم إذن ؟!

تناقض الروايات المنسوبة للآباء .. وكما تتنافى رواية بابياس مع عقيدة الكنيسة ، كذلك تتعارض مع رواية منسوبة إلى القديس إيريناوس . فبينما تقول رواية بابياس أن { بطرس عندما علم بوحى من الروح القدس بما حدث سرّته غيرة هؤلاء الناس وأن السفر(الإنجيل) نال موافقته لإستعماله فى الكنائس } ، تقول رواية إيريناوس أن مارمرقس بعد انتقال القديسين بطرس وبولس أى بعد استشهادهما نقل إلينا تلك الأمور التى كرز بها بطرس !! .. أما الرواية الثالثة المنسوبة إلى القديس اكليمنضس الإسكندرى فهى أن مرقس الرسول كتب إنجيله بناء على طلب الذين استمعوا إلى بطرس ، الذى لما علم برغبتهم هذه ترك مرقس يكتب إنجيله بحرية (ومعنى هذا أن القديس بطرس قد عرف بشروع الكتابة قبل كتابة الإنجيل) ، ثم تقول الرواية أن مارمرقس { بعد أن كتب الإنجيل سلّمه لمن طلبوه ، ولما علم بطرس بهذا لم يمنعه من الكتابة ولا شجعه عليها } .. أى الروايات الثلاث نصدق وأيهما نرفض ؟! أو ليس صحيحاً أن اقوالاً عديدة منسوبة إلى الآباء الأول تحتاج إلى مراجعة كثيرة ، ولا نستطيع أن نقبلها فى سهولة وبساطة .. ما أكثر ما عندى من أمثلة على هذا الموضوع " [١٩٢]

ويقول سيادة الأنبا إغناتيوس برزى " أن الاكليمنضيات (أقوال القديس اكليمنضس السكندرى) كما رأينا كانت فى عهده (عهد اوسابيوس المؤرخ الكنسي) معروفة

---

[١٩١] المرجع السابق صـ٣٢ .

[١٩٢] المرجع السابق صـ١١٩-١٢١ .

بأنها من الكتب الدخيلة المزورة " [١٩٣]

كما يعترف سيادته بأن مرقس من الرسل السبعين فيقول " أن القديس مرقس لـم يكن من الاثنى عشر رسو لا بل غاية ما كان هو أنه أحد الأثنين وسبعين تلميـذاً الذيـن اصطفاهم المخلص " [١٩٤]

ويؤكد كثير من الأخـوة الكاثوليك أن مرقس الإنجيلى هـو يوحنا الملقـب مرقـس " مرقـس .. وكان يدعى يوحنا " [١٩٥]



---

[١٩٣] قيام الأرثوذكسية الحقيقة على الاعتصام بكاتدرا بطرس الرومانية صـ٥١ .

[١٩٤] المرجع السابق صـ٧١.

[١٩٥] إيماننا القويم جـ١ صـ٧٨.

الفصل الرابع

عصمة باباوات روما

يقول الأخوة الكاثوليك بأن بابا روما خليفة بطرس زعيم الرسل الذى تغيرت طبيعته بعد حلول الروح القدس من الخوف للقوة ومن الجبن للشجاعة ، فوقف أمام الملوك والولاة معلناً الإيمان القويم .. أن بابا روما يستمد عصمته من سلطة بطرس الصخرة ، وقد وضع عقيدة العصمة البابوية المجمع الفاتيكاني الأول سنة ١٨٧٠م عندما قال " إن أسقف روما عندما يتكلم { من على السدة } أى بصفته راعياً ومعلماً لجميع المؤمنين المسيحيين فيحدد بقوة سلطته الرسولية العليا أن تعليماً فى موضوع الإيمان والآداب يجب ان تعتنقه الكنيسة كلها .. تلك العصمة التى شاء الفادى الإلهي أن يمد بها كنيسته عندما تُحدد عقيدة فى موضوع الإيمان والآداب . لذلك فإن تحديدات الحبر الروماني غير قابلة للتعديل ، وذلك بقوتها الذاتية لا بقوة إجماع الكنيسة عليها " [١٩٦]

وجاء المجمع الفاتيكاني الثاني يثبت هذه العقيدة فى المادة ٢٥ من دستور عقائدي " التعليم الأصيل الصادر من الحبر الروماني – ولو لم يتكلم بصفته معلم الكنيسة – يجب أن يُعتنق بصفة فريدة .. ومن ثم يجب الاعتراف بسلطته التعليمية العليا بكل إحترام .. أن الأساقفة وإن كانوا لا يتمتعون كلٍ بمفرده بميزة العصمة فإنهم وإن كانوا متفرقين فى العالم مع احتفاظهم برباط الشركة فيما بينهم وبين خليفة بطرس إذا اجمعوا على تعليم عقيدة إيمانية أو خُلقية تعليماً سديداً وقاطعاً يعلنون حينئذ تعليم المسيح إعلاناً معصوماً من الخطأ ، ويزداد هذا الأمر وضوحاً عندما يجتمعون فى مجمع مسكوني .. وبهذه العصمة يتمتع الحبر الروماني رأس جماعة الأساقفة– بحكم وظيفته عندما يعلن إعلاناً قاطعاً التعليم المتعلق بالإيمان أو بالأخلاق بوصفه الراعي الأعظم والمعلم لجميع المؤمنين بالمسيح الذى يُثبت أخوته فى الإيمان (لو٢٢: ٣٢) ولذلك يقال بحق أن ما يُحدده غير قابل للتعديل فى ذاته ، وليس استناداً إلى قبول الكنيسة ، لأن هذه التحديدات قد صدرت بمعونة الروح القدس التى وُعِد بها هو ذاته فى شخص القديس بطرس ، وبذلك لا تحتاج إلى موافقة الآخرين ولا تحتمل اللجوء إلى أى حكم آخر ، والحبر

---

[١٩٦] اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر صـ٢٥٧ .

الروماني يُصدِر إذ ذاك حكماً لا كشخص فردي بل يعرض تعليـــم الإيمـــان الكـــاثوليكي ويدافع عنه بوصفه المعلم الأعلى للكنيسة جمعاء ، الذى تتمثل فيه بنوع فريد موهبـــة عصمة الكنيسة عينها " [١٩٧]

ويقول الأب الدكتور متري هاجي اثناسيو :

" أن يسوع (أليس من الواجب أن نقول ربنا يسوع ؟!) يقول لبطـــرس لا لبقيـــة الرسل { أنت الصخرة وعلى هذه الصخرة سأبني كنيستي وأبواب الجحيـــم لـــن تقـــوى عليها } (مت١٦: ١٨) ومعلوم أن أبواب الجحيم ترمز إلى الظلمة والجـــهل والضـــلال والكنيسة بقيادة بطرس ستظفر أبداً ويكون الحق بجانبها .. أن أولويـــة بطـــرس مـــع عصمته من الغلط لم تتوارَ من الكنيسة بعد موته .. أنهما كانتا ضروريتيـــن فـــى بـــدء تاريخ الكنيسة وستبقيان إلى نهاية العالم بهذه الضرورة . أن يســـوع يقـــول لبطـــرس { أنت الصخرة ..} أن ما هو أمس لكنيسة أبدية أو لبناء أبدي هو أبدي ، والحـــال أن بطرس هو ذاك الأمس وذاك الصخر . فبطرس إذن أبدى ، ولكنه مائت فسيبقى إذاً حيـــاً فى خلفائه إلى نهاية العالم .. أن يسوع يقول لتلاميذه { أن كل ما ربطتموه على الأرض يكون مربوطاً فى السماء ، وكل ما حللتموه على الأرض يكون محلولاً فـــى الســـماء } (مت١٨:١٨) أن هذه الصلاحيات العظيمة المُعطاة للرسل تفترض العصمة من الغلط فى التعليم . إذ لا يُعقل أن الله يُصادق فى السماء ما حُلَّ على الأرض بطريقة ضالة " [١٩٨]

أما الأب سليم بسترس بولس فيحصر عصمة الأساقفة فى حالتين فقط الأولـــى : عند اتفاق الأساقفة المنتشرين فى العالم مع خليفة بطرس على عقيدة معينة ، والثانية : عند إنعقاد المجامع المسكونية . أما الأسقف المنفرد فيمكنه أن يضل ويهلك فيقول :

" فإن الأساقفة لا يتمتَّعون منفردين بإمتياز العصمة ، أى أن الأسقف فى تعليمـــه الخاص الإعتباري يمكن أن يضلُّ وكذلك المجامع الإقليمية . فالأساقفة يتمتَّعون بالعصمة فى حالتين : اولاً إذا علَّم جميع الأساقفة المنتشرين فى العالم والمتحدين بخليفة بطـــرس أن عقيدة تتعلق بالإيمان والآداب تلزم بوجه مطلق ، وثانياً : إذ حـــدَّدوا العقـــائد فـــى المجامع المسكونية " [١٩٩]

---

[١٩٧] وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني صـــ٣٤٥،٣٤٦ .

[١٩٨] شهود يهوه فى الميزان صـــ١١٩-١٢١ .

[١٩٩] اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر جـــ٢ صـــ٢٥٥ .

ثم نسب الأخوة الكاثوليك العصمة فى تعليم العقائد والآداب لكل الأساقفة خلفاء الرسل ، فيقول الأب الدكتور متري هاجي " فصف الأساقفة المتحد برئيسه الشرعي يتمتع إذن إسوة بالرسل بسلطة تعليمية معصومة من الغلط .. السيد المسيح سلّم رسله سلطة تعليمية (معصومة من الغلط) .. فهذه الصلاحيات الممنوحة للرسل تفترض العصمة من الغلط فى التعليم .. فيسوع الحي والمقيم مع رسله يجنبهم الخطأ والضلال فى تعليم العقائد والآداب { أنه معهم كل الأيام إلى منتهى الدهر } (مت٢٨: ٢٠) فنستنتج من قول السيد أن ما قاله للرسل لا ينحصر فيهم وحدهم دون سواهم ، بل يتعداهم لخلفائهم " [٢٠٠]

ومن تعليقات الأب سليم بسترس يقول " أن عقيدة عصمة أسقف روما لا تزال عقدة العقد فى الحوار بين الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الأرثوذكسية ولا سيما أنها صدرت من مجمعين يعتبرهما الكاثوليك فى عداد المجامع المسكونية . ولكن هناك نزعه فى اللاهوت الكاثوليكي المعاصر لاعتبار كل المجامع التى التأمت بعد الانفصال بين الشرق والغرب سنة ١٠٥٤م مجامع عامة غربيَّة ، وليس مجامع مسكونية ، أما لأن أساقفة الكنيسة الأرثوذكسية لم يشتركوا فيها ، وأما لأن الكنيسة الأرثوذكسية لم توافق على قراراتها " [٢٠١]

أما الأب مكسيموس كابس فيدافع دفاعاً مستميتاً عن هذه العقيدة ويدلل على صحتها بالآتى :

أولاً : عصمة البابا ضرورية حتى تحفظ الكنيسة من الإنحراف ، وهذه العصمة تعتمد على نصين فى الكتاب المقدس .. (مت١٦: ١٨، ٢٨: ١٩، ٢٠) وكلمة أبواب الجحيم لن تقوي عليها أى أبواب الضلال والباطل لا يمكن أن يتطرق إليها " أى تحافظ على العقيدة سليمة دون غلط أو انحراف ، فإذا كان رئيس الكنيسة غير معصوم فى تعاليمه معناه أنه يمكن أن يضل وينحرف عن جادة الحق وبالتالى يصبح وعد المسيح غير ذات مفعول ..

ثانياً : أسأل قداسة البابا شنودة هل يمكن أن يسرد لي حادثة فى التاريخ أختلف فيها بابا روما مع مجمع من المجامع ورفض أن يعمل بموجب قراراته ؟ .. فى إنعقاد

---

[٢٠٠] المرجع السابق صـ١٢٢، ١٢٧ .

[٢٠١] اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر جـ٢ صـ٢٥٩ .

المجمع يتبادل الأساقفة المجتمعون الآراء وربما يستمر البحث والاجتماع سنين عديدة ، ويعلن البابا قرارات المجمع .. أما قول البابا شنودة بأن البطريرك خاضع لمجلس الأساقفة هذا غير صحيح لأن البطريرك إذا لم يرأس المجمع تكون كل اجتماعاته باطلة ، وبالتالي إذ أراد البطريرك أن يمنع الأساقفة من القرارات فما عليه إلاّ أن يمتنع عن رئاسة المجمع .. ونقد البابا شنودة للكنيسة الرومانية على غير حق والإهانة التي يوجهها للمجامع الكاثوليكية والبابا الروماني لا يصح أن تصدر من رئيس كنيسة يراعي المحبة المسيحية ويخاف الله في كل اقواله (المؤلف : لم يذكر سيادته ما هي هذه الإهانات) .

ثالثاً : يقول البابا شنودة أن الكنيسة الكاثوليكية في هذه الأيام طوَّرت من هذه العقيدة وجعلتها معقولة . أي عصمة البابا في التعليم العقائدي فقط أي الذي يذيعه باسم الكنيسة الجامعة (اكس كاتدرا) نقول له أن الكنيسة ثابتة على العقيدة كما هي منذ الأجيال الأولى ولم تغير شيئاً من تعاليمها . كل ماحدث هو شرح لما تعتقده الكنيسة الكاثوليكية لأناس عديمي الفهم يحاولون تشويه الحقيقة بتفسير الألفاظ بخلاف ما تعني وتأويلها إلى غير ما تقصد الكنيسة (المؤلف : من تقصد بهؤلاء أيها الأب المكرم ؟!!) والحمد لله أخيراً فهم البابا شنودة قصد الكنيسة الكاثوليكية عن كلمة العصمة ، وكان الواجب أن يغض الطرف عما استشكل عليه فيما مضى من تفاسير لم تقصدها الكنيسة الكاثوليكية لأن ما يظهر في خطابه هو تشويه سمعة الكنيسة الرومانية (المؤلف : شكراً على هذا الأسلوب الجارح) .

رابعاً : لم تعتقد أبداً الكنيسة الكاثوليكية بعصمة الأشخاص .. يعلم البابا شنودة كما تعلم الكنيسة الكاثوليكية أن البابوات لم يكونوا جميعاً على درجة القداسة . كما أن بطاركة كنيسة الإسكندرية منهم من كانت سمعته عار على الكنيسة ولا داعي لذكر حوادث هنا يعلمها جيداً البابا شنودة إذ كان مطلعاً على تاريخ كنيسته (المؤلف : أكرر شكري على الأسلوب الجارح) " [٢٠٢]

توضيح : في هذا التوضيح توضح الأمور الآتية :

أولاً : يقول الأخوة الكاثوليك أن نبع العصمة يأتي من كلام السيد المسيح لبطرس " أنت الصخرة وعلى هذه الصخرة سأبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها "

---

[٢٠٢] إيماننا القويم جـ ١ صـ ٦٣، ٦٧ .

(مت١٦: ١٨) وقد سبق مناقشة هذه الأية فى الفصل الخاص برئاسة بطرس الرسول ، ورأينا وتأكدنا تماماً أن السيد المسيح قال لبطرس " أنت بطرس " ولم يقل له " أنت الصخرة " ولم يقل له أيضاً " أنت الصخر " كما أنه لم يقل له " أنت الصفاة " والمقصود بـ " على هذه الصخرة سأبني كنيستي " أى على صخرة الإيمان بألوهية السيد المسيح ستقوم كنيسة المسيح وأى إنسان لا يعترف بهذه الألوهية لا يمكن أن ندعوه مسيحياً .

ثانياً : القول بأن " الكنيسة بقيادة بطرس ستظفر أبداً " فإننا نقول بأن " الكنيسة بقيادة عريسها ستظفر ابداً " عريسها هو الذى اشتراها بدمه الثمين ، وخطبها بالآمه القادية على عود الصليب ، وهو الذى يعتنى بها ، وهو الذى يقودها فى موكب نصرته من مجد إلى مجد وبعد إلى مجده يأخذها .. بإسمه ننال العماد ، وباسمه نُدعى مسيحيون ، وبإسمه نفوز بالنصرة على قوات الظلمة .

ثالثاً : القول بأن بابا روما خليفة بطرس الرسول المعصوم من الخطأ وبالتالي فهو يرث هذه العصمة منه . نعيد القول بأن الذى أسَّس كرسي روما هو بولس الرسول وليس بطرس الرسول الذى ذهب إلى روما قبيل استشهاده كما رأينا من قبل . كما أن بطرس الرسول لم يكن معصوماً من الخطأ لا قبل حلول الروح القدس ولا بعد حلول الروح القدس ، وهذا ما لمسناه أولاً فى الضعفات التى سقط فيها بطرس وإنكاره وجحوده وشتمه وسبه ولعنه للإسم المبارك قبل حلول الروح القدس ، وأيضاً بعد حلول الروح القدس رأينا سقوطه فى خطية الرياء حتى أن بولس الرسول وبَّخه عليها . أن الروح القدس يسكن فى الإنسان ولكنه لا يهبه العصمة ، فنحن هيكل لله وروح الله ساكن فينا ولكننا لسنا معصومين من الخطأ لأن العصمة لله وحده فقط .

رابعاً : يقولون أن العصمة للرسل ولخلفائهم من الأساقفة .. نحن نعترف بعصمة كتَّبة الأسفار المقدسة سواء فى العهد القديم أو العهد الجديد حيث يعصم روح الله القدوس الكاتب من الخطأ ، فعصمة الرسل تقتصر على حالة واحدة فقط وهى أثناء تسجيلهم لكلمات الوحي الإلهي ، وما عدا ذلك فهم تحت الضعف مثلنا ، من نفس العجينة البشرية الضعيفة . ثم يتبقى سؤال إن كان الأخوة الكاثوليك ينادون

بالعصمة للرسل فلماذا يعودون ويُقصرون هذه العصمة على أسقف روما فقـط دون سواه ؟!

خامساً : إن كان بعض الأخوة الكاثوليك يعترفون بأن الأسـقف فـى تعليمـه الخـاص الإعتيادي يمكن أن يخطئ ويضل ، فلماذا لا يطبقون هذه القاعدة علـى أسـقف روما أيضاً ؟! أليس هو أسقف من مصاف الأساقفـة أم أنه من طغمة أخرى ؟!

سادساً : قول المجمع الفاتيكاني الأول والثاني بأن العقائد التى يُحدّدها بابا روما لا يمكن تعديلها بواسطة أى جهة أخرى أو بمجمع كنسي . أى أن سلطة البابا أعلى مـن سلطة الأساقفة والبطاركة والمجامع ، وهذا لا يتفق مع مجمع قسـطنديا الـذى يدعونه المجمع المسكوني السادس عشر ، فقد نـص مجمع قسطنديا علـى " أى بابا امتنع عن الخضوع لهذا المجمع أو لأى مجمع مسكوني آخـر وأصـرَّ علـى عنـاده يكون تحـت طائلة القصاص الواجب " [٢٠٣]

سابعاً : بالنسبة للقول بأن عصمة البابا لازمة للحفاظ على إيمان الكنيسة من الإنحـراف نقول أن إيمان الكنيسة لا يعتمد على إنسان ضعيف معرض للخطأ ولكنه يعتمـد على الحق المُعلَن فى الإنجيل والذى تفسره المجامع المسكونية والمكانية وأقوال الآباء القديسين ، وعندما نقف أمام نور الكتاب المقدس ندرك أن كل إنسان . كل بشر . كل مولود امرأة مُعرَض للضعف والسقوط .. دعنا ياصديقى نورد بعـض الآيات التى تؤكد هذا ، ولن تجد آية واحدة تستثني إنسان ما من إمكانية السقوط

" لأنه ليس إنسان لا يخطئ " (١مل٨: ٤٦) .

" هوذا عبيده لا يأتمنهم وإلى ملائكته ينسب حماقة " (اي٤: ١٨) .

" من هو الإنسان حتى يزكو أو مولود المرأة حتى يتبرّر " (اي١٥: ١٤) .

" الكل قد زاغوا وفسدوا . ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد " (مـز١٠٤: ٣، رو٣: ١٢) .

" لأنه لا إنسان صديق فى الأرض يعمل صلاحاً ولا يخطئ " (جا٧: ٢٠) .

" أيها الأخوة أن أنسبق إنسان فأُخذ فى زلّة ما فاصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة ناظراً إلى نفسك لئلا تُجرب أنت أيضاً " (غل٦: ١) .

" لأننا فى أشياء كثيرة نعثر جميعنا " (يع٣: ٢) .

---

[٢٠٣] ملا١٥: ٥ ، فلوري١٠١: ٨ ، ٢٠، ٣٩، ٤٣، ٤٨ – أورده تاريخ الانشقاق جـ٣ صـ ١٢٨ .

" إن قلنا أنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا " (١يو١: ٨).

وإن كان الكتاب المقدس لم يغفل تسجيل خطايا الأنبياء وأبطال الإيمان مثل نــوح وإبراهيم ويعقوب وموسي وداود وسليمان وشمشون وبطرس ومرقس .. إلخ ليؤكد لنا أنه ليس إنسان بلا خطية ولو كانت حياته يوماً واحداً على الأرض . فهل نستثني بابا روما من هذا ؟

ولو افترضنا جدلاً بأن إنسان ما معصوم من الخطأ فإن معنى هذا أنه مُجبر على عمل الصلاح ويعجز عن عمل الخطأ ..فأين حريته الشخصية التى وهبها الله له ؟! وإن كان يعمل الصلاح مُجبراً فلماذا ينال حسن المجازاة ؟!

ثامناً : أما سؤال الأب مكسيموس كابس " أسأل قداسة البابا شنودة هل يمكن أن يسرد لي حادثة فى التاريخ اختلف فيها بابا روما مع مجمع من المجامع ورفض أن يعمل بموجب قراراته ؟ " .. فلتسمح لي ياصديقي أن نجيب على هذا التساؤل بشئ من التفصيل حيث نعرض ونسوق المثال تلو الآخر على ما تردى فيه بعض باباوات روما ولا سيما فى الأمور الخاصة بالإيمان والآداب ..

كيف نصدق أن باباوات روما جميعهم معصومون من الخطأ بحكم وظائفهم بينما سقط بعض منهم فى الهرطقات ، وحُكم على البعض بالحرم ، وأخرون تمرغوا فى الوحل بلا رادع ، ومنهم من تلطخت يداه بسفك الدماء الكثيرة ؟!

وهل يمكن أن روح الله يعصم إنساناً زانياً مستبيحاً قاتلاً متكبراً ؟!

وهل يمكن أن تكون هناك شركة بين الظلمة والنور ؟!

حقاً أن الخطية قوية طرحت كثيرين جرحى وكل قتلاها أقوياء ، ونحن لا نسرد هذه الأمثلة كنوع من الإدانة والتشفى لأننا جميعنا تحت الضعف ، ولكن لكيما نأخذ عبرة من التاريخ أنه لا يوجد إنسان معصوم من الخطية ، فالعصمة لله وحده فقط لا غير ، وإليك يا صديقى بمزيد من الآسي أقدم لك سراً هذه النماذج الصارخة :

١- فى أواخر القرن الثاني قدم إلى روما " ابراكسياس " من آسيا الصغرى صاحب هرطقة مؤلمي الأب فأسقط الكثيرين فى هرطقته ومنهم البابا زفيرينوس رقم (١٥) [١٩٩-٢١٧م] [٢٠٤] وساعده فى هذا البابا كاليسطوس رقم (١٦) الذى صار خليفة

[٢٠٤] أرقام الباباوات وتواريخهم كما هو وارد فى دليل الأماكن المقدسة فى روما وايطاليا –جورج حليم كيرلس صـ٣٠-٣٥ .

لزفيرنيوس [٢١٧-٢٢٢] كما سقط كاليسطوس أيضاً فى بدعة نويتـوس (راجـع تاريخ الانشقاق جـ١ صـ٩٩،١٠٠) .

٢- فى القرن الثالث الميلادي إدعي القس الروماني " نوباتيانوس " أنه لا خلاص للذين أنكروا الإيمان رغم توبتهم ، فكان يعيد تعميد التائبين ، وسمى نفسه هو وأتباعـه " أنقياء " فعقد كرنيليـوس بابـا رومـا رقـم (٢١) [٢٥١-٢٥٣] مجمعـاً وحـرم نوباتيانوس ، فخدع نوباتيانوس ثلاثة أساقفة وأسكرهم فساموه أسقفاً فى أحد منازل روما فى العاشرة من النهار (راجع تاريخ الانشقاق جـ١ صـ٧٠) .

٣- سقط البابا " مركلينوس " رقم (٢٩) [٢٩٦-٣٠٤] فى عبادة الأصنـام ، وضعـف وقدم ذبائح للأصنام . ثم عقد مجمع مكاني سنة ٣٠٣م فى " سينويسـا " وتـاب ، وعاد واعترف بالمسيح علانية فنال إكليل الشهادة ، و نحن لا نشهر به بل نطلـب بركاته وصلواته عنا . فقط نريد أن نقول أين كانت عصمته عندما ذبح للأصنـام ؟! (راجع تاريخ الانشقاق جـ١ صـ١٠٤) .

٤- وقَّع أساقفة الغرب ما عدا عدداً قليلاً جداً على قرارات مجمع ميـلان سـنة ٣٥٠م بإدانة القديس أثناسيوس الرسولي ، وكان من الذين شهدوا للحق ورفضوا التوقيـع على إدانة أثناسيوس البابا الروماني ليباريوس وهوسيوس أسقف قرطبة الذى بلـغ عمره نحو مائة عام ، ولكن للأسف أن البابا ليباريوس رقم (٣٦) [٣٥٢-٣٦٦] لم يتحمل النفى أكثر من سنتين فضعف وعاد يوقع على قرارات مجمع ميلان فأعـادوه من النفى إلى كرسيه ، فوجدهم قد أقاموا بابا آخراً فى غيابه يدعى " فيليكس " وظل البابوان فى آن واحد على كرسي البابوية .. ترى عندما غير ليباريوس رأيه ووقـع على قضايا إيمانية خاطئة هل كانت العصمة مازالت تصاحبه أم أنها تخلت عنـه ؟! ، وعندما أصرَّ كل من البابوين على الإحتفاظ بالكرسي الرسولي هل كان كل منـهما كان معصوماً من الخطأ ؟! (راجع تاريخ الانشقاق جـ١ صـ٢٥) .

٥- البابا أنسطاسيوس الثانى رقم (٥٠) [٤٩٦-٤٩٨] سقط فـى هرطقـة اكـاكيوس وفوتينوس فبغضه الإكليروس وابتعدوا عن شركته ، ويقال أنه مات باندلاق إمعائـه مثل اريوس فى شره .. تُرى هل كان معصوماً من الخطأ ؟! (راجع تاريخ الانشقاق جـ١ صـ٢٧٢) .

٦- بعد وفاة أنسطاسيوس الثانى إنشق الشعب إلى شطرين وشرطنوا باباوين فى يوم

واحد هما سيماخوس ولافرنديوس ، ونظراً للشغب الذى عقب الشـرطونيات عقـد ثاوذيريخوس الملك الأريوسي مجمعاً ثبَّت سيماخوس لأنه شـرطن أولاً ، وأعطـي لافرنديوس إبروشية نوكيرا ، وبعد أربع سنوات اندفع لافرنديوس ورجع إلى كرسي البابوية ، فغضب ثاوذيريخوس من ذلك وطرد كلا البابوين وأقام أسـقفاً يُدعـى " آلتبتوس " وكيلاً على الكرسي ، وأنعقد مجمع من ١٢٠ أسقفاً وحكم بالبراءة للبابـا سيماخوس وأدان البابا لافرنديوس فحدث بسبب هذا قلاقـل واضطرابـات وسـقط كثيرون قتلى وجرحى (تاريخ الانشقاق جـ١صـ٢٧٣) .

٧- البابا يوحنا الأول رقم (٥٣) [٥٢٣-٥٢٦] ارتضى أن يدافـع عـن الأريوسـية ، فعندما علم ثاوذيريخوس الملـك الأريوسـي أن يوسـتينوس إمـبراطور الشـرق الأرثوذكسي قد أصدر أمراً بتسليم كنائس الأريوسيِّين التى فى مملكته للأرثوذكـس ، فأرسل ثاوذيريخوس إلى يوستينوس البابا يوحنا الأول ينذره أن يترك الأريوسـيين وكنائسهم لئلا يسلم هو أيضاً كنائس الأرثوذكسيِّين فى مملكته للأريوسيِّين ، فذهـب البابا يوحنا الأول وجثا على ركبتيه أمام يوستينوس متضرعاً إليـه أن يعفـى عـن الأريوسيين ويترك لهم كنائسهم فوعده القيصر بهذا ، وللأسف عندما عاد البابا إلـى إيطاليا شك الملك ثاوذيريخوس فى أمانته وإخلاصه فألقاه فى السجن حتى مات جوعـاً .. لو كان هذا البابا معصوماً من الخطأ فلماذا لم يواجه الملك الأريوسـي ثـاوذيريخوس ؟! (تاريخ الانشقاق جـ١صـ٢٧٥،٢٧٤) .

٨- بعد موت يوحنا الأول قام البابا فيلكس الرابع رقم (٥٤) [٥٢٦-٥٣٠] وبعد وفاتـه انقسمت رومية إلى قسمين ، فأنتخب بعضهم البابا بونيفاتيوس والبعض أختار البابـا ديسقورس ، وكان القسم الأكبر مع ديسقورس غير أنه مات بعد ٢١ يوماً ، فوافـق الاكليروس كله البابا بونيفاتيوس خوفاً منه حتى أنه وقَّعوا على حـرم ديسـقورس الذى مات وصار بونيفاتيوس الثانى البابا رقم (٥٥) [٥٣٠-٥٣٢] الذى يصفـه التاريخ بإنه كان سفاحاً (تاريخ الانشقاق جـ١صـ٢٧٥،٢٧٤) ، تُرى هـل هـذا البابا السفاح كان معصوماً من الخطأ ؟!

٩- بعد وفاة البابا اغابيتوس رقم (٥٧) [٥٣٥-٥٣٦] الذى أحرق فى الكنيسة صكـوك حرم البابا ديسقورس من البابا بونيفاتيوس ، قـام ابيذيـاكون فـى رومـا يُدعـى سلباريوس وقدم رشوة للملك ثاوذاتوس ملك رومـا فانتخبـه بابـا لرومـا وهـدَّد

المقاومين بالقتل ، وكان فى القسطنطينية وكيلاً عن البابا الروماني وهو ويجيليوس استطاع الوصول عن طريق القائد بليصاريوس إلى كرسي روما وتسبب فى نفى البابا سلباريوس ، ولكن الإمبراطور إعاده من منفاه ، ثم تسبَّب ويجيليوس فى نفيه مرة أخرى ، وفى هذه المرة الثانية حرَّض الحراس عليه حتى أماتوه من العطش والجوع وقبل موته رشق البابا ويجيليوس بالحرم .. أما البابا ويجيليوس المذكور فى عداد الباباوات ويحمل رقم (٥٩) فلم يكن له مبدأ ثابتاً فى القضايا الإيمانية " وماذا نقول فى سلوك البابا ويجيليوس الذى كان يتلون كل يوم لوناً . تارة بموافقة الإمبراطورة وتارة بعدم موافقتها . تارة بحرمه المجمع الرابع (خلقيدونية) وتارة باعتباره إياه . تارة بموافقة الهراطقة وتارة بندمه على ذلك . تارة بوعده وتاره بنكثه ، وتارة بإمضائه أوامر القيصر وتارة برفضها ، وبأى لسان نقول لشخص أنت لك سلطان ومعصوم (من الخطأ) وهو يقول : أنا أسير أُفتش عن ملجأ لأسلّم به ، وخاطئ ارتكبتُ جريمة القتل وأثم الهرطقة ؟ " [٢٠٥]

١٠- أرسل البابا بيلاجيوس الأول رقم (٦٠) [٥٥٦-٥٦١] إلى نرسيس قائد جيوش أفريقيا يحفزه على إضطهاد المخالفين فى الإيمان فيقول له " قد حكمَ الله والناس أن الذين يصنعون الشقاقات فى كنيسة الله المقدسة يُعذَّبون بالقوة الخارجية لا بالاضطهادات والمنافى فقط بل بسلب موجوداتهم أيضاً ، وبسجنهم بلا شفقة . فهذا ما نعرضه لك أيها السيد " [٢٠٦]

١١- هل يمكن أن نتصور إنساناً يسكب دم المسيح فى دواة لكيما يكتب به حرماً على إنسان آخر ؟! هذا ما حدث أكثر من مرة " ورد فى التاريخ أن البابا ثاوذورس الأول رقم (٧٣) [٦٤٢-٦٤٩] لما سمع أن بيرس رجع إلى بدعته عقد مجمعاً حرمه ، ولكى يكتب قرار المجمع سكب من الدم المقدس فى دواته وكتب به الحرم ، فمع اعترافنا بغيرة هذا البابا الدينية لا يسعنا إلاَّ أن نعتبر عمله إثما عظيماً " [٢٠٧]

وفى المجمع الذى عقد فى القرن التاسع ضد فوتيوس " قام قضاه فوتيوس وفاهوا (بفم اغناتيوس) بالأناثيما ضد فوتيوس وغريغوريوس وأتباعهم ، وأمضوا على

---

[٢٠٥] تاريخ الانشقاق جـ١ صـ٢٨٢ .

[٢٠٦] الخريدة النفسية فى تاريخ الكنيسة جـ٢ صـ٤٥ .

[٢٠٧] تاريخ الانشقاق جـ١ صـ٣١٨ .

الاعمال (يا للخسارة !) بدم المخلص مقتفين أثر البابا ثاوذورس " [٢٠٨] هل يمكن أن نقول أن البابا ثاوذورس معصوم من الخطأ وبالتالى فإن تصرفه هذا صحيح ويجب إتباع خطواته ؟!

١٢- أخطأ البابا أنوريوس الأول رقم (٧٠) [٦٢٥-٦٣٨] فحرمه المجمع المسكونى السادس سنة ٦٨٠م وشهد بهذا اليكورى فى كتابه تاريخ الهرطقات صـ٣١٦،٣٠٦ وكذلك ورد هذا الخبر فى كتاب خلاصة تاريخ الكنيسة المطبوع فى مطبعة الأباء اليسوعيين صـ٦٣ . أما الأرشمندريت حنانيا الياس كساب فيقول " هل حرم هذا المجمع (المجمع القسطنطى الثالث- المسكونى السادس) البابا أونوريوس ؟ نحاول الجواب على هذا السؤال لأن عدداً غفيراً من الغربيين حاولوا تبرئة البابا أونوريوس ، بل أنهم زعموا أن هذا المجمع قد أخطأ لأنه لم يدقق فى فحص التهم التى رمى بها هذا البابا . واجتهدوا فى تأويل تعليمه اجتهاداً لا يمكن أن ينيلهم مآربهم . زد على ذلك أن المجمع السابع فى عمله السادس قد حكم أيضاً على البابا أونوريوس . كما حكم عليه المجمع الذى عُقِد بعد ذلك وهو المجمع الثامن عند الكنيسة اللاتينية فى عمله العاشر ، والبابا لاون الثانى إعترف بحكم المجمع السادس على أونوريوس وقبله . كما أعلن ذلك فى كتابه للإمبراطور وقال أن البابا أونوريوس قد أُسقِط بتعليمه من منزلة الكرسي البابوي ولوث سمعة الكنيسة النقية ، وإذا حاربنا المدافعين عن البابا اونوريوس فى زعمهم أنه لم يكن مبتدعاً فيكون كل من البابوين لاون وادريانوس قد ضل من جهة الإيمان بحكمه على أونوريوس وأبساله (حرمه) " [٢٠٩]

١٣- البابا أغاثون رقم (٧٩) [٦٧٨-٦٨١] قال عنه التاريخ اللاتينى أنه قتل مكاريوس بطريرك انطاكية داخل سجون رومية المظلمة (منارة الأقداس جـ١ للدويهي بطريرك الموارنة البابوي صـ٢٣٢) .. فهل هذا البابا القاتل معصوم من الخطأ أيضا ؟! ، وتتعجب يا صديقى عندما تعلم أن الكنيسة الكاثوليكية تدعوه قديساً فوضعوا أمام إسمه فى جدول الباباوات حرف " ق" أى قديس .

---

[٢٠٨] المرجع السابق صـ٤٧٧ .

[٢٠٩] مجموعة الشرع الكنسي صـ٤٨٨ .

١٤- بعد وفاة البابا بولس الأول بابا روما رقم (٩٣) [٧٥٧-٧٦٧] إنقسم شعب روما على نفسه وتقاتلوا وسالت الدماء ، وفى أثناء هذا هجم " تُوتن " بجيش على روما ونصَّب أخاه قسطنطين وكان رجلاً عامياً فتحرك خريسطوفورس الذى تولى إدارة الولاية البابوية من قبل واستعان بجيش آخر من ديسيديريوس بقيادة كاهن روماني يدعى " بلديبرت" ودخل إلى روما ليلاً وقتل تُوتن ، وألقى البابا قسطنطين فى السجن ، ونصب بلديبرت قساً اسمه فيلبس بابا لروما ولكن هذا البابا الجديد لم يرضِ خريسطوفورس فاهاج الشعب على القس بلديبرت والقس فيلبس الذى صار بابا ، فأجتمع مجلس الإكليروس وانتخبوا البابا إسطفانوس الثالث رقم (٩٤) [٧٦٨-٧٧٢] عوضاً عن فيلبس ، وقبضوا على الأسقف ثاوذورس وكيل البابا قسطنطين فقلعوا عينيه وقطعوا لسانه وأماتوه جوعاً .

ثم أخرجوا البابا قسطنطين من السجن واركبوه على بردعة نسائية وربطوا أثقالاً فى رجليه وطافوا به الشوارع والأزقة وأدخلوه ديراً حيث قلعوا عينيه . أما القس بلديبرت فقد قطعوا لسانه فسال دمه حتى فارق الحياة ، وعُقِد مجمع لاتيران سنة ٧٦٩م وسنَّ قانوناً بأن لا يشرطن بابا من العوام ، وأما البابا قسطنطين فقد غضبوا عليه وأماتوه (تاريخ الانشقاق جـ١ صـ٣٤٢-٣٤٣) .

١٥- قام على كرسي روما البابا المعروف باسم " البابا حنة " ، وكان فى حقيقته انثى جرمانية اسمها جيلبرت ادَّعت أنها رجلاً ، وتعلمت فى اثينا وبرعت فى التعليم ، فانتخبوها بعد البابا لاون الرابع رقم ١٠٣ [٨٤٧-٨٥٥] وعندما اخطأت مع أحد مؤتمنيها حبلت واسقطت وماتت بعد أن ساست كرسي روما سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام ، وشهد بهذه الحقيقة كثير من المؤرخين غير أنهم اسقطوا اسمها من تعداد الباباوات ، ومنذ ذلك الحين صار هناك تقليد عند انتخاب بابا جديد إذ يجلسونه على كرسي مثقوب ويتقدم أحد الكرادلة ويؤكد باللمس ذكوريته (تاريخ الانشقاق حـ١ صـ٣٥٨ - موسهيم حـ ١ صـ٣١٤) .

١٦- البابا بناديكتوس الثالث (٨٥٥-٨٥٨) رفض عقيدة انبثاق الروح القدس من الإبن وأصدر منشوراً سنة ٨٥٦م حذر فيه الشعب من قبول هذه الزيادة فى قانون الإيمان ، بينما قبِل خليفته البابا نيقولاوس (٨٥٨-٨٦٧) هذه الزيادة وأقرَّها ودافع عنها ، فأيهما يا تُرى كان معصوماً وأيهما فارقته العصمة البابوِّية ؟!

(راجع الخريدة النفسية جـ٢ صـ٢٢٢) .

١٧- البابا لاون الثالث رقم (٩٦) [٧٩٥-٨١٦] لم يقبل إضافة " والإبن "على قانون الإيمان . " ونقش الدستور على لوحين من فضة باليونانية واللاتينية صحيحاً سالماً بدون الزيادة ونصَّبها أمام الباب المقابل قبر بطرس وبولس وكتب عليهما هذا العنوان { أنا لاون قد نصَّبت هذين اللوحين حباً بالإيمان الأرثوذكسي وحفظاً له } (ملاتيوس ٨: ١٤: ٦ وصخرة الشك صـ١٢٤ وتاريخ باقيدي . وانسطاسيوس . وبارون) " [٢١٠] . فهل هو مخطئ أو محق في نظركم ؟ .. إن قلتم أنه محق لأنه معصوم من الخطأ في القضايا الإيمانية إذاً عقيدتكم في انبثاق الروح القدس من الآب والإبن خاطئة ، وإن قلتم أنه مخطئ في هذه القضية الإيمانية بهذا تهدمون قضية عصمة البابوات ، ولو كان مخطئاً في الإيمان فكيف تعترفون به قديساً ؟!

١٨- عندما تولى البابا إستفانوس السادس رقم (١١٣) [٨٩٦-٨٩٧] كرسي البابوية حكم على البابا الأسبق فورموسس رقم (١١١) [٨٩١-٨٩٦] بالحرم ، ولم يكتفِ بهذا " بل أمر بفتح قبره وإخراج جثته وإحضارها إلى ديوانه للمحاكمة ، فأُحضرت تلك الجثة المسكينة بعد ما كانت مدفونة في الأرض يسترها التراب أياماً ، ونُصّبت أمامه ووقف محام خلفها يجيب على الأسئلة الموجهة إليها ، وبعد المحاكمة حكم عليها البابا استفانوس أولاً بقطع أصابع يمينها الثلاثة التي بها كانت تقدم القربان . ثم بقطع رأسها وبطرحها في نهر تيبر بعد سجنها وإهانتها كأنها وحش لا جثة بابا مثله ، وتم تنفيذ الحكم " [٢١١] . أما البابا يوحنا التاسع رقم (١١٦) [٨٩٨-٩٠٠] فقد عقد مجمعاً وحرم البابا إسطفانوس السادس .. ترى هل البابا اسطفانوس السادس أيضاً معصوم من الخطأ ؟!

١٩- لم يستقر البابا لاون الخامس رقم (١١٨) على كرسيه اربعين يوماً سنة ٩٠٣م إلاَّ وقام ضده الكردينال خريسطوفورس كردينال ماري لورنس فخلعه وألقاه في السجن وجلس مكانه باسم البابا خريسطوفورس رقم (١١٩) [٩٠٣-٩٠٤] ، وبعد سبعة أشهر قام القس الروماني سرجيوس المحروم مجمعياً وبمساعدة

[٢١٠] تاريخ الأنشقاق جـ١ صـ ٣٥٥ .

[٢١١] المرجع السابق صـ٤٠٥،٤٠٦ .

ماروزيا التى كانت تسود على رومية هى وأمها ثيوذورة وأختها ثيوذورة أيضا وخلع البابا خريسطوفورس ونصَّب نفسه بابا روما باسم البابا سرجيوس الثالث رقم (١٢٠) [٩٠٤-٩١١] وعند موته وصفه الكردينال بارونيوس بأنه كان " عبداً لكل الرذائل وأشد الأشرار شراً " (تاريخ الانشقاق جـ٢ صـ١٤٦،٦) .
فهل البابا خريسطوفورس الذى اغتصب الكرسي من لاون الخامس معصوم من الخطأ ؟! وهل البابا سرجيوس الذى إغتصب الكرسي بمساعدة العاهرات يعتبر معصوم أيضاً من الخطأ ؟!

٢٠- أقامت ماروزيا البابا لاون السادس رقم (١٢٤) سنة ٩٢٨م عوضاً عن يوحنا العاشر ، ولكن بسبب عفته كرهته فلم يستقر على الكرسي غير ستة أشهر ثم حبسته وأماتته شهيداً للعفة ، وأقامت عوَضاً عنه البابا استفانوس السابع رقم (١٢٥) [٩٢٨-٩٣١] وبعد سنتين خلعته لتقيم عوضاً عنه إبنها الغير شرعى .. فكان هو البابا يوحنا الحادى عشر رقم (١٢٦) [٩٣١-٩٣٥] وقد شُرطنَ قبل أن يبلغ الخامسة والعشرين من عمره . قال عنه الكردينال إيلاتيني باروثيوس " أن كنيسة الله فى رومية قد غُصِبت على أن تحتمل كل المصائب حتى أنها تُداس وتحتقر من وحش كهذا إحتقاراً شنيعاً وقبيحاً " [٢١٢] وهل وحش مثل هذا يكون معصوماً من الخطأ فى أمر ما ؟!

٢١- البابا يوحنا الثانى عشر رقم (١٣١) [٩٥٥-٩٦٤] عُقِد له مجمعاً حكم بحرمه بسبب سوء سلوكه ، وقالوا عنه " أنه خدم القداس بدون مناولة ، وإنه رسمَ شماساً فى الإسطبل ، وأنه باع درجات الكهنوت ، ورسمَ أسقفاً لا يتجاوز سنهُ العشر سنوات ، وإنه يتصيَّد ، وإنه فقأ عيني عرَّابهِ ، وإنه خصى أحد الكرادلة ، وأحرق بيوتاً كثيرة ، وكان يتقلَّد السلاح ، وإنه شرب الكأس بسر الشيطان ، وكان يحلف بالكواكب كالمشترى والزهرى وبقية آلهة الأمم ، وأنه لعب القمار ، ولم يكن يصلى ، ولا يرسم الصليب على وجهه " [٢١٣] .. تُرى هل مثل هذا الإنسان عندما يتكلم فى أمور عن الإيمان أوالآداب يكون معصوماً ؟! ومن أين تأتى له

[٢١٢] المرجع السابق صـ ٢٠ .
[٢١٣] المرجع السابق صـ٣٠ .

العصمة ؟! هل من الشيطان الذى يقوده ؟! لم ينتهِ الأمر إلى هذا الحد بل بعد ما عزلوه وأقاموا بدلاً منه لاون الثامن رقم (١٣٢) [٩٦٣-٩٦٥] استطاع يوحنا الثانى عشر هذا أن يعقد مجمعاً من ١٦ أسقفاً ويحرم البابا لاون الذى خاف وهرب إلى القيصر يشكو له . أما البابا يوحنا الثانى عشر فقد قُتل ، وبعد إغتياله أقام شعب روما الشماس بنديكتوس باسم البابا بنديكتوس الخامس رقم (١٣٣) [٩٦٥/٢٢-٩٦٤/٤] بدون إذن القيصر الذى غضب عليه وجاء إلى روما بجيشه ومعه البابا لاون الثامن رقم (١٣٢) فحاصر المدينة ، ولكن البابا بنديكتوس الخامس دافع عنها دفاعاً مستميتاً حتى إستبد الجوع بالمدينة فسلَّم الرومان باباهم بنديكتوس للقيصر ، فعقدوا له مجمعاً وأدانوه لأنه قبل البابوية بدون إذن القيصر فألقى بنفسه تحت أقدام القيصر يسترحمه قائلاً " أخطأت فارحمونى .. أنى دجال كاذب " فتأثر القيصر حتى بكى وطلب من المجمع أن يصفح عنه فصفحوا عنه وأبقوه فى رتبة الشماسية (تاريخ الانشقاق جـ٢ صـ٣٠-٣٥) .

٢٢- إختار الملك أوثون الألمانى غريغوريوس فأقاموه بابا لروما باسم غريغوريوس الخامس رقم (١٣٩) [٩٩٦-٩٩٩] ، وعاد الملك أوثون إلى بلاده فأهاج كريسنديوس الشعب ضد البابا غريغوريوس الخامس الذى هرب إلى الملك أوثون بينما أقام كريسنديوس البابا يوحنا .. عاد أوثون ومعه غريغوريوس الخامس وقبضوا على كريسنديوس وألقوه فى السجن ببرج الملاك ، وقبضوا على البابا يوحنا فماذا فعلوا به ؟ قطعوا أنفه ولسانه ، وفقأوا عينيه ، واركبوه على حمار ووجهه إلى مؤخره الحمار وهو ممسك بزيله وطافوا به كل المدينة (تاريخ الانشقاق جـ٢ صـ٥١،٥٢) فهل تظن ياصديقى أن البابا غريغوريوس الخامس الذى شارك فى كل هذه المهازل يعتبر أيضا معصوماً من الخطأ ؟!

٢٣- عندما توفى البابا يوحنا التاسع عشر رقم (١٤٥) خلفه البابا بنيديكتوس التاسع رقم (١٤٦) [١٠٣٢-١٠٤٤] وكانت تصرفاته رديئة وسلوكه مشيناً حتى قالوا عنه " أنه كان إنساناً رديئاً للغاية ومرتكباً كل نوع من الإثم ، وأنه ربِّىَ بالرذائل واشتهر بالقبائح " [٢١٤] ولهذا طردوه من كرسيه سنة ١٠٣٨م ، ولكن القيصر " كُرَّاد " أرجعه إلى كرسيه ، وفى سنة ١٠٣٩م مات القيصر كُرَّاد وخلفه هنرى الصالح

[٢١٤] المرجع السابق جـ٢ صـ٧٢ .

ولم ينصلح حال البابا بنيديكتوس التاسع فطرده الشعب من كرسـيه مـرة ثانيـة سنة ١٠٤٤م وأقاموا عوضـاً عنـه البابـا سيلبسـترس الثـالث رقـم (١٤٧) [١٠٣٢-١٠٤٤] ، ولكن بنيدكتوس إستطاع أن يعود إلى كرسيه بعد ثلاث أشـهر بمعاونة أقربائه فهرب سيلبسترس ، وإذ رأى بنيديكتوس أن الشعب الرومـاني لا يقبله قسَّم الأبروشيـة مع سيلبسترس فصار لروما باباوان فى آن واحد ، ولكـن الشعب لم يقبل بنيديكتوس أيضاً بسبب شروره الكثيرة ، بل أن شـره زاد إذ بـاع نصيبه فى البابوية لقس يُدعى يوحنا بمبلغ ألف وخمسمائة لـيرة مـن الذهـب وسامه باسم البابا غريغوريوس السادس رقم (١٤٨) [١٠٤٥-١٠٤٦] فـأصبح لروما ثلاث باباوات فى وقت واحد ، وانتشرت السيمونية حتى قال إبلاتينـا أحـد كتَّاب الغرب " أن رئاسة كهنوت رؤساء أساقفة روما قد سقطت فى هـذا العصـر سقوطاً فظيعاً حتى أن الذى كان يستطيع أكثر من غيره ويمتاز فى دفـع الرشـوة وكرم العطاء كان هو وحده يحصل على درجة الوظيفة ، وأمـا الأخيـار فكـانوا يشقون ويُطرَدون . أفٍ لها من آداب . أفٍ لها من أوقات . أفٍ لها من حالـة .. وأسفاه ! وأسفاه ! ليته لم يحصل فى أيامنا " . أما المؤرخ بارونيوس فقد أسمى الثلاث باباوات بإنهم " وحشاً ذا ثلاثة رؤوس نبت من أبواب الجحيم " ثـم جـاء الملك هنرى الثالث فعقد مجمعاً وقطع الباباوات الثلاث وأقام إكليميس الثانى رقـم (١٤٩) [١٠٤٦-١٠٤٧] الذى مات مسموماً ، فعاد بنيديكتوس للمرة الرابعة لمدة ثمانية أشهر حتى أقام هنرى الثالث البابا داماسوس الثـانى رقـم (١٥٠) سـنة ١٠٤٨م الذى مات مسموماً أيضاً بعد رسامته بثـلاث وعشـرين يومـا ، فعـاد بنيديكتوس للمرة الخامسة حتى أنتخب هنرى الثالث البابا لاون التاسع رقم (١٥١) [١٠٤٩-١٠٥٤] (تاريخ الانشقاق جـ٢ صـ٧٢-٧٥) .

وأظن يا صديقى أنك مهما أجهدت ذاتك وأنت تبحـث عـن العصمـة فـى حيـاة بنيديكتوس التاسع فإنك لن تجدها قط .

٢٤- بعد وفاة البابا باسكال الثانى رقم (١٥٩) إنتخب الكرادلة البابا جيلاسـوس الثـانى رقـم (١٦٠) [١١١٨-١١١٩] فهجم وكيل القيصر هنرى بجيشه على رومـا ، وألقـى بالبابا جيلاسيوس على الأرض وداسه برجليه وأهان الكرادلة الذيـن انتخبـوه ، وعندما اطلقه أخذ البابا جيلاسيوس يشتم ويذم القيصر ، وعندما أقبل القيصر إلـى

روما هرب البابا جيلاسيوس ، فأقام القيصر غريغوريوس الثامن بدلاً منه (وهـذا لم يحصـهِ الكـاثوليك ضمـن عـداد البطاركـه) ، وبعـد فـترة قليلـة مـات البابا جيلاسيوس الثانى فأقام الكرادلة البابـا كاليكسـتوس الثـانى رقـم (١٦١) [١١١٩-١١٢٤] الذى قبض على البابا غريغوريوس الثـامن وألبسـه جلـد دب وأركبه على جمل ووجهه إلى ذنب الجمل وطافوا به شوارع روما ثم حبسه فـي دير كابينسيوس . كما حرم البابا كاليكستوس القيصر ، وهيج الشـعب الألمـاني ضده ، وأخيراً عقد مجمع صلح في ورمس سنة ١١٢٢م (تاريخ الأنشقاق جـ٢ صـ ١٦٤).. ترى هل البابا كاليكستوس الذى شهر بأخيـه غريغوريـوس بـهذه الصورة المذرية معصوم أيضاً من الخطأ ؟!

٢٥- بعد موت البابا كاليكستوس الثانى أقاموا خلفه البابـا أونوريـوس الثـانى رقـم (١٦٢) [١١٢٤-١١٣٠] غير أن حزب آخر أقام بابا آخر يدعى كلستينوس (لـم يدخله الكاثوليك فى عداد البطاركة) ولكن أنوريوس قـوى عليـه ، وبعـد وفـاة أنوريوس سنة ١١٣٠ إنقسم الرأى فأقام بعض الكرادلة البابا اينوشنسيوس الثانى رقم (١٦٣) [١١٣٠-١١٤٣] وأقام آخرون البابا أناكلينوس الثانى الذى إحتمـى بروجر حاكم صقلية ، فجمع البابا اينوشنسيوس جنوداً من المانيـا وذهـب إلـى صقلية لمحاربة روجر ، ولكنه إنهزم ووقع فى الأسر ، ووقَّع على المعاهدة التـى يريدها روجر فترك روما وذهب إلى فرنسا ، ولكن القيصر أعـاده إلـى إيطاليـا وأرجعه إلى كرسيه ، وظل النزاع قائماً بين اينوشنسيوس وبين أناكليتوس حتـى مات الأخير ، فأقاموا خلفاً له بابا يدعى ويكتور ولكنه استعفى من منصبـه بعـد شهرين (تاريخ الانشقاق جـ٢ صـ١٦٣-١٦٦) .. فـهل البابـا المحـارب اينوشنسيوس الذى حمل سيفه وراح يضرب الرقاب معصوم من الخطأ أيضاً ؟!

٢٦- فى حياة البابا غريغوريوس الحادى عشر رقم (٢٠٠) [١٣٧٠-١٣٧٨] الفرنسي الذى أعاد الكرسي البابوي من فرنسا إلى روما كانت حالة كنيسة روما يرثى لها . فقد كتب العالم الإيطالي فرانسو بيطرارك إلى أحد أصدقائـه يقـول " أن المجمـع الرومانى (الذى يسميه ببابل) قد فُقِد منه كل شئ صالح ، وأول كل شـئ خسـر الحرية ثم بالتتابع (خسر) الهدوء والفرح والرجاء والمحبـة . خسـارة عظيمـة للنفس ولكن تحت سلطان الطمع لا يعتبر شئ ضرراً ما دامت العملة باقية ، وأمـا

الرجاء بالحياة العتيدة فهو عندهم خرافة باطلة وكل ما يقال عن العذابات كله خرافات ، وقيامة الجسد ونهاية العالم والمسيح المزمع أن يأتى أيضاً ليدين الأحياء والأموات كلها أمور تُذكر فى الندب فقط أعنى من النادبين أمواتهم ، وقد صارت الحقيقة هنا جنوناً والإمساك خشونة والعفة خطيئة فظيعة ، وأخيراً صار الترخيص بارتكاب الخطايا شجاعة وحرية عظيمة ، وبقدر ما تكون الحياة رجسة تكون مجيدة ، وحيث تزداد الارتكابات هناك الشرف العظيم . أما الإسم الصالح فأدنس من الحماة " [215]

وبعد وفاة البابا غريغوريوس الحادي عشر طلب الشعب الروماني إقامة بابا إيطالي حتى لا ينقل الكرسي البابوي مرة أخرى إلى فرنسا ، فأجتمع ١٧ كردينال كان منهم أربعة إيطاليين والباقى فرنسيين ، وكان من المؤكد إختيار بابا من الفرنسيين ولكن تحت التهديد إختاروا بابا إيطالي وهو اوريانوس السادس رقم (٢٠١) [١٣٧٨-١٣٨٩] وكان رجلاً متكبراً قاسي القلب سمج الأخلاق ، وبعد رسامته ترك الكرادلة الفرنسويون روما وذهبوا إلى نابولى بحجة التصيّيف حيث أقاموا البابا اكليمس السابع فتبعه أهل فرنسا واسبانيا وأسكوتلاندا ونابولي وسيسيليا وقبرص ، والبعض الآخر كان يدعوه " ضد المسيح " ، ورشق كل بابا الأخر بالحرم وتطوّر الصراع إلى الصراع المسلح بين حزبى البابا ويّين . أما البابا إريانوس السادس فقد شرطنً ٥٤ كردينالاً كانوا يلبسون القبعات الحمراء مما أوقعهم فى الحرج وعدم الظهور أمام الشعب ، وكان رجلاً شرساً لا يتورع أن يضع أحد الكرادلة فى كيس ويلقى به فى لجة البحر ، وعادى الملوك والأمراء وامتلأت حياته بالشر وسفك الدماء (تاريخ الانشقاق جـ٣ صـ٧٧،٧٨) .. تُرى هل كان هذا البابا إريانوس السادس معصوماً من الخطأ ؟!

٢٧- بعد وفاة البابا إريانوس السادس أقام الرومان محله البابا بونيفاتيوس التاسع رقم (٢٠٢) [١٣٨٩-١٤٠٤] الذى عُرِف بالطمع وجمع الأموال عن طريق صكوك الغفران ، وعندما مات خصمه الفرنسي اكليمس السابع سنة ١٣٩٤م أقاموا عوضاً عنه البابا بنيديكتوس الثالث عشر ، وهكذا إستمر الشقاق وكل بابا يدعى أنه هو البابا الشرعى ويرشق الآخر بالحرم ويطالب بخلعه ، وفى سنة ١٤٠٤م

---

[215] المرجع السابق صـ٧٦،٧٧ .

توفى البابا الروماني بونيفانيوس التاسع فأقاموا عوضاً عنه البابا اينوشنسيوس السابع رقم (٢٠٣) [١٤٠٤-١٤٠٦] وعندما مات أقاموا عوضاً عنه البابا غريغوريوس الثانى عشر رقم (٢٠٤) [١٤٠٦-١٤١٥] ورغم أن الكرادلة أخذوا عليه تعهداً قبل رسامته بالتنازل عن البابوية متى تنازل خصمه بنيديكتوس الثالث عشر ، لكن بعد الرسامة تمسك كل من البابوين بالبابوية فعقد الكرادلة مجمعاً سنة ١٤٠٩م وتم إستدعاء البابوين فلم يحضر أحد منهما فحكم المجمع عليهما بأنهما منشقان هرطوقيان حانثان مُقلقان للكنيسة عنيدان وليسا أهلاً لكرامة من الكرامات ، وأقاموا عوضاً عنهما البابا إسكندر الخامس ولكن البابوين غريغوريوس وبنيديكتوس ظلّ كل منهما متمسكاً بالكرسي البابوى فأصبح لكنيسة روما ثلاث باباوات وكل منهم يقذف الآخرين بالحرم ويصب عليهما اللعنات ، وعقد غريغوريوس مجمعاً حرم الآخرين ، وهكذا فعل بنيديكتوس ، أما البابا اسكندر فلكى يكون حراً فقد حلّ المجمع لمدة ثلاث سنوات . أما بقية الأحداث المؤسفة فيمكنك الرجوع إليها فى أحداث مجمع قسطنديا سنة ١٤١٠م والذى يعتبرونه المجمع المسكوني السادس عشر ، ويقول أحد المؤرخين الكاثوليك " لكن الانشقاق لم يزل قائماً والشرور تتفاقم مع كل ما يُبذل من الاجتهاد فى إزالتها .. ورغم الإتحاد فى مجمع عام عقد فى كونسطنس سنة ١٤١٤م بعد ما تنازل غريغوريوس الثاني عشر من تلقاء إرادته ، وانحط يوحنا الثالث والعشرين الذى كان وعد بالعدول عن الحبرية ، وتنازل أيضاً بنيديكتوس الثالث عشر البابا الزور وأختار المجمع مرتينوس الخامس وعرفه الجميع وحدهُ بابا قانونياً وحبراً أعظم وحيداً " [٢١٦]

٢٨- عندما توفى البابا كالكستسوس الثالث الأسبانى رقم (٢٠٨) خلفه البابا بيوس الثاني الإيطالي رقم (٢٠٩) [١٤٥٥-١٤٥٨] وكان يدعى من قبل " اينياس سيلفيوس " وطالما كتب ضد السلطة البابوية ، ولكنه عندما صار بابا إنقلب عكس مبادئه وأيَّد الاستبداد البابوى ، وأنكر سلطة المجمع الكنسي على البابا ، وحرم مجمعي قسطنديا وباسيليا ، وكان محباً للمال إلى درجة مفرطة جداً ، ورفض كل كتاباته قبل توليه البابوية والتى لا تروق له حتى أنه قال قولاً عجيباً " يجب أن يطاع بيوس الثانى ، وأما اينياس سيلفيوس (اسمه قبلَ البابوية) فيجب أن يُلعن "

---

[٢١٦] خلاصة تاريخ الكنيسة – مطبعة الآباء اليسوعيين ص١٢٥-١٢٧ .

(تاريخ الانشقاق جـ٣ صـ٣٥٠) فهل تصدق يا صديقي أن مثل هذا الشخص الذى غير مبادئه الفاضلة (قبل البابوية) إلى مبادئ سيئة (بعد البابوية) قد منحته البابوية العصمة من الخطأ ؟!

٢٩- البابا سيكستوس الرابع رقم (٢١١) [١٤٧١-١٤٨٤] قيل عنه أنه " واطئ الآداب إلى الغاية . لا يستحي بالقبائح لا سراً ولا علناً ، وكان محباً للمال محبة مفرطة.. وداس كل شريعة وعدل ليزيد غناه ويرفع رايته إلى السماء ، وقد كتب فى أحد العنوانات عن نفسه أنه " آله " [٢١٧]

٣٠- عندما مات البابا سيكستوس الرابع خلفه البابا اينوشنسيوس الثامن رقم (٢١٢) [١٤٨٤-١٤٩٢] قيل عنه أنه " كان أكثر فساداً من الذين سبقوه وكان له ١٦ ولداً ثمانية بنين وثمانى بنات يزورهم علناً ويعتنى بهم ، ولذا كان أهل رومية يتهكمون عليه ويدعونه " أبا الوطن " وقد نظموا له بهذا المعنى بيتين لا تينيين كما يأتى : أن المؤذى ولد ثمانية بنين وبنات بعددهم . بهذا تستطيع رومية أن تسميه بعد أباً لها " [٢١٨]

٣١- عندما توفى البابا اينوشنسيوس اشترى رجل أسباني هو الكردينال " رودريك برجيا " الأسباني اصوات الكرادلة فسامه بابا لروما ، وسُمى باسم البابا اسكندر السادس رقم (٢١٣) [١٤٩٢-١٥٠٣] وكان له أربعه بنين وإبنة غير شرعيين ، ودعى بنيرون الباباوات بسبب كثرة الشرور والمعاصي ويسميه المؤرخون تنيناً ووحشاً ، وكان محباً للمال يبيع أى شئ مقدم ويهب ثمنه لإبنه قيصر كردينال برجيا ، ومن يمنع عنه المال من الكرالة والكهنة كان يدس له السم ويقتله حتى قتل الكثيرين ، ولكن العدل الإلهي إنتقم منه إذ أعدّ ابنه قيصر خمراً مسموماً ليسقيه للكردينال إدريانوس فى وليمة دعى إليها كبار رجال البلاط ، ولكن ساقى الخمر دون أن يقصد ناول الخمر المسمومة للبابا اسكندر وإبنه قيصر فمات البابا وعاش قيصر هزيلاً بقية حياته (تاريخ الانشقاق جـ٣ صـ٣٥١) .. هل يمكن أن نطلق على شخص مثل هذا أنه معصوم فى أمر ما سواء إيماني أو أدبي أو غيره ؟!!

٣٢- البابا بيوس الثالث رقم (٢١٤) مات مسموماً بعد ٢٥ يوماً من باباويته فخلفه

---

[٢١٧] المرجع السابق صـ٣٥٠ .

[٢١٨] المرجع السابق صـ٣٥١ .

البابا يوليوس الثانى رقم (٢١٥) [١٥٠٣-١٥١٣] الذى مضي معظم ولايته فى حروب لتوسيع دائرة سلطته حتى قيل أنه رمى مفاتيح بطرس فى نهر تيبر قائلاً بأن سيف بولس أفيد منها كثيراً ، وكان يصدر صكوك الغفران ويبيعها فى كل مكان لطمعه فى المال ، وفى عصره إنعقد مجمع لاتيران حيث لقَّبه أتباعه بأنه إله ثانى على الأرض (الخريدة النفسية جـ٢ صـ٤٥٩) ، فهل يُعتبر مثل هذا الإنسان معصوماً من الخطأ ؟!

٣٣- البابا ادريانوس السادس رقم (٢١٧) [١٥٢٢-١٥٢٣] كتب رسالة قبل باباويته ونشرها فى فترة باباويته يؤكد فيها أن البابا يمكن أن يخطئ فى تعليم الإيمان (تاريخ الانشقاق جـ٣ صـ٣٥٥) .. فإن كان الأخوة الكاثوليك يعترفون بعصمته فهل يعترفون بأقواله هذه ؟!

٣٤- البابا بولس الثالث رقم (٢١٩) [١٥٣٤-١٥٤٩] قال عنه المؤرخ الغربي " ثياتوس " أنه قتل بالسم أمه وابن أخيه وأخته وزوج إبنته ، ولم يكن يهمه الشرف ولا مصلحة الكنيسة (تاريخ الانشقاق جـ٣ صـ٣٥٥، ٣٥٦) .. فكيف نقول عنه أنه كان معصوماً من الخطأ ؟!

٣٥- البابا اينوشنسيوس العاشر رقم (٢٣٥) [١٦٤٤-١٦٥٥] مدحه أحدهم مشبهاً إياه بإبن الله بل أفضل منه فسرَّ البابا وفرح بهذا المديح فى الوقت الذى كان مضروباً فيه بالخطية ، وكانت امرأة أخيه اوليمبيا مالدكينى التى أوصلته إلى البابوية تتولى كل سياسة الكنيسة (تاريخ الانشقاق جـ٣ صـ٣٦٤) فهل هذه المرأة الشريرة معصومة أيضاً من الخطأ ؟!!

وعلى من يريد الأستذادة من هذه المتاعب التى توجع القلب فليرجع إلى كتاب " التاريخ الأسود للكنيسة " بقلم القس دى روزا – ترجمة من الألمانية : آسر حطيبة .



الفصل الخامس

معتقدات خاصة بالسيدة العذراء

نناقش فى هذا الفصل الأمور الآتية :

أولاً : الحبل بلا دنس .

ثانياً : اشتراك العذراء مريم فى الفداء .

ثالثاً : كل النعم الإلهية لا تُمنح للبشرية إلاَّ عن طريق مريم العذراء .

رابعاً : لا أحد يصل للابن إلاَّ عن طريق مريم العذراء .

خامساً : السيدة العذراء لم تتعرض للموت .

سادساً : الصلاة للعذراء .

أولاً : الحبل بلا دنس

بادئ ذى بدء نقول أن هناك فارق بين الحبل بلا دنس والميلاد البتولى ، فالمقصود بالحبل بلا دنس بحسب رأى الاخوة الكاثوليك هو ولادة مريم العذراء دون أن ترث الخطية الأصلية الجدَّية التى سقط فيها آدم وتوارثتها الأجيال . أما الحبل البتولى فالمقصود به ولادة يسوع المسيح بدون زرع بشر وبدون الخطية الجدَّية وهذا أمر لا خلاف فيه حتى مع غير المسيحيين .

بين الرفض والقبول : حكى الأب مكسيموس كابس قصة غريبة فقال " حدث أن الدينماركيين بدأوا يُعيدون هذا العيد فى الثامن من شهر ديسمبر وكان ذلك فى الجيل (القرن) الثانى عشر ، فاغتاظ " **Guillaume** " ملك إنجلترا .. أرسل لهم أحد الكهنة لكى يرد عليهم (لكى يوضح لهم خطأ عقيدة الحبل بلا دنس) سافر الكاهن ذاهباً إلى الدينمارك فكاد القارب الذى كان يركبه أن يغرق فصرخ وقال " يا عذراء " فظهر له شيخ مهيب فقال أنى مُرسل من قبل التى أنت طلبت شفاعتها .. فهل تَعدْ بأنك تعيد (عيد الحبل بلا دنس) الذى أنت ذاهب لتلاشيه ؟! فقال الكاهن فى أى يوم تريده ؟! فقال فى الثامن من ديسمبر .. فوعدَّ بذلك وعندئذ هدأت العاصفة ورأى نفسه أنه

بالقرب من الشاطئ الذى ركب منه أى شاطئ إنجلترا الذى تركه فنزل وحكى للملك مـا حدث .. " [٢١٩] وهنا السؤال : هل يمكن أن ننشئ عقيدة بناء على رواية شخص حتـى ولو كانت هذه الرواية تتعارض مع الكتاب المقدس ؟!

وظلت هذه العقيدة لقرون طويلة تتذبذب بين الرفض والقبول ، فقد رفض القديـس أغسطينوس هذا الرأى مما عطل قبول الآخرين له ، فيقول الأب أوغسطين دوبره لاتـور " هكذا لم يُسلم (القديس) أوغسطينوس أن مريم كانت بلا خطيئة منذ الحبل بـها لأنـها حُبل بها بعلاقة جسدية . لقد كانت عقيدة أوغسطينوس مدة طويلة عقبة فى وجه علماء اللاهوت فى الغرب (ومنهم القديس توما الاكوينى) دون أن يسلّموا بالحبل بمريم بـلا دنس " [٢٢٠] إذاً هذه العقيدة رفضها كثير من علماء اللاهوت فى الغـرب مثـل بـيرنرد كليروفوس الذى مات سنة ١١٥٣ ، وتوما الاكوينى الذى مات سنة ١٢٧٤ وغيرهما .

ويقول القمص باسيلي فانوس " .. أصدر البابا الكسندروس السابع بيانـاً بشـأن [عيد الحبل بالعذراء مريم منزهة عن الخطيئة الأصلية] فى ٨ ديسـمبر سـنة ١٦٦٠ [راجع دنزنجر رقم ٢٠١٥،٢٠١٦،٢٠١٧] وفى سـنة ١٦٦٣م أوفـد قداسـته الأب بسّون اليسوعي لأستطلاع رأى البطاركة الكاثوليك فى الشرق فيما يختص بهذه العقيـدة ، فقام بجولة زار فيها البطاركة الشرقيين ، وكتب كل بطريرك معبراً عن رأيه فى كتـاب بخط يده ومذيلٌ بتوقيعه . وهذه الوثائق محفوظة فى مكتبة الفاتيكان " [٢٢١]

وفى بداية القرن الرابع عشر أخترع يوحنا دون سكوب فكرة الفداء بالوقاية أى أن الله افتدى العذراء مريم من الخطية الأصلية بالوقاية أى لم يترك الخطيئة الأصلية تسكن فيها ، فيقول القمص باسيلي فانوس { جاء اللاهوتي الفرنسيسكانى- العلامة الدقيـق - يوحنا دون سكوت (+١٣٠٨) مشيراً إلى طريق الحل النهائى والصحيح ، مدافعاً عـن براءة مريم العذراء من الخطيئة الأصلية منذ لحظة الحبل بها ، بأدلة قاطعة وحاسـمة لا تقبل الجدل . فعلم أن بث الحياة لا يجب ان يَسبق فعل التبرير فكلاهما متلازمـان فـى الزمن ، وهكذا أدخل دون سكوت فكرة الفداء بالوقاية ، ونجح فى التوفيق بيـن تنزيـه مريم عن الخطيئة الأصلية وضرورة الخلاص للبشر أجمعيـن (أى أن العـذراء مريـم

---

[٢١٩] مجلة الصلاح السنة السابعة والعشرين عدد ١٢ سنة ١٩٥٦م صـ٤٦٨.

[٢٢٠] خلاصة اللاهوت المريمى صـ٧٧.

[٢٢١] مريم العذراء المنزهة عن الخطيئة الأصلية صـ١٠٨.

تحتاج للخلاص) فالوقاية من المنبع من حالة الخطيئة الأصلية هى أكمل أنواع الفداء ، وكان المسيح جديراً أن يفتدي أمه بهذه الصورة . وقد تبنَّت الرهبنة الفرنسيسكانية هذا التعليم ووقعت بحرمٍ معلّمة ومدافعة عن العقيدة والعيد (عيد حبل حنة) ضـــد الرهبنـــة الدومنيكانية " [٢٢٢] والأمر الغريب الذى يورده القمص باسيلي فـــانوس قـــول القديـــس اندراوس فيقول " وتُنشِد الكنيسة البيزنطية فى اليوم التاسع مـــن شـــهر كـــانون الأول (ديسمبر) ما ترنم به القديس إندراوس اسقف مدينة كريت : أيتُها القديسة حنَّة ، إننـــا نعيد اليوم لحبلك ، لأنكِ قد أُطلقتِ من القيود العقرية ، حبلتِ .. وسِعتِ الذي لا يَســـعه مكان " [٢٢٣] والذي لا يسعه مكان هو ابن الله الذى حلَّ فى الحشاء البتولي فمـــن الـــذى خبل بابن الله هل حنة أم العذراء مريم أم الأثنتان ؟!

ويستكمل القمص باسيلي فانوس عرض هذه العقيدة فيقول :

" وفى الشهر سبتمر سنة ١٤٣٩م قرَّر مجمع بال فى دورته السادسة والثلاثين أن مضمون فكرة الحبل بمريم منزهة من دنس الخطيئة الأصلية تطابق المعتقد الكاثوليكي ، وأنه يجب الإحتفال بهذا العيد فى الكنيسة بأسرها .. وكلما تقدمت الأيام زاد هذا الاعتقاد رسوخاً حتى أن البابا سكستوس الرابع سنة ١٤٧٦م أصدر منشوراً خاصاً يُناشد فيـــه المؤمنين على أهمية الإحتفال بعيد الحبل بمريم ، كما أذاع منشـــوراً آخـــر فـــى ســـنة ١٤٨٢م منع فيه الفريقين المتجادلين (الدومنيكـــان والفرنسيســـكان) مـــن التراشـــق بالأحكام والتأديبات (دنزنجر ٧٣٥،٧٣٤) .. جاء فى كتاب الفرض الذى وضعه البابـــا بيوس الخامس سنة ١٥٦٧ عبارات صريحة واضحة تدل على مفـــهوم الحبـــل بمريـــم برئية من حالة الخطيئة الأصلية " [٢٢٤]

وفى سنة ١٥٦٢م حرم المجمع التريدنتيني فى جلسته الخامسة وقانونه الثانى كل من يقول بأن البشرية لم ترث الخطية الجدِّيـــة من آدم ولم يســـتثنى مـــن هـــذا مريـــم العذراء فقال : "من قال أن تعدي آدم أضرهُ وحدهُ ولم يؤذِ ذريته ، وأن القداسة والـــبر اللذان تلقاهما من الله وفقدهما إنما فقدهما (آدم) وحده ولم نفقدهما نحن أيضاً فيـــه . أو أن ما جناه بمعصيته من الإثم إنما أثَّر فى جميع النوع البشرى موتاً وقصاصاً جسدياً

---

[٢٢٢] المرجع السابق صـــ٣٩ .

[٢٢٣] المرجع السابق صـــ٣٧ .

[٢٢٤] المرجع السابق صـــ٤٠،٤١ .

فقط ولم يورثوم الخطية التى هى موت النفس فليكن محروماً " [٢٢٥]

وفى سنة ١٨٢٥م قالت إحدى الراهبات فى باريس بأن العذراء مريم ظهرت لـــها واقفة على كرة الأرض وتحت أقدامها رأس الحية مسحوقه ، وحولها اثنتا عشر نجمـــة مضيئة ، وحولها كتابة بأحرف من نور " يامريم الحبلى بها بلا دنس صلى لأجلنا نحـــن الملتجئين إليك " ، وقالت الراهبة أن العذراء طلبت منها أن تصنع أيقونة بهذا المنظر ، فصنعتها وأسموها الأيقونة العجائبية ، وصدق الكثيرون هذه الروايـــة مـــع أنـــه مـــن المعروف أن الذى سحق رأس الحية هو السيد المسيح وليست العذراء مريم ، ولو كـــان هناك أى رجل أو امرأة قادرة على سحق رأس الحية ما كان هناك داعى للتجسد والفداء

وفى سنة ١٨٤٩م عُلِق على جدران كنائس " دبلين " إعـــلان يناشـــد المؤمنيـــن بالصلاة لكيما يتوصل بابا روما إلى نتيجة حسنة فى الفحص اللاهوتـــى الـــذى ســـيتم لموضوع الحبل بلا دنس .

وبينما قبِل الرهبان الفرنسيسكان هذا الرأى فقد رفضـــه الرهبـــان الدومينيكـــان ، فيقول الأب أوغسطين دوبره لاتور " فالمدرسة الفرنسيسيّة هى التى عن يـــد القديـــس بونافانتورا (ولا سيما دون سكوت) سلّمت بالحبل بلا دنس إذ عدّت افتـــداء مريـــم لا على أنه تحرير من حالة خطيئة سابقة بل حفظ من كل خطيـــة " [٢٢٦] ، وأرســـل البابـــا بيوس التاسع (١٨٤٦-١٨٧٨) ثلاث كرادلة لتسوية هذا الـــنزاع ، وهـــم الكاردينـــال دمونتى وستناكروشي وبـــول ، فأستحســـن دمونتـــى رأى الفرنسيســـكان واستحســـن ستناكروشي رأى الدومينيكان ورفض بول الإدلاء برأيه ، ولكن الفرنسيسكان بشـــعبيتهم الكبيرة هيأوا الشعب لقبول رأيهم فى الحبل بلا دنس (راجع الحبل بـــلا دنـــس القـــس يؤانس كمال) .

وهكذا قَبِل البعض هذه العقيدة لرأى خاص لا يعبر عن الكنيسة ، فالبابا بيوس لـــم يوافق على عبارة " ما مِنْ أحد منزّه عن الخطية الأصلية إلاّ المسيح " وقال " أن هـــذا الكلام غير صحيح لأن العذراء والمسيح هما الإثنان فى مستوى واحد من هذه الجهـــة " (محاضرات قداسة البابا شنوده الثالث بإكليريكية الإسكندرية فى ١٩٩٦/٣/٢م) .

وفى سنة ١٨٥٤م أغرى حزب الاولترا مونتان البابا بيوس التاسع بـــإعلان هـــذه العقيدة ، وحزب الاولترا مونتانيست عبارة عن مجموعة منتشـــرة فـــى كـــل البلـــدان

[٢٢٥] بيرون اليسوعي مجلد (٢) صـــ٤٢٥ .

[٢٢٦] خلاصة اللاهوت المريمى صـــ٨٤ .

الكاثوليكية يمثلون الاتجاه الكاثوليكي الصارم ، ويعتبرون أن السلطة البابوية هي السلطة الوحيدة على الأرض وعلى كل المسيحيين الخضوع له ، فهو الحافظ الوحيد والمفسر المعصوم من الخطأ ، وكل الموجودين خارج الكنيسة الكاثوليكية أو يقاومونها أو يقاومون رأسها البابا لا يمكنهم أن يأملوا بالخلاص ، ويُعرف الاولترانتانيون بالتعصب ليس ضد المذاهب الآخرى فقط بل ضد كل من يخالفهم فى الرأى .. سمع البابا بيوس التاسع لهم ووزع رسالة عامة على جميع الأساقفة وضح فيها رأيه فى التعليم عن الحبل بلا دنس وفوضهم فى معرفة رأى الشعب ، وعندما طمأنه الأساقفة جميعهم حدَّد يوم ٨ ديسمبر سنة ١٨٥٤م للإحتفال بإعلان هذه العقيدة (راجع تاريخ الكنيسة المسيحية للمطران الكسندروس جحا مطران حمص وتوابعها صـ٦٧٤، ٦٧٥) .

وجاء نص بيان بيوس التاسع كالآتى :

" أننا بسلطان سيدنا يسوع المسيح والرسولين الطوباويين بطرس وبولس وبسلطاننا نُعلن ونُحدد أن الطوباويَّة مريم العذراء قد حُفِظت مصونة من الخطية الأصلية وعُصمت منها منذ اللحظة الأولي من الحبل بها ، وذلك بنعمة وإنعام فريدين من الله القدير بالنظر إلى استحقاقات يسوع المسيح فادي الجنس البشرى ، وهذا التعليم عقيدة إيمانية مُوحى بها من الله ، ومن ثمَّ يجب على المؤمنين جميعاً أن يؤمنوا بها إيماناً راسخاً دائماً ، وإذا تجاسر أحد لا سمح الله وأفتكر خلاف ما حددناه فليعلم مُحَققاً أنه يكون كافراً ومحروماً ومقطوعاً من شركة الكنيسة ، وتحل به عقابات القصاص إذ تجرأ وأظهر فكره لفظاً أو خطاً أو بطريقة أخرى خارجية أية كانت " [٢٢٧]

وفى سنة ١٨٥٨م قالت فتاة راعية ماشية تدعى " برندات " أن العذراء ظهرت لها فى مغارة لورد ، وعندما سألتها الفتاة عن إسمها أجابتها العذراء " الحبل بلا دنس ".. ولكن هل يمكن بناء عقائدنا على مجرد رواية لإحدى الفتيات ؟!.. ولماذا لا يكون قصد العذراء أنها حَبَلت بيسوع المسيح بلا دنس أى الحبل البتولى وليس الحبل بلا دنس الخاص بولادتها هى ؟!

ولكي يُثبِّت الكاثوليك هذه العقيدة صنعوا لها عيداً كما رأينا هو عيد " الحبل بلا دنس " فى اليوم الثامن عشر من شهر ديسمبر ، وقال البابا بيوس الحادي عشر

---

[٢٢٧] مريم العذراء المنزهة عن الخطيئة الأصلية صـ١١٠ ، وكذلك جميلة للأب شكر الله مراد بتصديق الجليل يوحنا مراد مطران بعلبك صـ١٨ ، خلاصة اللاهوت المريمى صـ٨٢ .

(١٩٢٢-١٩٣٩) سنة ١٩٣٧م فى ختام رسالته العامة عن الشيوعية " بشفاعة العذراء المنزهة عن دنس الخطئية الأصلية التى سحقت رأس الحية القديمة ، ولازالت للمسيحيين ملجأ أميناً وحصناً منيعاً " [٢٢٨]

وقال البابا بيوس الثانى عشر (١٩٣٩-١٩٥٨) عن العذراء مريم أنها " كانت فى عصمة من كل خطية سواء خطية شخصية أو أصلية .. إن إنتصار مريم على الشيطان ما كان ليتم كاملاً لو أن مريم كانت يوماً تحت سلطانه ، وبالتالى كان عليها أن تدخل إلى هذا العالم منزهة عن الخطيئة الأصلية " [٢٢٩]

وذكر المجمع الفاتيكاني الثاني فى وثائقه :

" وأخيراً فى نهاية حياتها على الأرض ، انتقلت العذراء النقية التى عصمها الله من وصمة الخطيئة الأصلية " [٢٣٠]

والبابا بولس السادس فى التوجيه الرسولي المؤرخ ١٩٧٤/٢/٢م يقول : " أن قداسة العذراء كانت كاملة منذ لحظة الحَبَل بها منزَّهة عن الخطيئة الأصلية (توجيه رسولي مؤرخ ٢ فبراير سنة ١٩٧٤م صفحة ٥٤،٥٥) " [٢٣١]

وقال البابا يوحنا بولس الثانى فى رسالته " أم الفادي " : " أن مجد النعمة هذا قد تجلّى فى و الدة الإله لكونها أُفتديت بشكل فائق واستثنائي . فبقوة غنى نعمة الإبن الحبيب واعتباراً لثمار الفداء الذى جاء به من سيكون أبناً لها ، حُفظت مريم من أرث الخطيئة الأصلية " [٢٣٢]

ويقول الأب شكرالله مراد : " أن مريم البتول لم توجد ولا برهة واحدة من الزمن مُلطَخة بسقطة آدم . بل من أول برهة حُبِل بها وُجدت بريئة من دنس الخطية الأصلية .. أن كل البشر حُبِل بهم بالخطية الأصلية ما خلا يسوع وأمه " [٢٣٣]

وقد أورد القمص باسيلي فانوس قول ايدلفونسيوس " وترنَّم القديس ايدلفونسيوس

---

[٢٢٨] رسالة عامة " الشيوعية الإلحادية " ترجمة عربية المطبعة الكاثوليكية بيروت سنة ١٩٣٧م صـ٤٢ .

[٢٢٩] مريم العذراء المنزهة عن الخطيئة الأصلية صـ١١١،١١٢ .

[٢٣٠] وثائق المجمع الفاتيكاني–دستور عقائدى فى الكنيسة –الفصل الثامن (٥٩)صـ٣٧٨ .

[٢٣١] مريم العذراء المنزهة عن الخطيئة الأصلية صـ١١٣ .

[٢٣٢] أم الفادى –رسالة الحبر الأعظم البابا يوحنا بولس الثاني العامة صـ١٩،٢٠ .

[٢٣٣] كلك جميلة صـ١٤، ١٦ .

بعظمة العذراء قائلاً : أن الطوباوية مريم قد وجُدت بريئة من وصمة الخطيئة الأصلية ، فقد نبتت كفرع مقدس ، ونجت من جرثومة الطبيعة البشرية الفاسدة ، لأن إبن الله سبق فأختارها من بين سائر الأجيال لتكون أماً له " [٢٣٤]

وقال البعض أن ولادة مريم العذراء بدون الخطية الجديَّة يعتبر الشكل الأشد إصالة للفداء فيقول الأب أوغسطين دويره لاتور " ولذلك أفتُديت العذراء مريم من خلال الحبل بلا دنس لأنها من حلقة الفداء . لا بل أنها المثال التام والنموذجى للفداء . قال الأب راهيز { أن حِفظِها من الخطيئة الأصلية هو الشكل الأشد إصالة للعذراء وأسمى بركة } " [٢٣٥]

الإدلة الكاثوليكية على الحبل بلا دنس : يسوق الإخوة الكاثوليك عدَّة أدلة لإثبات هذه العقيدة وهى :

١- النبوة التى وردت فى سفر التكوين " وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها . هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه " (تك٣: ١٥) فالمقصود بالمرأة هى مريم العذراء ، فكيف تنتصر مريم على الشيطان لو دخلت فى ملكيته لحظة واحدة ؟ .. يقول القمص باسيلي فاتوس :

" أن هناك معركة بين حزبين أو معسكرين لكل منهما قائد : فقائد الحزب الأول الذى يسحق رأس الحية القديمة هى العذراء مريم (المرأة) بإعتبارها أم المسيح الفادي ، وقائد الحزب الآخر الذى يخاصم حزب المرأة هو إبليس ..ها أنى اجعل عداوة بينك وبين المرأة لأن المرأة (مريم) ستشترك مع نسلها (ابنها يسوع) فى سحق رأس الحيَّة .. والشيطان قاتل الناس منذ البدء (يو٨: ٤٤) ، فهو يضل المسكونة ويخدعها (رؤ١٢: ٩) ، ومريم هى التى شنَّت عليه الحرب الضروس وسحقت رأسه بقدمها الطاهر البرئ (مختصر اللاهوت العقائدي لودفيح أوت جـ٢ص ١١٣) .. ولما كان العداء مع إبليس مستحكم وجب أن تكون المرأة ، قائد الجيش الذى يقاوم إبليس ، منزهة عن كل شر ، لأنه إذا كانت الصداقة على إبليس قوامها الخطيئة ، فبعكس ذلك تنشأ وتقوم العداوة معه ، بالعصمة من الخطيئة " [٢٣٦] ويقول الأب انطون صالحاني اليسوعي "حتى أنها إذا استمرَّت ناجية من تبعية المعصية وسالمة

---

[٢٣٤] مريم العذراء المتزهة عن الخطيئة الأصلية صـ٣٧ .

[٢٣٥] خلاصة اللاهوت المريمي صـ٨٦ .

[٢٣٦] مريم العذراء المتزهة عن الخطيئة الأصلية صـ٥٣ ـ ٥٧ .

من دنس كل خطيئة استطاعت أن تحارب الحية الجهنمية المتكبرة وتغلبها منتصرة عليها " [٢٣٧]

توضيح :

مَنْ الذى يسحق رأس الحية ؟ هل المرأة أى العذراء مريم أم نسل المرأة الذى هو المسيح ؟ هل العذراء المخلوقة أم المسيح الخالق ؟ وأيهما تتصور أن يكون قائد الكنيسة ورأسها والذى سحق رأس الحية بصليبه هل السيد المسيح أم العذراء مريم ؟

دعنا يا صديقى ناخذ بعض العبارات التى ذكرها القمص باسيلي فانوس لأثبات أن الوحيد الذى يسحق رأس الحية هو المسيح فقط حيث يقول :

" وعليه يكون المسيح وحده هو نسل المرأة الذى يسحق رأس الحية بواسطة الصليب .. [ونشكره لأنه اورد بعض أقوال اللآباء التى تثبت هذه الحقيقة] فيقول القديس يوستينوس (١٦٣+) { منْ تلك العذراء سيولد ذاك الذى أعده الله لهلاك الثعبان واتباعه} (موسوعة الآباء اليونانيين M G مجلد ٦ عمود٧١١) ويقول القديس ايريناؤس (٢٠٣+) { ذاك الثعبان الناهش القتّال ، الذى أبعد الإنسان عن درب إلهه ، كان له الظفر إلى أن جاء ابن مريم فسحق رأسه } (موسوعة الآباء اليونانيين M G مجلد ٦ عمود ٩٥٨،٩٦٤،١١٧٥) " [٢٣٨]

لقد كان من المستحيل أن تنتصر السيدة العذراء على إبليس الحية القديمة بدون عمل المسيح الخلاصي على الصليب . كما أن المقصود من النبوة هو إنتصار السيد المسيح نسل المرأة على الشيطان . أما تصوير مريم بأنها مع أبنها فى حالة عداوة شديدة مع الشيطان وهى منتصرة عليه فهذا تحميل للآية أكثر من معناها ، لأنه لو كان هذا قصد الكتاب لقال " المرأة مع نسلها (أو المرأة ونسلها) يسحقان الحية " . أما القول بأنه ليس من المعقول أن تنتصر مريم العذراء على الشيطان لو دخلت فى ملكيته لحظة واحدة فنقول أن الحرب بين الإنسان والشيطان سجال والعبرة بالنهاية .

٢- يسوق الأخوة الكاثوليك بعض آيات سفر النشيد للتدليل على عقيدة الحبل بلا دنس ، فيقول القمص باسيلي فانوس :

---

[٢٣٧] الحقائق اللامعة فى عقائد الكنيسة الجامعة سنة ١٩٢٦م صـ٢٣ .

[٢٣٨] مريم العذراء المنزهة عن الخطيئة الأصلية صـ٥٥،٥٦ .

" { كالسَوسَنة بين الأشواك كذلك خليلتي بين البنات } هذه الآية يفسرها القديس ألفونس دي ليجورى بقوله { أنت إبنتي بين البنات كزهرة الزئبق بين الأشواك ، لأن البنات كلهنّ مدنسات بالخطيئة ، أما أنتِ يامريم فبريئة منها وخالية من كل عيب } وما الشوك إلاّ تعبير عن الخطايا التى تمزق النفس وتجرحها ، وإن دلٍّ على شئ فهو يَدُل على الخطيئة الأصلية باعتبارها سبب ومصدر كل الخطايا .. وفى نش٦: ٨ لكن حمامتي كاملة .. ويقول القديس الفونس دي ليجورى { إن مريم هى من بين تلك الأنفس الحمامة الطاهرة الخالية من الخطيئة ، هى الكاملة البرئية من دنس المعصية الأصلية ، وأنها الوحيدة التى حُبِل بها فى حالة النعمة } وفى نش٦: ٩ { من هذه المشرقة كالصبح ، الجميلة كالقمر ، المختارة كالشمس ، المرهوبة كصفوف تحت رايات } .. وكَيف تكون مريم قد أحرزت هذا الإنتصار والجمال والبهاء منذ صبح وجودها ، لو كانت نفسها قد تلطَّخت لحظة واحدة بالخطيئة ؟ وكيف تكون مرهوبة كصفوفٍ تحت راياتٍ من الأبالسة والشياطين لو كانوا انتصروا عليها وأصبحت تحت سيطرتهم ولو للحظةٍ واحدة من الزمن ؟ " [٢٣٩]

ويقول الأب انطون صالحاني اليسوعي " { كالسوسنة بين الشوك كذلك خليلتي بين البنات } (نش٢:٢) فماذا يراد يا ترى بالشوك إلاّ الخطايا التى تجرح وتمزّق النفس ولا سيما الخطيئة الأصلية بما أنها منبع سائر الخطايا . وماذا يراد بالسوسنة سوى بهجة وعَرِف الطهارة . فإذا خليلة الروح القدس والسوسنة بين الشوك هى مريم الطاهرة وحدهما بين النفوس الخاطئة " [٢٤٠]

توضيح :

سفر النشيد سفر رمزى يعبر عن العلاقة بين السيد المسيح العريس والكنيسة عروسه المطهرة بدمه ، وأيضاً يعبر عن العلاقة بين النفس البشرية المُطهَّرة بدم الفادى وبين الفادى عريس هذه النفس ، وإذا أخذنا الآيات السابقة على أنها تشير لأمنا العذراء القديسة الطاهرة مريم فهى تشير إليها كوالدة الإله بعد أن حلّ عليها الروح القدس وطهرها وقدسها ونقاها من الخطيئة الأصلية .

---

[٢٣٩] المرجع السابق صـ٦٠-٦٢ .

[٢٤٠] الحقائق اللامعة فى عقائد الكنيسة الجامعة سنة ١٩٢٦م صـ٢٥ .

٣- الأية التى ذكرها معلمنا لوقا الإنجيلى " قال لها الملاك السلام لك يا ممتلئة نعمـــة " (لو ١: ٢٨) ، وقالوا لماذا دعاها الملاك بأنها ممتلئة نعمة إلاّ لأنها خالية من الخطية كلية ؟ يقول القمص باسيلي فانوس " فإن الملاك قبل أن يبشرها بالحبل الإلهي بـادر بتوجيه التحية إليها قائلاً { السلام ياممتلئة نعمة } والأمتلاء من النعمة يتعارض مع أى خطيئة من أى نوع كانت ، لذلك فإن العذراء ممتلئة نعمة قبـل البشـارة وقبـل نزول كلمة الله إليها ، وكيف تكون العذراء ملوثّة النفس بالخطيئة الأصليـــة وفـى الوقت نفسه يدعوها الملاك { يا ممتلئة نعمة } "[٢٤١] ويقول الأب الفونس جبرائيل " ولما كانت الخطيئة الأصلية حُكْم عَمّ على كل جنس البشر ، فإننا نتساءل هـل مـن استثناء لهذا الحكـم ؟ لقد خصَّ الله بعـض أصفيائـه القديسـين بالتطـهير مـن الخطيئــة الأصليةّ بينما كانوا فى أحشاء أمهاتهم مثل ارميا ويوحنا المعمدان ، فماذا عن العذراء مريم ؟ هل وُلِدت فاقدة النعمة أسيرة لإبليس ؟ إذا كان الجـواب بنعـم فكيف يتفق هذا وقول الملاك [يا ممتلئة نعمة] ؟ "[٢٤٢]

توضيح :

الملاك دعاها ممتلئة نعمة ليس لأنها خالية من الخطية الأصلية بـــل " لأنـك قـد وجدت نعمة عند الله " (لو ١: ٣٠) وماهى هذه النعمة ؟ " ها أنت ستحبلين وتلدين أبنـاً وتسمينه يسوع ..الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك .. " (لـو ١: ٣١-٣٥) .. لقد امتلأت اليصابات من الروح القدس وكذلك يوحنا المعمدان فى بطنـها (لـو ١: ٤١-٤٥) ومع ذلك فإن أى منهما لم يخلُ من الخطية الجدّية .

٤- قول اليصابات للعذراء "مباركة أنت فى النساء ومباركة هى ثمرة بطنـك " (لـو ١: ٤٢) دليل على أن العذراء حُبل بها بلا دنس . فيقول القمص باسيلي فانوس " فصـاحت (اليصابات) بصوت عظيم وقالت { مباركة انت فى النساء ومبـارك ثمـرة بطنـك } (لو ١: ٤١) فالبركة التى تشترك فيها العذراء هى نفسها البركة التى تُسنَد إلى الإبـن الإلهي ، فمريم مباركة كما أن إبنها مبـارك ، ولما كانت بركة يسوع كاملة ، كذلك

[٢٤١] مريم العذراء المترهة عن الخطيئة الأصلية صـ١٨٣،١٨٤ .

[٢٤٢] مجلة الصلاح ديسمبر سنة ١٩٩١م صـ٣٠٩ .

كانت بركة أمه فكلاهما على صعيد بركة واحدة " [243]

وجاء فى وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني :

" كما أن إمرأة كانت سبباً لجلب الموت كذلك إمرأة ستكون سبباً لرد الحياة . وينطبق هذا القول بد'ريقة رائعة على أم يسوع التى أفاضت على العالم الحياة عينها المجدده للكل ، وقد زينها الله بمواهب تلائم وظيفتها السامية . فلا عجب إذن أن يجرى على لسان الآباء القديسين وصف أم الله بأنها كلية القداسة ومنزهة عن كل وصمة خطيئة ، إذ كوَّنها الروح القدس وصاغها خليقة جديدة . وهذه عذراء الناصرة ، إذ تزينت منذ أول لحظة من الحبل بها بضياء قداسة فريدة ، قد حياها الملاك المرسل من قبل الله بأنها [ممتلئة نعمة] (لو ١: ٢٨) " [244]

توضيح :

لا ترتبط البركة بالخلو من الخطية الجدِّية بدليل : أن نوح بعد خروجه من الفلك باركه الله " وبارك الله نوحاً وبنيه وقال لهم اثمروا واكثروا واملأوا الأرض " (تك٩: ١) مع أن نوحاً وبنيه كانوا يحملون خطية آدم . كما قال الله لإبراهيم " فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة . وأبارك مباركيك ولاعنك العنة وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض " (تك١٢: ٢،٣) ومع هذا فإن إبراهيم وُلد بالخطية الجدِّية ، والواقفون على جبل جرزيم باركوا بنى إسرائيل فى العهد القديم " إن سمعت لصوت الرب إلهك .. مباركاً تكون فى المدينة ومباركاً تكون فى الحقل . ومباركة تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك وثمرة بهائمك .. " (تث٢٨: ١-٦) ومن الطبيعى أن كل الذين سمعوا لصوت الرب نالوا البركة مع أنهم ورثوا الخطية الأصلية ومع أن اليصابات طوَّبت العذراء مريم قائلة " مباركة أنت فى النساء ومبارك هو ثمر بطنك " ولكن ليس معنى هذا أن مستوى البركة واحد ومتساوى ، فإن البركة بالنسبة للسيد المسيح أمر طبيعى بحكم طبيعته الإلهية فهو الله مصدر كل بركة ، أما العذراء مريم فهى تستمد البركة من إبنها ، والبركة بالنسبة للسيد المسيح كاملة وأما البركة بالنسبة للعذراء مريم مهما عظمت فهى نسبية ، وقد أود القمص باسيلي فانوس نفسه مثالاً يؤكد هذه الحقيقة فقال " فالمسيح وحده هو { مملوء نعمة } وإشتركت والدته فى هذا الإمتلاء ، مع الفارق أن

---

[243] مريم العذراء المنزهة عن الخطيئة الأصلية صـ٦٦ .

[244] وثائق المجمع الفاتيكاني – دستور عقائدي فى الكنيسة (٥٦) صـ٣٧٧ .

إمتلاء يسوع بالنعمة أمر تتطلبه طبيعته الإلهية ، فهو ممتلئ بالنعمة من ذاتـــه ، أمـــا إمتلاء العذراء بالنعمة أمر لا تتطلبه طبيعتها البشرية ، وعليه فإن إمتلاءهـــا مـــن النعمـــة مِنحة خاصة أُعطيت لها منه تعالي } " [٢٤٥]

٥- الكتاب المقدس لم يذكر خطية واحدة للسيدة العذراء .

توضيح :

وهل ذكر الكتاب قصة حياة السيدة العذراء بالتفصيل ؟! كلا .. بل ذكر القليل جـــداً عنها ، هذا بالإضافة إلى أن الكتاب المقدس لم يشر صراحةً إلى ولادة العـــذراء مريـــم بدون أن ترث خطية أبينا آدم .

٦- أن مريم العذراء وُلدت بدون أن ترث الخطية الجدَّية لتأكيد عدم وراثة أبنها يســـوع للخطية . ويقول القمص باسيلي قانوس " ولما كانت مريم أول من إستفاد من ســـر الفداء ، لذا وُلدت منزهة عن كل خطيئة فإنها بكر الخليقة المفتداة وذلك حتى يتسنى للمسيح الفادي أن يتَّخذ جسده من جسدها ، تسري فيه دماء من دمائها ، في طبيعـــة بشرية كاملة وطاهرة عتيدة أن تتحد بالكلمة في وحدة لا تنفصم " [٢٤٦]

ويقول الأب انطون صالحاني اليسوعي " الله عصمها من غضبه ومن أن تلحق بـــها خطيئة آدم . فخُلقت مزَّينة بالنعمة المبرَّرة وذلك إجلالاً لإبن الله آدم الجديد المزمـــع أن يتجسّد في أحشاء الطاهرة مريم العذراء التي هي حواء الجديدة .. لتكون مسكناً لائقاً بإبن الله وأمّاً لائقة بهِ لئلا يكون تجسده من أم معيبة بجريرة الآثم والمعصيـــة ولئلا يستطيع لوسيفورس أن يعيره بإنه وُلِد من أم كانت في وقـــت مـــن الأوقـــات اسيرةً له وخاضعة لسلطتهِ الجهنمية وعدوة لله . حاشا لأم الله من هذا العيب " [٢٤٧]

توضيح :

عدم وراثة يسوع المسيح له المجد للخطية الجدَّية أمر أوضحه الإنجيل تماماً فـــي قصة ميلاده من عذراء بطريقة فريدة لم ولن تحدث ، بالإضافة إلى أن المـــلاك أوضـــح

---

[٢٤٥] مريم العذراء المنزهة عن الخطيئة الأصلية صـــ٦٧ .

[٢٤٦] المرجع لسابق صـــ٢٩ .

[٢٤٧] الحقائق اللامعة في عقائد الكنيسة الجامعة سنة ١٩٢٦م صـــ١٣٠، ١٣١ .

للسيدة العذراء عمل الروح القدس فى التجسد إذ ظلّل عليها وطهّرها ونقّاها وقدّس مستودعها من أى خطية ، لذلك اتخذ منها ربنا يسوع جسداً مقدساً لم تشوبه أى شائبة من الخطية . أما ولادة العذراء بدون أن ترث الخطية الجدّية حتى لا تورّثها لإبنها فمجرد تفكير بشري يفتقر إلى الدليل الكتابى . بل كما سنرى أنه لا يتفق مع سر الفداء.

٧- من الطبيعى أن المرأة تلد بالمشقة " تكثيراً أكثّر أتعاب حبلك بالوجع تلدين أولاداً " (تك٣: ١٦) . أما السيدة العذراء فإنها ولدت بدون ألم لأنها لم ترث خطية آدم (راجع اللاهوت المريمي ص٧٢) .

توضيح :

من الواضح أن العذراء مريم ولدت ربنا يسوع المسيح بدون ألم ، وأيضاً بكارتها ظلت مختومة بطريقة فائقة للطبيعة ، والسرُّ فى هذا أنها ولدت إبن الله متجسداً بدون زرع بشر ، وليس السبب فى هذا أنها لم ترث الخطية الجدّية .

٨- احتفالات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بشهر كيهك وما يتلى فيه من مدائح وما يمارس فيه من طقوس يؤيد الحبل بلا دنس .

توضيح :

لا يوجد فى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية أى عيد على مدار السنة بإسم عيد الحبل بلا دنس ، ولا يوجد فى طقس الكنيسة ما يؤيد هذا ، والمدائح والترانيم وإن كانت تحمل شيئا من المغالاة فهذا يعكس شدّة محبتنا لأمنا العذراء ، وعموما فإن كنيستنا القبطية لا تعتمد فى عقائدها على مديحة أو ترنيمة إنما تعتمد على الأسفار المقدسة الموحى بها من الله .

٩- يقولون أن الكتب الطقسية الأرثوذكسية مملوءة بالنصوص التى تشير إلى عقيدة الحبل بلا دنس ، ويورد القمص باسيلي فانوس عشرات من هذه الإدلة التى يتصوّر أنها تشير إلى ولادة العذراء بدون الخطية الجدّية ، ولكنه لم يذكر نصاً واحداً يذكر صراحة هذه العقيدة ، ومن أمثلة الإدلة التى ذكرها الآتى :

أ- " يا مريم حلوّ إسمك فى كل الأفواه ، بطهارة جسمك فزنا من كل خطاة ، وأنت

من بطن أمك أختارك الإله ، وأنا أقبّل قدميكِ يا جوهر مكنـــون " (الابصلموديــة الكيهكية طبعة إقلاديوس لبيب سنة ١٩١١ صـ٩١٥) [٢٤٨] ذكر النــص أن الله أختار مريم العذراء من بطن أمها ، لكن هل ذكر أنه طهرها من الخطيئة الأصلية ؟!

ب- " مختارة من بطن أمك بحلول روح الله الجبار ، المولود منك قدوس ، تسجد له الرؤساء والأجناد " (المرجع السابق صـ٣٩٤) [٢٤٩] مـن المعـروف أن هـذا المقطع مكون من أربعة أجزاء مثل السابق واللاحق له ، وهنا نجد المؤلف قـد أغفل وضع فصلة بين الجزء الأول " مختارة من بطن أمـك " والجـزء الثـانى "بحلول روح الله الجبار" وبوضع الفصلة الساقطة (بين أمك ، بحلول) نجد أربعـة أجزاء والجزء الثانى بحلول روح الله الجبار يعود على الجزء الثالث وليس الأول أى أنه بحلول روح الله الجبار ولدت الله القدوس ، ولا يعود على الجـزء الأول فليس بحلول الله الجبار أختارك الرب من بطن أمك لأن الروح القدس لـم يحـل على حنة أمها ولم يحل على العذراء وهى فى بطن أمها .

جـ- " طوباك يا مريم العذراء لأنك اشتملتِ بالطُهر منذ كنتِ فى الأحشـاء " (كتـاب دورة عيدي الصليب وطروحات الصوم الكبـير والخمسـين ، طبعـة القمـص ارسانيوس عطاالله المحرقى سنة ١٩٥٩م طرح واطس فى ٢١من كل شهر) [٢٥٠]

والنص لم يصرح بأن العذراء مريم قد تطهرت من الخطيئة الأصلية ولـو كـان قصد الكاتب هذه العقيدة لافصح عنها ، ولكنه يقصد أن يعبر عن طهارة العـذراء مريم الكاملة .

د- " السلام للتى طمست الموت إلى أسفل منذ كانت فى أحشاء والدتـها المؤمنـة " [واشار المؤلف أن هذه العبارة وردت فى الدفنار طبعـة ١٩٢٢م الـذى اهتـم بطبعة القس دوماديوس البراموسي ، وفى طبعة سـنة ١٩٨٥ بمعرفـة لجنـة النشر بمطرانية بني سويف وبإهتمام وإشراف الأنبا متاؤس أسقف دير السـريان لم يورد نيافته هذا الجزء ، واشار إليه فى الحاشية (١) صـ٤١ فذكـره وقـال { هذا لم نـورده فى المتنْ لعـدم إتفاقه مع العقيدة الأرثوذكسية التى تؤمـن أن

---

[٢٤٨] مريم العذراء المنزهة عن الخطيئة الأصلية صـ١٦٦ .

[٢٤٩] المرجع السابق صـ١٦٦ .

[٢٥٠] المرجع السابق صـ١٦٦ .

العذراء مريم كانت تقية بعمل الله وطاعتها ، ليس لأنها وُلدت هكذا ؟؟؟ } [251]
ونحن نقول أن هناك بعض النصوص التى ذكرت فى الكتب الطقسية أمـــا أنـــها ذكرت بحسن نية وكاتبها ليس فى ذهنه أي فكرة عن عقيـــدة مخالفـــة لعقيـــدة الكنيسة القبطية الأرثوذكسية مثل عقيدة الحبل بلا دنس أو غيرها ، وإما أن هذه النصوص قد دُسَّت فى كتبنا الطقسية .

هـ- " ونحن أيضاً نمجد ميلادك غير المدرك يا والدة الإله ، يا أم الرحمـــة والخـــلاص تشفعى من أجل خلاص نفوسنا " (من الخدمة الثانية من صلاة نصف الليل) " لكـــى نمجد ميلادكِ الطاهر فى كل شئ " (من الخدمة الثالثة من صلاة نصف الليل) [252]

والمقصود من ميلادكِ غير المدرك ، وميلادكِ الطاهر هو ولادتها للسيد المسيح ، ولذلك يوجد فى الحاشية إشارة للجملة الأولى والثانية " أى ولادتـــك للمســـيح " وفى طبعة بنى سويف يوجد فى الحاشية إشارة للجملـــة الأولـــى " أى ولادتـــك للمسيح ميلاداً عذراوياً يفوق العقول " عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد" (1تى3: 16) وأيضاً فى الحاشية إشارة للجملة الثانية "أى ولادتك للمسيح ولادة طاهرة من الروح القدس بدون زرع بشر "

و- " هذه جميعها معاً تدلنا على ميلادك العجيب يا مريـــم العذراء " (الابصلموديـــة السنوية – ثيؤطوكية الأحد قطعة 13) " [253]

وميلادك العجيب الواردة هنا فى الأصـــل القبطي أم بيجينمـــيسي ان اشفيـــرى وتفسيرها الصحيـــح ولادتـــك العجيبـــة ، والولادة تعود على ولادتها للســـــيد المسيـــح ، وليس ميلادها هى من أمها حنـــة ، ولذلك قال ⲙ̀ⲡⲉⲭⲓⲛⲙⲓⲥⲓ ، ولو كان يقصد ميلادها هى من أمها لقال امبيمسي وحذف ⲭⲉⲛ ..
ثم إذا تأملنا القطعة ككل فإنها تربط بين العذراء والمسيح وليس بيـــن العـــذراء وحنة فتقول " التابوت الغير الدنس المصفح بالذهب من كـــل ناحيـــة والغطـــاء الكاروبي " ومن المعروف أن بالتابوت لوحي الشريعة كلمة الله ثـــم يســـتكمل " القسط الذهبي المخفى فيه المن هوذا كلمة الآب آتي وتجسد منـــك – المنـــارة

---

[251] المرجع السابق صـــ187 .

[252] المرجع السابق صـــ188 .

[253] المرجع السابق صـــ189 .

الذهبية الحاملة النور الحقيقى الذى هو نور العالم الذى لايدني منه -المجمرة الذهبية الحاملة جمر النار والبخور المختار العنبرى - عصا هرون التى ازهرت والزهرة المقدسة التى للبخور " .

١٠- يقولون ان بعض الآباء اشاروا لعقيدة الحبل بلا دنس ، وقد أورد الأب انطون صالحاني اليسوعي والقمص باسيلي فانوس عشرات من هذه الأقوال مثل :

أ- " افرحي يا من طردت الموت إلى العمق منذ كانت فى أحشاء أمها .. القريبة من اللاهوت الأزلى والثالوث العنصرى ، الفائقة العلو على المواكب الشاروبيمية ، العالية السمو على الصفوف الساروفيمية (للقديس يوحنا الذهبي الفم-البوق الإنجيلي جـ٢صـ٣٣٤) [٢٥٤]

تُرى لو كان قصد فم الذهب أن العذراء مريم وُلِدت بدون الخطيئة الأصلية هل كان يغلب فى الإفصاح عن هذه العقيدة وشرحها وتفسيرها وذكر الإدلة الكثيرة عليها ؟!! .. ما ذكره فم الذهب ليس إلاَّ نوع من التأملات .

ب- " تجسد الكلمة من أطهر بنات آدم جسداً ، وأكرمهم حسباً ، وأشرفهم نسباً ، مريم البتول التى أصطفاها وأنتخبها ونظفها من الأوساخ الدنياوية ، ولم يخطر على قلبها بارتكاب معصية أو خطيئة ثم طهّرها بحلول روح القدس عليها ، وخلق منها جسماً أتحد به .. " (ساويرس بن المقفع) [٢٥٥]

ونحن نقول له أن هذا النص يثبت أن العذراء مريم قد تطهرت من الخطية الجدّية عند حلول الروح القدس عليها وقت البشارة ، فالنص يذكر صراحة " ثم طهّرها بحلول روح القدس عليها " وهنا يأتي السؤال الأول : متى تم التطهير ؟ والإجابة : عند حلول الروح القدس عليها ، والسؤال الثانى : ومتى حلَّ الروح القدس عليها ؟ والإجابة : عند بشارة الملاك لها .

جـ- " مريم قد عُصمت من الموت ، والعصمة من الموت تقتضي حتماً العصمة من سبب الموت أى الخطيئة الأصلية " (للقديس ابيفانيوس فى القرن الخامس أسقف مدينة كونستانسيا فى جزيرة قبرص - موسوعة الآباء اليونانيين M G مجلد

[٢٥٤] الحقائق اللامعة فى عقائد الكنيسة الجامعة صـ١٧ .

[٢٥٥] مريم العذراء المنزهة عن الخطيئة الأصلية صـ١٦٥ .

٤٢ عمود ٧٢٩) [٢٥٦] **.**

ونحن لا نعترف بعصمة إنسان من الخطأ ، فلو صح نسبة هذا القــول للقديــس ابيفانيوس فهو ليس معصوماً من الخطأ ، وماذا تأتى معرفــة ابيفــانيوس فــى معرفة اوريجانوس ومع ذلك فإن لاوريجانوس اخطاءتدينها الكنيسة .

د- " أننا جميعاً نُولد بالخطيئة الأصلية ، ونأتى إلى العالم حاملين هذا العــار الــذى ورثناه عن أبينا آدم ، ما عدا العذراء القديسة التى جاءت لنا بالإله المتجسد " ثم يتساءل قائلاً " هل يُعقل أو هل سُمع قط أن مهندساً يشيد مــنزلاً لنفســه ، ثــم يسلمه لعدوه ليكون أول من يمتلكه أو يسكن فيه " (للقديس كيرلس الإســكندرى (+٤٤٤) –العدد السادس من اعمال المجمع الأفسسي) [٢٥٧] **.**

وهنا نلاحظ أن القديس كيرلس ذكر أننا جميعاً نولد بالخطيئة الأصلية مــا عــدا العذراء القديسة ، ونحن نعترف بـأن الروح القدس حلّ على العــذراء مريــم وطهرها من هذه الخطيئة الأصلية ولم يذكر القديس كيرلس أن عملية التطــهير هذه تمت فى أحشاء حنة وقبل ولادة العذراء من بطن امها ، وإن كانت الترجمــة العربى تُوحي بهذا فنحن فى حاجة للرجوع إلى النص اليوناني ومعرفــة معنــاه وقصد البابا كيرلس عمود الدين .

هـ- ويقول الأب انطون صالحاني اليسوعي (الذى اقتبس القمص باسيلي فــانوس الكثير منه) :

" فالقديس باسيليوس الكبير يهتف نحوها قائلاً { السلام عليك يا وسيطة الصلــح فيما بين الله والبشر } .. والقديس يوحنا الدمشقي فى ميمره الأول على ميلادها يهتف نحوها قائلاً { أنك قد وُلِدت أيتها البتول المباركة لتكوني خلاصــاً لســكان الأرض كلها } والقديس ثاوفانوس أسقف نيقيــة يُســلم علــى العــذراء قــائلاً { السلام عليك يا مُصلِحة حزن حواء . المنقذة إياها من الغموم } والقديس افرام السرياني يبتهل إليها قائلاً { السلام عليك يا مُصالحة العالم بأسرها مع خالقــه} " [٢٥٨]

ومن المعروف أن الوسيط والمخلص والمنقذ هو ربنا يسوع المســيح ، فقصــد

---

[٢٥٦] المرجع السابق صـــ٨٦ .

[٢٥٧] المرجع السابق صـــ٨٣ ، الحقائق اللامعة فى عقائد الكنيسة الجامعة صـــ١٢،١٣.

[٢٥٨] مريم العذراء المنزهة عن الخطيئة الأصلية صـــ١١،١٢ .

هؤلاء الآباء وغيرهم أن العذراء مريم بإبنها كانت وسيطة الصلح ، وبإبنها خلصت العالم وبإبنها أنقذت حواء .. إلخ ، ومن المعروف فى قواعد اللغة أن حذف المعلوم جائز وصحيح .

وأخيراً نقول للأخوة الكاثوليك :

هل يوجد مجمع مكانى واحد للكنيسة القبطية الأرثوذكسية يصرح بعقيدة الحبل بلا دنس ؟

هل يوجد أى مجمع مسكوني صرح بعقيدة الحبل بلا دنس ؟

والآن نطرح بعض الأسئلة التى توضح لنا الأمر على حقيقته :

س١ : هل يمكن الإفلات من الخطية الجدَّية ؟

ج : لا يمكن الإفلات من الخطية الجدِّية إلاَّ بدم المسيح " لأنه كما فى آدم يموت الجميع هكذا فى المسيح سيحيا الجميع " (١كو١٥: ٢٢) والموت جاز من آدم إلى جميع الناس " من أجل ذلك كإنما بإنسانٍ واحدٍ دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع " (رو٥: ١٢) ، " فإنه كما بخطية واحد صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة هكذا ببر واحد صارت الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة " (رو٥: ١٨) فلماذا لم يستثنى الكتاب المقدس مريم العذراء من هذا الموت ؟! .. يقول القديس اثناسيوس الرسولى " إذا لم يُمت الإنسان لا يكون الله عادلاً ولا صادقاً " .

س٢ : إن كانت مريم العذراء وُلدت من أب وأم ولادة طبيعية وليس ولادة معجزية من الروح القدس فكيف خلُصت من الخطية المتوارثة ؟

ج : عندما نقول أن مريم ولِدت بدون الخطية الجدَّية فمعنى هذا أن أبويها لم يكونا من نسل آدم أو أن آدم وحواء لم يخطئا ، وكلا الفرضين غير صحيح .. لقد وُلِدت مريم العذراء ولادة طبيعية لذلك يَصدُق عليها قول داود النبى " هانذا بالآثام صُوّرت وبالخطية حبلت بى أمى " (مز٥١: ٥) ، فداود النبي وُلِد بالخطية الجدَّية رغم أن الكتاب شهد له قائلاً " وجدت داود ابن يسي رجلاً حسب قلبى الذى يصنع كل مشيئتي " (اع١٣: ٢٢) .. لم يفلت إنسان قط من خطية آدم لذلك قال الكتاب " من هو الإنسان حتى يزكو أو مولود المرأة حتى يتبرَّر " (أي١٥: ١٤) .

س٣ : هل مريم العذراء كانت تحتاج إلى الفداء ؟

ج : يقرُّ الكاثوليك بهذا فقد ورد فى وثائق المجمع الفاتيكانى الثانى " وقد نالت (مريم العذراء) الفداء بطريقة سامية نظراً لإستحقاقات إبنها ، واتحدَّت به اتحاداً وثيقاً لا ينفصم .. ولكنها ظلت فى الوقت عينه مرتبطة بجميع البشر المفتقرين إلى الخلاص لأنها من ذرية آدم " [٢٥٩]

وكما يقول الأب أوغسطين دوبره لاتور : " فإذاً لم تعرف مريم الخطيئة وإذا كانت قديسة بجملتها فمع ذلك قد نالت هى نفسها الخلاص من الخطيئة والقداسة بموت ابنها وقيامته ، فهى إذاً من الجنس البشرى الذى أُفتدِى وخَلُص . لا بل هى أول من أُفتدِى وخَلَصُ " [٢٦٠]

ويقول القمص باسيلي فانوس " فالعذراء وإن كان محكوماً عليها - -أسوة بباقى البشر -أن يُحبل بها بالخطيئة الأصلية أى أن تسري عليها حالة الطبيعة البشرية الخاطئة ، وبالتالى كانت أيضاً بحاجة إلى فداء ، فإن الله القدير قد بادر بفدائها فعلاً ولكن بطريقة أسمي وفاعلية أقوى ، فقد عصمها منها .. وعلى ذلك نقول أن الفداء الذى عمَّ البشرية كلها ، قد شمل مريم أيضاً ، ولكن بنوع أشرف وأكمل ، إذ بينما تبرر الناس أجمعين بعد السقوط فى الخطيئة والإثم ، بُررِّت مريم العذراء قبل السقوط فيها ، ومعنى ذلك أن سر الفداء كان لنا علاجاً ودواء ، فى حين أنه كان بالنسبة لمريم مناعة ووقاية وحماية وعصمة تحتميها من التلوث بجريرة أبوينا الأولين " [٢٦١]

" وإن كانت مريم قد خضعت لناموس الخطيئة الأصلية لإنحدارها من أبوين بشريين ، فإن الله قد تدخل بوجه خاص بنعمته حتى لا تتسرب هذه الخطيئة إلى من أعدَّها وإصطفاها لتكون أماً لإبنة الحبيب الكلمة المتجسد " [٢٦٢]

فلو كانت مريم العذراء بلا خطية فما حاجتها للفداء ؟! ولو تدخل الله فى خلاصها من الخطيئة الأصلية بطريقة خاصة فلماذا لم يفعل ذلك فى كل القديسين عوضاً عن التجسد والصلب والموت والقبر والقيامة ؟!!

---

[٢٥٩] وثائق المجمع الفاتيكانى الثانى – دستور عقائدى فى الكنيسة – الفصل الثامن (٥٣) صـ٣٧٥.

[٢٦٠] خلاصة اللاهوت المريمي صـ٨٣ .

[٢٦١] مريم العذراء المنزهة عن الخطيئة الأصلية صـ٢٩ .

[٢٦٢] المرجع السابق صـ١٠١ .

س٤ : ما معنى " الفداء " ؟

ج : معنى الفداء أن نفس تموت نيابة عن نفس ، فعندما يفدى إنسان آخر من المـــوت فهو يموت عوضاً عنه ، فلو كانت العذراء حُبِل بها بلا خطية فما حاجتها للفداء ؟!

س٥ : لو كانت العذراء فلتَّت من الخطية الجدِّية بدون الصليب فلماذا لم يستخدم الله هذه الطريقة مع الآخرين عوضاً عن رحلة التجســـد والآلام والعــذاب والموت والقبر والقيامة ؟ ولماذا لم يُعمَم الله هذا الأمر مع جميع البشر ؟!!

س٦ : إن كانت العذراء مريم بلا خطية متوارثة فكيف أعلنت حاجتها للخـلاص أمام اليصابات " تبتهج روحى بالله مخلصي " (لـــو١: ٤٧) ومـــا الداعـــى لابتهاج مريم العذراء إذا كانت خالية من الخطية الأصلية والفعلية ؟ ولمـــاذا دعت الله مخلصها وهو لم يخلصها على عود الصليب ؟

س٧ : إن كان القانون الإلهي " بدون سفك دم لا تحدث مغفرة " ؟ فكيـــف نالت مريم العذراء الخلاص من الخطية الجدِّية بدون سفك دم ؟!

ويجدر الإشارة إلى أن الأخوة الكاثوليك يُدخِلون يوحنا المعمدان وارميا فى الـولادة بلا خطية جدِّية ، فيقولون أنهما تكونا بالخطية الجدِّية وتطهرا منها قبل ولادتـــهما مـــن البطن ، وفى هذا يقول الأب انطون صالحانى اليسوعي { بما أنه (الله) كلي النقاوة لـــم يُرد سوى أم نقية .. وبما أنه كلي القدرة كان فى إمكانه أن يحقق ما يريد .. فـــإذا قـــد خلقها على التأكيد والتحقيق بلا عيب ولا دنس لا أنه طهرها فقط بعد أن تدنّســـت كمـــا طهّر ارميا ويوحنا المعمدان} " [٢٦٣] ويقول القمص باسيلي فانوس { ولا يخفى على أحـد أن الله تعالى قد خصَّ بعض إصفيائه القديسين بالتطهير من الخطيئة الأصلية بينما كانوا فى أحشاء أمهاتم ، مثل يوحنا المعمدان الذى تبرَّر وهو فى بطن أمه ، فارتكض مُتـهللاً

[٢٦٣] الحقائق اللامعة فى عقائد الكنيسة الجامعة صـــ ٢٦ .

فى لحظة تطهيره ، وكان ذلك بمناسبة زيارة العذراء مريم لنسيبتها القديسة اليصابات ، وقيل بحق وصواب أن ارميا النبي قد تطهَّر فى جوف أمه ، إستناداً إلى قول الرب لـه : { قبل أن اصورك فى البطن عرفتك ، وقبل أن تخرج من الرحم قدَّستك ، وجعلتك نبياً للأمم } ، ويُستفاد من ذلك أن هؤلاء القديسين قد ظلوا فى أحشاء أمهاتهم فى حالة الطبيعة البشرية الخاطئة ، وهى حالة الخطيئة الأصلية ، ثم تطهَّروا منها قبل ولادتهم } "[٢٦٤]

مع العلم بأن يوحنا المعمدان الذى قال عنه الإنجيلي " ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس " (لو ١: ١٥) فإن شاول الملك قال عنه أيضاً الكتاب " فحلَّ عليه روح الله " (١صم١٠: ١٠،١١: ٦) ، وحزقيال النبي قال " وحلَّ على روح الرب " (حز ١١: ٥) فهل تطهَّر شاول الملك وحزقيال النبي من الخطية الجدَّية ؟! قطعا لا ، وكما قال الله لأرميا النبي " وقبلما خرجت من الرحم قدستك " (ار ١: ٤) فإن الله أيضاً أفرز شاول الطرسوسي من بطن أمه " ولما سرَّ الله الذى أفرزني من بطن أمي ودعاني بنعمته " (غل١: ١٥) وبنفس المنطق فإننا نقول أنه ليس من المعقول أن يفرز الله شاول ويختاره دون أن يطهره من الخطية الجدَّية ، فهل يضم الأخوة الكاثوليك شاول الطرسوسي مضطهد الكنيسة إلى قائمة المولودين بلا خطية ؟!!

وأخيراً نحن لا ننسي محبتنا لأمنا العذراء ولكنها محبة حقيقية إنجيلية بدون تطرُّف وبدون إقلال ، ويجب أن نذكر أن أبينا البابا كيرلس عمود الدين هو الذى ثبَّت لقب العذراء " ثيؤطوكوس والدة الإلة " فى مجمع أفسس المسكوني ، وسمىَ جميع كنائس مصر بإسمها بالإضافة إلى إسم صاحب البيعة ، فلو كانت الكنيسة مثلا بإسم مارجرجس سابقاً يصبح إسمها العذراء ومارجرجس ، وهكذا أصبح إسم العذراء يسبق أى إسم آخر فى جميع كنائس مصر ، وهو الذى وضع لها الثيؤطوكيات ـ تمجيد والدة الله ـ السبعة للسبعة أيام ، وكنيستنا تمجّد العذراء طوال شهر كيهك وفى صومها ، وتطلب شفاعتها ، وما أكثر الألحان الخاصة بها فى الليتورجيا ؟! وما أكثر وأعذب الترانيم الخاصة بها ؟!

ويكفينا أن نطمئن إلى صحة عقيدتنا الأرثوذكسية بظهورات أم النور وتجليها على قباب كنيستها فى الزيتون لأيام طويلة سنة ١٩٦٨م ، وأيضاً على قباب كنيسة الست دميانة فى شبرا سنة ١٩٨٦م .

[٢٦٤] مريم العذراء المنزهة عن الخطيئة الأصلية صـ٢٦ .

ثانياً : اشتراك العذراء مريم فى الفداء

جاء فى وثائق المجمع الفاتيكانى الثانى (١٩٦٢-١٩٦٥) ما يلى :

"فاستناداً إلى الكتاب المقدس .. على الدور الذى أوكله الله إلى العذراء مريم فى عمل الخلاص .. وكما أن أمرأة كانت سبب موت ، فوجب أن تكون أمراة سبب الحياة .. ويمتد دور مريم الخلاصي فى سر المسيح ويتحقق فى الكنيسة . فالمسيح هو الوسيط الوحيد ودور مريم لا يحجب هذه الوساطة الوحيدة ولا ينتقص منها . فتأثير العذراء الخلاصي هذا يصدر عن رضى الله وهو مستند على وساطة المسيح . والعذراء لم تتخل عن دورها الخلاصي كوسيطة بعد انتقالها إلى السماء " [٢٦٥]

" فالأباء القديسون يعتبرون بحق أن مريم لم تكن مجرد أداة فى يد الله . بل ساهمت فى خلاص البشر بطاعة وإيمان حر ، وقد غدت بطاعتها على حد قول القديس ايريناوس { سبب الخلاص لذاتها وللجنس البشرى بأسره } ، وقد أيده فى ذلك عدد كبيير من الآباء الأقدمين فى مواعظهم بقولهم { أن عقدة معصية حواء قد حلّت بطاعة مريم ، وما عقدّته حواء الأم بعدم إيمانها حلته مريم العذراء بإيمانها } " [٢٦٦]

" وهكذا سارت العذراء الطوباوية على طريق الإيمان محافظة بأمانة على إتحادها بإبنها حتى الصليب حيث وقفت وقفة لم تكن بمعزل عن تدبير الله (يو١٩: ٢٥) وتألمت مع وحيدها أشد الألم واشتركت بعاطفة الأم فى ذبيحته راضية عن حب بموت الضحية المولودة من لحمها " [٢٦٧]

وجاء تحت عنوان اشتراك مريم فى سرّ الفداء :

" .. إذ حبلت (العذراء) بالمسيح وولدته وغذّته وقدّمته فى الهيكل إلى أبيه وتألمت مع إبنها المائت على الصليب ، قد اشتركت بطريقة فريدة للغاية ، فى عمل المخلص بطاعتها وإيمانها ورجائها ومحبتها الحارة لترد إلى النفوس الحياة فائقة الطبيعة " [٢٦٨]

---

[٢٦٥] وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني -الدستور العقائدى (٨) صـ٣١٨،٣١٩ .

[٢٦٦] وثائق المجمع الفاتيكان الثانى - دستورر عقائدى فى الكنيسة- فصل ٨ (٥٦) صـ٣٧٧ .

[٢٦٧] المرجع السابق - فصل ٨ (٥٨) صـ ٣٧٨ .

[٢٦٨] المرجع السابق - الفصل الثامن (٦١) صـ٣٧٩ .

" فبينما كانت مريم تحيا على الأرض حياة شبيهة بحياة النـــاس جميعـــا ، مليئـــة بالخدمات والجهود الأسرية ظلت على الداوم متحدة بإبنها إتحاداً صحيحاً مشتركة معه فـــى عمله الخلاصي اشتراكاً فريداً منقطع النظير " [٢٦٩]

ويقول الأب مكسيموس كابس :

"هذه اللياقة تظهر للعقل من وجهة نظر أخرى وهى أن الله عزَّ وجلَّ قد انتخب مريـم العذراء وسيط صالح بينه وبين البشر" [٢٧٠]

ويقول القمص باسيلي فانوس :

" وهكذا أُفتُديَت مريم منذ الأزل بأن وقاها الله وحماها من شريعة الغضب الشـامل ، فلم يُطهرها لكنه خلّصها وعصمها ووقاها من كل خطيئة ، فكانت أول من نال الخــلاص لتصير معه شريكة فى الخلاص " [٢٧١]

ويقول الأب أوغسطين دوبره لاتور :

" أُشركت السيدة العذراء فى عمل الفادى بصفة فريدة على الإطلاق " [٢٧٢]

" فإذا إنطلق الباحث عن أمومة مريم الإلهيَّة نظر على الخصوص إلى مشاركة مريـم العاملة فى سر التجسد فيليق بها أن تكون بلا دنس منذ الحبل الإلهى .. فلما كـــان المسيح فاديًا فهى شريكته فى الفداء ولما كان المسيح وسيطاً فهى وسيطة جميــــع النعم " [٢٧٣]

" فمريم لأنها أم المسيح فادى العالم ومخلّصه تشارك مشاركة تامة فى فداء العـالم وخلاصه " [٢٧٤]

" أراد بعض أعضاء (المجمع الفاتيكانى الثانى) لما يكنُّون من الاكرام لمريـــم أن يُشدَّد أيضاً على هذا اللقب (وسيطة) تشديداً أوضح ، وأن يُشدَّد أيضاً علـــى اللقـــب " المشاركة فى الفداء " [٢٧٥]

---

[٢٦٩] المرجع السابق – قرار مجمعي فى رسالة العلمانيين الفصل الأول (٤) صـــ٢٤٨ .

[٢٧٠] إيماننا القويم جـــ١ صـــ٥١.

[٢٧١] مريم العذراء المنزهة عن الخطيئة الأصلية صـــ٢٩ .

[٢٧٢] خلاصة اللاهوت المريمى صـــ١١ .

[٢٧٣] المرجع السابق صـــ١٠٧.

[٢٧٤] المرجع السابق صـــ٨١ .

"جاء فى الدستور الرسولي للبابا بيوس الثانى عشـــر أن أم الله الجليلـــة متحـــدة اتحاداً وثيقاً جداً بابنها الإلهي وتشترك دائماً أبداً فى مصيره. إشتركت مريم فى رســـالة إبنها فى معركته لمحاربة العدو الجهنمي" [٢٧٦]

توضيح :

يقولون أن السيدة العذراء ساهمت فى خلاص البشر بطاعتها فصارت سبب خلاص لذاتها .. فإن كانت هى بلا خطية على حد قولهم فكيف صارت سبب خلاص نفسها ؟!

والسيدة العذراء لم تشارك بعاطفة الأم فى ذبيحة إبنها راضية عـــن حـــب بمـــوت الضحية لأن الذى قدم الذبيحة هو الله الآب وليست العذراء الأم " هكذا أحب الله العـــالم حتى بذل ابنه الوحيد .. " (يو ٣: ١٦) أما العذراء مريم فلم تملك قرار الفـــداء ولـــم يؤخذ رأيها فى هذا القرار .. نعم لقد تألمت كثيراً بموت إبنها الحبيب موت اللعنة والعار وجاز فى نفسها سيف الألم لكن الذى مات وفدانا هو الإبن الكلمة ، والعذراء هى مفديـــة مثلنا بالدم الثمين وليست فادية لنا .

وليست السيدة العذراء وسيط صلح بين الله والبشر كقول الأب مكسيموس كـــابس لأن الذى صنع الصلح هو ربنا ومخلصنا يسوع المسيح وحده وأعطانـــا نحـــن خدمـــة المصالحة " ولكن الكل من الله الذى صالحنا لنفسه بيسوع المســـيح واعطانـــا خدمـــة المصالحة .. " (٢كو٥: ١٨، ١٩) ونفس المعنى يتكرر فى رسالة رومية " صُولِحنا مـــع الله بموت إبنه " (رو٥: ١٠) .

وليست العذراء تُعتبر مُشارِكة مشاركة تامة فى الفداء لأنـــها أم الفـــادى لأن الله إختارها ليتجسد منها ولم يختارها لتشاركه خلاص البشرية . بل تحمل هو كـــل تكلفـــة خلاصنا من سفك الدم والموت وغلبة الموت بالقيامة ، ولذلك نحن ندعوا أمنا العـــذراء بأم المخلص ولا ندعوها بالمخلّصة .

والعذراء مريم لم تشارك فى الخلاص ولو بطريقة غير مباشرة لأنها ولـــدت لنـــا مخلص العالم ، وإلاً فإننا سنعتبر اليهود الذين تآمروا على المسيح ويهوذا الذى أسـلمه إليهم وبيلاطس الذى حكم عليه بالصليب شركاء فى قضية خلاصنا .

---

[٢٧٥] المرجع السابق صـــ١٠٤ .

[٢٧٦] المرجع السابق صـــ٩٨.

ونحن لنا فادياً واحداً مخلصاً واحداً هو الذى داس المعصرة وحده ومن الشعوب لم يكن معه أحد ، وهو الوحيد الذى خلصنا من قبضة العدو الجهنمى .

ثالثاً : كل النعم الإلهية لاتُمنح للبشرية إلاَّ عن طريق مريم العذراء

قال البابا بيوس السابع (١٨٠٠-١٨٢٣) : " أن الله أراد أن ننال كل شئ عن طريق مريم " .

وقال البابا بندكتوس الخامس عشر(١٩١٤-١٩٢٢) : " أن كل النعم التى شاء صانع كل خير أن يُوزّعها على أبناء آدم المساكين إنما يوزعها بتدبير من العناية الإلهية عن يد العذراء القديسة "

كما يقول الكاثوليك " أن مريم العذراء هى مصدر كل نعمة تأتى للبشر " ، و " شفاعة مريم تتناول كل النعم المُخصصة للبشر بحيث لا توزع نعمة عليهم إلاَّ بتدخل منها " [277] ، وجاء فى مقدمة الدستور العقائدى الصادر من المجمع الفاتيكاني الثاني " (وكانت) الحيرة أمام الفصل الذى يتكلم عن العذراء إنما أتت من بعض المفاهيم التى كانت الكتب اللاهوتية تتداولها { مريم أم الكنيسة } و { مريم وسيطة النعمة } . فرفضت اللجنة اللقب الأول ، ولم ترض بالثاني إلاَّ على مضض " [278]

توضيح :

علاقة الإنسان مع الله علاقة مباشرة ، فطالما أعمال الإنسان ترضى الله فإنه ينال النعم الروحية . أما النعم المادية فإن الله يمنحها للجميع ويشرق شمسه على الأبرار والأشرار ويُمطر على الصالحين والطالحين ، ويُبسط محبته على الخطاة والساقطين .

ولو قصرنا كل النعم على شفاعة السيدة العذراء فقط فأين صلوات وتوسلات بقية الشهداء والقديسين ؟!

---

[277] راجع محاضرات قداسة البابا شنودة باكليريكية الإسكندرية فى ١٩٩٦/٣/٢م .

[278] وثائق المجمع الفاتيكاني صـ٣٠٥ .

رابعاً : لا أحد يصل للابن إلاَّ عن طريق مريم العذراء

يقولون " كما أنه لا يستطيع أحد أن يتقرب من الآب إلاَّ عن طريق الإبن كذلك لا يستطيع أحد أن يتقرب من الإبن إلاَّ عن طريق أمه " .

وقال البابا لاون الثالث عشر(١٨٧٨-١٩٠٣) " نعمة المسيح الخلاصية بتدبير خاص من الله لا تعطى لأحد بدون شفاعة مريم الفعلية "[٢٧٩]

توضيح :

أن كان خلاصنا ووصولنا للإبن يعتمد على شفاعة العذراء مريم لا غير ، فما الداعى للإيمان والمعمودية وبقية الأسرار التى نصل بواسطتها للملكوت ؟

أمنا العذراء تشفع من أجل خلاصنا . والطريق للمصلوب مفتوح للجميع ، والله يريد الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون .. هل يمكن أن نتصور إنساناً خاطئاً جاء ليقرع باب التحنن الإلهي ولم يتشفع بالعذراء .. هل يرفضه الله ؟ كلا .. إنسان يشعر بحاجته للخلاص وجاء يسكب نفسه أمام النعمة الإلهية ولم يتشفع بالعذراء مريم .. هل يرفضه الله ؟ كلا .. أن الله ينتظر عودة الجميع إليه ، والعذراء مريم تصلى من أجل خلاص البشرية .. أنها الشفيعة المؤتمنة أمام ربنا يسوع المسيح ، ولكن لا يمكن ربط خلاص الإنسان وعلاقته بالله وحصوله على النعم والبركات بطلب شفاعة العذراء مريم .

خامساً : السيدة العذراء لم تتعرض للموت

إعتقد الكاثوليك حديثاً بأن العذراء مريم لم تتعرض للموت ولم تنفصل نفسها عن جسدها بل رُفعت إلى المجد حيث أقامها الله ملكة الكون كله ، وقد أعلن هذه العقيدة بابا روما بيوس الثانى عشر (١٩٣٩-١٩٥٨) سنة ١٩٥٠م فقال :

" نؤكد ونعلن ونحدّد عقيدة أوحى بها الله وهى أن أم الله الطاهرة مريم الدائمة البتولية بعدما أتمَّت سيرة حياتها فى الأرض رُفعت بالجسد والنفس إلى

---

[٢٧٩] المرجع السابق .

المجد السماوي " [280]

ويقول الأب أوغسطين دوبره لاتور :

" رُفعت (مريم العذراء) بالجسد والنفس إلى مجد السماء وأقامها الرب ملكة الكون كله .. أن هذا الإعلان جزء من الوحى لا يتجزأ " [281]

" أفلتت مريم بالحبل بلا دنس وبإنتقالها بالنفس والجسد إلى السماء من قانون الطبيعة العام الذى يقضى بأن جميع البشر موسومون بخطيئة العالم الخطيئة الأصلية ولذلك عرضة لفساد الموت " [282]

" غير أنه لما صار هذا العيد (عيد الرقاد) وأخذ المسيحيون يتكلمون على " رقاد فى الموت " أو على " موت فى الرقاد " أختيرت كلمة " الرقاد " للإشارة إلى وفاة مريم العجيبة المجيدة لأن وفاة أم الله لا يمكن أن تكون وفاة عادية مثل وفاة سائر الناس " [283]

توضيح :

قبل إعلان هذه العقيدة فى منتصف القرن العشرين ، وعلى مدار نحو تسعة عشر قرناً كان جميع المسيحيين بلا إستثناء يعرفون أن السيدة العذراء ماتت وأسلمت روحها الطاهرة بيد إبنها مخلصنا الصالح فى ٢١ طوبة ، ودُفنت فى قبرها بالجثمانية بأورشليم الذى ما زال معروفاً للآن . ثم أُصعِد جسدها للسماء وكشف عن هذا توما الرسول الذى لم يحضر وفاتها ولكن فى أثناء حضوره من الهند إلى أورشليم على سحابة عاين جسدها والملائكة تحمله وأخذ بركته .. فهل نبطل هذا التقليد من أجل إنسان إدعى بأن الله أوحى له بهذه العقيدة ؟! .. ولماذا ظلّ الله صامتاً زمناً هذا مقداره لم يوحى لأحد من قبله ؟! .. ألاّ يوجد إنسان قديس واحد خلال قرون هذه عددها إستحق أن يوحى الله له بهذه العقيدة ؟!

---

[280] خلاصة اللاهوت المريمى صـ٩٢.

[281] المرجع السابق صـ٨٠.

[282] المرجع السابق صـ٧٩.

[283] المرجع السابق صـ٩٣،٩٤.

أن جسد العذراء ما زال محفوظاً فى السماء منفصل عن النفس التى ستعود إليـــه يوم القيامة العامة ، وما تتمتع به العذراء مريم الآن فهو عربون المجـد السـماوى .. أنها مازالت فى الفردوس مكان الانتظار ولكن فى اليـوم الأخـير سـتكافئ بـالملكوت السماوي ويُستعلَن مجدها للخليقة كلها عندما تجلس عن يمين الملك ..كم سيكون فخرنا عندئذ بأمنا الملكة ؟!

سادساً : الصلاة للعذراء

يقول الأب اوغسطين دوبره لاتور :

" أن الصلاة للسيدة العذراء وإكرامها يعبران عن إيمان الكنيسة " [٢٨٤]

وفى الصلوات العامة والخاصة توجد صلاة موجهة ليسوع ومريم ويوسف وهى :

" يا يسوع ومريم ويوسف .. أنا أعطيكم قلبى وروحى وجسدى .

يا يسوع ومريم ويوسف .. أعينونى الآن وفى ساعة موتى .

يا يسوع ومريم ويوسف .. اجعلونى أرقد بين أيديكم بسلام " [٢٨٥]

توضيح :

تقديم الصلوات والعبادة لله وحده لأنه " مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد " (لو ٤ : ٨) .. نحن نناجى أمنا العذراء مريم ونطلب صلواتها من أجلنا وشفاعتها فينـا .. فى صلاة باكر " أسأليه (إبنك) أن يعطى الخلاص للعالم الذى خلقه وأن ينجيـه مـن التجارب " ، وفى صلاة الساعة الثالثة " نسـألك أيتـها الممتلئـة نعمـة مـع الرسـل (أن تصلى) من أجل خلاص نفوسنا . مبارك الرب إلهنا ..لأنه إلـه خلاصنـا " وفـى صلاة الغروب " فهيئ لى أسباب التوبة (بصلواتك) أيتها السـيدة العـذراء . فـإليك أتضـرع (ليس تضرع العبادة) وبك استشفع (دليـل على أنها شفيعة وليست قابلـة

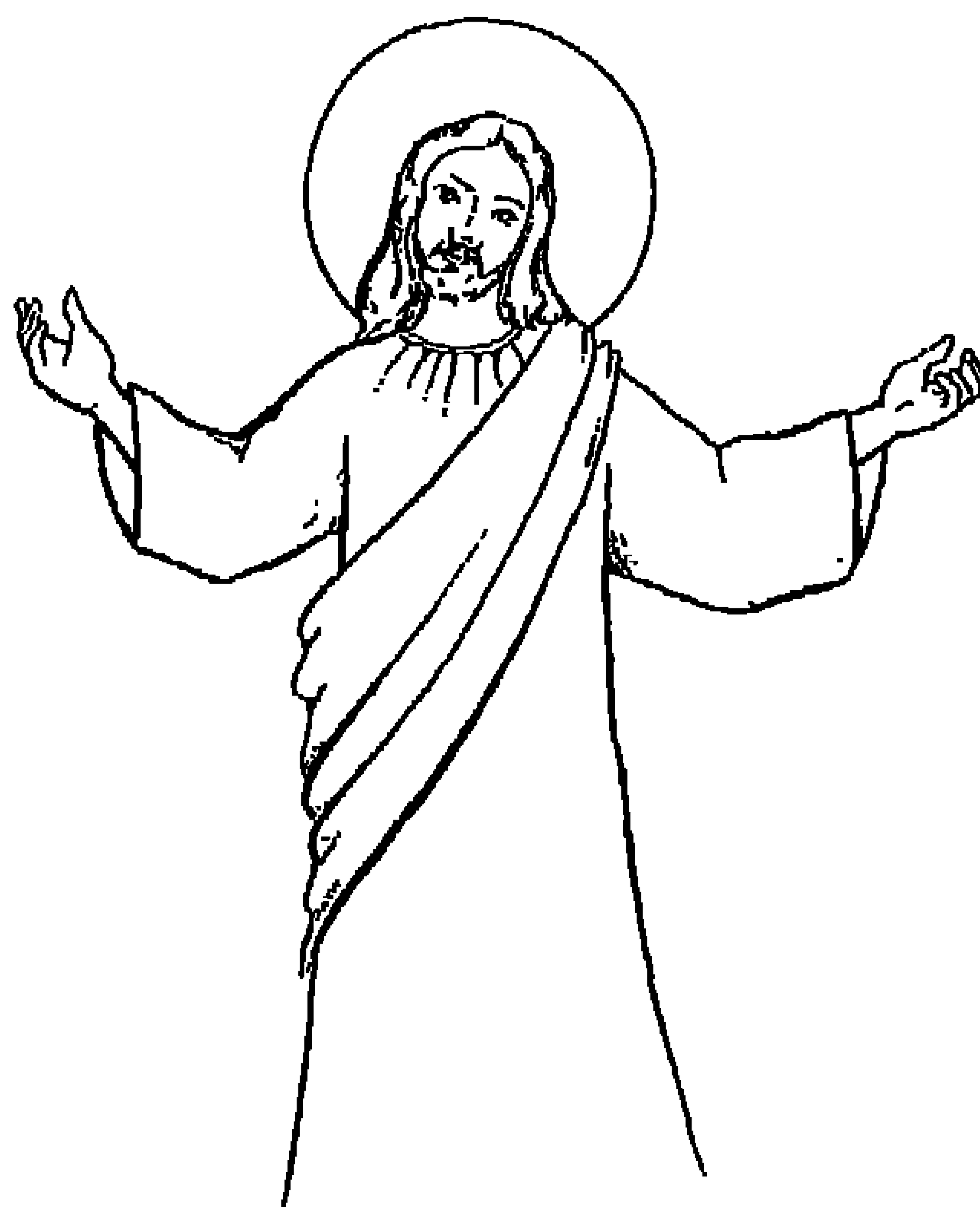
---

[٢٨٤] المرجع السابق صـ٨ .

[٢٨٥] نبذة يارب علمنا ان نصلي- بازيليك السيدة العذراء ميدان الأهرام – مصر الجديدة سنة ١٩٨٨م صـ١٥ ، القداس – الأب منسي الكدوان اسكندرية ١٩٥٤/٩/١م صـ ٨٤ .

للصلوات) وإياك أدعو أن تساعدينى لئلا أخزى .. .

وهكذا فى جميع صلواتنا لله نطلب صلوات أمنا العذراء وأباؤنا الرسل وإخوتنا الشهداء والشهيدات والقديسين والقديسات ، ولا نربط بين طلب شفاعتهم وصلوات بالحصول على غفرانات لأن المغفرة هى بدم المسيح لا غير ، وليس بالصلوات للقديسين كما سنرى فى موضوع الغفرانات .



الفصل السادس
معتقدات خاصة بالمطهر
وزوائد القديسين وصكوك الغفران

في هذا الفصل نلقى الضوء على الأمور الآتية :

أولاً : مـا هـو المطهـر ؟

ثانياً : تاريخ عقيدة المطهر .

ثالثاً : أسانيد عقيدة المطهر .

رابعاً : هل هناك دينونتان ؟

خامساً : مشاكل ضد المطهر .

سادساً : زوائـد القديسين .

سابعاً : صكـوك الغفـران .

أولاً : ما هـو المطهر ؟

التسمية : جاءت تسمية المطهر من التطهير فيقـول الأب أوغسـطين دوبـره " المطهر في اللاتينية صفة تعني المُطهّر (اسم فاعل) ثم أصبحت إسـماً " [٢٨٦] ، والـذي أطلق أسم " المطهر " هو البابا اينوشنسيوس الرابـع رقـم (١٧٩) [١٢٤٣-١٢٥٤م] فيقول الأب لويس برسوم الفرنسيسكاني :

" وأما الذي قرّر أن يسمى " مكان تطهير النفوس " باسم (المطهر) وذلك بناء على التقليد الشائع وقتذاك وسلطة الآباء القديسين فهو البابا اينوشنسيوس الرابع في خطـاب له لأسقف توسكولو (مدينة بجوار روما) بتاريخ ٦ مارس سنة ١٢٥٤م " [٢٨٧]

هل المطهر مكان أم حالة ؟

لقد اختلف الأخوة الكاثوليك في الإجابة على هذا السؤال ، فالبعض قال أن المطـهر مكاناً ، والآخر قال أنه حالة وليس مكاناً ، فمثلاً يشير كتاب اللاهوت النظـرى إلـى أن المطهر مكان ولكن غير مُحقّق أين هو ؟ ولكن أغلب الظن أنه أسفل الأرض حيث جهنم

---

[٢٨٦] دراسة في الاسكاتولوجيا الموت والقيامة والمطهر وجهنم صـ١١٥ .

[٢٨٧] المطهر للأب لويس برسوم صـ٤٠ .

" وأما ما يتعلق بمكان المطهر ، فغير مُحقّق . وقد إرتأى القديس توما (الاكوينى) أنــه فى أسفل الأرض حيث جهنم ، بحيث أن النار التى تعذب الهالكين فى جهنم ، هى عينـها تطهر الصالحين فى المطهر " (راجع المطهر لقداسة البابا شنودة الثالث صـ١٥) ويقول الأب مكسيموس كابس " نستخلص مما سبق الإيمان بوجود مكان ليس هو السماء وليس هو جهنم تحتاج فيه النفوس إلى إسعافات من الأحياء سواء بواسطة الصلوات أو الأصوام أو القداسات . هذا المكان سماه الكاثوليك المطهر " [٢٨٨] ، أما عن الرأى الآخر الذى يؤكد أن المطهر حالة وليس مكاناً ، فنذكر هنا قول الأب الدكتور مترى هاجي أثناسيو " ليس المطهر مكاناً مادياً (بين السماء وجهنم) أنه حالة النفس (نفس الإنسان المنتقل) المحتاجة إلى بعض التنقية الضرورية لتؤهل أن تكون فى كمال نور الله وفى سعادته الأبدية فى حضرته السعيدة " [٢٨٩]

فكرة عقيدة المطهر :

تعتمد فكرة عقيدة المطهر على أن السيد المسيح حمل خطايانا لكنه لم يحمل عقاب هذه الخطايا ، فكل من يصنع خطية يتحمل عقاب هذه الخطية سواء كان حياً على الأرض أو بعد موته فى المطهر ، ولذلك يقسم الأخوة الكاثوليك الناس إلى ثلاث فئات :

أ- القديسون الكاملون الذين يذهبون للسماء مباشرة بعد الموت .

ب- الأشرار الطالحين الذين يذهبون إلى جهنم مباشرة بعد الموت .

جـ- المؤمنون الذين لهم خطايا عرضيَّة بدونٍ قصد وسهوات وهفوات أو التائبون الذين لم يستوفوا القصاصات الكنسيَّة المفروضة عليهم ، ومثل هؤلاء وأولئك مكانهم المطهر حيث يتطهرون ويكفّرون عن خطاياهم العرضيَّة ويوفون عقاب ذنوبهم ثم ينتقلون للملكوت ، وورد فى كتاب اللاهوت النظرى " أنه كثيراً ما يتفق أن يموت البعض مثقلين بخطايا عرضيَّة ، وأن بعض الصالحين يموتون قبل أن يتمّموا وفاء ما يلزمهم من الكفارة عن العقاب الزمنى المرتب على الخطيئة المميتة . فما الحكم على مثل هؤلاء ؟ ألنهم يهلكون ، ولكن هذا مناف للصواب ؟! أم أنهم يفوزون بالغبطة السماوية وهم ملطخون بالدنس ، وهذا أيضاً بعيد عن المعقول ؟! أم أنهم بمجرد موتهم ينقون من كل إثم ، وهذا ما لا دليل عليه ؟! بقى إذن التسليم بأنه يوجد بعد الموت حالة

---

[٢٨٨] إيماننا القويم جـ٢ لماذا نؤمن بالمطهر ؟ صـ٧٦ .

[٢٨٩] فضح بدعة شهود يهوه حاشية صـ١٣٩ .

غير ثابتة فيها تُطهَّر النفوس من كل دنس قبل دخولها فردوس الأبرار وهذه الحالة هي المطهر" [٢٩٠] ، وعن هذه النفوس يقول الأب بولس برسوم " حتى إذا ما تطهرت النفس تماماً من كل شائبة خطيئة ، وأوفت ما تبقى عليها من قصاصات زمنية مرتبة على خطاياها المميتة المغفورة ، أُدخلت من فورها إلى السماء ، مقر الطوباويّين من الملائكة والقديسين " [٢٩١]

ويقول الأب مكسيموس كابس " أن النفس بعد خروجها من الجسد لا يمكن أن تتغير ، أي إذا كانت خاطئة فإنها تبقى خاطئة ولا يمكنها أن تتوب ، وإن كانت صالحة فإنها تبقى صالحة ولا يمكنها أن تخطئ .. وفي كل الحالات يجب أن نميز بين الجوهر والاعراض .. والهفوات والسهوات أي الخطايا الغير مميتة تعتبر عرضيَّة أي لا تمس الجوهر ، ولذلك لا تُفقِد الجوهر نضارته وطهارته ويمكن إزالة هذه الأعراض " [٢٩٢]

طبيعة المطهر :

هناك بعض الأراء الكاثوليكية التي تهوّن وتُفلسف عذاب المطهر فتعتبره شركة آلام مع المسيح ، وحالة ظمأ لرؤية الله ، ومكان للإغتسال وللتطهير والتنقيَّة ، وهو ذروة الموت التصوفي ، ومحنة المحبة الإلهية ، وأراء أخرى تبرز آلام المطهر فتعتبره عقوبة وحبس وسجن واعتقال ونار جهنمية .. إلخ ، فمن الأراء الأولى التي تهوّن وتسهل من عذابات المطهر نذكر ما يلي :

١- المطهر شركة آلام المسيح : يقول الأنبا إسطفانوس الثاني بطريرك الأقباط الكاثوليك " عندما تشير الكنيسة إلى الآلام المُطهّرة لا تعني مطلقاً أنها عقاب الله للخاطئ ، لأن الله { هكذا أحب العالم حتى بذل ابنه الوحيد } (يو٣: ١٦) { والله لا يناقض ذاته } (٢تي٢: ١٣) .

فإن كان للتائب آلام بعد الموت ، فمصدر ذلك هو التشوق لرؤية الله والنمو في حبه والإتحاد بآلام المسيح الذي فتح لنا بصليبه باب القيامة والملكوت .

أن تعليم الكنيسة عن المطهر يعني أن نفس الذي رقد في التوبة ومحبة الله وعدالته

---

[٢٩٠] راجع اللاهوت النظرى لالياس الجميل جـ٢ صـ٤٩٧ .

[٢٩١] المطهر للأب لويس برسوم صـ٢١ .

[٢٩٢] إيماننا القويم جـ٢ لماذا نؤمن بالمطهر صـ٥٨،٥٩ .

لا يزال يحمل نتائج الخطية المرتكبة . هذه النفس تُطهَّر بعد الموت من كل هذه النتائج بواسطة الآلام المُطهّرة .

أن الآلام المُطهِرة وصلوات الكنيسة من أجل الراقدين والغفرانات التى تمنحها الكنيسة . ذلك كله لا يمكن أن يعتبر إيفاء للدين لله لكى ينقل الموتى إلى الحياة الطوباوية السماوية . أن دين كل خاطئ فى نظر الله قد تم إيفاؤه تماماً بذبيحة المسيح على الصليب ، وليست الآلام المُطهّرة إلاً مشاركة حب فى آلام المسيح التى تحمّلها مرة واحدة على الصليب ، كما أن صلوات الكنيسة والغفرانات ليست إلاً توسلات ترفعها الكنيسة من أجل أعضائها فى شركة القديسين " [٢٩٣]

تساؤل : هل المطهر هو تشوُّق النفس لرؤية الله أم أنه عذاب فى نار جهنمية للتطهير والتكفير من الذنوب التى لم يكفر الإنسان عنها على الأرض ؟! وهل شركة آلام المسيح تستمر مع الإنسان بعد الموت أم أنه يستبدلها بشركة مجد قيامة المسيح ؟! وإن كان دين كل خاطئ قد تم إيفاؤه تماماً بذبيحة المسيح فلماذا يتحمل الإنسان نتائج (عقاب) الخطايا المرتكبة بعذابه فى النار المُطهّرة ؟!

٢- المطهر هو حالة الظمأ لله : يقول الأنبا إسطفانوس الثاني " أن الكنيسة الكاثوليكية قد رفضت بصفة مستمرة تحديد طبيعة هذه الآلام المُطهّرة أو مكانها أو زمانها ، وبخاصة الإدعاء بأن هذه الآلام المُطهرة قائمة على النار . ليست الآلام إلاً تعبيراً عن الظمأ لله ولحبه ، وليست لها أية صلة بآلام الهالكين إلى الأبد " [٢٩٤]

وورد فى كتاب مختصر فى علم اللاهوت أن المطهر " هو الحرمان من رؤية الله والتمتع به . ولكن هذه العقوبة تقترن دائماً بالثقة الوحيدة فى السعادة الأخيرة [بعد المطهر] لأن الموتى فى المطهر يعرفون أنهم أبناء الله وأصدقاؤه ويتوقون إلى الاتحاد به اتحاداً صحيحاً . فيزيدهم شعورهم هذا ألماً بهذا الفراق المؤقت " [٢٩٥]

تساؤل : وهل نيران المطهر الجهنمية هى الظمأ لرؤية الله ؟ وهل آلام المطهر ليست هى آلام الهالكين فى جهنم حسب قول الأنبا اسطفانوس الثاني أم أنها هى عذابات

---

[٢٩٣] مجلة الصلاح – عدد إبريل سنة ١٩٩١ .

[٢٩٤] المرجع السابق .

[٢٩٥] مختصر فى علم اللاهوت العقائدي حـ٢ صـ١٥٠،١٥١ .

جهنم ولكنها زمنية وليست أبدية كما قال إيلياس الجميل فى كتابه علم اللاهوت النظري ؟!

٣- المطهر مكان للإغتسال وليس سجناً : يقول الأب مكسيموس كابس " أن المطهر هو مكان مرور بين الأرض والسماء ، أو بطريقة أخرى مجازية هو مكان إغتسال ، تمر فيه الأنفس البارة ، إن كان لحقها شئ من السهوات أو الغلطات أو بعض التقصيرات فى وفاء القصاص المفروض عليها تتطهر منها ، فهو إذن مكان وفاء وتطهير وليس مكان سجن وتكفير "[٢٩٦]

تساؤل : هل المطهر مكان بحسب تعبير الأب مكسيموس كابس أم أنه حالة للنفس المنتقلة بحسب تعبير الأب الدكتور مترى هاجي أثناسيو كما رأينا من قبل ؟! وما هو وجه الشبه بين الاغتسال الذى يمنح للإنسان النشوة والنشاط ونيران المطهر التى هى من نار جهنم كما قال بعض علماء الكاثوليك ؟! وهل المطهر ليس سجناً حسب قول الأب مكسيموس كابس أم أنه هو " السجن المؤقت " حسب قول الأب لويس برسوم فى كتابه المطهر صـ٢١ وأيضاً حسب قول مجمع تريدنت ؟!

٤- المطهر للمغفرة والتنقية والتطهير والتكفير : يقول الأب الدكتور مترى هاجي أثناسيو " هناك إذن مجال بعد الممات للمغفرة ، التى لا تحصل لا فى السماء ولا فى جهنم فلابد من وجود حالة (وليس مكان) ثالثة تحدث فيها هذه المغفرة ، وهى المطهر ، أنها حالة تنقية وتطهير وتكفير ، وبعد الموت لمدة من الزمن لا تقاس بزماننا الأرضي ، إلى أن تصبح آهلة للعيش فى حضرة الله القدوسة السعيدة "[٢٩٧]

تساؤل : هل المطهر حالة تكفير حسب قول الأب الدكتور مترى أم أنه ليس حالة تكفير حسب قول الأب مكسيموس حكيم فى كتابه لماذا نؤمن بالمطهر صـ٩٩ ؟!

٥- المطهر للنضج التدريجي والاندماج الأليم : يقول الأب أوغسطين دُوبره لاتُور " نجد فكرة النضج التدريجي هذه عند كارْلْ راهْنِرْ .. فيكتب { أن حذف عقوبة الخطية (وهى تفترض التكفير أو المطهر) يمكن أن نتصورها سير نُضْج عند الشخص ، به تندمج شيئاً فشيئاً جميع طاقات الكائن البشرى فى القرار الأساسي

---

[٢٩٦] إيماننا القويم جـ٢ لماذا نؤمن بالمطهر صـ٩٩ .

[٢٩٧] فضح بدعة شهود يهوه صـ١٤٠ .

الذى يتخذه الشخص الحر .. ومثل ذلك السير ، سير النضـــج ، يمكـــن أن نفهمـــه كإندماج للحقيقة البشرية كلها المتعددة الوجوه فى القرار الحرّ وفى النعمـــة } أمـــا مغفرة تلك العقوبة فى هذه الدنيا أو فى الآخرة فهى قد تعنى { أن ســـير الإندمـــاج الأليم عند الكائن البشرى فى القرار الحر المتحد نهائياً مع نعمة الله ، يتم بســـرعة أكبر وبزخم أشدّ وبالتالى أيضاً بعذاب أقل} أن نظرنا إلى المطهر من هذه الزاويـــة ، أصبح الاستعداد الأخير الذى يقوم به الكائن البشرى للعطاء التام لمحبة الله . أو انه النضج التدريجي لهذا العطاء "[٢٩٨]

٦- **المطهر ذروة الموت التصوفي** : يقول الأب أوغسطين دُوبره لاتُور " نريد هنا أن نُظهِر ما فى المطهر من ناحية إيجابية باعتبار المطهر لا عقوبة فقط ، بل إكتمالاً للخلاص فى المسيح أيضاً .. هناك أولاً نار الدينوينة التى لا تُدِين ، بل تُطـــهّر مـــن خبث الخطيئة أو صدأها .. وبهذا المعنى دار الكلام على نار المطهر التـــى تُحـــرِق وتُفنى أثار الخطيئة قبل التمتع بالرؤية السعيدة .. وبهذا المعنى كثيراً مـــا أقيمـــت المقارنة بين عذاب المتصوّفين والمطهر . وهذه المقارنة تدعونا إلى أن نـــرى فـــى المطهر ذروة الموت التصوفي "[٢٩٩]

٧- **المطهر محنة المحبة الإلهية ومثـــال للاستشـــهاد** : ويقـــول أيضـــاً الأب أوغسطين دُوبرة نقلاً عن يوحنا الصليب فى كتابه الليل الحالك " فنستطيع أن نكـــوّن فكرة عن الطريقة التى تتعذب بها نفوس المطهر .. فإن ســـبب ذلـــك العـــذاب هـــو الاقتراب من المحبة الإلهية . أنها محنة المحبة الإلهية . تلك هى أيضـــاً بالقيـــاس الغاية من المحن فى هذا العالم ، ومن عذاب المؤمن بيسوع المسيح . ولكن علـــى هذا المستوى إذا بقيت فكرة التطهير فإن موضوع تطابق الرسول مع يسوع المسيح المصلوب هو أشد ظهوراً عند القديس بولس .. فيكون المطهر أيضاً التطابق الأخير ، لأن محبة الله هى التى تستكمله أيضاً قبل التمتّع بالرؤية السعيدة ، علـــى مثـــال الاستشهاد فى سبيل المسيح "[٣٠٠]

---

[٢٩٨] دراسة فى الاسكاتولوجيا الموت والقيامة والسماء والمطهر وجهنم صـــ١١٩-١٢٠ .

[٢٩٩] المرجع السابق صـــ١٢٠،١٢١ .

[٣٠٠] المرجع السابق صـــ١٢٢،١٢٣ .

ومع الآراء السابقة تختلف الآراء الآتية التى تظهر شدة وقسوة عذابات المطهر :

١-**المطهر للعقوبة** : صرَّح مجمع ليون ومجمع فلورنس " أن الذين يخرجون من هذه الحياة ، وهم نادمون حقيقة وفى محبة الله ، لكن قبل أن يكفروا عن خطاياهم وإهمالاتهم بأعمال توبة وافية ، تتطهر نفوسهم بعد الموت بعقوبات مطهرة " [٣٠١]

٢-**المطهر حبس وسجن واعتقال** : ورد فى كتاب اللاهوت النظري أن " النفوس المعتقلة فى المطهر تكابد عذاب الخسران بفقدانها الخير الأعظم ولكن هذا العذاب لا يسقطها فى اليأس لأنها ترجو الفوز يوماً ما بالسعادة السماوية " [٣٠٢]

وذكر الأب لويس برسوم فى تعريف المطهر أنه " حبس يدعى نار المطهر تتعذب فيه أنفس الأتقياء إلى زمان معين ومحدود ، وتتطهر لكى تقدر أن تدخل الوطن السماوي وبلادها الأبدية ، التى لا يدخل إليها شئ نجس " [٣٠٣]

وذكر مجمع تريدنت فى جلسته الخامسة والعشرين أنه " لما كانت الكنيسة الكاثوليكية التى يرشدها الروح القدس قد علمت فى مجامعها المقدسة ، وحديثاً فى هذا المجمع المسكوني بأن ثمة مطهراً ، وبأن النفوس المعتقلة فيه تُساعَد بصلوات المؤمنين ولا سيما بذبيحة المذبح الكفارية " (راجع كتاب المطهر لقداسة البابا شنودة الثالث صـ١٦،١٧) .

٣- **المطهر عذاب أليم للنفوس البارة** : تحدث المجمع التريدنتينى عن " عذاب زمنى يجب على الخاطئ التائب وفاؤه فى هذا العالم أو فى الآتي فى المطهر قبل أن يفتح له طريق الملكوت السماوى " (الجلسة ٦-قانون٣) .

وقيل فى كتاب الكاتشيزم وهو كتاب التعليم المسيحي تحت رقم ٤١٧ " أن النفس البارة بعد الدينونة الخاصة غالباً تدخل المطهر وهو عذاب أليم ، به تفى النفس ما تبقى عليها من عقاب زمنى " .

٤- **المطهر للتكفير عن الخطايا** : يقول الأب أوغسطين دُوبرِه"فى الكنيسة

---

[٣٠١] مختصر فى علم اللاهوت العقائدى جـ٢ صـ١٥٠، ١٥١- أورده كتاب المطهر لقداسة البابا شنودة الثالث صـ١٠ .

[٣٠٢] اللاهوت النظرى لالياس الجميل جـ٢ صـ٤٩٨ – أورده كتاب المطهر لقداسة البابا شنودة الثالث صـ١١ .

[٣٠٣] المطهر للأب لويس برسوم صـ٣٩-٤٠ .

الكاثوليكية يشعر الخاطئ بندامة على خطاياه ويقوم بالإعتراف ، ثم يحصل على حل يصالحه مع الله ، وعليه أن " يُكفّر " أى أن يقوم بعمل توبة . وهذا التكفير الإجباري يشعر بإنه مازالت هناك آثار للخطيئة ، حتى بعد أن غُفِرت . فالمطهر هو ذلك التكفير حين لم يكن تاماً على الأرض " [٣٠٤]

٥- **المطهر نار لتعذيب الأرواح :** يقول الأب مكسيموس كابس " أن الكنيسة الكاثوليكية عندما حدَّدت أنه يوجد مكان للتطهير وأطلقت عليه مطهر كناية عن مفعوله لم تتعرض لطبيعة هذا المطهر .. أما طبيعة ما هذه النار ما هى فلم يتعرض لها أحد ، بكل تأكيد ليست هى نار مادية لأن النار المادية لا تحرق الأرواح ، ولكن الله الذى خلق هذه النار فى استطاعته أن يخلق ناراً لا تحرق الأجساد ولكنها تعذب الأرواح ولا تحرقهم " [٣٠٥]

٦- **عذاب المطهر من عذاب جهنم :** ورد فى كتاب اللاهوت النظرى " وأما ما يتعلق بمكان المطهر ، فغير مُحقَّق . وقد ارتأى القديس توما أنه فى أسفل الأرض حيث هى جهنم ، بحيث أن النار التى تعذب الهالكين فى جهنم ، هى عينها تطهر الصالحين فى المطهر " (راجع كتاب المطهر لقداسة البابا شنودة الثالث صـ١٥) .

وقال الأب لويس برسوم " المقصود هنا بالعذابات الجهنمية ، كما لا يخفى ، هو العذابات المطهرية التى لا فرق بينها وبين العذابات الجهنمية ، إلاّ فيما عدا أن الأولى دائمة والثانية مؤقتة " [٣٠٦]

وورد فى كتاب رياضة شهر تشرين الثانى " أن عذابات المطهر لا تختلف عن عذابات الجحيم إلاّ فى مدة بقائها ودوامها على أن العين لم تر ولا الأذن سمعت ولا خطر على فكر إنسان ما يحتمل فى ذلك المحل من عذابات" [٣٠٧]

وفى ذات الكتاب جاء " أن عذابات تلك النفس الطاهرة يعجز عن وصفها اللسان فإنها تتعذب بالنيران والضنى والظلام وعدم معرفة زمن إطلاقها " [٣٠٨]

---

[٣٠٤] دراسة فى الاسكاتولوجيا الموت والقيامة والسماء والمطهر وجهنم صـ١١٨-١١٩ .

[٣٠٥] إيماننا القويم جـ٢ لماذا نؤمن بالمطهر ؟ صـ٧٧،٨٧ .

[٣٠٦] المطهر للأب لويس برسوم صـ٥ .

[٣٠٧] رياضة شهر تشرين الثانى المطبوع بدير الرهبان الفرنسيسكان بأورشليم سنة ١٨٧٧م صـ ٣٧ .

[٣٠٨] المرجع السابق صـ ٦٨ .

٧- عذاب الرب يسوع : أما أصعب ما قيل عن المطهر فهو قولهم أن الرب يسوع ذاته يتعذب بعذابات المطهر ، فقد ورد فى كتاب رياضة شهر تشرين الثاني ما يلى :
" فلنرفعن عقولنا أيها المسيحيون حيث نرى يسوع المسيح سيدنا غير تارك الأنفس المسكينة فى ذلك السجن العميق بل هوذا يتألم معها فى وسط النيران كفاد النفوس المفتداه معه ، وهذا الرب الفادى وهذا الأب الحزين وهذا الرأس المتوجع يلتفت إلينا من ذلك السجن حتى نتحرك نحوه بالشفقة بأقل مما لتلك النفوس ولنسمعه تعالى كيف أنه بصوت مذيب للقلوب يكرّر علينا ما قاله عن إخوته الفقراء هاتفاً مهما فعلتم بهذه الأنفس المسكينة فبي فعلتم كأنه هو الموضوع ، وبإسعافاتنا يلزمه أن ينجو من تلك العذابات ..

صلاة : يا سيدنا يسوع المسيح يا من تعلم أن أمر المطهر ليس فقط راجع لتلك الأنفس بل لك أيضاً لأنك أنت تتعذب برفقتهن ، فأنت بعمل فدائك قد علمتنا كم تستحق الأنفس ونحن واجباتنا كم تستحق أنت ، فنحن أن نريد أن نقدم كل ما يمكننا من الوسائط لافتدائك وافتدائهن من عذابات المطهر الشديدة الحارة " [٣٠٩]

المعونة والأجازة والتخفيف : يعتقد الأخوة الكاثوليك أن النفوس التى تتعذب فى المطهر تجد معونة بصلواتنا وعمل الصدقات وإقامة القداسات والتشفع بالسيدة العذراء مريم سيدة المطهر . كما يعتقدون أيضاً أن المطهر يغلق أبوابه الجهنمية فتكف العذابات وتستريح الأنفس وتأخذ أجازة من نيران المطهر خلال فترة الخماسين المقدسة ، ولذلك فإن نفوس المنتقلين لا تحتاج فى هذه الفترة إلى صلوات الكنيسة المجاهدة ، فلا داعي لصلاة أوشية الراقدين ، ولا داعي لذكر نفوس المنتقلين فى القداس الإلهى خلال هذه الفترة المقدسة (راجع أضواء على المطهر لوجيه غالى صـ١٣) .

وأيضاً إعتقد الأخوة الكاثوليك بأن البابا الرومانى من سلطانه أن يُخفِض مدة العقوبة فى نيران المطهر سواء عن طريق الغفرانات التى يحدِّدها أو صكوك الغفران التى يصدرها ويوقع عليها ، وهذا الموضوع لنا عودة معه عند حديثنا على صكوك الغفران .

---

[٣٠٩] المرجع السابق صـ١٧٨ – أورده كتاب الايضاحات الجلية عن حقيقة الأرثوذكسية للشماس ميخائيل شحاتة صـ١٣٦، ١٣٧ .

توضيح :

دعنا ياصديقي نلقى قليلاً من الأضواء على هذه الآراء :

فكرة المطهر : فأساس فكرة المطهر هى العطف على الأرواح التى انتقلت ولم تُكمِل توبتها ، ولذلك قال البعض بأن هناك إمكانية للتوبة بعد الموت وبالتالي هناك إمكانية للمغفرة معتمدين على قول الرب يسوع " فلن يغفر له فى هذا العالم ولا فى الآتي " (مت١٢: ٣٢) ولنا عودة لهذه النقطة عند حديثنا على أسانيد المطهر ، وقال البعض الآخر أن الرسل يبشرون الأرواح بعد إنطلاقها من الجسد ، وقال فريق ثالث بأن هذه الأرواح تأخذ فرصاً أخرى من خلال التناسخ إذ تظهر للحياة مرة أخرى أو أكثر فى أجساد جديدة ، وقال الأخوة الكاثوليك أن المطهر لتطهير تلك الأنفس والتكفير عن العقوبة .

هل المطهر للتطهير أم للتكفير ؟ هل هو طريق للحصول على الطهارة أم أنه عقوبة يقضيها الإنسان فى السجن وعذاب ومعتقل المطهر ؟

أن كان المطهر للتطهير فالذى يتعذب من الصعب عليه أن يرضى بالعذاب ولا سيما إذاكان عذاب من عذاب جهنم التى هى فوق الطاقة والقدرة والإحتمال ، وعندما يتشوى بنيران المطهر مقابل سهوة أو هفوة كم يكون ناقماً ومتذمراً على العدل الإلهي ؟!

وإن كان المطهر للتكفير عن العقوبة فمعنى هذا أن ذبيحة الصليب لم تكن كاملة لأنها رفعت عنا الإثم وتركت لنا العقوبة لنحملها ، وبذلك فنحن نشارك المسيح فى صنع الفداء بمقدار ما نتحمل من عذابات فى المطهر ، وحاشا لله أن يصنع فداءاً هذا مقداره ويكون ناقصاً فى شئ ما .

بين المطهر وافلاطون وأرسطو : قال البعض أن المطهر فكرة مأخوذة من الأفلاطونية ، فمثلاً يقول موسهيم " ولكن المسيحيين .. أُغروا على موافقة الافلاطونيين وغيرهم بأنه لا يصعد إلى السماء إلاَّ أنفس الجبابرة والذين اشتهروا بقواهم بينما أنفس الآخرين المثقلة بالشهوات تسقط إلى الأعماق الجهنمية ولا تصل إلى عالم النور قبل أن تطهر من نجاستها " [٣١٠]

واعتقد الكلدان القدماء بأن النفس التى تلذَّذت بالخطية تتطهر بالنار فى الحياة

---

[٣١٠] موسهيم ك ١ قرن ٢ قسم ٢ فصل ٣ صـ٦٦، ٦٧ .

الأخرى ، وقال فيلو بولس مفسر بعض كتب أرسطو " أن نفوسنا بعد خروجها من هـذا الجسد تُعاقب معذبة فى الجحيم على ما اقترفت من الطلاح ، ومـن حيث أن الخطيـة حصلت للنفس سبباً للإستلذاذ فمن اللازم أن يكون لها التطهير أيضاً بوجع الألم " (راجع تنوير الأذهان بالبرهان إلى ما فى عقائد الكنيسة الغربية من الزيغان صـ٢٥٧) .

منطقة المطهر : صوَّر البعض المطهر بمنطقتين أحدهما مغطاة بالثلوج والأخرى ملتهبة بالنيران والنفس حائرة بينهما ، فجاء فى كتاب إدخار تغييرات البابويـة تحـت عنوان منطقة المطهر " أن دريثلم الذى وصلتنا قصته عن طريق المؤرخين المحققيـن { بيدى وبلارمين} ذهب فى رحلته يقوده ملاك فى ثياب من نور متجهاً نحـو الشـمس المشرقة . وصل السائحان (دريثلم والملاك) أخيراً إلى واد فسيح الأرجاء منقسـم إلـى قسمين : القسم الواحد على شمالهم وهو عبارة عن أتون متقد ، والقسم الآخـر علـى يمينهم تغطيه الثلوج ويعمَّه البرد الزمهرير . وكان الوادى كله مملوءاً بالنفوس البشرية أو فيه زوبعة عاصفة تهب بشدة فى جميع أرجائه ونواحيه .

وكانت الأرواح المسكينة تقفز من ناحية إلى أخرى ، فمتى حلت فى قسم الحـرارة المتقدة لم تقو على إحتمالها ، فتنطلق فزعة إلى القسم الآخر وما فيه من ثلوج وبـرد قارص وهناك تجد الحالة أمرَّ وأنكى ، فترتد راجعة إلى اللهب المستعرة ، وهكذا دواليك . جمهور غفير من النفوس المشوَّهة كانت بهذه الكيفية تـروح وتغـدو ، وعذابـها لا ينقطع بين الحرارة الكاوية والبرودة القارصة ، ذلك بناء على أقوال الملاك الذى كـان مرشداً ودليلاً لدريثلم ، أنه مكان العقاب لأولئك الذيـن يؤجلـون الإعـتراف والتوبـة وإصلاح سلوكهم إلى ساعة مماتهم . على أن هؤلاء جميعاً سيُقبلون فى اليوم الأخـير ويسمح لهم بدخول السماء ، بينما كثيرون منهم بواسطة الصدقات والشفاعات وخاصـة الأفخارستيا والقداس ، يطلق سراحهم قبل يوم الدينونيـة العامـة " (إدخـار تغيـيرات البابوية صـ٤٥٥) .

حالة الانتظار : إن النفوس عقب إنتقالها تظل فى حالة إنتظار لمصيرها الأبـدى الذى سيُعلن فى اليوم الأخير ، فالنفوس التى أرضت الرب تشعر بسعادة غـامرة لأنـها تتشوق لمصيرها السعيد فى ملكوت السموات ، وأما النفـوس التـى أغضبـت الـرب بتصرفاتها الطائشة الغير مسئولة فإنها تشعر ببؤس شديد . قال الشـيخ إسـحق ابـن العسال فى الباب الـ٦٠ من كتابه اصول الدين " أن النفس الصالحة والشريرة تدرك مـا

سيكون لها من النعيم أو الجحيم ، فتنعم بذاك أو تتعذب بهذا إلى أن تقوم في القيامة العامة ، وربما يكون كالعربون لما سيحل بها بالفعل يوم المجازاة كنحو أعمالها .. ومثال هذا الشعور إثنان استدعاهما الملك واحداً ليقبل عليه وينعم ، وآخر ليعاقبه ويعذبه ، وقد علِما بما استدعيا له فبقيا على بابه إلى أن ينفذ أمره فيهما . فالواحد في غاية السرور والابتهاج فيما قد علِم أنه سيناله من النعيم ، والآخر في غاية الحزن والإكتئاب على ما قد علِم أن سيحل به من العذاب والعقاب " [٣١١]

ويعطى قداسة البابا شنودة الثالث مثلاً أخراً على هذه النفوس المنتظرة فيقول " فهذا إحساس للنفس وليس دينونة .. كتلميذ يخرج من أداء الإمتحان ، وهو فرح واثق بنجاحه ، إذ قد أجاب حسناً . وتلميذ آخر يخرج وهو يبكى ، متأكد من رسوبه . ومع ذلك يبقى الإثنان فى انتظار النتيجة . ولا يعتبر أحد منهما أنه نجح أو رسب إلاَّ بعد اعلان النتيجة .ونحن نصلى لأجل الذين انتقلوا من عالمنا لأن النتيجة لم تعلن بعد .. وهم لا يزالون فى مكان الانتظار" [٣١٢]

وقال الأنبا إسطفانوس الثانى بطريرك الأقباط الكاثوليك " أن الصلاة من أجل الراقدين ، وبخاصة فى ذبيحة القداس التى تقدم من أجلهم ، نلتمس من الله أن يمنحهم الراحة والعزاء وأن يرحمهم يوم الدينونة " [٣١٣]

العقوبات الكنسية : يقول الأخوة الكاثوليك بأن الإنسان التائب الذى ينتقل من هذا العالم ولم يوفِ ما عليه من عقوبات وقصاصات كنسية يكمل عقوبته في نيران المطهر الجهنمية ، والحقيقة أن العقوبات أو التأديبات الكنسية أن كانت مطانيات أو أصوام أو قراءات مكثفّة فى الكتاب المقدس والكتب الروحية أو .. فهى محتملة والهدف منها الاصلاح والتهذيب أما نيران المطهر فالقصد منها الإنتقام والتعذيب ، ومن يحتمل مثل هذه النيران الجهنمية ؟!

بل أن العقوبات والتأديبات فى الإنجيل هى تعبير عن محبة الله الآب لأولاده " يا إبني لا تحتقر تأديب الرب ولا تَخُرْ إذا وبَّخك لأن الذى يحبه الرب يؤدبه ويجلد كل إبن يقبله .. فأي إبن لا يؤدبه أبوه " (عب١٢: ٥-٧) وقال الرب يسوع لملاك كنيسة

---

[٣١١] أورده كتاب تنوير الأذهان إلى ما فى عقائد الكنيسة الغربية من الزيغان صـ ٢٥٦ .

[٣١٢] المطهر لقداسة البابا شنودة الثالث صـ١١١.

[٣١٣] مجلة الصلاح – عدد إبريل سنة ١٩٩١م .

اللاودكيين " أني كلُّ من أحبه أوبخه وأودّبه فكن غيوراً وتب " (رؤ٣: ١٩) .. فواضح أن القصد من التأديب هو التوبة والشفاء من مرض الخطية كقول القديس يوحنا ذهبي الفم " أنه يؤتينا القصاصات الوقتية عندما نرفض الرجوع إليه ، وإنه إنما يأتينا بتلك التأديبات للقصد الوحيد ليشفينا من الخطيئة .. لو كنا نُدين أنفسنا لما كنا ندان ، فلم يقل لو عذَّبنا وقاصَّصنا أنفسنا بل قال لو كنا ندين أنفسنا " (مقالة ٢٨ على كورنثوس الأولى) [٣١٤]

والكنيسة عندما تفرض عقوبة على إنسان تأخذ في الحسبان قامته الروحية وحالته النفسية وظروفه المختلفة حتى لا تؤول به العقوبة إلى الهلاك وليس إلى الخلاص ، فخاطئ كورنثوس بعد أن حكم عليه بولس الرسول عاد وطلب من الكنيسة أن تقبله بل وأن تمكّن له المحبة لئلا يبتلع من الحزن المفرط (٢كو٢: ٥-٧) والكنيسة عندما كانت تستشعر بأن هناك خطورة على حياة الإنسان الذى يقضى فترة العقوبة كانت ترفع عنه للفور العقوبة وتسمح له بالتناول من الأسرار المقدسة ، وهذا ما نصت عليه كثير من القوانين الكنسية مثل قانون ١٣ من مجمع نيقية ، وقانون ٢٢،١٦ من مجمع انقرا ، وقانون ٦من مجمع قيصرية الجديدة ، وقانون ٧ من مجمع قرطاجنة ، وقانون ٧٣ من قوانين القديس باسيليوس ، ورقم ٢ من قوانين القديس غريغوريوس النيسي (راجع كتاب المطهر لقداسة البابا شنودة الثالث صـ٩٨،٩٩) .

ومن الطبيعى أن الكنيسة التى تفرض العقوبة على الخاطئ تمتلك الحق والسلطة فى رفع هذه العقوبة عند التعرض للموت ، وأن العقوبات المدنيَّة تسقط بالموت ألاَّ تسقط العقوبات الكنسية بالموت ؟! وهل الحكومات المدنيَّة أحن وأرحم من الكنيسة الأم ؟!

والتاريخ لا ينسَ أن الكنيسة الكاثوليكية فى القرون الوسطى قد أساءت إستخدام العقوبات الكنسية التى كانت تتراوح بين الوقف المؤقت وبين الفرز وبين القطع أو الحرم ، وكانت عقوبة الحرم رهيبة لأن الكنيسة كانت ترفض مثل هذا الإنسان وتمنع أعضاءها من التعامل معه ، وأحياناً فى بعض الدول كان يُحرم من حقوقه الشرعية فيعيش ويموت بلا رجاء ، ولذلك خشي الجميع بما فيهم الأمراء والملوك هذا السيف البتار الذى يقبض عليه البابا والأساقفة

يقول قداسة البابا شنودة الثالث " نحن نوافق على عقوبة ارضية . لكن لا

---

[٣١٤] تنوير الأذهان إلى ما فى عقائد الكنيسة الغربية من الزيغان صـ ٢٦١ .

نوافق على عقوبة بعد الموت ، وكل العقوبات التى تحملها الأبرار أو التائبون ، والتى سجلها الكتاب المقدس ، كلها عقوبات أرضية ، وليست عذابات بعد الموت .. هى عقوبات أرضية وليست عقوبات مطهرية .

كما أن الكتاب لا يقول أن هناك عقوبة أرضية على كل خطية وإلاً وقع الإنسان فى اليأس لأننا فى كل يوم نخطئ ، ولأننا " فى أشياء كثيرة نعثر جميعنا " (يع٣: ٢) .. والكتاب المقدس يحمل أمثلة عديدة لمغفرة بلا عقاب ، وبلا عذاب " [٣١٥]

ثانيا : تاريخ عقيدة المطهر

ظهرت عقيدة المطهر فى الكنيسة الكاثوليكية فى القرن الثالث عشر ، ثم بدأت محاولة البحث عن أساس لها فى الكتاب المقدس وأقوال الآباء ، فيقول جراسيموس مسرة اللاذقى " وفى أثناء هذه المخابرة بين الروم واللاتين (نحو سنة ١٢٣٥م) ظهر أول مرة تعليم جديد فى كنيسة البابا وهو اعتقادهم بالنار المُطهّرة أو المطهر – وفى الحاشية ذكر جراسيموس مسرّة : لا يخفى أن البطريرك فوتيوس قد دقّق تدقيقاً كثيراً فى بدع كنيسة رومية وكتب ضدها كلها وذكرها ولم يكتف بالبدع المهمة فقط بل ذكر العوائد أيضاً ومع ذلك لم يرد فى كتاباته شئ عن الفطير وعن المطهر وهذا دليل واضح على أن كنيسة الغرب ما كانت تُعلِم فى أيامه (القرن التاسع) لا بالفطير ولا بالمطهر " [٣١٦]

ويقول الأب لويس برسوم عن عقيدة المطهر أن " هذه العقيدة حدّدها كل من مجمع لاتيران المسكونى سنة ١٢١٥م ، ومجمع ليون المسكوني سنة ١٢٧٤م ، ومجمع فلورنسا المسكوني سنة ١٤٣٩م ، ومجمع تريدنت المسكونى سنة ١٥٤٥-١٥٦٣م ، وأيدها تأييداً كاملاً آخر مجمع مسكوني ألا وهو مجمع فاتيكان الثاني " [٣١٧]

ويقول الأب أوغسطين دوبره " لم توضح الكنيسة تعليمها فى هذا الموضوع إلاّ فى وقت متأخر :

---

[٣١٥] المطهر لقداسة البابا شنودة الثالث صـ٩٤،٩٥ .

[٣١٦] تاريخ الأنشقاق جـ٢ صـ٢٥٥ .

[٣١٧] المطهر للأب لويس برسوم صـ٣٩ .

فى مجمع ليون الثانى (١٢٧٤م) حيث أعلنت شهادة إيمان ميخائيل باليولوغس أمبراطور القسطنطينية { إن مات المؤمنين التائبون حقاً فى المحبة قبل أن يكفّروا بثمار لائقة بالتوبة عمَّا ارتكبوه أو أهملوه ، فستطهّر نفوسهم بعد الموت بعقوبات مُطهّرة . هذا وإن تشفعات المؤمنين الأحياء ستفيدهم للتخفيف عن هذه العقوبات .. } .

فى المجمع الفلورنتيني (١٤٣٩م) تم التكرار شبه الحرفى للنص الذى وضعه مجمع ليون ، وربط أيضاً بين " عقوبات الأموات المطهِّرة " و " تشفع المؤمنين الأحياء " .. وفى المجمع التريدنتينى أخيراً وبالنسبة إلى التعليم البروتستانتي نجد عدَّة مرات التعليم نفسه (بالمطهر) ..

ومن جهة أخرى فى القرار عن المطهر " هناك مطهر والنفوس التى فيها تساعدها تشفُّعات المؤمنين ، ولا سيما ذبيحة المذبح التكفيرية " [٣١٨]

ففى مجمع تريدنت " قرَّر هذا المجمع أنه يوجد مطهر ، والنفوس المحجوزة فيه تجد معونتها فى شفاعات المؤمنين ، وخاصة ذبيحة الأفخارستيا المقبولة .. وهذا المجمع يأمر جميع الأساقفة بأن يبذلوا جهد إستطاعتهم فى هذا السبيل حتى يصبح هذا التعليم الخاص بالمطهر والذى تسلّم إلينا بواسطة الآباء المحترمين والمجامع المقدسة عقيدة راسخة فى النفوس يؤمن ويتمسك بها الجميع ويعظ ويعلم بها أمناء المسيح فى كل مكان .. ففى نيران المطهر تتنقى نفوس الأبرار بواسطة العقاب الوقتي حتى يتسنى قبولهم فى موطنهم الأبدى حيث لا يمكن ان يدخل شئ دنس .." [٣١٩]

وفى الجلسة الخامسة فى ٤ يونيو سنة ١٤٣٨ بمجمع فلورنسا شرح يوليانوس المطهر قائلاً " أن الكنيسة الرومانية تسلمت منذ القديم وتعتقد من بدء إنتشار الدين المسيحى بأن نفوس المؤمنين بعد خروجها من هذا العالم تذهب حالاً إلى التمتع بالخيرات إذ كانت نقية ومجردة من كل شائبة كما هى نفوس القديسين ، وأما نفوس الذين سقطوا بعد المعمودية فى الخطايا ثم ندموا عليها ندامة خالصة واعترفوا بها ولكنهم لم يملكوا وقتاً ليتمّموا القانون الذى فُرض عليهم من رئيس إعترافهم ولا أن يأتوا بأثمار للتوبة كافية لمحو خطاياهم الشخصية فهذه النفوس تطهر بالنار المطهرة

---

[٣١٨] دراسة فى الإسكاتولوجيا الموت والقيامة والسماء والمطهر وجهنم صـ١١٥-١٦ .

[٣١٩] مجمع ترنت لمؤلفه [illegible] صـ٧٠ أوريشد [illegible] فى مختصر تاريخ الكنيسة جـ١ [illegible]

ازماناً متفاوتة .. " [320]

وقال مجمع فلورنسا سنة ١٤٣٩م أن المطهر هو مكان للتعذيب ويزيد على ذلك بالقول " ولكن هل هو نار أو زوبعة أو أى شئ آخر فهذا مالا نستطيع البت فيه " [321]

وجاء فى المجمع الفاتيكانى الثانى (١٩٦٢-١٩٦٥) فى الدستور العقائدى الفصل السابع تحت الأرقام الآتية :

" ٤٩- الشركة بين كنيسة السماء وكنيسة الأرض : فإلى أن يأتى الرب فى مجده .. فإن بعض تلاميذه (بعض المسيحيين) لا يزالون مغتربين على هذه الأرض (الأحياء) وبعضهم وقد انتقلوا من هذه الحياة يُطهَّرون (فى المطهر) .. أما البعض الآخر فيحظون بالمجد ..

٥٠- علاقة كنيسة الأرض مع كنيسة السماء : وكنيسة المتغربين على الأرض إقراراً منها بهذه الشركة القائمة فى جسد المسيح السرى كله ، قد حافظت منذ الأجيال الأولى للمسيحية على ذكر الراقدين بكثير من التقوى ، وقامت الكنيسة بتقديم المساعدات الروحية من أجلهم لأن إقامة الصلوات من أجل الموتى ليعتقوا من خطاياهم أمر مقدس وخلاصي (٢مكابيين١٢: ٤٦) ..

٥١- توجيهات رعوية : أن هذا المجمع المقدس يتقبل بعميق التقوى إيمان أجدادنا المبجل بالشركة الحيوية مع إخوتنا الذين وصلوا إلى المجد السماوى أو لا يزال يُطهّرون بعد موتهم .. " [322]

أما عن أقوال الآباء التى حاول الأخوة الكاثوليك أن يجدوا فيها سنداً لفكرة المطهر فنذكر منها الآتى :

١- جاء فى الدسقولية " فى التذكارات اجتمعوا واقرأوا الكتب المقدسة .. وأما الخبز الطاهر(سر الأفخارستيا) الذى طهَّرته النار (نار الروح القدس) والذى يقدسه الدعاء ، فقدّموه فى الصلاة من أجل الأموات " [323]

٢- قال ترتليانوس فى كتابه إكليل الجندية " أننا نقدم كل عام الذبائح عن الموتى

---

[320] تاريخ الأنشقاق جـ٢ صـ١٩٩، ٢٠٠ .

[321] مختصر تاريخ الكنيسة جـ١ صـ٥٥٧ .

[322] وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني صـ٣٧١-٣٧٤ .

[323] دراسة في الاسكاتولوجيا صـ١١٧ .

يوم تذكار وفاتهم السنوى "[٣٢٤]

٣- قال يوحنا فم الذهب " لو مات أحد وعليه خطايا لم يكفر عنها وجب أن نسعفه بكل ما فى وسعنا بالصلوات والصدقات والقرابين .. ومثل هذه الاعمال ليست من باب الوهم أو المخيلة .. وأن ما نصنعه من ذكر للموتى خلال الأسرار الإلهية ليس بمثابة مسرحية بل من الأمور التى يأمرنا بها الروح القدس . فلنساعدنّ إذن الراقدين " (المطهر للأب لويس برسوم) .

كما قال فى عظته على رسالة فيلبى " أن الرسل أمروا بأن يجرى ذكر المتنيحين فى تلاوة الأسرار الرهيبة لأنهم يعرفون خير معرفة أنهم ينتفعون بهذا الذكر نفعاً كبيراً " [٣٢٥]

وقال أيضاً فم الذهب فى شرحه لرسالة كورنثوس الأولى " لو مات أحد وعليه خطية يكفر عنها ينبغى أن نسعفه على قدر ما يُستطاع بالصلوات والتضرعات ، بالصدقات والقرابيين فإن هذه الأمور بأسرها ليست من باب المخيلة والوهم وليس الغرض من ذكر الموتى خلال الأسرار الإلهية إلاَّ لكى ينالوا منها التعزية .. وما نصنعه لا يعتبر معاذ الله بمثابة فصول رواية مسرحية ولكن يتم بأمر الروح القدس ، فلنساعد إذن المؤمنين " [٣٢٦]

٤- قال القديس كيرلس الأورشليمي فى التعاليم المستاغوجيَّة " نثق بأننا نقدم عوناً كبيراً لنفوس الأموات بالصلاة من أجلها ، حين تكون الضحية المقدسة الرهيبة على المذبح .. نقدم لله من أجل الأموات صلواتنا ، ونقدم بوجه خاص المسيح المذبوح بسبب خطايانا ، وبذلك نستعطف الله المحب البشر من أجلهم " [٣٢٧]

كما قال أيضاً القديس كيرلس الأورشليمى " أننا نصلى لأجل الذين انتقلوا لأننا نؤمن أن نفوسهم تنال من الذبيحة المقدسة الرهيبة ، ومن الصلوات التى تصحبها فائدة عظيمة " (المطهر للأب لويس برسوم).

٥- قال القديس أوغسطينوس " قد يستطيع بعض المؤمنين بفضل نار مُطهّرة

---

[٣٢٤] إيماننا القويم جـ٢ لماذا نؤمن بالمطهر ؟ صـ٧٤ .

[٣٢٥] المرجع السابق صـ٧٤ .

[٣٢٦] المرجع السابق صـ٧٤ .

[٣٢٧] دراسة فى الاسكاتولوجيا صـ١١٨ .

ويحسب قدرة تعلقهم بالخيرات الزائلة أن ينالوا الخلاص فـــى زمـــن طويـــل أو قصير " [٣٢٨]

وقال أيضاً " لا مفر لمن أجل أعمال ثمار التوبة من أن يُطهَّر بالنار قبل دخولـــه السماء ، على أن تلك النار ، وإن كانت غير أبدية إلاَّ أنها شر عظيم جداً لأنـــها أشد عذاباً من كل أوجاع هذا العالم مجموعة " (المطهر للأب لويـــس برســـوم)

وقال فى كتابه الإهتمام بالموتى " الكنيسة لم تبخل فى تقديم الصلـــوات لجميـــع الذين توفوا فى شركتها ولكن بما أنها أم حنونة تقوم بسد إحتياجات مـــن ليـــس لهم أقرباء ولا أصدقاء يهتمون بأمرهم " [٣٢٩]

٦- جاء فى الباب السادس من كتاب نزهة النفوس " أما نفوس المؤمنين التـــائبين بالاعتراف والصلاة والصوم النقى ، فإذا خرجت من الجســـد فليـــس لســـلاطين الظلمة لهم عليها حساب ، وأن الملاك يمضى بها إلى بحر النار تعدى فيه لحظـــة واحدة وتصعد لأجل تطهيرها ، وهذا يسمى المطهر الذى يطـــهر النفـــس مـــن أوساخها " [٣٣٠]

وأخيراً يقول الأب مكسيموس كابس بأن عقيدة المطهر ليست عقيدة مســـتحدثة " أن هناك فرق بين وجود العقيدة وممارستها وبين تحديدها بصفة رسمية . فمثـــلاً لقد تحددت عقيدة أمومة العذراء لإبن الله فى المجمع المسكوني فى أفسس ســـنة ٤٣١م فهل معنى ذلك أن الكنيسة منذ البدء لم تكن تؤمن بأمومة العذراء لإبـــن الله ؟ وهل يمكن القول بأن الكنيسة إبتدعت هذه العقيدة فى الجيل الخـــامس ؟ .. وكون الطوائف الخارجة عن الكنيسة الكاثوليكية ترفض التسمية هـــذا لا يغـــير جوهر الموضوع لأن كل هذه الكنائس تصلى من أجل الأموات ولـــهم فـــى تلـــك طقوس وصلوات " [٣٣١]

توضيح :

رفضنـــا للمطهر لا يتعارض مع الكتاب المقـــدس ولا مع إيماننا الأقدس وهذا مـــا

---

[٣٢٨] المرجع السابق صـــ١١٥ .

[٣٢٩] إيماننا القويم جـــ١ لماذا نؤمن بالمطهر صـــ٧٤ .

[٣٣٠] المرجع السابق صـــ٧٥ .

[٣٣١] المرجع السابق صـــ٨١-٨٣ .

سنطرقه فى النقطة الرابعة من موضوع المطهر ، ونكتفى هنا بالقول أن عقيدة المطهر وليدة الكنيسة الغربية ومجامعها بينما رفضت هذه العقيدة ليست الكنائس الأرثوذكسية فقط بل وجميع كنائس الروم الأرثوذكس أيضاً ، وأقوال الآباء المذكورة تحتاج إلى مراجعة ومعرفة المناسبة التى قيلت فيها ، وهل تعتقد أيها الأخ الكاثوليكى أن يوحنا فم الذهب أو كيرلس الأورشليمي أو غيره كان يعتقد بالمطهر ؟! ولو كان يعتقد أحدهم بالمطهر فلماذا لم يتحدث عنه بالتفصيل ؟! ولماذا رُفِض المطهر من كنيسة القسطنطينية كنيسة يوحنا فم الذهب ؟! ولماذا رُفِض من كنيسة أورشليم كنيسة كيرلس الأورشليمي وهكذا ؟!

وبينما يقول البعض أن المطهر هو بحر من النار تمر فيه النفس لحظة واحدة لتطهيرها قبل صعودها إلى السماء ، فإنك تجد عشرات الأقوال للمجامع والعلماء الكاثوليك يؤكدون أن مدة إقامة النفس فى المطهر تتفاوت حسب مقدار ذنوبها ، ولأن هذه المدة تصل إلى سنين طويلة لذلك تحددت الغفرانات وصدرت صكوك الغفران بالأيام والسنين كما سنرى فيما بعد .

أما مقارنة المطهر بعقيدة الثيؤطوكوس فهى مقارنة غير مجدية لأن عقيدة الثيؤطوكوس كانت معروفة ومقبولة من الجميع قبل المجمع الأفسسي ، والذى حدث فى هذا المجمع هو محاكمة نسطور الذى أنكر هذه العقيدة ، ولو لم تكن هذه العقيدة معروفة ومقبولة من قبل ما كانت الكنيسة تحاكم نسطور الذى أنكرها .

ثالثاً : اسانيد عقيدة المطهر

يعتمد الأخوة الكاثوليك فى إثبات عقيدة المطهر على النصوص الكتابية الآتية :

١- تك ٣: ٢٤
٢- أم ٢٤: ١٦
٣- يشوع بن سيراخ ٥:٥
٤- مكابيين الثانى ١٢: ٤٢-٤٦
٥- مت ٣: ٨
٦- مت٥: ٦
٧- مت ١٢: ٣٢
٨- لو ٣: ١٦
٩- ١كو ٣: ١٥
١٠- في ٢: ١٠

والآن نـعرض بإختصار لهذه النصوص واحداً فواحداً :

[١] يقول الأب مكسيموس كابس " والنص الثالث الذى إرتكن إليـه أوريجـانوس العلامة الاسكندري فى شرحه لسفر التكوين : " فطرد الله الإنسان (من جنة عـدن) وأقام شرقى جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحيـاة " (تك٣: ٢٤) ويقول أوريجانوس أن كل الذين يريدون الدخول إلى شجرة الحياة التـى توجد فى الجنة أو السماء لابد له أن يمر بلهيب هذا السيف فمن إحترق واسـتطاع أن يدخل فإنه يخلص ، ومن لم يحترق من هذا اللهيب فسـيخلص أيضـاً ، وهـذا اللهيب إنما لتطهير كل من يريد الدخـول ليصـل إلـى شـجرة الحيـاة ، ويتـابع أوريجانوس قائلاً أن هذا اللهيب يكون مخيفاً بالنسبة للأشرار فيمنعهم من الدخـول إلى شجرة الحياة وبالتالى يكونون فى الضياع ، ويلقون فى أتون النار الملتهبة "[٣٣٢]

توضيح :

من المعروف أن الرب أقام كروبيم ولهيب سيف متقلب فى طريق شـجرة الحيـاة حتى لا يتقدم آدم ويأكل منها فيحيا بخطيئته إلى الأبد ، ولا توجد أى إشارة فى النـص إلى أن آدم إقتحم هذا اللهيب وعاد إلى الفردوس ، وأيضاً لم يذكر الكتاب أن أحد أبنـاء آدم مثل هابيل البار أو شيث الذى دعى باسم الرب أو أخنوخ الذى سار مـع الله أنـه إقتحم هذا اللهيب فتطهرت روحه وعاد إلى الفردوس .. إذاً قول أوريجانوس هذا مجـرد تأمل لا يمكن أن نبنى عليه عقيدة إيمانية ، ولاحظ أيضاً يا صديقى أن أوريجانوس فـى تأمله يتكلم عن الإنسان ككل روحاً وجسداً وليس عن الأرواح فقط . كما أنه يتكلم عـن الخلاص فى هذا الدهر ولا يتكلم مطلقاً عن مطهر بعد الموت .

[٢] قال الأخوة الكاثوليك تعليقاً على الآية " لأن الصديق يسـقط سبـع مـرات ويقوم" (أم٢٤: ١٦)لوافترضنا أن هذا الإنسان الصديق أخطأ ومات قبـل أن يقـوم فهل يهلك فى النار الأبدية ؟ كلا .. أنه يذهب إلى المطهر ليتطهر من خطايـاه ثـم يدخل الملكوت . فيقول الأب لويس برسوم فى كتابه عن المطهر " أن السقوط الـذى تذكره الآية هو السقوط فى بعض الهفوات .. والنقائص الصغيرة .. التى تعيـب ولا

---

[٣٣٢] إيماننا القويم جـ١ لماذا نؤمن بالمطهر صـ٧٨،٧٩ .

شك الإنسان الصديق .. إلاَّ أنها لا تفقده برارته (بره) .. والآن لنفترض أن الموت قد داهم هذا الصديق قبل أن يكفر عن كل سقطاته السبع التى ارتكبها فى يومه .. فماذا يكون مصيره ؟ ترى أيزُج به الله فى جهنم النار ؟! كلا بالطبع لأنه بار وصديق وواضح أن سقطاته غير قاتلة . فماذا إذاً ؟ أيعفو عنه ويدخله من فوره السماء والحياة الأبدية ؟! الجواب كذلك كلا . لأن عدالة الله تطالب بحقها كاملاً لآخر فلس .. وبالتالى فلا مناص من الإلقاء به فى سجن مؤقت ، حتى يؤدى ما بقى عليه من دين ! وهذا السجن المؤقت هو المطهر

توضيح :

تقول الآية " لأن الصديق يسقط سبع مرات ويقوم أما الأشرار فيَعثرون بالشر (أم٢٤: ١٦) فالآية لم تحدد ان السقطات السبع تتم فى يوم واحد ، وليس المقصود أن الصديق يسقط سبع مرات فى اليوم كما يعتقد البعض ، والآية لم تحدد نوعية الخطايا بحيث لو كانت خطايا سهوات وهفوات ونقائص صغيرة يتوب الإنسان عنها أو يدفع حسابها فى المطهر ، أم أن كانت خطايا كبيرة فإنها تقوده للهلاك . بل نقول العكس أنه لو كانت هفوات وسهوات وخطايا عرضية غير مقصودة فإن الإنسان غالباً لا يشعر بها ولا يتوب عنها . بينما لو هى خطايا ظاهرة فإنه يسرع بالتوبة عنها .

والمقصود من الآية السابقة أن الإنسان خلال رحلة جهاده على الأرض مُعرَّض للخطأ والسقوط فى خطايا عديدة ومتنوعة ، ولكنه ما دام يقوم ويقدم توبة واعترافاً ، فإنه فى نظر الله هو إنسان بار يستحق سكنى الملكوت . أما الإنسان الشرير فإنه يتعثر بالشر ، ومتى سقط فإنه يتلذذ بالشر وبالشر يهلك ..

وليس المقصود بالعدد سبعة أى سبع سقطات فقط لا تزيد عن ذلك ، ومتى زادت فإنه يتعثر على الإنسان التوبة . إنما المقصود بها عدد الكمال أى مهما تعرَّض الإنسان البار لسقطات بسبب ضعف طبيعته ونهض فهو مقبول لدى الله . أما لو سقط الإنسان فى خطية واحدة واستسلم لليأس وصغر النفس فإنه معرَّض للهلاك .

وعندما نقول أن السهوات والهفوات تسلم الإنسان إلى عذابات المطهر الجهنمية فإن هذا يصيبنا باليأس ، ويصير الله بالنسبة لنا ليس الأب الحنون الذى يحمل خطايانا وضعافاتنا فى جسده على الصليب ، ويحملنا نحن على منكبيه بل يصير مثل الجلاد المنتقم قاسي القلب الذى لا يعرف الرحمة ولا التسامح .

ويقول قداسة البابا شنودة الثالث " أن هذا المطهر ليس فقط يعطـــى أســوأ صورة للحياة بعد الموت .. بل آسف إن قلت : أنه يسئ إلى صـــورة الله نفســه . الله الحنون العطوف الطيب الذى قال عنه الرسول " الله محبة " .. الله المحب هذا يصوّرونه لنا بأنه يفاجئ بالموت إنساناً باراً وصديقاً ليلقيه فى نار المطهر من أجل هفـوات !!! .. من المستحيل أن تكون هذه المسيحية التى بشر بها المسيح ، وبشر بها الرسل والآبـاء .. المسيحية التى قال فيها السيد الرب " ما جئت لأدين العالم . بـــل لأخلـص العـالم " (يو١٢: ٤٧) ..

هل يعقل أن إنساناً باراً وصديقاً ، أنتقل من عالمنا ونحن نصلى عليه فى الجناز ، ونبكى بدموع ، ونطلب صلواته وشفاعاته ، بينما هو فى نفس الوقت مُعذَّب فـــى نـــار المطهر ليوفى العدل الإلهي عن هفوات وسهوات ، شاء الله أن يفاجئه بالموت قبـــل أن يقدم عنها توبة ، لكى يستحق بذلك العذاب تحت الأرض فى سجن المطهر ؟!! أحقـــاً أن إله المطهر هـــو إله الحب والبذل الذى عرفناه وأحببناه ؟! وهذا البار الصديـــق أمـــا نفعته الصلاة على الراقدين فى شئ ؟! وإن كانت هذه الصلاة لا تشفع حتى فى هفـــوات وسهوات الأبرار والصديقين فما لزومها إذن ؟! " [٣٣٣]

[٣] قال يشوع بن سيراخ " لا تكن بلا خوف من قِبل الخطية المغفورة لتزيد خطيـة على خطية " (٥:٥) فيقول الأخوة الكاثوليك أن الخطايا التى تـــاب عنـــها الإنســـان واعترف بها وغفرت له . لكن لم يتحمل الإنسان عقابها بعد فإن هناك خوف منـــها لأن التكفير عنها سيكون من خلال نيران المطهر .

توضيح :

الآية لم تشر لا من قريب ولا من بعيد إلى نيران المطهر ، والقصد من الآيـــة أن يحترس الإنسان لئلا يعود ويسقط فى ذات الخطية التى تاب عنها ، ولذلك أكمـــل إبـن سيراخ قائلاً " ولا تقل أن رحمته عظيمة فيغفر لي كثرة خطاياي " (٥: ٦) .

وهذا التحذير الذى يوجهه يشوع بن سيراخ شبيه بالتحذير الـــذى وجهـــه الــرب يسوع لنا عندما قال " إذا خرج الروح النجس من الإنسان يجتاز فى أماكن ليـــس فيـــها

---

[٣٣٣] المطهر لقداسة البابا شنوده الثالث صــ٦٢، ٦٣ .

ماء يطلب راحة ولا يجد . ثم يقول أرجع إلى بيتى الذى خرجت منه . فيــأتى ويجــده فارغاً مكنوساً مزيناً . ثم يذهب ويأخذ معه سبعة أرواح أُخر أشر منه فتدخــل وتســكن هناك فتصير أواخر ذلك الإنسان أشر من أوائله " (مت١٢: ٤٣-٤٥) .

[٤] جاء فى سفر المكابيين " وفى الغد جاء يهوذا ومن معه على ما تقتضيه العــادة ليحملوا جثث القتلى ويدفنوهم مع ذى قرابتهم فى مقابر آبائهم . فوجدوا تحت ثيــاب كل واحد من القتلى أنواطاً من أصنام يمنيا مما تحرمه الشريعة على اليهود . فتبيــن للجميع أن ذلك كان سبب قتلهم . فسبحوا كلهم الرب الديان العــادل الــذى يكشــف الخبايا . ثم أنثنوا يصلون ويبتهلون أن تمحى تلك الخطية المجترمه كــل المحــو . وكان يهوذا النبيل يعظ القوم أن ينزهوا أنفسهم عن الخطيئة . ثم جمع من كل واحــد تقدمة ، فبلغ المجموع ألفي درهم من الفضة . فأرسلها إلى أورشــليم ليقــدم بــها ذبيحة عن الخطية . وكان ذلك من أحسن الصنيع وأتقاه لاعتقاده فى قيامة الموتى . لأنه لو لم يكن مترجياً قيامة الذين سقطوا لكانت صلاته من أجل الموتى باطلاً وعبثاً . ولاعتباره أن الذين رقدوا بالتقوى قد أدخر لهم ثواب جميل . وهــو رأى مقــدس تقوي . ولهذا قدم الكفارة عن الموتى ليُحلوا من الخطيــة " (٢مــك١٢: ٣٦-٤٦) ويقول الأخوة الكاثوليك أن القصة السابقة تدل على مغفرة الخطايا بعد الموت عــن طريق المطهر .

توضيح :

جميع النفوس التى انتقلت فى العهد القديم كانت تذهب إلى الجحيم وبالتالى لم يكن هناك مطهراً . إذاً هذه القصة لا تشير للمطهر .. كان من عادة اليهود تقديــم الذبــائح والتقدمات عن خطاياهم ، وأيضاً كانوا يقدمون الذبائح لاستمطار مراحم الله مــن أجــل موتاهم ، وكلمة الكفارة التى ذكرت فى هذه القصة المقصود بها الذبائح ، وهذا ما فعلــه يهوذا المكابي إذ قدم الذبائح والصلوات والتوسلات ليحل الــرب هــؤلاء القتلــى مــن خطاياهم ، والكتاب لم يوضح هل غُفِرت خطايا هؤلاء الخطاة أم لا ؟ فمن الطبيعــى أن خطية بلا توبة هى بلا مغفرة .. إذاً هذه القصة تدل على قيامة الأموات ، وتحض علــى الصلاة من أجل المنتقلين لكنها لم تشر لا من قريب ولا من بعيد إلى المطهر الــذى لــم يكن له وجوداً فى العهد القديم .

[٥] قال يوحنا المعمدان لليهود " فاصنعوا أثماراً تليق بالتوبة " (مت٣: ٨) فيقولون أن هذه الثمار هى لازمة لإتمام التوبة ولإيفاء العدل الإلهي .

توضيح :

الثمار أى الأعمال الصالحة هى دليل على التوبة الصادقة ، وليس من المعقول أن الإنسان يكون قد تاب توبة صادقة بينما ما زالت أعماله شريرة ، ولكن مع هذا فإن التوبة الصادقة التى يقدمها الإنسان حتى لو لم يتمكن من القيام بأعمال صالحة فإنها مقبولة لدى الله ، فأهل نينوى بمجرد توبتهم قبلهم الله " فلما رأى الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة ندم الله على الشر الذى تكلم أن يصنعه بهم فلم يصنعه " (يون٣: ١٠) ، وأيضاً اللص اليمين لقد ذهب إلى الفردوس بعد توبته بساعات قليلة وهو معلَّق على الصليب بالرغم أنه لم يتمكن من تقديم أى أعمال صالحة وفى تاريخ الكنيسة نرى قصة بائيس التائبة التى قادها القديس يوحنا القصير من بيت الشر ، وانتقلت فى ذات الليلة التى تابت فيها حتى أن القديس يوحنا تشكَّك من جهة توبتها وقبولها ، ولكن الله أعلن له قبولها وعظم مكانتها ولم يصرح له قط بأنها فى بحر نيران المطهر لكيما تتطهر من خطاياها وذنوبها .

[٦] قال ربنا يسوع " كن مراضياً لخصمك سريعاً ما دمت معه فى الطريق لئلا يُسلّمك الخصم إلى القاضى ويسلّمك القاضى إلى الشرطى فتلقى فى السجن . الحق أقول لك لا تخرج من هناك حتى توفى الفلس الأخير " (مت٥: ٢٥، ٢٦) ويقول الأخوة الكاثوليك أن المقصود بالسجن هنا هو المطهر حيث يكفر الإنسان عن عقاب خطاياه ، ويوفى للعدل الإلهي ماعليه من ديون .

توضيح :

لو أخذنا بالتفسير الحرفى لهاتين الآيتين نجدهما يتحدثان عن الصلح بين الناس فى هذا العالم ، ولذلك سبقهما السيد المسيح بقوله " فإن قدَّمت قُربانك على المذبح وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك . فأترك هناك قربانك على المذبح وأذهب أولاً إصطلح مع أخيك . وحينئذ تعال وقدم قربانك " (مت٥: ٢٣، ٢٤) ، وعلى حد تفسير القديس أغطسينوس فى الموعظة على الجبل فإنه قال أن المقصود بالخصم هو ضمير الإنسان ، فالإنسان يجب أن يرضي ضميره فى هذا العالم بالسلوك الصحيح وإلاَّ فإنه

سيتعرض لعقوبة الهلاك الأبدي ، وفى تأمل آخر للقديس أغسطينوس قال أن الخصم هو الوصايا الإلهية التى يجعلها الإنسان الخاطئ خصماً له فتحكم عليه وتدينه ، ولو أخذنا التفسير بالمعنى المجازى فإن الشرطى هو ملاك الهاوية والقاضي هو الحاكم العادل سيدى يسوع المسيح والسجن هو جهنم ، والحاكم العادل جاء لا ليدين بل ليخلص ما قد هلك ، ولن يدين أحداً إلاّ فى اليوم الأخير ، والأخوة الكاثوليك يقولون أنه فى اليوم الأخير سينتهى المطهر ولن يكون له وجود بعد .

ولفظة " حتى " هنا تعنى الاستحالة كقول الإنجيل عن بتولية العذراء " ولم يعرفها حتى ولدت إبنها البكر " (مت١: ٢٥) والأخوة الكاثوليك يفهمون جيداً معنى هذه الآية ويعترفون أن يوسف النجار لم يعرف العذراء لا قبل ولادتها ولا بعد ولادتها ، ومثلها قول الكتاب عن ميكال بنت شاول أنها لم يكن لها ولد حتى موتها (٢صم ٦: ٢٣) ومن البديهى أنه بعد موتها لم تنجب أيضاً ، وكذلك قول الآب للإبن " اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك " (مز١١٠: ١) وليس من المعقول أنه بعد أن يخضع الأعداء تحت قدمي الابن أنه لا يعود يجلس عن يمين الآب . إنما هو جالس عن يمين الآب فى كل آن وإلى أبد الأبدين .

وحتى لو أخذنا معنى " حتى " بأن هناك إمكانية للإفلات من هذا السجن ، فإن هناك شرط للإفلات وهو إيفاء الدين كله حتى الفلس الأخير ، والإنسان المسجون الذى لا يملك شيئاً كيف يمكنه أن يوفى الفلس الأخير ، وكيف يرد المال إلى أصله ؟ وكيف يوفى دينه وهو معتقلاً فى السجن وليس حراً طليقاً ولا يقدر على العمل ؟! وكيف تفى الروح بمفردها الدين بينما الدين يخص الروح والجسد. وبالأكثر الجسد الذى أغرى الروح وقادها للخطأ وهى كانت تقاومه ؟!

[٧] قال ربنا يسوع " ومن قال كلمة على إبن الإنسان يغفر له . وأما من قال كلمة على الروح القدس فلن يغفر له لا فى هذا العالم ولا في الآتى " (مت ١٢: ٣٢) وقال الأخوة الكاثوليك بأن عبارة " ولا فى الدهر الآتى " تدل على وجود مغفرة فى العالم الآتى بعد أن تفى النفس المطهرية عقوبتها فيغفر الرّب لها وتنطلق إلى الملكوت .

توضيح :

قال السيد المسيح لتلاميذه " كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً فى السماء

وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً فى السماء " (مت ١٨: ١٨) فمن جدَّف على الروح القدس الذى يقود الإنسان للندامة والتوبة فإنه لن يحصل على المغفرة فى هذا العالم ، وبالتبعية ستظل خطاياه مربوطه عليه فى الدهر الآتى ولا تغفر له ، ولاحظ قول الرب يسوع عن مثل هذا الإنسان أنه لن يغفر له فى الدهر الآتى ، والدهر زمان وليس مكان ، ولم يقل لن يغفر له فى المطهر بينما المطهر فى الاعتقاد الكاثوليكى هو مكان وليس زمان . وقد يتوب الإنسان ولا يتمكن من سماع كلمة المغفرة فى هذا الدهر فيسمعها فى الدهر الآتى ، ومن أمثلة ذلك ما يأتى :

أ- لو إنتقل أحد الآباء المتوحدين أو السواح وهو تائب فى وحدته ولم يسمع كلمة المغفرة هنا من أب إعترافه عن الخطايا التى سقط فيها منذ إعترافه الأخير ، ولو خطايا بالفكر أو عن طريق السهوات ، فإنه يسمع كلمة المغفرة فى الدهر الآتى ويتمتع بها .

ب- لو أنتقل إنسان فى حادث مفاجئ وضاعت منه الفرصة لسماع كلمة المغفرة من فم الكاهن فإنه يسمعها فى الدهر الآتى .

جـ - إنسان انتقل فى أرض الغربة وهو تائب ولم يجد كاهناً ليعترف أمامه ، ولم يسمع كلمة المغفرة فى هذا الدهر ولكنه يتمتع بها فى الدهر الآتى .

د- لو أساء إنسان إلى أخر ثم ندم وتاب وذهب ليتأسف له فوجده قد إنتقل من هذا العالم ، وبالتالى لم يسمع منه كلمة المغفرة فى هذا الدهر ، ولكنه يسمع منه كلمة الصفح والمغفرة فى الدهر الآتى حين يلقاه بفرح وكأن شيئاً لم يكن .

هـ - إنسان مات محروماً ظلماً من الكنيسة وهو برئ ولم يسمع كلمة الصفح والمغفرة فى هذا العالم ، فهو يسمع كلمة المغفرة فى الدهر الآتى .

أن هذا الأمر يمنحنا رجاء فى لحظات انتقالنا بعكس عقيدة المطهر التى تصيب الإنسان بالانزعاج والاضطراب فى لحظات الإنتقال .. تصوَّر إنساناً يقوده ملاك الموت ليس إلى مواضع الراحة والنياح بل إلى بحر النار الجهنمية .. كم يكون انزعاجه ؟!

حقاً قال قداسة البابا شنودة الثالث : أن المطهر هو اسوأ صورة للحياة بعد الموت .

[٨] يتخذ الأخوة الكاثوليك قول يوحنا المعمدان عن الـــرب يســوع " هـو سيعمدكم بالروح القدس ونار " (لو٣: ١٦) دليلاً على وجود نار المطـــهر ، فيقــول الأب مكسيموس كابس " الآية الأولى التى استند إليها العلمــاء ومفســروا الكتــاب (لإثبات المطهر) هى ما قاله يوحنا المعمدان عن المعمودية وهى { أنـــا أعمدكـم بالماء ولكن يأتى من هو أقوى منى وأنا لا أستحق أن أحـل سـيور حذائـه وهـو سيعمدكم بالروح القدس ونار } (لو٣: ١٦) ولذلك يعتبرون أن المعمودية فى هـــذه الحياة هى بالماء والروح ، ويعد المعمودية بالنار ، فمن إحترق عمله بـــهذه النـــار سيخسر ولكنه سيخلص لأنه تعمد بالنار بعد أن سبق له العماد بالماء والروح القدس وهو على الأرض " [٣٣٤]

توضيح :

الآية السابقة تتحدث عن نوعين من المعموديات هما معمودية يوحنـــا المعمـــدان وهى معمودية التوبة بالماء ، والمعمودية المسيحية التى قال عنـــها القديـــس يعقـــوب السروجى " المعمودية هو الكور العظيم الممتلئ ناراً فيها يُسبك الناس ليصـــيروا غـــير أموات " [٣٣٥]

ومن قال أن فى الحياة الأخرى ستكون هناك معمودية بنيران المطـــهر ؟! .. أنـــه رأى شخصي ليس له ما يسنده من نصوص الكتاب المقدس ، ولا من أقوال الآباء ، ولا ننسي أن الإنجيل قال عن هذه المعمودية أنها بالروح القدس ونار أما المطهر بحســـب الاعتقاد الكاثوليكى فهو نار بدون الروح القدس .

وقول يوحنا المعمدان " هو سيعمدكم بالروح القدس ونار " يتطابق مع قول الســـيد المسيح لتلاميذه " يوحنا عمد بالماء وأما أنتم فستتعمَّدون بالروح القدس ليس بعد هـــذه الأيام بكثير " (أع١: ٥) وهذا ما تحقق فى يوم الخمسين عندما حلَّ الروح القدس علـــى التلاميذ فى شكل ألسنة نار ، وأظن أن الفكر الكاثوليكي يوافقنا على هذا ولذلك جاء فـــى حاشية العهد الجديد طبعة دار الشرق ببيروت سنة ١٩٨٨م الكاثوليكية تعليقاً على هـــذه الآية " هنا .. يميز لوقا بين المعمودية " فى الروح " التى سيُفتَح عهدها فى العنصرة .. لاشك أن لوقـــا يرى فى هذا الكلام أبناء العنصرة ، فإنه يرى فيها مجئ الروح بهيئـــة

---

[٣٣٤] إيماننا القويم جـــ٢ لماذا نؤمن بالمطهر ؟ صــــ٧٧ .

[٣٣٥] تفسير إنجيل لوقا للقمص تادرس يعقوب صــــ١٠٨ .

السنة نارية (أع٢: ٣-٤) وهذه الإستعارة تدل فى نظره على عمل الروح المُطهّر "

[٩] أما أكثر نص يعتمد عليه الأخوة الكاثوليك فى إثبات عقيدة المطهر فهو قول معلمنا بولس الرسول " فإن احترق عمل أحد فيخسر وأما هو فسيخلص ولكن كما بنار " (١كو ٣: ١٥) .

توضيح :

كان بين أهل كورنثوس انشقاق فمنهم من قال " أنا لبولس " ومنهم من قال " أنا لأبولس " فوبخهم الرسول قائلاً " من هو بولس ومن هو أبلوس .. أنا غرست وأبلوس سقى لكن الله كان ينمى .. فإننا نحن عاملان مع الله .. حسب نعمة الله المعطاة لي كبناء حكيم قد وضعت أساساً وآخر يبنى عليه .. إن كان أحد يبنى على هذا الأساس ذهباً فضة حجارة كريمة خشباً عشباً قشاً فعمل كل واحد سيصير ظاهراً لأن اليوم سيبينه . لأنه بنار يُستعلن وستمتحن النار عمل كل واحد ما هو . أن بقى عمل أحد قد بناه عليه فسيأخذ أجرة . إن احترق عمل أحد فسيخسر وأما هو فسيخلص ولكن كما بنار " (١كو ٣: ٥-١٥) ونلاحظ فى هذا النص الآتى :

١- الحديث هنا عن فئة الخدام والرعاة فقط وليس عن جميع المؤمنين بينما نيران المطهر حسب الاعتقاد الكاثوليكى هى للغالبية العظمى خدام ومخدومين ، رعاة ورعية . إذاً الحديث هنا يخص فئة خاصة بينما المطهر للغالبية العظمى .

٢-وضع بولس الرسول أساس البناء فى كورنثوس وهو الإيمان بالمسيح ، وترك المدينة إلى أماكن أخرى لبكرز ويبشر ، وجاء الخدام بعد بولس يبنون على هذا الأساس أى يكملون الخدمة التى بدأها الآباء الرسل ، وهؤلاء الخدام ينقسمون إلى ثلاث فئات :

أ- خدام يقدمون التعاليم الصحيحة بأسلوب صحيح .

ب- خدام يقدمون التعاليم الصحيحة ولكن بأساليب غير صحيحة .

جـ- خدام يقدمون تعاليم شريرة فاسدة بأساليب ملتوية .

وقدم بولس الرسول مقابلة بين النوع الأول والثانى من الخدام واللذان لا يظهر الفارق بينهما الآن واضحاً ، ولكن فى يوم الدينونة عندما تفتح الأسفار وتظهر النيات الداخلية والدوافع الخفية لكل خدمة ، فمن قدم خدمته لمجد الله فقط فهو مثل إنسان

يبنى ذهباً أو فضة أو حجارة كريمة ويأخذ أجرة تعبه كخادم أمين فى حقل الخدمة . أما الخادم الذى يخدم معتمداً على بره الذاتى ، وتمتزج خدمته بالمظهرية الجوفاء وتنميق الألفاظ ، أو الخادم الذى تتحول خدمته إلى مجرد أنشطة وإثبات الذات ، أو الخادم الذى يخدم عن تحزب وانشقاق فإن عمله وتعبه وخدمته تشبه الخشب أو العشب أو القش الذى يتعرض للنيران فتلتهمه ولكن إن كان هذا الخادم حسن النية فسيخلص بالكاد كمن احترق منزله وكل ما فيه ولم ينجُ إلاّ هو فقط .

وجاء فى حاشية الكتاب المقدس طبعة الآباء اليسوعيِّين تعليقاً على قول معلمنا بولس الرسول سيخلص كما بنار " إن أساس كنيسة الله هو يسوع المسيح وتعليمه الطاهر والبناء القائم على هذا الأساس من الذهب والفضة والحجارة الثمينة هى التعليم الصحيح بإنجيل يسوع المسيح والعمل به ، والإشارة هنا بالبناء الذىَ جُمع من الخشب والحشيش والتبن إلى تعليم أولئك المعلمين الذين وإن لم يزلُّوا فى حقائق الإيمان كانوا يضيفون على تعليمهم زخارف باطلة من الألفاظ والمسائل التى لا طائل تحتها والحكم على هذه الأعمال إنما يقطع به فى يوم الدينونة الله جل جلاله حيث يظهر بتمحيصه لها من ما كان كل واحد منها مما يتعذر الحكم علية من هذه الحياة . تعليم يثبت على نيران هذا التمحيص يرجع على صاحبه بالثواب الأبدي لقاء عمله ، وكل تعليم كان مخالفاً فإنه يحترق ويضمحل على أن صاحب هذا التعليم إذا كان فيما خلا ذلك بريئاً من اللائمة فإنه لا يهلك فى هلاك عمله لأن بناءه من الجهة الأخرى كان صحيح الأساس ولذلك يخلص ، ولكن خلاص من مرَّ فى حريق ثم خرج منه وقد عُري من كل شئ خلا حياته وحدها فسيخسر عمله ولا ينال جزاء مبشراً بالإنجيل أصلاً "

وجاء بحاشية العهد الجديد طبعة دار الشرق ببيروت سنة ١٩٨٨م تعليقاً على نفس النص " أى كما ينجو الإنسان من الحريق باجتيازه ألسنة النار . فإنه يخلص بصعوبة "

٣- المقصود بالنار هنا فى هذا العالم نيران التجارب والضيقات المصاحبة للخدمة ، فالخادم الذى ليس له القلب الثابت يتخلى عن خدمته فتضيع هدراً ، والراعى الذى له قلب الأجير متى رأى الذئب مقبلاً يهرب ، ويترك القطيع فيبددها الشيطان وتضيع خدمته . أما المقصود بالنار فى الدهر الآتى فهى نار العدل الإلهى التى أشار إليها معلمنا بولس الرسول فى الأصحاح التالي من نفس الرسالة عندما قال " إذاً لا تحكموا فى شئ قبل الوقت حتى يأتى الرب الذى

سينير خفايا الظلام ويظهر اراء القلوب . وحينئذ يكون المدح لكل واحد من الله" (١كو ٤: ٥) وقال عنها اساف " يأتى إلهنا ولا يصمت . نار قدامه تأكل وحوله عاصف جداً . يدعو السموات من فوق والأرض إلى مداينة شعبه " (مز ٥٠: ٣،٤) وقال المزمور أيضاً " قدامه تذهب نار وتحرق أعداءه حوله " (مز ٩٧: ٣) ، ووصف الموقف دانيال النبى قائلاً " نهر نار جرى وخرج قدامه .. فجلس الديان وفتحت الأسفار " (دا ٧: ١٠) ، ووصفه معلمنا بطرس الرسول " يوم الرب الذى فيه تزول السموات بضجيج وتنحل العناصر محترقة وتحترق الأرض والمصنوعات التى فيها .. يوم الرب الذى به تنحل السموات ملتهبة والعناصر محترقة تذوب " (٢بط ٣: ١٠،١٢) .

٤- قال الإنجيل " سيخلص كما بنار " ولم يقل يخلص فى نار أو يخلص من خلال النار ، فالنار لن تخلّص أحداً إنما دم المسيح هو الذى يُخلصنا من كل خطية ، وهذه العبارة هنا هى تعبير مجازى فالمقصود بها أن إحترق عمل أحد فسيخسر أجرة عمله أما هو فسيخلص ولكن كما بنار ، فهى استعارة مجازية تعبر عن فوز الشخص مع فقدان الأجرة والجزاء .

٥- مثل هذه النار أشار إليها الوحى فى العهد القديم عندما قال عن هوشع الكاهن العظيم " أفليس هذا شعلة منتشلة من النار " (زك٣:٣) وكان هوشع ما زال حياً ، ولم يكن هناك مطهراً دخل فيه هوشع وخرج متطهراً ، ومعلمنا يهوذا الرسول يقول " خلّصوا البعض بالخوف . مختطفين من النار " (يه٢٣) فيشبه الخاطئ وكأن النار الأبدية بدأت تشتعل فيه ويحتاج إلى من يختطفه منها قبل أن يحترق ، ومثال على هذا لو إنسان كاد يدهمه قطار أو كاد يغرق فى اليم وأرسلت إليه المعونة الإلهية إنساناً اخر أنقذه ، فيخرج الإنسان الذى تعرض للخطر ويقول عن الذى أنقذه " أنه أنقذنى من الموت " مع أنه لم يكن قد تعرض للموت بعد فالخادم الذى يحترق عمله مثل إنسان تعرض بيته للحريق الذى أتى على كل ما فيه وبالكاد نجى هو ، فيحق له أن يقول أننى نجوتُ أو خلصتُ من النار .

٦- نلاحظ من الآيات السابقة أن الذى سيتعرض للنار عمل الخادم وليس شخص الخادم " وستمتحن النار عمل كل واحد " إذن هذه النار هى لإمتحان الأعمال وليست لتعذيب الأشخاص وتطهيرهم ، وأيضاً هذه النار تحرق وتبيد الأعمال

التى تشبه الخشب والعشب والقش بينما نيران المطهر فى المعتقد الكاثوليكي لا تبيد ولا تفنى الأشخاص إنما تتطهرهم فقط .

٧- حسب المعتقد الكاثوليكي أن القديسين الأبرار لن يتعرضوا لنيران المطهر ، بينما فى النص السابق يظهر تعرض الجميع (جميع الأعمال) حتى الذهب والفضة والحجارة الكريمة للنار .

إذاً النار التى ذكرها الرسول نار للإمتحان ، أما نار المطهر فهى للتعذيب بقصد التطهير والتكفير .

والنار التى ذكرها الرسول تحرق الأعمال ، أما نار المطهر فإنها تعذب الأرواح .

والنار التى ذكرها الرسول قاصرة على المعلمين ، أما نار المطهر فهى للجميع .

والنار التى ذكرها الرسول هى نار مجازية ، أما نار المطهر فهى نار جهنمية حقيقية حسب المعتقد الكاثوليكي .

ثم جاء فى تعليق الأب مكسيموس كابس " وعجبت من شرح قداسة البابا شنودة الثالث لهذا النص إذ يفرق بين الإنسان والأعمال . فلو كان المقصود منه إحتراق الأعمال وحدها فإننا نتساءل لماذا لا يحرق الله أعمال الأشرار الذين آمنوا بالمسيح وبخلصهم من نار جهنم " [٣٣٦]

ونحن نسأله : هل يُخلص الله الإنسان رغماً عنه ؟! ولو خلصه رغماً عنه فأين حريته الشخصية ؟! .. الأشرار يرفضون الخلاص فهل يخلصهم الله ويزج بهم فى الملكوت رغماً عن أنفهم ، ولو فعل الله ذلك فإنهم لن يحتملوا الوجود فى الملكوت لأنهم لم يعيشوا حياة القداسة ولم يتعودوا حياة التسبيح .

[١٠] جاء فى رسالة فيلبى " ولكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن فى السماء ، ومن على الأرض ومن تحت الأرض " (فى٢: ١٠) وقال الأخوة الكاثوليك أن المقصود بالذين تحت الأرض هم سكان المطهر .

توضيح :

فسر القديس يوحنا فم الذهب هذه الآية قائلاً " أن كل ركبة ما فى السماء : تعنى

---

[٣٣٦] إيماننا القويم جـ٢ لماذا نؤمن بالمطهر ؟ صـ٧٨ .

الملائكة والقديسين ، ومن على الأرض : تعنى الأحياء والمؤمنين الذين علـى الأرض ، ومن تحت الأرض : أى الشياطين ، وهم يخضعون للسيد المسيح شاءوا أم أبو .. "[٢٣٧] فالملائكة والأبرار يسجدون لله خضوعاً وحباً بينما يخضع الشياطين والأشـرار خوفـاً ورعباً .

وأيضاً يؤخذ معنى الآية على سجود الخليقة كلها لله كقول سفر الرؤيا " وكل خليقة مما فى السماء وعلى الأرض وتحت الأرض وما على البحر وكلّ ما فيها سمعتها قائلـة للجالس على العرش وللخروف البركة والكرامة والمجد والسلطان إلـى أبـد الأبديـن " (رؤ ٥ : ١٣) وجاء فى حاشية العهد الجديد طبعة دار الشرق الكاثوليكية سـنة ١٩٨٨ تعليقاً على هذه الآية " تقسيم ثلاثي يشير إلى كلية العـالم المخلـوق " (راجـع رؤ٥: ١٣،٣) ولا نسي أن هناك أناس تحت الأرض مثل العاملين فى المناجم والغواصات التـى تحت الماء ، والمسبيّين فى الطوابق والذين يستقلون مـترو الانفـاق وغـيرهم وهـم يسبحون الله ويسجدون له بالروح والحق من تحت الأرض .

رابعاً : هل هناك دينونتان ؟

يعتقد الأخوة الكاثوليك أن هناك دينونتان الأولى هى الدينونة الخاصة لكـل فـرد عقب انتقاله من هذا العالم فيقف أمام كرسي المسيح ويعطى حساباً عن نفسه فيتحـدد مصيره ويذهب إما للفردوس (الذى هو السماء وهو الملكوت) أو يذهب لجـهنم النـار الأبدية ، أو للمطهر حيث يتعذب ويتطهر ويكفر عن خطاياه ثم يخرج للملكـوت . أمـا الدينونة الثانية فهى الدينونة العامة يوم مجئ السيد المسيح الثانى ويتم فيـها اعـلان نتائج الدينونات الخاصة .

ويؤكد الأخوة الكاثوليك أن الدينونة الخاصة واضحة فى الكتاب المقدس بدليل الآتى :

١- " وكما حتم على الناس أن يموتوا مرة واحدة وبعد ذلك الدينونـة " (عـب٩: ٢٧)

ويقولون أن كلمة بعد ذلك لا تعنى فى آخر الأزمان ، فلغوياً ومنطقياً أن كلمة بعد تفيد الوقت القريب أو الشئ القريب مما قبله وليس بعد آلاف السنين أو نهاية العالم ، ولا

---

[٢٣٧] المطهر لقداسة البابا شنودة الثالث صـ٥٨ .

يجوز لنا أن نؤلها تأويلاً آخر . فالمعنى صريح وواضح لا يحتمل تفسيراً آخر " [٣٣٨]

توضيح :

بعد الموت تدخل النفس فى حالة إنتظار فلا تستطيع أن تفعل ما تريد ، بل قد استنفذت فرصتها الأخيرة ، ولذلك رتب الإنجيل الأحداث كالآتي أولاً : الموت وثانياً : الدينونة لأن الفترة الفاصلة بينهما وهى فترة الانتظار لا تقدر النفس أن تغير حالتها من الشر إلى الصلاح .

وربما الآية التالية مباشرة توضح هذه الآية " هكذا المسيح أيضاً بعد ما قُدِم مرة لكى يحمل خطايا كثيرين سيظهر ثانية بلا خطيئة للخلاص للذين ينتظرونه " (عب٩: ٢٨) أى أن الخلاص النهائى أو كمال الخلاص بدخولنا للملكوت سيتحقق عند ظهور ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح فى اليوم الأخير وليس قبل ذلك ، وفرز الأبرار عن الأشرار لن يتم إلاَّ فى المجئ الثانى " ومتى جاء إبن الإنسان .. يجتمع أمامه جميع الشعوب فيميّز بعضهم من بعض كما يُميّز الراعى الخراف من الجداء . فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار . ثم يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم .. ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار اذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدَّة لإبليس وملائكته .. فيمضى هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية " (مت٢٥: ٣١-٤٦) فلو كان هناك دينونة خاصة عقب انتقال كل إنسان بمفرده وتحدَّد مصيره ودخل إلى الملكوت أو ذهب إلى الجحيم فهل فى اليوم الأخير يستدعيهم الرب يسوع من أماكنهم ثم يعيدهم إليها ؟!

٢- قال الأب مكسيموس كابس " يقول القديس بولس فى رسالته إلى أهل فيلبى (١: ٢٣، ٢٤) " لأنى محصور بين الإثنين إذ لي رغبة أن أنحل فأكون مع المسيح وذلك أفضل بكثير غير أن التلبث فى الجسد أشد لزوماً من أجلكم " فهل ياترى يعلم (بولس) أنه سيذهب إلى السماء ليكون مع المسيح أم أنه يذهب إلى الفردوس ، وإن كان لا يدخل إلى السماء لأنه كما يقول إخوتنا الأقباط الأرثوذكس لا يمكن لأحد أن يدخل السماء إلاَّ بعد الدينونة العامة .. فإنهم بذلك يضعون أنفسهم فى مأزق للأسباب التالية :

---

[٣٣٨] إيماننا القويم جـ٢ لماذا نؤمن بالمطهر ؟ صـ١١ .

أ- لأن القديس بولس يعتقد أنه بموته سيكون مع المسيح ، فهل المسيح لم يصعد إلى السماء ولكنه ما زال مع أنفس الأبرار فى الفردوس ، وبذلك يكون إعترافنا فى قانون الإيمان باطل لأننا نقول فيه وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الآب.

ب- لأننا بقولنا هذا نؤمن بوجود أربعة أماكن بعد الموت السماء .. وجهنم .. والجحيم مكان انتظار الأشرار وفردوس النعيم مكان انتظار الأبرار . وهذا القول مرفوض لأننا إذ جعلنا مكانين للإنتظار نعترف بأنه صار تميّيز بين الأموات صالحين وأشرار ..

جـ- لأننا إذا لم نعترف بالدينونة الخاصة حالاً بعد الموت أين كانت تذهب أنفس الموتى قبل الفداء ؟ فعلى حسب اعتقاد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية أنه لم يذهب أحد إلى الفردوس الذى هو مكان الانتظار إلاّ بعد الفداء وعلى حسب قولهم كانت الأنفس تذهب إلى الجحيم الذى هو مكان الإنتظار قبل الفداء .

د- ونحن نقول فى القداس الإلهى ونزل إلى الجحيم من قبل الصليب . فهل كانت أنفس الأبرار والأشرار معاً فى هذا المكان ؟ وإن كانت هذه عقيدتهم فكيف ميّز المسيح الأبرار ونقلهم إلى الفردوس وترك الأشرار فى الجحيم؟

هـ- قال السيد المسيح للص اليمين وهو على الصليب اليوم تكون معى فى فردوس النعيم .. فهل هذه المعية مع المسيح مؤقتة أم دائمة . إن كانت مؤقتة فلا معنى لها وإن كانت دائمة فهل المسيح لم يصعد إلى السماء وبقى معه فى الفردوس ؟ وهذا محال " [٣٣٩]

توضيح :

نحن نؤمن أن هناك مكانين فقط فى الأبدية وهما ملكوت السموات وجهنم النار ، وهذان المكانان لن يدخلهما أحد من البشر إلاّ بعد يوم القيامة والدينونة العامة أما الأنفس الآن فهى فى حالة انتظار ، وإن كنا نقول أن نفوس الأبرار تنتظر متنعمة فى الفردوس ونفوس الأشرار تنتظر مضطربة وقلقة فى الجحيم ، فهذا للتعبير عن حالة النفس ولكن لا الفردوس ولا الجحيم يعتبرا مكانان منفصلان لأنه لو كان مكانان منفصلان فمعنى هذا أن التمييز تم بين الأرواح وعندما قال الأنبا اسطفانوس الثانى "بعد الموت سينعم القديسون بالمشاهدة الطوباوية لله مثلث الأقانيم ، بينما يحرم الذين

[٣٣٩] إيماننا القويم جـ٢ لماذا نؤمن بالمطهر ؟ صـ١١-١٣ .

رقدوا من غير توبة من هذه المشاهدة الطوباوية ، فهذا الإنعام المباشر يُسمى بالدينونة الخاصة . إلاً أنه ليس كالدينونة العامة ولكنه اكتشاف النفس لذ تها فى النور الإلـــهي ، وتسمى المشاهدة الطوباوية لله مثلث الأقانيم بالفردوس أو السماء أو ملكوت الســموات . وقد تظل سعادة القديسين غير مكتملة حتى تتحد النفس بالجسد القائم من الموت فـــى ملء مجد جسد المسيح "[٣٤٠] فنحن نوافقه على قوله أن النفس البارة عقــب انتقالــها تكتشف ذاتها فى النور الإلهي فتنعم ببعض المشاهدة الطوباويـــة لله ونؤكـد أن هــذه السعادة لا تكتمل إلاً فى اليوم الأخير عندما تتحد الروح بجسدها وتدخل إلـــى الملكــوت ولكننا لا نوافقه على وجود دينونتان إحداهما خاصة والآخرى عامة لأن كلاهما تتعلقــان بالإنسان ؟ الداعى للتكرار ؟!

وعندما اشتهى بولس الرسول أن ينطلق من هذا الجسد ويكون مع المسيح فإنـــه كان يقصد أن يكون معه فى الفردوس لأن المسيح القائم فى الملكوت قائم أيضـــاً فـــى الفردوس ، وفى اليوم الأخير يدخل بولس مع الكنيسة المخلّصة إلى الملكوت .

أما قبل الفداء فكانت جميع الأنفس تنتظر فى الجحيم غير أن الشيطان لم يكن لـــه سلطان على أرواح الأبرار ، وبعد اتمام الفداء على الصليب نقل الســيد المســيح هــذه الأرواح البارة من حالة القلق وانتظار الخلاص إلى حالة الفرح بالخلاص ، وهى تنتظر الآن إكتمال فرحها واستعلان مجدها فى الملكوت .

وعندما قال اللص اليمين للسيد المسيح " اذكرنى يارب متى جئت فـــى ملكوتــك . فقال له يسوع الحق أقول لك اليوم تكون معى فى الفردوس " (لو٢٣: ٤٢، ٤٣) فلو كان الملكوت هى الفروس لوافق الرب يسوع اللص اليمين وقال له الحق أقـــول لــك أنــك ستكون معى فى الملكوت ، وهذا لم يحدث ، بل أن كل آلام الموت لم تمنع الرب يســوع من تصحيح مفهوم اللص اليمين عن الملكوت والفردوس . كما أن اللص اليمين الـــذى إرتكب خطايا هذه عددها ولم يتحمل عقاب خطاياه لم يُرسِله السيد المسيح إلى المطـــهر بل دخل فى ذات اليوم إلى أماكن النياح والراحة ، وإن قال أحد أنه اســـتوفى قصـــاص خطاياه بالصليب نقول له واللص اليسار أيضاً تحمل عقاب خطاياه على الصليـــب ومـــع هذا فإنه لم يخلص .

---

[٣٤٠] مجلة الصلاح – عدد إبريل سنة ١٩٩١م .

محاولة اثبات الدينونة الخاصة من العقيدة الأرثوذكسية :

والأمر العجيب أن الأخوة الكاثوليك يحاولون إثبات عقيدة المطهر من خلال طقوس وعقائد الكنيسة الأرثوذكسية ، وهم يعلمون تمام العلم أنه لا الكنيسة الأرثوذكسية ولا أى شخص أرثوذكسي يؤمن بوجود هذا المطهر الموهوم ، ويستدلون على قولهم هذا بالآتي :

[١] إن الكنيسة الأرثوذكسية تعيد بعيد انتقال سيدتنا مريم العذراء بالنفس والجسد إلى السماء ، فلو لم تكن هناك دينونة خاصة فكيف دخلت العذراء مريم السماء .

توضيح :

كنيستنا القبطية الأرثوذكسية تؤمن أن العذراء مريم ماتت مثل أى إنسان ، وبعد موتها أُصعد جسدها إلى السماء وهذا ما ناقشناه فى الفصل الخامس . أما روح السيدة العذراء فهى مع أرواح الأبرار والقديسين فى الفردوس تنتظر يوم القيامة العامة حيث تلبس جسدها وتدخل للملكوت كملكة للسمائيين والأرضيين .

[٢] يقول الأخوة الكاثوليك بأن " الكنيسة الأرثوذكسية تُعيّد أعياد بعض القديسين مثل مارجرجس ومار أنطونيوس والأنبا بولا والأنبا مينا وغيرهم ، فكيف حكمت أنهم قديسون والرب لم يحكم بعد ؟ .. ونحن نتساءل هل أخطأت الكنيسة الأرثوذكسية فى إعلان قداسة البعض قبل إعلان حكم الله ؟ أم أنها أخطأت فى إنكار الدينونة الخصوصية التى بموجبها قرَّرنا إعتماد هذا القديس أو ذاك فى مصاف القديسين ؟ ونتساءل أيضاً هل يجوز للبشر أن يحكموا بناءاً على تقديرهم دون انتظار تقدير الله؟ أفلا يجوز أن يكون من اعتبرناه قديساً لم يكن إلاَّ مرائياً يتظاهر بالقداسة وهو فى الداخل ذئب خاطف ؟ من يعرف قلب الإنسان وما ينطوى عليه غير الله فاحص القلوب والكلى ؟ إن حكمنا هذا يعتبر تعدى على حقوق الله الذى ليس لغيره أن يدين الأحياء والأموات " [٣٤١]

توضيح :

أعطى السيد المسيح للكنيسة العلامة التى تُميّز بها القديسين عندما قال " من ثمارهم تعرفونهم هل يجتنون من الشوك عنباً أو من الحسك تيناً.هكذا كل شجرة جيدة

---

[٣٤١] إيماننا القويم جـ٢ لماذا نؤمن بالمطهر ؟ صـ٨ .

تصنع أثماراً جيدة..فإذا من ثمارهم تعرفونهم " (مت٧: ١٦-٢٠) والكنيسة لا تدعو إنساناً قديساً إلاّ بواسطة حكم المجمع المقدس المكوَّن من أساقفة الكنيسة برئاسة بابا الإسكندرية ، وبعد مرور خمسين عاماً من إنتقاله حتى تطمئن الكنيسة أن حكمها لم يتأثر بأحد أقاربه .

ولو تمشينا معكم بأن الله لابد أن يكون قد أدانهم أولاً الدينونة الخاصة وحكم بقداستهم ، فكيف أعلن الله لكم نتيجة الحكم ؟! وهل يوجد إعلان واحد مرسل من الهيئة السمائية لكنيستكم لتدعون هذا قديساً وذاك إبليساً ؟!

[٣] يقول الأب مكسيموس كابس " نقرأ فى جناز الأموات (الكنيسة الأرثوذكسية) هذه الصلاة بعد الإنجيل " هذه النفس التى اجتمعنا بسببها يارب نيحها فى ملكوت السموات . إفتح لها يارب أبواب السماء وأقبلها إليك كعظيم رحمتك . أفتح لها يارب باب البرّ لكى تدخل وتتنعم هناك .. والآن هل لهذا الكلام معنى .. أم أنه وضع بدون قصد للمعنى ؟ أنه يطلب للنفس التى فارقت الحياة أن يفتح لها الرب باب الملكوت أو كما يعيده فيقول باب السماء أو كما يقول مرة ثالثة باب البرّ . فهل ملكوت الله فى مكان ثالث إسمه الفردوس ؟ كلا أن الصلاة تشرح معنى الملكوت بأنها السماء .. وبالتالى لا يمكن للنفس دخول الملكوت أو السماء كما تعنيها الصلاة إلاّ بعد أن تمر بدينونة لتعرف الحكم عليها بالخلاص أو الهلاك وإذا كانت كما يقول أخوتنا الأقباط الأرثوذكسي تذهب إلى مكان الانتظار ليوم الدينونة العامة فأننا نقول لهم لماذا إذاً هذه الصلوات والابتهالات ؟ فلا معنى لها إذ الجميع سواء فى الانتظار. وإن قال أحدهم أن هذا ينفع ليوم الدينونة العامة نقول أن هذا الكلام لا معنى له لأنه فى يوم الدينونة العامة يبطل كل شئ ولا تنفع الصلوات والشفاعات فحكم الله سابق ومصدق عليه ولا يبقى إلاّ اعلان الحكم .

وعقيدة الدينونة بعد الموت مباشرة تظهر أكثر وضوحاً فى الصلاة التى تقال فى جناز النساء الكبار فعلينا أن نقرأ هذا الكلام { نسألك يا محب البشر المتحنن كل حين ، إرحمها ونيحها وسامحها وأغفر لها كثرة خطاياها وتجاوزتها لأنك لم تخلق الإنسان للشرور بل للخيرات . فهى الآن قائمة أمام منبر مسيحك . فليكن لها نياح وراحة وبرودة وفرح } .. فإن كنا لا نعتقد بالدينونة الخصوصية بعد الموت فكيف

نشرح هذه الصلوات و الطلبات ؟ .. فإن كانت (النفس) تنتظر فى مكان الانتظار ليوم الدينونة العامة فما الداعى للوقوف بعد الموت مباشرة أمام منبر المسيح ؟ " [٢٤٢]

توضيح :

فى نص الصلاة الأولى التى ذكرها الأب مكسيموس والتى تصليها الكنيسة فى جناز الأموات " إفتح لها يارب باب الفردوس كما فتحته للص اليمين " وهذا هو إيمان الكنيسة أن النفس تظل فى حالة انتظار حتى يوم القيامة والصلاة الثانية التى تقال فى تجنيز النساء الكبار " هذه النفس قائمة أمام منبر مسيحك .. " فهى عبارة مجازية تجعل المستقبل البعيد كأنه قريب جداً كقول معلمنا بولس الرسول " لأنه لابد أننا جميعاً نظهر أمام كرسي المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد " (٢كو ٥: ١٠) .

والصلوات والابتهالات التى تقدمها الكنيسة لعريسها السمائى من أجل أحد أولادها المنتقلين الهدف منها أن تحنن الكنيسة قلب العريس من أجل هذه النفس ، وتعتبر هذه الصلوات علامة محبة الكنيسة لهذه النفس لكيما تجد راحة فى مكان الانتظار فلا يمسها قلق ولا اضطراب وأيضاً ليهب الله عزاءاً لذوى تلك النفس المنتقلة .

ونحن نؤمن أن النفس عند إنطلاقها تستطيع أن تشاهد المسيح بصورة أفضل بكثير مما كانت فى سجن الجسد الترابى ولذلك نقول عنها أنها قائمة أمام المسيح .

وأخيراً هناك تساؤل : إن كانت الصلوات والتوسلات والإبتهالات من أجل الراقدين لا تفيدهم فى الدينونة العامة حسب قول الأب مكسيموس كابس فلماذا تقدمها الكنيسة الكاثوليكية عن أبنائها المنتقلين ؟ وإن قالوا أنها تفيد فى الدينونة الخاصة ولكنها عديمة الفائدة فى الدينونة العامة ، نقول أليس القاضى العادل الرحيم واحد فى كلا الدينونتين ؟ فلماذا يقبل التوسلات والشفاعات فى الدينونة الخاصة بينما يرفضها فى الدينونة العامة ؟

[٤] يقول الأب مكسيموس كابس " وهكذا ترى أن طقوس الكنيسة مبنية على عقائدها فيمكن إذن إثبات عقيدة أى كنيسة من طقوسها ، وليس كما يقول قداسة البابا مخاطباً الأب لويس برسوم صاحب كتاب المطهر قائلاً :{ عجيب أن هذا المؤلف يريد اثبات المطهر من كتب الصلوات للكنيسة القبطية الأرثوذكسية !! ابعد يابني عن هذا

---

[٢٤٢] المرجع السابق صـ٩-١١ .

المجال فالكنيسة القبطية الأرثوذكسية أدرى بعقيدتها } .. لقد وضع آبـــاء الكنيســـة صلوات طقوسهم وبنوها على عقيدتهم ، والإنكار لا يفيد شيئاً ولا يغير شـيئاً غـير طمس الحقيقة بإنكار ما هو ظاهر فى الحقيقة "[٢٤٣]

توضيح :

ثق ياسيدى الفاضل أن اباء الكنيسة الأرثوذكسية الذين وضعوا الصلوات الطقسـية ومارسوها لم يدخل المطهر فى عقيدتهم على الاطلاق بل لم يطرأ على ذهنهم أى فكـــر عن المطهر ، ولو تسربت بعض العبارات التى تحمل أفكاراً غريبة عـــن العقيـدة إلــى الصلوات الطقسية فالكنيسة لها الحق فى تغيّيرها فمثلاً نُشر فى مجلة الكــرازة بتــاريخ ٢٠٠٠/٦/١٦م " حول طقس السجدة (فى العنصرة) التعديلات التـــى أجراهــا المجمـــع المقدس { لنيافة الأنبا بيشوى سكرتير المجمع المقدس } فى جلسة المجمـــع المقـدس السابقة المنعقدة بتاريخ ١٩٩٩/٥/٢٩م .. قرر المجمع المقدس بناءً على توصية مـــن اللجنة الطقسية المجمعية حذف العبارات التالية من الطلبة الثالثة من طقـــس السـجدة الذى يُقام بعد ظهر يوم عيد العنصرة { وذلك حيث أنها ليست أصلية فى طقس الكنيسة}

١- " وأيضاً تحلُّها وتنقلها إلى ذلك الموضع ".

٢- " الذين فى الجحيم لأن لنا عظم رجاء من أجل إنحلال كل الذيـــن فـــى جميـــع الالام و " .

٣- " لأنه ليس الموتى يباركونك يارب ، ولا الذين فى الجحيم يعترفون لك بإعلان ، بل نحن الأحياء " .

وكذلك قرّر المجمع المقدس تعديل عبارة " هذه الذبائح " إلى " هذه التقدمات " فـــى الطلبة الثالثة أيضاً " .

وحذف كنيستنا القبطية بعض الجُمل الغير أصلية لا يعتبر عيبـــاً ، ولا ننســى أن المجمع الفاتيكاني الثاني قرَّر إصلاح الطقوس المقدسة فى الكنيسة اللاتينية .

فقد ورد فى مقدمة وثائق المجمع الفاتيكانى الثانى ما يلي " عمل الــروح القــدس الذى جدّد بواسطة المجمع المسكونى وجه الكنيسة ، قد كشف بخاصة حيويتها الداخليـة كما تشهد بذلك مجموعة شاملة من الأمور ينبغى الإشارة إليها الآن :

---

[٢٤٣] المرجع السابق صـ ٥٢٤ .

ففى طليعة النصوص التى فازت بإقرار المجمع إياها ، كـــان إصـــلاح الطقـــوس المقدسة (الليتورجيا) بالنسبة للكنيسة اللاتينية ، حتى لو آثار تطبيقه الذى قـــد يكـــون متعجلاً بعض الصعوبات إلاّ أنه قد سُلط كاملاً على معانى ترتيبات الطقوس وصلواتـــها ، وقد أتاح أيضاً للكاثوليك فى بلدان العالم كله إقامة الصلاة بإستخدام لغتهم الحيّة .." [٣٤٤]

[٥] يستعين الأخوة الكاثوليك بمثل الغنى والعازر (لـــو ١٦: ١٩-٣١) لإثبـــات حـــدوث الدينونة الخاصة والتى بناءاً عليها تم الفصل بين الإثنين فذهب لعازر إلـــى حضـــن إبراهيم ليتعزى والغنى ذهب إلى الهاوية ليتعذب .

توضيح :

قصة الغنى ولعازر قصة رمزية والدليل على هذا :

أ- هذه القصة ذكرها الرب يسوع قبل إتمام الفداء ، وأين كان إبراهيم عندئذ ؟ .. أنـــه كان فى الهاوية ولم يكن فى موضع العزاء والنياح والراحة بينما ذكرت القصـــة أن إبراهيم فى موضع الراحة وهو القردوس الذى انتقل إليه بعد إتمام الفـــداء وليـــس قبله .

ب- طلب الغنى من إبراهيم قطرة ماء ليبرّد لسانه ، وأين كان لسانه وجسده عندئـــذ ؟ كان جسده بالكامل فى القبر إذاً التعبير رمزى يشير للقلق والعذاب النفســـي الـــذى تعانى منه الروح الخاطئة قبل القيامة والدينونة العامة ، وقال القديس أغسطينوس " اللهيب الذى فيه يحترق الغنى ونقطة الماء التى يطلبها ليســـا مـــاديّين ، وإنمـــا أشـــبه برؤيا بالنسبة للتائبين والأشخاص الهائمين (مختطفين) إذ تظـــهر لـــهم الأمـــور غـــير المادية كما لو كانت مجسمة ، أى روح مجردة لكنه رأى نفسه كمن هو فى جسده " [٣٤٥]

لو كانت هذه القصة تثبت الدينونة الخاصة التى تؤول بالإنسان إلـــى الســـماء أو جهنم أو المطهر حسب المعتقد الكاثوليكي ، فإننا نجد فى هذه القصة مكانين فقط وهمـــا مكان الراحة ومكان العذاب ولم ترد أى إشارة للمطهر ، فالإنجيل لم يذكر خطية للغنـــى إلاّ إهماله للفقير وهذه كان يمكن أن يتطهر منها فلماذا لم يأتِ أى ذكر للمطهر ؟! .. بل يظهر من القصة أن حالة الإنسان من المستحيل أن تتغير من العذاب إلى الراحة حســـب

---

[٣٤٤] وثائق المجمع الفاتيكانى الثانى صـــ٢٤ .

[٣٤٥] تفسير إنجيل لوقا للقمص تادرس يعقوب صـــ٥١١

قول أبينا إبراهيم " بيننا وبينكم هوّة عظيمة قد أُثبتت حتى أن الذين يريدون العبور من هنا إليكم لا يقدرون ولا الذين من هناك يجتازون إلينا " (لو١٦: ٢٦) ، ويقول القديس أمبروسيوس " يوجد بين الغنى والفقير هوة عظيمة إذ لا يمكن تغيير المكافأة بعد الموت" [٣٤٦]

والأمر العجيب أن الترجمة اليسوعية ذكرت أن " الغنى دُفِن فى جهنم " وقال الأب مكسيموس كابس " يقول السيد المسيح عن لعازر أنه بعد أن مات نقلته الملائكة بينما مات الغنى ودُفِن فى جهنم " [٣٤٧] والحقيقة أن كلمة "جهنم" لم ترد فى الأصل اليونانى (راجع اضواء على المطهر لوجيه غالى صـ٣٤،٣٥) إنما أضافتها الترجمة اليسوعية لتثبت الدينونة الخاصة ونوال الجزاء عقب الموت .

[٦] يستشهد الأخوة الكاثوليك بمثل الوزنات (مت٢٥: ١٣-٣٠) لإثبات الدينونة الخاصة ، فيقول الأب مكسيموس كابس :

أ- من هذا النص يتبين أن المحاكمة فردية وليست جماعية فيحاسب كل واحد على حدة والحال لا يكون هكذا فى الدينونة العامة

ب- بدأ كلامه السيد المسيح بتحذير العبيد قائلاً " اسهروا إذن فإنكم لا تعلمون اليوم ولا الساعة " وعادة يتكلم السيد المسيح عن اليوم والساعة أى ساعة الموت التى ينتهى فيها السهر . فإن الأموات لا يسهرون وبالتالى لا ينطبق عليهم هذا الكلام بل ينطبق السهر على الأحياء ..

حـ- يبّين هذا المثل تعريف أن المكافأة أو الحكم بالهلاك يكون فوراً بعد الحساب (أى بعد الدينونة الخاصة وليس العامة) .

د- والدليل على أن هذه المحاسبة تتم قبل الدينونة العامة يتابع متى الإنجيلي قوله " ومتى جاء ابن البشر فى مجده .. " (٢٥: ٣١) .

هـ- فى الدينونة العامة نجد أن الرب لا يحاسب الناس إلاّ على أعمال الرحمة .

وقد قال بعض العلماء أن الدينونة العامة ما هى إلاّ إعلان على الملأ مما سبق أن حكم به الله على الإنسان عند الدينونة الخاصة فسواء كان هذا أو ذاك فإنه ثابت من

---

[٣٤٦] المرجع السابق صـ٥١٥ .

[٣٤٧] إيماننا القويم جـ٢ لماذا نؤمن بالمطهر ؟ صـ١٧ .

هذا المثل أن الدينونة الخاصة هى بخلاف الدينونة العامة " ٣١٨

توضيح :

فى الدينونة العامة سيكون الحساب فردى لكل شخص على حدة ، فكل إنسان سوف يعطى حساباً عن أعماله فقط ، فهى دينونة عامة لأنها تشمل كل البشر ، وهى أيضاً دينونة خاصة وفردية لأنها تخص كل فرد .. حالما يسقط نور المسيح على الإنسان تصير أعمال ذلك الإنسان ظاهرة أمامه ويحكم على ذاته ، وينجذب الأبرار للمسيح الذين تعلقوا به طوال حياتهم ، ويهرب الأشرار من وجه المسيح بسبب خيانتهم وخجلهم وخزيهم العظيم .

وقول السيد المسيح " وبعد زمان كثير قدم سيد أولئك العبيد وحاسبهم " لا تشير إلى عمر الإنسان على الأرض لأن العمر قصير وهو مثل بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل ، ولكن هذا " الزمان الكثير " إنما يشير إلى فترة الحياة على الأرض وحتى يوم القيامة .

ولذلك فإن مثل الوزنات لا ينطبق على الإنسان عقب انتقاله مباشرة من هذا العالم . إنما ينطبق على دينونة الإنسان فى اليوم الأخير حيث يتم الحساب ويعقبه فوراً الجزاء أو العقاب .

ولو كان هناك دينونتان فما الداعى للدينونة الثانية ؟ وإن كان الإنسان بعد الدينونة الأولى الخاصة عقب موته وقف أمام منبر المسيح وسمع الحكم من فمه الطاهر وذهب إلى الملكوت أو إلى جهنم فما جدوى الدينونة الثانية العامة ؟ وهل سيتم إستدعاء الأبرار من الملكوت والأشرار من جهنم ويتم خلطهم ثانية ثم يعيد السيد المسيح فرزهم كما صرح بذلك الرب يسوع ؟ ومتى جاء إبن الإنسان.. يجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم عن بعض.. " (مت٢٥: ٣١، ٣٢) وإن قال البعض أن الدينونة العامة هى مجرد إعلان الأحكام التى سبق أن صدرت فى الدينونة الخاصة ، فما هو سندهم الكتابى فى هذا ؟! ولماذا لم يذكر الإنجيل أو يشير ولو مرة واحدة إلى هاتين الدينونتين أو إلى تكرار الدينونة مرتين ؟!

ومادامت ياصديقى هناك عشرات النصوص الواضحة والصريحة والقاطعة على أن الدينونة واحدة لا أكثر فلماذا نلتمس الحقيقة من الأمثال وغيرها ؟!

---

٣١٨ إيماننا القويم جـ٢ لماذا نؤمن بالمطهر ؟ صـ٢٠، ٢١ .

وإليك بعض هذه الآيات التى توضح الحقيقة كاملة جليّه :

أ- " وكثيرون من الراقدين فى تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار للإزدراء الأبدي " (دا ١٢: ٢) .

ب- " الحصاد هو انقضاء العالم .. يرسل إبن البشر (فى الحصاد) ملائكته فيجمعون (من كل مكان) من ملكوته جميع المعاثر وفاعلى الإثم ويطرحونهم فى أتون النار هناك يكون البكاء وصرير الأسنان حينئذ (فى الحصاد) يضئ الأبرار كالشمس فى ملكوت أبيهم " (مت١٣: ٣٩-٤٣) .

حـ- " فإن ابن الإنسان سوف يأتى فى مجد أبيه مع ملائكته . وحينئذ (فى المجئ الثاني) يُجازى كل واحد حسب عمله " (مت١٦: ٢٧) .. أنها دينونة فردية لكل واحد وجماعية إذ تشمل جميع البشر من آدم إلى المجئ الثانى لن يفلت منها أحد .

د- " فإنه تأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته (إبن الله) فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة " (يو ٥: ٢٨،٢٩) .

هـ- " لأنه أقام يوماً هو فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل " (أع ١٧: ٣١) إذاً للدينونة يوم واحد لا أكثر بل أنها لحظات بسيطة فيها يذهب كل إلى مكانه .

و- " وكذلك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضباً فى يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة التى سيجازى كل واحد حسب أعماله " (رو٢: ٥،٦) .. إذاً للغضب والدينونة يوم واحد فيها يحاسب كل واحد على أعماله .

ز- " وأخيراً وضع لي إكليل البر الذى يهبه لي فى ذلك اليوم (يوم الدينونة) الديان العادل ، وليس لي فقط بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً " (٢تي٤: ١٨) .

ح- " ومتى ظهر رئيس الرعاة تنالون إكليل المجد الذى لا يبلى " (١بط٥: ٤) وقبل ظهوره لن يُكلَّل أحد بإكليل المجد.

ط- " ها أنا آتى سريعاً وأجرتي معي لأجازى كل واحد كما يكون عمله " (رؤ٢٢: ١٢) إذاً وقت الصواب أو العقاب بعد المجئ الثانى والدينونة العامة " وكل من لم يوجد مكتوباً فى سفر الحياة طُرِح فى بحيرة النار " (رؤ٢٠: ١٥) [راجع أيضاً ٢كو٥: ١٠ - ٢تس١: ٧ - ١بط٤: ١٣ - يه١٤،١٥ - رؤ٦: ٩-١١] .

والآن نسألكم ياإخوتنا الأفاضل هل تأتون لنا بمثل هذه النصوص الصريحة الواضحة القاطعة التى تحدثنا عن الدينونة الخاصة حتى نؤمن بها ؟!

[٧] يستشهد الأخوة الكاثوليك بمثل العبد الأمين (مت٢٤: ٤٢-٥١) لإثبات عقيدة الدينونة الخاصة ، ويقول الأب مكسيموس كابس " ومن الأمثلة التىتثبت الحساب بعد الموت مباشرة أو كما نسميها الدينونة الخاصة مثل العبد الأمين .. وهذا المثل لم يتعرض له قداسة البابا شنودة رغم أن سيادة الأب لويس برسوم سرده ضمن براهينه على الدينونة الخصوصية وسبب ذلك لأنه من الواضح بحيث لا يقبل أى تأويل ..

١-يوصي السيد المسيح فى بدء هذا المثل بالسهر لأن ساعة الرب ستأتى فجأة .. فإن كان السيد المسيح يقصد بيوم الرب الدينونة العامة فلا داعى لأن يوصي بالسهر لأن الأموات هم كما يقول إخوتنا الأقباط الأرثوذكس حالتهم ثابتة..ولذا نقول أن السيد المسيح يوصي بالسهر للأحياء الذين على الأرض ويوم الرب هو ساعة الموت..

٢- الحساب فوراً عند مقابلة العبد بالسيد .

٣- الحساب يكون فردياً بينما أهل البيت باقون بدون حساب أو عقاب وبالتالى مازالوا أحياء ، ولذا فالدينونة الفردية تكون عند مغادرة الحياة ومقابلة السيد قبل الدينونة العامة .

٤- كلمة " يفصله " الواردة فى القصة المذكورة تدل دلالة واضحة على الاستبعاد عن الآخرين ، والاستبعاد لا يعنى النهاية ولكن يعنى الاستمرار فى فصل العضو الشرير وتعيّين آخر بدلاً منه ، وهذه الدلالة لا تكون فى الدينونة العامة .

٥- العبد الشرير كما يقول المثل يأخذ فى ضرب رفقائه ويأكل ويشرب مع السكيرين .. أن هذه الأعمال هى أعمال الجسد والحال أن الأموات قد فارقوا الجسد ولا يمكن أن يأتوا بأعمال مثل هذه .

لابد إذن من التسليم بأن هناك دينونة خاصة بعد الموت يدان فيها الإنسان فردياً ليعرف مصيره فى الحياة الآخرى " [٣٤٩]

---

[٣٤٩] المرجع السابق صـ٢٢، ٢٣ .

توضيح :

أ- فى هذا المثل يوصي السيد المسيح الأحياء بالسهر واليقظة وعدم التهاون والاستهتار ، فهو له المجد كان يعظ أناس على قيد الحياة ، ومازال الإنجيل يخاطب بهذا المثل الأحياء الذين يملكون تغيّير سلوكهم ولم يخاطب الأموات الذين لن تتغير حالتهم .

ب- يوم الرب هو يوم الدينونة الرهيب ، وليس ساعة موت الإنسان ، فلحظة موت الإنسان يجوز أن نسمّيها يوم فلان أو يوم انتقال فلان ، ولكن بأى حق ندعوها يوم الرب ؟! هل هذه الساعة تخص الرب أم أنها تخص الإنسان ؟ بلا شك أنها تخص الإنسان . أما يوم الرب فإنه يخص الرب الذى سيأتى علىَ السحاب فى مجده ومجد أبيه ويدين البشرية جمعاء كما أوضح لنا الإنجيل بصراحة تامة ونصوص قاطعة .

حـ- نحن نوافق الأب مكسيموس كابس بأن الحساب سيتم عند لقاء العبد بالسيد ، وهذا اللقاء وتلك المقابلة وذاك الحساب سيتم يوم نصب الميران والوقوف أمام الديان فى اليوم الأخير .

د- القول بأن الحساب سيكون فردياً بينما بقية أهل البيت مازالوا أحياء لأن هذا المثل يشير لأمرين فى وقت واحد ، أولهما : انتقال العبد ، وثانيهما : محاسبة العبد ، ولأن المرحلة بين الإنتقال والمحاسبة هى مرحلة ثابتة لا يملك فيها الإنسان أن يغيّر شيئاً من حالته لذلك يظهر من الوهلة الأولى وكأن هاتين المرحلتين ستتمان فى آن واحد " يأتى سيد ذلك العبد فى يوم لا ينتظره وفى ساعة لا يعلمها . فيقطعه ويجعل نصيبه مع المرائين " (مت ٢٤: ٥٠، ٥١) ولكن بالتأمل فى المثل نلاحظ فى عبارة " يأتى سيد ذلك العبد " أن السيد المسيح هو الذى سيأتى على السحاب فى مجيئه الثانى للدينونة والمجازاة ، وما يحدث عند الموت هو انطلاق الروح إلى مكان الانتظار لكن وقوف العبد جسداً وروحاً أمام السيد للحساب فلن يكون إلاَّ فى اليوم الأخير .

هـ- يقول الأب مكسيموس بأن كلمة " يفصله " تدل على الاستبعاد وليس النهاية .. ونحن نقول له ماذا تنتظر بعد فصل الإنسان الشرير عن الله الصالح إلاَّ إلقائه فى نار جهنم ؟! ، وعندما يستبعد الله إنساناً من أمام وجهه ألا تكون هذه أبشع

نهاية لذاك الإنسان ؟! أم يظن أحد أنه بعد أن يفصله فى الدينونة الخاصة يكـون هناك احتمالاً أن يعيده فى الدينونة العامة ؟! ، وهل يظن أحد أن الدينونة هـى برلمان أو مجلس شعب أو كونجرس يفصل أحد أعضاءه لفساد سيرته ويُعيّـون بديلاً له ؟! .. كلا .. كلا .. فإن من سيُفصَل هو هالك هالك فى نار جهنم

و- القول بأن العبد الشرير ضرب رفقائه وأكل وشرب مع السكيرين وأن الأموات لا يأتون هذه الاعمال فهذا قول حق ، وهذه الاعمال الجسديَّة التى مارسـها العبـد الشرير ويسببها وُصِف أنه شرير قد مارسها بالجسد على الأرض وليـس بعـد انتقاله من هذا العالم ، وسيدان عليها فى اليوم الأخير .

[٨] يُدلّل الأخوة الكاثوليك على الدينونة الخاصة من مثل الكرمة والأغصان (يـو١٥: ١-٦)

فيقول الأب مكسيموس كابس :

١-هذا النص يتكلم عن الخلاص الذى لا يتم إلاّ بالإتحاد مع المسيح الذى هو الكرمة الحقيقية .

٢ - يُثبِت النص أن جميع المسيحيين هم أعضاء لهذه الكرمة الحقيقية وقد آمنـوا بالمسيح ولكن أعمالهم تختلف .

٣- الغصن الذى لا يأتى بثمر يقطع حالاً فيجف ويُلقىَ فى النار ولا ينتظـر لنهايـة العالم فى الدينونة العامة .

٤- دليلنا على ذلك أن العضو الذى يجف ويُلقىَ فى النار ليحترق هو مفصول مـن الكرمة التى لا يزال لها أغصان حية وتثمر أثماراً صالحة ولا ينتظر فصله حتـى تقتلع الكرمة بأكملها .

٥- الاستنتاج الطبيعي والمنطقي من هذا المثل أنه لا يمكن قطع غصن والقاؤه فـى النار إلاّ بعد حكم ، والحكم هو الدينونة الخاصة .

٦- من المعلوم لدى كل الأديان أن الإنسان بعد موته لا يستطيع أن يثمر أو يـأتى بأعمال خلاصية . وهذا يثبت أن الذين يستمرون ثابتين فى الكرمة هم أحياء فى هذا الجسد ولم يغادروا العالم "[٣٥٠]

[٣٥٠] إيماننا القويم جـ٢ لماذا نؤمن بالمطهر صـ٢٤، ٢٥ .

توضيح :

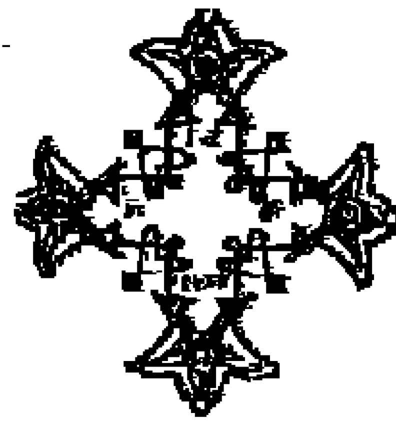
أ- بالنسبة للنقطتين الأولى والثانية : نحن نتفق تماماً مع الأخوة الكاثوليك فيهما .

ب- بالنسبة للنقطة الثالثة : الغصن الذى لا يأتى بثمر يجف وهو فى هــذه الحيــاة فيصبح غصناً يابساً ، وينتقل من هذا العالم هكذا وبذلك لن يكون له مكاناً إلاَّ فى النار الأبدية ، ولكن هذا لن يتم إلاَّ بعد القيامة والدينونة العامة حيـــث تلبـس الأرواح أجسادها ويقف كل بشر جسداً وروحاً ليعطى حساباً عما جنته يداه .

حـ- بالنسبة للنقطة الرابعة : فإن هذا المثل يتحدث عن مرحلتيـــن بوضـوح تــام الأولى " إن كان أحد لا يثبت فيَّ يُطرَح خارجاً كالغصن فيجف " وهذه المرحلـــة تتم فى الحياة الأرضية . أما المرحلة الثانية فيجمعونه ويطرحونه فـــى النــار ليحرق " فإنها تتم فى اليوم الأخير ، وهذا واضح أيضاً فى تفسير مثل الــزوان فكما يجمع الزوان ويحرق بالنار هكذا يكون فى انقضاء هذا العالم (وليس عقب موت كل (إنسان) يرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعـاثر وفاعلي الآثم ويطرحونهم في أتون النار " (مت١٣: ٤٠) وليتأمل القــارئ فـى كلمة " فيجمعونه " فى مثل الكرمة والأغصان مع كلمة " فيجمعون " فـــى مثـل الزوان . وقول الرب يسوع أيضاً " فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الأربعة الرياح .. " (مت٢٤: ٣١) .

د- من الطبيعى أن الغصن لن يتم ألقاءه فى النار إلاَّ بعد صدور الحكم عليه وهذا ما نتفق فيه مع الأخوة الكاثوليك ولكننا نختلف معهم فى ما هو الوقت الذى يصـــدر فيه الحكم ؟ وبحسب آيات الإنجيل الواضحة تماماً نقول أنه لن يصدر الحكـــم إلاَّ عقب المجئ الثاني .

هـ- الذين انتقلوا إلى عالم الأرواح فقدوا القدرة على عمـــل الصـــلاح أو الشـــر ، وفقدوا القدرة على عمل أثمار تليق بالتوبة ، أما نحن الأحياء على الأرض فـــإن الفرصة مازالت سانحة أمامنا ، وهذا ما يوضحه مثل الكرمة أن هناك أغصـــان تجف وتنتقل من هذا العالم وهذه سيحكم عليها بالنار الأبدية فى اليوم الأخير .



خامساً : مشاكل ضد المطهر

ومن المشاكل التى تقف عائقاً ضد عقيدة المطهر نذكر ما يلي :

[١] عقيدة المطهر ضد الكفارة والفداء :

يقول الأخوة الكاثوليك أن الإنسان يُكفّر عن نتائج خطاياه من خلال عذابات نيران المطهر ، فرَّد عليم قداسة البابا شنودة الثالث قائلاً " الكفارة هى عمل السيد المسيح وحده . وهو وحده الذى وفىَ كل مطالب العدل الإلهى . ولو كان الإنسان يستطيع أن يكفر عن خطاياه أو يوفي مطالب العدل الإلهي ما كان هناك ضرورة أن الإبن يخلى ذاته ويأخذ شكل العبد ، ويتجسد ويُصلَب ويتألم ويموت .. !! أساس عقيدة الكفارة والفداء أن الإنسان عاجز كل العجز عن إيفاء مطالب العدل الإلهي .. مهما فعل ومهما عوقب ومهما نال من عذاب . { يسوع المسيح البار هو كفارة لخطايانا ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم } (١يو٢: ١،٢) ، { .. وأرسل ابنه كفارة عن خطايانا } (١يو٤: ١٠) { متبرّرين مجاناً بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح الذى قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه..} (رو٣: ٢٤،٢٥) .. ، " لك ينبغى التسبيح يالله . معاصينا أنت تكفر عنها " (مز٦٥: ١،٣) .

نعم أنت وليس نحن . لأن الجزاء غير المحدود للخطايا لا يستطع مطلقاً أن يوفيه الإنسان المحدود .. { كلنا كغنم ضللنا . ملنا كل واحد إلى طريقه والرب وضع عليه آثم جميعنا } (اش٥٣: ٦) لاحظ عبارة { إثم جميعنا } فما دام قد حَمِل آثام الكل ، فما معنى العقوبة فى المطهر ؟ أليس هو الذى حمل العقوبة ، كل العقوبة عنا . ودفع الثمن كل الثمن عنا " وهو مجروح لأجل معاصينا . مسحوق لأجل آثامنا } (اش٥٣: ٥) نحن عاجزون عاجزون عاجزون عن إيفاء العدل الإلهي ، وسنظل عاجزين إلى أبد الأبدين " [٣٥١]

وعلّق الأب مكسيموس كابس على رد قداسة البابا شنودة فقال " العجيب فى البابا شنودة أنه يتخذ لنفسه مبدأ خاطئاً ويعتبره مُسلَم به ويبنى عليه نظريته ، ولا يعلم أن المبنى على الباطل هو باطل .. نقول أن للخطية شقان هما الذنب ونتائج الذنب . أما عن الذنب فنحن متفقون مع قداسة البابا شنودة أن الذى يكفر عن الذنب هو السيد المسيح وكما يقول أيضاً أن التكفير يلزم أن يكون بالدم .. وأما عن نتائج الذنب فنقول

---

[٣٥١] لماذا نرفض المطهر ؟ صـ٢٢، ٢٣ .

أن السيد المسيح لم يكفّر عن نتائج الذنب ، ولكن كل واحد عليه أن يتحمل نتيجة خطيئته .. وأبرز دليل على ذلك هو أن نتائج خطية أبونا آدم لم يكفّر عنها السيد المسيح ، فالموت هو نتيجة الخطيئة ما زال يعمل فينا حتى اليوم ، والألم والمرض وغير ذلك مما يصيب الإنسان نتيجة الخطيئة الأصلية التى كفّر عنها السيد المسيح مازالت تعمل فى العالم وتزداد يوماً بعد يوم ، وكون الإنسان يأكل خبزه بعرق جبينه أى بالكد والجهد والشقاء مازال باقياً حتى اليوم ، والجهل والفقر والحاجة إلى كل شئ مازالت مسلوبة حتى الآن . فهل يمكن لقداسة البابا أن يقول لي إن كان السيد المسيح كفَّر عن القصاصات فلماذا نتائجها باقية إلى الآن ؟ .. إن كان السيد المسيح كفَّر عن نتائج الذنب أى رفع الذنب والقصاصات المفروضة على الذنب فلماذا لم يرفع الموت والجهاد ؟ .. وربما يعترض قداسة البابا شنودة قائلاً في هذه الحالة تكون كفارة السيد المسيح ناقصة فنجيبه حقاً أنها من هذه الوجهة ناقصة ، وهذا ما يقوله بولس الرسول { أنى أفرح الآن فى الآلام من أجلكم وأُتِم ما ينقص من شدائد المسيح فى جسمي لأجل جسده } (كو ١: ٢٤) .. ولابد أن نفهم أن قضية الفداء هى مشاركة بين الإنسان والسيد المسيح لأنه أخذ صورة الإنسان ليشارك الإنسان ويمثله فى الفداء ، فلا يصح أن يتخلى الإنسان عمن يمثله ويتركه بدون مشاركة .. أن التواكل وعدم تحمل الإنسان مسئولية ونتائج عمله هو ضد العدل الإلهي " [٣٥٢]

كما قال أيضاً " ما يؤمن به الكاثوليك ولا يؤمن به قداسة البابا شنودة أنه يخلط بين الكفارة عن الذنب الذى يطلق عليه خطيئة ، وبين الكفارة عن نتائج الذنب ، وقد قلت فى كتابى هذا أن السيد المسيح كفَّر عن الذنب وفتح لنا باب السماء الذى كان مغلقاً فى وجوهنا ولم يكن لأى إنسان مهما كان أن يفتحه .. ولكن السيد المسيح لم يكفَّر عن نتائج الخطيئة . فنتيجة الخطيئة هى الموت والألم والشقاء فى هذه الدنيا ومازالت باقية حتى بعد تكفير السيد المسيح عن خطايانا .. وأنى أسأل قداسته إن كان تم التكفير عن هذه فلماذا يموت البشر ؟ ولماذا تحبل وتلد النساء بالأحزان والأوجاع ؟ ..

ولو قلنا أن السيد المسيح كفَّر عن الذنب ونتائج الذنب فلماذا يخطأ البشر ؟ ولماذا نصنع صلوات ونقوم بأصوام حتى نتطهر من الخطيئة ؟ أن قداسة البابا شنودة يقول أن الصلوات والأصوام هى لكى تحثنا على الندامة والتوبة وأقول له أن الرهبان القديسين

---

[٣٥٢] إيماننا القويم جـ٢ لماذا نؤمن بالمطهر ؟ ص٤٤-٥٠

الذين لم يرتكبوا خطايا جسيمة كانت كل أيامهم صلوات وأصوام ، وكان يمكنهم بـــدون صلاة أو أصوام أن يحافظوا على أنفسهم من الخطيئة التى تهلكهم فى نار جهنم . وكــل الآيات التى أوردها قداسته فى هذا الباب نعلمها جيداً ونعمل بها لأن الكتاب دائماً يذكــر الخطيئة على أنها الذنب وليس نتائج الذنب " [٣٥٣]

توضيح :

أ- لو أن السيد المسيح كفَّر عن الذنب فقط ولم يكفر عن نتائج الذنب فــإن ذبيحــة الصليب تعتبر ناقصة وغير كاملة ، وحتى لو وافق الأخوة الكاثوليك على ذلــك فنحن لا نوافق عليه لأن السيد المسيح قال على الصليب " قد أكمــل " أى أكمــل الفداء بالكامل ، وخلصنا ليس إلى حد معين بل إلى التمام . أمــا قــول معلمنــا بولس الرسول " وأكمل نقائص شـدائد المســيح فــى جســمى " (كــو١: ٢٤) فلستسمح القارئ فى الإجابة عليها فى النقطة الخامسة.

أ- ما معنى " أجرة الخطية هى موت " (رو٦: ٣) ؟ معناها أن عقاب الخطية هــو الموت الروحي والأدبي والجسدي ، ولذلك مات المسيح عنــا ووفــىَ عقوبــة الخطيئة وخلصنا من الموت الروحي والأدبي ونزع عنا شوكة الموت الجســدي (رو٣: ٢٤،٢٥ – ايو٢:٢، ٤: ١٠) فالموت الجسدي فقــد قوتــه فلــم يعــد الشيطان يحمل روح الإنسان إلى سجن الجحيم إنمــا تحملــها الملائكــة إلــى الفردوس ، وإن كان الله أبقى لنا صورة الموت الجسدي فقط دون قوته فلكــى يذكّرنا دائما بالخطية الأولى ، ولكيما نشعر ونحس بقيمة الفداء ، ولكيما نسـعى لخلاص أنفسنا ، ولهذا سيظل الموت الجسدي سارياً على الإنسان حتى اكتمــال الأزمنة ومجئ السيد المسيح فى مجده ومجد أبيه،فأخر عدو يبطل هو الموت .. تصوَّر ياصديقى لو لم يكن هناك انتقال أين كانت تذهب الأعــداد الغفــيرة مــن البشر وكيف كان يحتمل عالمنا هذا كل الأجيال السابقة خلال ألفى عام والأجيــال القادمة حتى المجئ الثانى ؟!

وهكذا الولادة بالوجع تُذكّر المرأة بالخطيئة الأولى ، وأكل الخبز بعــرق الجبيــن يذكر الرجل أيضاً ... أنها مجرد علامات للذكرى .

حـ- الجهاد والعمل والألم والمرض .. كل هذه الأمور وإن كانت من نتائج الخطيئة

---

[٣٥٣] المرجع السابق صـ٨٤،٨٥.

وهى باقية للآن للتمييز بين الصالح والطالح ، فهى أمور مؤقته لخير الإنسان .. ولكيما يتذكي الإنسان بواسطتها أمام الله ، وإلغاء مثل هذه الأمور يعنى إنتهاء الحياة الأرضية وبداية الحياة الأخروية فى الملكوت ، وهذه لم تحن بعد .

د- يقول الأنبا اسطفانوس الثانى " أن لفظ { تُطهر } لا تعنى به الكنيسة الكاثوليكية أى تكمله لعمل الفداء والخلاص الذى أتمَّه المسيح مرة واحدة ، وهو الفداء الشامل الكامل ، وليست صلواتها إلاَّ توسلاً يمكن أن تنال من لدن الله مسح لكل آثار الخطايا ونتائجها بحيث تتجدد النفس تماماً على صورة الله ومثاله فى مجد شركة القديسين" [٣٥٤] فهوذا بطريرك الأقباط الكاثوليك يعلن أن الفداء كامل ولا يحتاج أى تكمله ، فالذبيحة كاملة تغفر الخطية وآثارها ونتائجها .

[٢] عقيدة المطهر ضد عقيدة الخلاص :

نقتطف بعض الفقرات مما كتبه قداسة البابا شنودة الثالث " دم المسيح هو المطهر الوحيد الذى نؤمن به بالمعنى اللاهوتى السليم .. { دم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية } (ايو ١: ١٧) وعبارة (كل خطية) عبارة شاملة ، تشمل كل أنواع الخطايا التى يذكرها أخوتنا الكاثوليك : الخطايا العارضة ، والخطايا المميتة ..الخطايا الطفيفة ، والخطايا الثقيلة .. { هو أمين وعادل ، حتى يغفر لنا خطايانا ، يطهرنا من كل آثم } (ايو ١: ٩) .. { إذ لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا } (أف ١: ٧) ولذلك إشترانا الرب بدمه الكريم ، ولذلك غنَّى أمامه الأربعة والعشرون كاهناً فى سفر الرؤيا ، وقالوا له { اشتريتنا لله بدمك . من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة } (رؤ٥: ٩،١٠) .

من أجل هذا نحب الصليب ، الذى عليه دفع ثمن خطايانا . أما وجود المطهر فهو إهانة لعمل الصليب . لذلك عجبت لأناس يُكرِمون الصليب ويؤمنون بالمطهر ..

لاشك أن الذين ينادون بالمطهر وبمفهوم وفاء الإنسان للعدل الإلهى إنما يقدمون للأسف عقيدة جديدة ، وهى المناداة بالخلاص الجزئى ! كما لو كان الخلاص الذى جاء به المسيح هو فقط خلاص من وصمة الخطيئة ، وليس خلاصاً من عقوبة الخطية !! .. خلاصاً من الخطايا التى قام التائب بوفاء قصاصها ، وليس خلاصاً من الخطايا التى لم يكمل القصاص عنها !! .. { فمن ثم يقدر أن يُخلِص إلى التمام الذين يتقدمون به إلى

[٣٥٤] مجلة الصلاح -عدد ابريل سنة ١٩٩١م .

الله } (عب٧: ٢٥) { يُخلِص إلى التمام } .. أى أنه خلاص تام كامل ، ليست فيه على الإنسان بقية من قصاص .. لقد دفع السيد المسيح الثمن كاملاً للعدل الإلهي وشهد على الصليب قائلاً { قد أُكمِل } (يو١٩: ٣٠) .. إذن ليس هناك نقص نكمله نحن فى وفاء العدل الإلهي .. أن المطهر وعذاباته إهانة صريحة لكمال كفارة المسيح !!! وكأن (المُعذَّبين فى المطهر) يصرخون إلى السيد المسيح قائلين : أين خلاصك وها نحن نتعذب ؟! أين الثمن الذى دفعته عنا وها نحن ندفع الثمن ؟!

أن المطهر هو تناقض صريح مع بشرى الخلاص المفرحة .. (لو١: ٩-١١) وكأنى بأخوتنا الكاثوليك يعاتبون هذا الملاك قائلين : ما هو هذا الفرح العظيم الذى تبشرنا به ؟! وكيف لا نخاف ونيران المطهر وعذاباته تهددنا ، كأن لا خلاص ولا مُخلِص ؟!! .. أما يقدر هذا الذى خلص المؤمنين من {البحيرة المتقدة بالنار والكبريت } أن يخلص أيضاً من هذا المدعو (المطهر) ؟! أما يقدر هذا الذى خلص العالم كله من خطاياه أن يخلص أيضاً من هذه التى تُسمى خطايا عرضية ، ومن الخطايا الأخرى التى غُفرت ولم تستوفِ قصاصاً من الكنيسة .. ؟!

هل يعتقد أى أخ كاثوليكي أن المسيح قد خلَّصه ، بينما نار المطهر تتهدده حتى لو تاب ؟

وذلك لأن نار المطهر ، يدخلها الأبرار محبوا الله الذين لهم خطايا عرضية ، وخطايا مميتة قد غفرت بالتوبة ولكن لم تستوف قصاصها بعد . ولذلك يقول الأب لويس برسوم فى كتابه المطهر (ص٥) أن المطهر هو لحالة { هى الأغلبية الساحقة من البشر}.. وكما يقول كتاب التعليم المسيحى (الكاتشزم) الذى يتعلمه أولادنا فى المدارس الكاثوليكية تحت رقم ٤١٧ { أن النفس البارة ، بعد الدينونة الخاصة غالباً تدخل المطهر ، وهو عذاب أليم ، به تفى النفس ما تبقى عليها من عقاب زمنى } لاحظوا هنا أن الذى ينال العذاب الأليم هى النفس البارة ! " [٣٥٥]

ويقول الأنبا اسطفانوس الثاني أن عذاب المطهر للمختارين " تؤمن الكنيسة بأن هناك تطهيراً للمختارين يسبق المشاهدة الطوباوية لله " [٣٥٦]

أما الأب مكسيموس كابس فيعلق على أقوال قداسة البابا قائلاً " يقول قداسة البابا أن الكاثوليك بإعترافهم بالمطهر يعترفون بأن الخلاص جزئى وهذا ضد عقيدة الخلاص

---

[٣٥٥] لماذا نرفض المطهر ؟ لقداسة البابا شنودة الثالث صـ ٢٤-٢٨ .

[٣٥٦] مجلة الصلاح – عدد إبريل سنة ١٩٩١م .

. ونحن نسأله هل إعترافه بوجود مكان إضطراب وحزن وقلق وكآبة وعدم برودة كما يذكر فى صلوات الموتى ليس هو خلاص جزئى ؟ أنه كما يشبّه هؤلاء بمثل التلاميذ الذين جازوا الإمتحان وهم فى حالة قلق حتى تظهر النتيجة . فكيف يكون فى مفهومه الخلاص من القلق والحزن والكآبة والتنهد ؟ هل هو خلاص كامل أم خلاص جزئى .. لماذا لا يقول المتألمون فى هذا الدهر للسيد المسيح أين هو خلاصك الذى خلصتنا به مادامت الآلام والأحزان تلاحقنا ؟ ولماذا لا يقول المائتون للسيد المسيح أين خلاصك الذى خلصتنا به مادام الموت الذى هو نتيجة الخطيئة يعمل فينا ؟

فإن كان الأحياء لا يستطيعون قول مثل هذه السخافات فلا يمكن أن يقولها الذين فى المطهر لأنهم يعلمون أنهم مُخلَصون بدم السيد المسيح الذى سفك على الصليب ، وأنهم لابد أن يشاركوه آلامه حتى يستحقوا مشاركته فى مجده " [٢٥٧]

توضيح :

ويمكن تلخيص قول الأب مكسيموس كابس فى الآتى :

أ- أنه يرى قول الأرثوذكس بوجود إضطراب وحزن وقلق فى مكان الانتظار والصلاة من أجل راحة مثل هذه النفوس يعتبر إعتراف بعقيدة الخلاص الجزئى .

ب- لماذا لا يقول المتألمون فى هذا العالم أين خلاصك يارب ؟

حـ- الذين فى المطهر يشاركون المسيح آلامه لكيما يشاركوه أمجاده

والحقيقة أننا نعترف بأن بعض الأنفس من الممكن أن تعانى من بعض القلق والإضطراب فى حالة إنتظار الدينونة ، وأننا نتوسل لله أن يعلن رحمته لهذه الأنفس فتجد راحة ولا تجزع من العدل الإلهي ، ولكننا لا نؤمن بإنه بواسطة الحزن والقلق والإضطراب تخلص النفس من خطاياها كما يقول الأخوة الكاثوليك بخلاص النفس من خطاياها العرضية بنيران المطهر ، وبذلك فنحن لا نؤمن بعقيدة الخلاص الجزئى .

وهل يمكن مقارنة حالة القلق التى تنتاب بعض الأنفس التى تنتظر الدينونة بنيران المطهر الجهنمية ؟!

وهل يمكن مقارنة آلام الزمان الحاضر أو الموت الجسدي بعذابات المطهر الأليمة؟! ، وعندما قال معلمنا بولس الرسول " فإنى أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا " (رو٨: ١٨) لماذا لم يصارحنا ويشير للمطهر

---

[٢٥٧] إيماننا القويم جـ٢ لماذا نؤمن بالمطهر ؟ صـ٨٨،٨٩ .

فيكمل قوله " كما أحسب أن آلام المطهر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا " .. نحن نشارك المسيح آلامه وسط هذا العالم ولكن عندما نترك العالم نترك الآلام كقول الإنجيل " طوبى للأموات الذين يموتون فى الرب منذ الآن . نعم يقول الروح لكى يستريحوا من أتعابهم وأعمالهم تتبعهم " (رؤ١٤: ١٣) .

[٣] عقيدة المطهر ضد سر التوبة وسر الكهنوت والمغفرة :

فيما كتب قداسة البابا شنودة الثالث بخصوص هذه الجزئية نقتطف الفقرات الآتية " بالتوبة تمحى الخطية ويغفرها الله ، ولا يعود يذكرها ، ولا يُحاسِب الإنسان عليها ، بل يسامحه ويصفح عنه ويطهره من خطاياه ..

١- فمن جهة محو الخطية يقول الكتاب :

{ فتوبوا وارجعوا فتمحى خطاياكم } (أع٣: ١٩) .

{ قد محوت كغيم ذنوبك ، وكسحابة خطاياك } (اش٤٤: ٢٢) .

{ .. مسامحاً لكم بجميع خطاياكم .. } (كو٢: ١٤) .

{ أنا أنا هو الماحي ذنوبك لأجل نفسي ، وخطاياك لا أذكرها } (اش٣٤: ٢٥) .

٢- وهذه الخطايا التى محاها (الله) كيف يعود ويفرض عليها عقوبات وهى قد محيت وما عاد يذكرها ؟! ..

{ لأنى أصفح عن إثمهم ولا أذكر خطيتهم بعد } (ار٣١: ٣٤) ..

٣- وإن كان الله لا يعود يذكر الخطايا التى تاب عنها الإنسان ، فبالتالى لا يعاقب . لأن المعاقبة معناها أن الله لا يزال يذكر هذه الخطايا ولم يغفرها بعد .

٤- وهو لم يقل فقط أنه لم يذكرها ، بل أيضاً لا يحسبها على التائب .. طوبى للذى غُفِر إثمه وسترت خطيته . طوبى للإنسان الذى لا يحسب الرب له خطية " (مز٣٢: ١،٢) .. { غير حاسب لهم خطاياهم } (٢كو٥: ١٩)

٥- كيف إذن بعد هذه المصالحة ، يعود فيلقى التائبين فى عذابات المطهر ؟! وكيف يتفق هذا مع قول الكتاب { غير حاسب لهم خطاياهم } ؟! ، مادام الله قد غفر ، فإن الأمر يكون قد إنتهى ، ولا يحتاج الأمر إلى تطهير لأن الله يمزج الأمرين معاً إذ يقول { وأطهرهم من كل إثمهم الذى اخطأوا به إلىّ ، وأغفر كل ذنوبهم التى أخطأوا بها إلىّ } (ار٣٣: ٨) .

٦- هنا يكون التطهير من أعمال النعمة ، وليس من أعمال العقاب ويكون التطهير أثناء الحياة على الأرض ، وليس بعد الموت . يكون بعمل الروح القدس فى التغيير ، وليس بعذاب المطهر .. (اش١: ١٨) .. بل أن داود النبى يقول فى المزمور الخمسين { انضح عليَّ بزوفاك فأطهر وأغسلني فأبيض أكثر من الثلج } ، { إغسلنى كثيراً من إثمى ومن خطيئتى تطهرنى } (مز٥٠) وطبعا التطهير هنا على الأرض وليس بعد الموت فى المطهر .. (حز٣٦: ٢٥-٢٩) ..

٧- والتطهير لا يكون بعد الموت ، حيث لا حرب من الجسد ومن المادة ومن العالم ومن الشيطان ، إنما يكون هنا ، حيث توجد الحروب وينتصر الإنسان فيها بقوة الله . أن الفكرة التى يقدمها المطهر ليست عمنية تطهير ، إنما هى عملية عقاب ومجازاة ولذلك قيل فى هدفها أنها تكفير لا تطهير .. ولا أدرى كيف سُميت بالمطهر ؟ أى تطهير يوجد فى النار والعذابات والعقوبة ، التى قد تجعل القلب يتضايق ويتذمر كلما طالت المدة ، ويشك فى محبة الله . فبدلاً من أن يتطهر يزداد إثماً على إثم .

٨-. أن عذابات المطهر لا تتفق مع المغفرة ولا مع التحليل الذى يسمعه التائب من فم الكاهن .

٩- أن ضرورة بقاء العقوبة بعد الموت ، على الرغم من المغفرة ، أمر لا يتفق مع تعليم الكتاب . وأكبر توضيح لذلك قصة الإبن الضال .

١٠- أن صورة المطهر تذكرنا بالعهد القديم ، ولعنات الناموس .. وكأننا لم ننل بعد خلاص الرب ونعم الفداء . إنها تطالب بثمن الخطية ، كأنه لم يُدفع على الصليب وتجعل العقوبة لا تزال قائمة ، كأن الفداء لم يتم بعد . وتنسينا الصلح الذى تم بيننا وبين الله بكفارة إبنه ..

١١- أن عذاب المطهر لون من الدينونة ، ونحن بموت المسيح نجونا من الدينونة . وهوذا الكتاب يقول { لا شئ من الدينونة الآن على الذين فى المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح } (رو٨: ١)..

١٢- أن عقيدة المطهر ضد عقيدة الخلاص المجاني .. (رو٣: ٢٤) .

تبقى بعد ذلك العبارة التى تتكرر تقريباً فى كل الكتب التى نشرت عن المطهر ، وهى أنه نار لازمه للتطهير . لماذا ؟!

١٣- لأن السماء لا يمكن أن يدخلها شئ دنس أو نجس (رؤ٢١: ٢٧) هذا حق ، ولكن من قال أن التائب دنس أو نجس ؟! أنه بالتوبة أبيض من الثلج .. (حز٣٦: ٢٥،٢٩) .. التائبون سيدخلون السماء أطهاراً .. يغسلهم المسيح كما غسل أرجل تلاميذه ، وقال لهم : أنتم الآن أطهاراً .. (يو١٣: ١٠) .. هل المسيح على الصليب حمل خطايانا فقط أم حمل أيضاً عقوبتها ؟ .. وإن كانت المغفرة للخطايا فقط دون التنازل عن عقوبتها ، فالويل لنا جميعاً .. قد هلكنا !! والجميع إلى بحيرة النار والكبريت . وإن كانت المغفرة ترفع العقوبة فلا مطهر إذن .

١٤- يا إخوتى نادوا بالرحمة ، لا بعذابات مطهرية .. هل الخطايا التى يتعذب الناس بسببها فى المطهر حملها المسيح أم لم يحملها ؟ مات عنها أم لم يمت ، دفع ثمنها أم لم يدفع ؟ إن كان المسيح قد دفع ثمنها فلا لزوم للمطهر.. وإن كان المسيح لم يدفع ثمنها ، فلا تكفى لغفرانها نار المطهر ، ونار الأبدية كلها .

١٥- إن الذين ينادون بضرورة وفاء الإنسان للعدل الإلهي ، نضع أمامهم قصة السيد الرب فى لقائه مع سمعان الفريسي والمرأة الخاطئة التائبة ، وقوله فى مثال المدينين { وإذ لم يكن لهما ما يوفيان سامحهما جميعاً } (لو ٧: ٤٢) " [٣٥٨]

ثم علق الأب مكسيموس كابس على هذه الأقوال المملوءة بالبساطة والحكمة وهو يُجهد نفسه لكيما يبحث عن ثغرة فيها فعلق على نقاط قليلة ، ولم يُرد بالتسلسل على النقاط الخامسة عشر التى أوردها قداسة البابا ، فيقول الأب مكسيموس " ويستشهد قداسة البابا بمثل الابن الضال ويقول عنه أنه بعد توبته لم يبكته أبوه بل وجد كل ترحيب .. ونسي البابا شنودة أن هذا الابن ضاع منه الميراث فلم يرجع إليه لأنه بذر أمواله التى أخذها من أبيه بدليل قول الأب للابن الأكبر { كل ما لي هو لك } (لو ١٥: ٣١) ..

ونحن نؤمن مع قداسة البابا شنودة أن الرب يغفر الذنوب ولا يعود يذكرها ، ولكن هل قال الكتاب أنه يغفر العقاب ، أريد أن يذكر لي البابا شنودة آية واحدة فى الكتاب المقدس بعهديه القديم والحديث تذكر أن الله يرفع العقاب عن الإنسان الخاطئ ؟ كل ما يذكره الكتاب أنه يغفر له خطيئته ، وهناك فرق واضح بين الخطيئة والقصاص المترتب عليها . أن الله شهد عن داود النبى قائلاً { لم أجد قلباً مثل داود عبدى } ومع ذلك

---

[٣٥٨] لماذا نرفض المطهر ؟ لقداسة البابا شنودة الثالث ص٢٩-٣٥ .

فرض عليه عقوبات شديدة كان يعانى منها طيلة حياته ..

وأن الكنيسة الأرثوذكسية تعترف فى طقوسها إذ تقول فى صلاة الجناز على الأموات من الرجال الكبار هذه العبارات { وإن كان صنع شيئاً من الخطايا إليك مثل سائر البشر أغفر له وسامحه ، ولتزل عنه سائر عقوباته } ، وقداسة البابا شنودة يقول أنه بنوال الحل زالت عنه وصمة الخطية وسائر العقوبات ، فلماذا يصلى إذن على الميت بعد وفاته ويطلب من الرب أن يرفع عنه سائر عقوباته . أن الذين وضعوا طقوس الكنيسة الأرثوذكسية إيمانهم قويم ولذلك ترفع الكنيسة عنهم الصلوات والطلبات وتقدم القداسات وتعمل الذكرى السنوية حتى يرحم الرب هذه النفوس ويرفع عنها سائر العقوبات . فلماذا الآن ينكر قداسته هذه العقيدة الأرثوذكسية القويمة ويعلم بتعاليم البروتستانتية التى تنكر كل الطقوس وكل الصلوات من أجل الراقدين " [359]

توضيح :

ماهو ميراث الأبن الضال الذى بدَّده ؟ لقد بدَّد الابن الضال وقته وجهده ومواهبه وصار فى شقاء وتعب وجوع وعرى ، ولكن أهم شئ فى الميراث وهو بنوته للأب لم يفقدها . أنه إبن بل وإبن محبوب ، وبالتوبة فرحت به الملائكة وعادت إليه كافة حقوقه وسلطاته . لو عاد الأبن وعمل كأجير فى بيت الأب لحق القول بأنه فقد ميراثه ، وما أجمل تعليق القديس يوحنا فم الذهب على عودة الأبن الضال عندما قال " كان رقص وطرب واحتفال وكان البيت باشاً ومبتهجاً فماذا نقول إذن أهذه هى مجازاة الشر ؟ أن هذه المكافأة أيها الإنسان ليست جزاءاً للشر بل هى مكافأة للرجعة وليست للخطيئة بل للتحول .. عندما يطلب (الله) تخليص الهالك لا وقت للمحاكمات ولا للفحص المدقق وإنما الوقت وقت التعطف والصفح فقط " [360]

وليس الأبن الضال فقط بل قل لي عندما تاب أهل نينوى هل تعرضوا لعقاب ما على خطاياهم التى كادت تقلب مدينتهم ؟! .. والمرأة التى أُمسكت فى ذات الفعل أين العقوبة التى أخذتها ؟ هل عندما صرفها الرب يسوع بسلام وأوصاها أن لا تعود تخطئ ثانية تُعتبر هذه عقوبة لها ؟! ألم يقل السيد المسيح للخاطئة وسمعان أنه سامحهما كليهما لأن ليس لهما ما يوفيانه ، فهل بعد أن سامحهما يرسلهما إلى نيران المطهر

---

[359] إيماننا القويم جـ٢ لماذا نؤمن بالمطهر ؟ صـ ٩٠-٩١ .

[360] تنوير الأذهان بالبرهان إلى ما فى عقائد الكنيسة الغربية من الزيغان صـ ٢٦٠ .

الجهنمية ؟! .. وبطرس الرسول الذى أنكر المسيح وسبَّ وشتم ولعن الإسم المبارك ماهى العقوبة التى تحملها ؟ هل جرَّدهُ الله من رتبة الرسولية ؟! .. صدقونى لو كان الله يحملنا عقاب خطايانا فإن تجريد بطرس من رتبته الرسولية ما كان يكفى كعقوبة على ما فعله ، ولكن توبة معلمنا بطرس ، وحمْل ابن الله لخطية بطرس بجميع جوانبها يمنحنا رجاء فى حياة أخروية سعيدة بعيدة عن عذابات المطهر ونيرانه .

وهل يذكر لي أحد الأخوة الكاثوليك الآيات التى تدل على أن الله يقسم الخطية قسمين فهو يحمل وصمتها ونحن نحمل عقوبتها ، ياأخى .. أليست الخطية غير محدودة وعقابها غير محدود أيضاً ، فكيف يحمل الإنسان المحدود عقاب غير محدود ؟!

أما خطية داود وعقاب الله له فهى مثل خطية سليمان وعقاب الله له بشق المملكة ، وخطية موسى وعقاب الله له بمنعه من دخول أرض الموعد ، وجميع هذه العقوبات وأمثالها هى عقوبات أرضية لا غير ، وواحد من هؤلاء لم يذكر لنا الكتاب أو أشار ولو من بعيد أنه تعرض لنيران المطهر ، ولا يوجد مثل واحد فى الكتاب المقدس كله لإنسان خاطئ تاب وعاقبه الله بعد موته . بل أن قصاص الله لداود هو علامة محبة الأب لإبنه " لأن الذى يحبه الرب يؤدبهِ ويجلد كل إبن يقبله " (عب١٢: ٥) وقال داود النبى " تأديباً أدبنى الرب وإلى الموت لم يسلمنى " (مز١١٨: ١٨) .

وعن صلوات الكنيسة على الراقدين من الرجال الكبار وقولها " لتزل عنه سائر عقوباته " نقول أن الإنسان ينال الحل من خطاياه متى تاب عنها واعترف بها وتناول من الأسرار المقدسة ، فبالتوبة يستحق الإنسان المغفرة ، وبالاعتراف ينال إمكانية المغفرة ، وبالتناول يحصل على كمال المغفرة ، ولماذا تصلى الكنيسة على المنتقل ليسامحه الرب ويزيل عنه سائر عقوباته ؟ لأنه مرَّ وقت من إعترافه الأخير إلى وفاته قد يكون أخطأ فيها ولو بالفكر ، فمن أجل مغفرة هذه الخطايا تصلى الكنيسة عليه وتقرأ له الحل .

وأخيراً نقول للكاتب : لماذا التجنّي على قداسة البابا شنودة الثالث والاتهام الصارخ الموجه ضده بأنه يعلم بتعاليم بروتستانتية ؟ هل رأيته يقود المجمع المقدس إلى قرار بإلغاء الصلاة على المنتقلين ، أو إلى إنكار شفاعة القديسين أو .. ؟!

وإن كنتَ أيها الأب المكرَّم تعترف بأن إيمان آباء الكنيسة الأرثوذكسية قويم .. فلماذا تخالفونهم هذا الإيمان القويم وتختلفون معهم فى عقائد كثيرة ؟!

[٤] عقيدة المطهر ضد العدل والرحمة :

وفيما كتب قداسة البابا شنودة الثالث تحت هذا البند نذكر العبارات الآتية " المطهر ضد عدل الله :

١- العدل الإلهي أستوفى حقه تماماً على الصليب ... وذلك حينما صاح الابن المصلوب قائلاً { قد أكمل } (يو١٩: ١٠) .. حينما قدم كفارة غير محدودة تكفى لمغفرة خطايا العالم كله .. ما مدى كفاية كفارة المسيح ؟ هل كان فيها نقص فى إيفاء العدل الإلهي حتى يكملها الإنسان بعذاب من المطهر ؟!!

٢- هل يوافق العدل الإلهي أن يستوفي حقه عن الخطيئة مرتين ؟! ..

٣- ماهو هذا الثمن الذى يطالب به العدل الإلهى ؟ ومن الذى قرَّره ؟ أنى لا أجد له إشارة فى الكتاب إطلاقاً ..! أخوتنا الكاثوليك يتحدثون عن خطايا قد غفرت ، ولم تستوف قصاصها بعد .. فما هو هذا القصاص ؟ ومن الذى وضعه؟ ومن قال أن الله يطالب بقصاص بعد المغفرة ؟! أم هى قصاصات وضعتها الكنيسة ؟ ومات التائب قبل أن يوفيها ؟! فتفترض الكنيسة وجود مطهر توفى فيه هذه القصاصات .. إن كانت القصاصات صادرة من الكنسية ، وأنها لكذلك .. فالكنيسة التى لها سلطان من الرب ، لها فى نفس الوقت سلطان الحل (مت١٨:١٨) ..

٤- فهل من العدل المطالبة بثمن خطيئة قد محيت ؟ .. قلنا أن الكنيسة هى التى قرَّرت تلك العقوبات ، وهى تستطيع أن ترفعها .. حسبما ورد فى قوانين الكنيسة ، كل العقوبات الكنسية تنتهى عند الموت ، أو عند الإشراف على الموت ، ولا توجد عقوبة كنسية بعد الموت !! ..

٥- هل من العدل الألهي أن تستمر العقوبة بعد المغفرة ، إلى ما بعد الموت ؟! .. هاتوا لي مثلاً واحداً من الكتاب المقدس عن شخص بار تعذّب بعد الموت لكى يتطهر من خطايا .. مثلاً واحداً لا غير ..

٦- هل من العدل الإلهي أن تُعاقَب الروح دون الجسد ؟! بينما قد يكون الجسد وأكثر خطأً واكثر مسئولية ، أو قد يكون هو الذى أصدر الروح من مستواها بسبب شهواته .. لأن الجسد يشتهى ضد الروح والروح ضد الجسد . وهذان يقاوم إحدهما الآخر (غل ٥: ١٦،١٧) فهل من العدل أن الروح التى كانت تقاوم الجسد

فى شهواته ، هى التى تذهب وحدها إلى عذابات المطهر بعد الموت ، ولا يتعذب الجسد لا حسيّاً ولا معنوياً ؟! أم أن العدل يقتضى أن الجسد والروح اللذان اشتركا معاً فى غالبية الخطايا هما يعاقبان معاً ، أو يتطهران معاً أى أنه إذا كانت هناك عقوبة تكون للإثنين معاً بعد القيامة ..

٧- هل من العدل الإلهي أن يُعاقَب على السهوات والهفوات ، وخطايا الجهل والخطايا غير الإرادية ، وباقي (الخطايا العرضية) بعذابات فى المطهر تشبه عذابات جهنم ؟! .. هل من العدل أن يعاقب الله طبيعتنا البشرية الضعيفة بهذه المعاملة حتى فى عصر النعمة ؟! ..

لو كان المطهر بديلاً للقصاصات الكنسية التى لم توفى لا يكون هذا عدلاً . لأن عذابات المطهر اقسي بكثير من العقوبات الكنسية ..

هل هذا عدل ؟ أن يكابد التائب البار عقوبة مرعبة ، بدلاً من عقوبة كنسية علاجية محتملة ؟ " [٣٦١]

ومع هذه الأدلة البسيطة الحكيمة المقنعة تماماً يعلق الأب مكسيموس كابس قائلاً " يستشهد قداسة البابا شنودة الثالث بهذه الآية التى نطق بها السيد المسيح وهو على الصليب قائلاً { قد أكمل } (يو١٩: ٣٠) دلالة على أنه وفىَ العدل الإلهي عن جميع الخطايا وعقوباتها . ولكن نُذكِره أنه لم يذكر الكتاب أنه أكمل كل شئ من الذنب والقصاص ، وليذكر لي قداسته آية واحدة تبين أن المسيح كفَّر عن القصاصات .

وعلى عكس ذلك توجد آية تدل على أن آلام المسيح ناقصة ، وأقول ناقصة ليس من حيث الوفاء عن الذنب ولكن ناقصة من حيث الوفاء عن القصاص .. { وأُتِم ما ينقص من شدائد المسيح فى جسمي } (كو١: ٢٤) .. ويقول قداسة البابا شنودة : هل يوافق العدل الإلهي أن يستوفي حقه عن الخطيئة مرتين ؟ ونجيبه أن ذلك ليس من العدل إذا كان السيد المسيح وفى العدل الإلهي عن نتائج الخطيئة أى القصاصات المترتبة على الخطيئة ، ولكن كما قلنا مراراً سابقاً أن المسيح لم يُكفِّر عن نتائج الخطيئة ، وبالتالى لابد أن يستوفى العدل الإلهي عنها " [٣٦٢]

---

[٣٦١] لماذا نرفض المطهر ؟ لقداسة البابا شنودة الثالث صـ٣٦-٤٠ .

[٣٦٢] إيماننا القويم جـ٢ لماذا نؤمن بالمطهر ؟ صـ٩٣،٩٤ .

توضيح :

أن ذبيحة السيد المسيح على الصليب كاملة من جميع الأوجه ، وليس من المعقول أن رب المجد يسوع الكامل فى كل شئ يقدم نفسه ذبيحة ناقصة فى شئ ما .. تُرى هل كل ما جاز فيه الأبن المصلوب من آلام تعجز عن إيفاء عقوبة خطايانا ؟! وإن كان الوضع هكذا كما يقولون فلماذا يقول معلمنا بولس الرسول " فمن ثَمَ يقدر أن يخلص إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله " (عب٧: ٢٥) ، ولماذا لم يُصرِح بأن رب المجد قادر أن يرفع وصمة الخطيئة عن الخاطئ وكأنه عاجز عن حمل عقوبة الخطيئة ؟!

أما عن الآية التى يثبت بها الأب مكسيموس أن آلام المسيح ناقصة " وأتِم ما ينقص من شدائد المسيح فى جسمي " (كو١: ٢٤) فنقول أن السيد المسيح جاز فى نوعين من الآلام :

أ- الآلام الكفارية : وقد تحملها لوحده بالكامل " دُست المعصرة وحدي ومن الشعوب لم يكن معي أحد " (اش٦٣: ٣) حمل خطايانا وحمل عقاب خطايانا " ولكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها " (اش٥٤: ٤) ومن المعروف أن الأحزان والأوجاع هى من نتائج أو من عقوبات الخطية .

ب- آلامه كرأس للجسد (الكنيسة) : فالآلام التى يتعرض لها أعضاء المسيح محسوسة لدى الرأس (المسيح) ولهذا قال الرب يسوع لشاول " شاول شاول لماذا تضطهدنى ؟ " مع أن شاول لم يضطهد المسيح كشخص ولكنه اضطهد المؤمنين بإسمه . إذاً فالإضطهادات الموجهة للأعضاء هى آلام السيد المسيح ذاته ، وهذه الآلام لكل عضو نصيب فيها ، فلو تخلى بولس الرسول عن نصيبه من هذه الآلام الناتجة عن الكرازة والسعي لخلاص الآخرين وهى ليست قليلة لصارت آلام المسيح كرأس للجسد ناقصة بمقدار هذه الآلام ، وبالعكس فإن راحة الأعضاء هى راحة الرأس أيضاً ، ولذلك فمن يطعم الجائع يطعم السيد المسيح . ومن يسقى العطشان يسقي الرب يسوع ، ومن يكسو العريان يكسو المصلوب (مت٢٥: ٣٤-٤٠) .

ثم يقول الأب مكسيموس كابس " يقول البابا شنودة : هاتوا لي مثلاً واحداً من الكتاب عن شخص بار تعذب بعد الموت لكى يتطهر من خطايا .. وأنا أقول له : هات لي مثلاً واحداً من الكتاب المقدس فى عهديه يقول أن أحد الراقدين صار قديساً حتى نعلن اسمه فى

صلواتنا ونضع صورته فى كنائسنا . ما هذا الذى تطلبه يا قداسة البابا ؟! "[٣٦٣]

توضيح :

وما رأيك فى القديسين الذى يجرى الله بإسمهم وبعد إنتقالهم الآيات والمعجـــزات العجيبة والتى نلمسها كثيراً فى كنيستنا الأرثوذكسية بينما يفتقـــر إليـــها الآخـــرون ؟! ومارأيك فى القديسة الطاهرة مريم العذراء التى نعظمها جميعاً ، وقلتم أنتم أنها ولـــدت من أبويها بدون الخطية الجدية ، وأنها شاركت المسيح فى سر الفـــداء ، وكـــل النعـــم والبركات لا نحصل عليها من الله إلاَّ بواسطتها ؟! ..مثل هؤلاء القديسون الذين اعترفت الكنيسة بقداستهم ألاَّ تعترف بهم لأن الكتاب لم يذكر أسماءهم على أنهم قديسون ؟!

وأيضاً يقول الأب مكسيموس كابس " يقول قداسته (قداسة البابا شنودة) هل مـــن العدل الإلهي أن يُعاقب على السهوات والهفوات وخطايا الجهل والخطايا غير الإراديـــة وباقى الخطايا العرضية بعذابات المطهر ؟ ونجاوب عليه بهذه الآية " وأما ذلـــك العبـــد الذى عَلِم إرادة سيده ولا يستعد ولا يفعل بحسب إرادته يضرب كثيراً ، ولكـــن الـــذى لا يعلم ويفعل ما يستحق ضربات يضرب قليلاً " (لـــو٢: ٤٧،٤٨) فـــهل نعـــارض الســـيد المسيح ونقول لماذا يُضرب هذا العبد رغم أنه يجهل إرادة ســـيده أو بطريقـــة أخـــرى إرتكب الخطيئة عن جهل أو سهو "[٣٦٤]

توضيح :

المقصود بالآية المذكورة (لو١٢: ٤٧،٤٨) هى العقوبة فى النار الأبدية وليســـت فى المطهر ، وأيضاً العبد الجاهل يُضرَب لأنه لم يسعَ إلى المعرفة ، ويقول البابا كيرلس عمود الدين " لماذا يتحمل ضربات ولو قليلة من لا يعلم إرادة سيده ولا يفعلها ؟ لأنه لـــم يرد أن يعرفها مع أنه فى قدرته أن يعرفها "[٣٦٥]

كما يصرح القديس أغسطينوس بأن هذه الضربات ســـتكون فـــى النـــار الأبديـــة (وليست فى نيران المطهر الزمنية) فيقول " أنظر كيف يكشف بوضوح أنه لأمر خطـــير أن يخطئ إنسان بمعرفة من أن يخطئ بجهل ، ومع هذا فليست لنا أن نحتمـــى تحـــت ظلال الجهل لأنه يوجد فارق بين أن تكون جاهلاً وأن تكون غير راغب فى المعرفـــة ..

---

[٣٦٣] المرجع السابق صـــ٩٤-٩٥ .

[٣٦٤] المرجع السابق صـــ٩٥ .

[٣٦٥] تفسير إنجيل لوقا للقمص تادرس يعقوب صـــ٣٨١ .

ومع هذا الجهل لا يبرّر أحداً أو يعفيه من عقاب النار الأبدية .. وإنما ربما يخفف عنه العقوبة " [٣٦٦]

كما يقول الأب مكسيموس كابس " يقول قداسته (قداسة البابا شنودة) لو كان المطهر بدلاً للقصاصات الكنسية التى لم توفَى ، لا يكون هذا عدلاً لأن عذابات المطهر أقسي بكثير من العقوبات الكنسية . فنجيب أن هذه القصاصات ليست بديلاً عن القصاصات الكنسية ، وإنما القصاصات الكنسية تساعد فقط على زوال العذابات المطهرية أو تخفيضها أو قصر مدتها التى لا يعلمها أحد إلاَّ الله وحده " [٣٦٧]

توضيح :

تصريح الأب مكسيموس كابس بأن القصاصات المطهرية ليست بديلاً عن القصاصات الكنسية ، وإنما القصاصات الكنسية تساعد فقط على زوال العذابات المطهرية أو تخفيضها أو قصر مدتها يعتبر تصريح خطير ، لأن الاعتقاد الكاثوليكى السائد أن الذى يموت ولم يوفَ عقاب خطاياه عن طريق القصاصات الكنسية فإنه يستكمل إيفاء العقوبة فى المطهر (راجع أولاً من هذ الفصل : ماهو المطهر ؟)

والقول بأن القصاصات المطهرية ليست بديلاً للقصاصات الكنسية يجعل الأصل والأساس والثابت والمؤكد أن كل إنسان يجب أن يفى عقوبة المطهر . أى أن المطهر مفروض مفروض على كل إنسان لأنه لا يوجد إنسان بلا خطية قط ، وبذلك يُحكم على الجميع وليس الأغلبية الساحقة بالزج فى نيران المطهر الجهنمية ، وتصبح القصاصات الكنسية ليست الأصل بل البديل الذى ربما يخفض عقوبة المطهر . إذاً عقوبة الخطية هى نيران المطهر وليست القصاصات الكنسية .

[٥] المطهر ضد وعود الله :

بينما كتب قداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث تحت هذا البند نقتطف العبارات الآتية : " أنظروا وعود الله فى (أع٣: ١٩) (اش١: ١٨) (اش٤٤: ٢٢) (اش٤٣: ٢٥) (مز٣٢: ١،٢) (ار٣١: ٣٤) (ار٣٣: ٨) .. { أن إعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل ، حتى يغفر لنا خطايانا ، ويطهرنا من كل إثم } (١يو١: ٩) .. وعود الله أمينة لا رجعة

[٣٦٦] المرجع السابق صـ ٣٨١ .

[٣٦٧] إيماننا القويم جـ٢ لماذا نؤمن بالمطهر ؟ صـ١٦ .

فيها : فإن تاب إنسان وغفر له الله ، لا يعود يعيره بخطاياه ، أو يعاقبه عليها ، أو يقول له : باقٍ عليك حساب يجب أن توفيه . بل يقول { لا يحسب له الرب خطية } (مز ٣٢: ٢) ، والذى غسله الله من خطاياه .. هذا لم تعد عليه خطية بعد ، بل صار أبيض من الثلج (مز ٥٠) وهنا يبدو جمال التوبة وجمال المغفرة .

أما المطهر فهو ضد وعود الله ، وهو صورة قاتمة عن المغفرة ، وعن محبة الله ورحمته وصدق مواعيده . أيضاً الشخص الذى اصطلح مع الله (٢كو٥: ١٨) لا يعود الرب يكسر صلحه ويحاسبه على شئ تنازل الله عنه فى صلحه. هل معقول أن شخصاً تصطلح معه ، ثم ترجع إلى بيتك ، فتجده قد أرسل الشرطة لقيادتك إلى السجن ؟! صدقونى ولا مع العلمانيين أهل العالم يحدث مثل هذا الأمر .. يقول بعض الكاثوليك أن وعود الله خاصة بوصمة الخطية ، وليست خاصة بعقوبة الخطية !! ونحن نسأل من أين جاء هذا التفسير ؟! ما دليله الكتابى ؟ ما تفسيره اللاهوتى ؟

ما معنى أن يعقد الله معك مصالحة ، قوامها أن يغفر ، ولا يحسب لك خطية ، ثم يطالبك بعدها بثمن الخطية التى وعد أنه لا يحسبها عليك ، بل لا يذكرها ؟! المطالبة بثمنها معناه أنه عاد يذكرها ..! " [٣٦٨]

ثم يعلق الأب مكسيموس كابس قائلاً " فلو كان وفاء القصاص هو ضد عدل الله فكيف تتجرأ الكنيسة وتفرض قصاصات على الخطيئة إذا كان الله أوفى عنها جميع القصاصات الزمنية والأبدية ؟ ويعترف قداسة البابا شنودة فى كتابه عن المطهر أن هذه القصاصات كانت فى الكنيسة حتى القرن الخامس الميلادى . فهل ضلت الكنيسة فى الأجيال الأولى ؟ .. أن القصاصات فى هذه الدنيا كما يقول قداسته زمنية فما يمنع أن تكون القصاصات فى الحياة الآخرى زمنية أيضاً " [٣٦٩]

توضيح :

أن القصاصات التى تفرضها الكنيسة على الخاطئ هى من أجل إصلاحه وتقويمه وليس من أجل تكفيره وتعذيبه ، فمعلمنا بولس الرسول عاقب خاطئ كورنثوس ، ولكن بعد أن تاب قبله فى شركة الكنيسة ، ولم يكن قصد بولس الرسول على الإطلاق تعذيب

---

[٣٦٨] لماذا نرفض المطهر ؟ لقداسة البابا شنودة صـ٤٢-٤٤ .

[٣٦٩] إيماننا القويم جـ٢ لماذا نؤمن بالمطهر ؟ صـ٩٧،٩٨ .

هذا الخاطئ ، وهل تظن أيها الأب المكرَّم أن فى عذابات المطـــهر الجهنميـــة إصـــلاح وتهذيب ؟!

وهل يمكن إصلاح الروح بدون الجسد ؟ ولو إفترضنا جدلاً أن الــروح التـــى لــم يكفـها دم المسيح للتطهير فتطهرت بنيران المطهر (وكأن نيران المطهر أقوى فاعليـــة من دم الحمل) هل تقبل مثل هذه الروح المُطهّرة أن تتحد بالجسد الغير مُطــهَّر ؟! هــل تقبل الجسد الذى جذبها للخطية من أجل تلذُّذه بالشهوات والأهواء بينمـــا هـــى كـــانت تقاومه ولم يسمع لها ؟! حقاً صور قداسة البابا شنودة الموقف فقال " كمنظر عـــروس جميلة يريد أن يتزوجها رجل أبرص فتنفر منه ، وترفض أن تكون معه جسداً واحـداً .. ولعل البعض يقول : أن الجسد قد تطهَّر بعذاب آخر ، حيثما أكله الدود ، وتحـــول إلـــى تراب ! والرد عليه جاهز وهو أن الجسد لم يتعذب مطلقاً . فهو حينما مات لم يعد يحس مطلقاً ، ولم يشعر بدود ، ولا بالتحول إلى تراب .. فإن قيل أن الجسد يتطـــهر حينمـــا يقوم جسداً روحانياً (١كو١٥: ٤٤) هذا حسن وصدق ، ولكن هذه العملية تمت بنعمـــة الله وهباته ولم يساهم فيها الجسد بأى ثمن ، ولم يقم بوفاء العدل الإلهي ، ولا بوفـــاء قصاصات كنسية . فلماذا يحدث له هكذا ، ويأخذ هذا التغيير والتجلى بلا ثمـــن ، بينمـــا الروح تدفع الثمن كما تقول عقيدة المطهر " [٣٧٠]

ولو كان هناك مطهراً مُعدّاً لعذاب الأبرار فكيف يعدنا الإنجيـــل بالراحـــة " طوبـــى للأموات الذين يموتون فى الرب منذ الآن . نعم يقول الروح لكى يستريحوا من أتعابـــهم وأعمالهم تتبعهم " (رؤ١٤: ١٣) .

ولو هناك مطهر يلجَّهُ أصحاب السهوات والهفوات ومن لا يوفى عقاب خطايـــاه ، وبدونه لن تصل هذه الأرواح إلى الملكوت ، وحسب الاعتقاد الكاثوليكي أن هذا المطـــهر لن يكون له وجود يوم مجيء السيد المسيح الثـــاني ، فقـــل لـــي أيـــها الأخ المكـــرَّم المعاصرون للمجيء الثاني والمحتاجون إلى المطهر كيف ســـيتطهرون ؟! تُـــرى هـــل سيذهبون إلى نار جهنم يتطهرون بعض الوقت ولا سيما أن نيران المطـــهر هـــى مثـــل نيران جهنم تماماً ثم يخرجون منها متطهرين ؟!

ولو كان هناك مطهر ، فهل هذا المطهر لنفوس العهد الجديد فقط أم أنه لنفـــوس العهد القديم أيضاً ؟ ولو كان لنفوس العهد القديم التى كانت فى الهاوية ثم نقلها الـــرب

---

[٣٧٠] لماذا نرفض المطهر ؟ لقداسة البابا شنودة الثالث صـــ٧١،٧٢ .

يسوع يوم صلبه إلى الفردوس،فمتى سيجوزون فى المطهر أسوة بأرواح المؤمنين فى العهد الجديد ؟! .. يقول قداسة البابا شنودة الثالث " فإن كانوا فى العهد القديم لم يدخلوا مطهراً ، فهل يكون الدخول فى المطهر من سمات العهد الجديد عهد النعمة ؟! وإن كان السيد المسيح قد طهَّر قديسي العهد القديم ، فلماذا لم يطهر أبناء النعمة فى العهد الجديد ؟!

ولو كان هناك مطهر إذاً ما الداعى للصلاة على الراقدين وقراءة التحليل لهم (فى الكنيسة الكاثوليكية) ؟ .. يقول قداسة البابا شنودة الثالث " أننا نصلى من أجل الراقدين .. وكل الكنائس التقليدية ، أرثوذكسية ، وكاثوليكية ، تصلى من أجلهم ولكن الكاثوليك يأخذونها علينا ، كما لو كانت إثباتاً للمطهر . نحن نصلى لأجل الراقدين ، عملاً بصلاة القديس بولس الرسول من أجل أينسيفورس .. نطلب أن يعطيهم الرب راحة نفسية ، راحة لنفوسهم التى قد تتذكر خطاياها فتتعب ، إنما حينما تتذكر مراحم الله تشعر براحة .. والصلاة على الراقدين ليس فيها أى ذكر للمطهر إطلاقاً . فنحن لا نطلب مطلقاً أن يريح الله تلك النفوس من عذاب المطهر ، كأن يقصر مدته ، أو يخفف حدته ، أو يخرجهم منه ، أو أن يعطيهم احتمالاً له .. !!

نحن نقول فى الصلاة على الراقدين { نيحهم فى فردوس النعيم } ، ولا نقول نيحهم فى المطهر !! ونقول فى الموضع الذى هرب منه الحزن والكآبة ، بينما المطهر هو للحزن والكآبة والتنهد ..

ثم ما فائدة الصلاة على المنتقلين إن كان الميت يتعذب ؟! .. هناك دليل آخر على أن الصلاة على المنتقلين لا علاقة لها بالمطهر ولا بإعانة النفوس التى فيه ، وهى أن الكنيسة تصلى على أرواح الجميع حتى عن نفوس القديسين " [٣٧١]

وأخيراً أيها الأخ الكاثوليكي الحبيب إن كنت تعتقد أن بابا روما يملك السلطة فى تخفيض مدة العقوبة بالمطهر ، ويملك السلطة فى ألغائها تماماً وكلية ألاَّ تثق أن سيدك المسيح بقادر أن يفعل مثله ؟ وإن كنت تؤمن أن التبرعات والصدقات وشراء صكوك الغفران بالمال تخرج نفوس المنتقلين من المطهر (كما سنرى حالاً) أفلاً تؤمن أن دم المسيح له قوة تمثل قوة المال فى تحرير الأنفس ؟!

---

[٣٧١] المرجع السابق صـ١٠١-١٠٣ .

سادساً : زوائد القديسين

ارتبطت فكرة زوائد القديسين بفكرة المطهر ، فبسبب الرهبة والرعب من عذابات المطهر فكَّر الأخوة الكاثوليك في الخلاص من هذه العذابات أو على الأقل تخفيفها بواسطة زوائد فضائل القديسين ، فقال الأخوة الكاثوليك بأن القديسين قد صنعوا أعمالاً عظيمة وفضائلاً عجيبة تزيد عن حاجتهم ، وهذه الزيادات هي مثل كنز يودعه هؤلاء القديسون داخل الكنيسة ، ويكون لبابا روما حق التصرف والصرف من هذه الزوائد للمحتاجين .

وكأن المؤمنين تلاميذ في مدرسة غريبة وعجيبة ومدهشة ، فمنهم من هو متفوق يحصل على درجات أعلى من الدرجات النهائية بينما هو يحتاج للنجاح نسبة ٥٠% ومنهم الكسلان والمتهاون والمنشغل بأمور خارج دراسته ولا يصل إلى نسبة النجاح ، والأمر الغريب والمدهش أن إدارة هذه المدرسة تسمح لنفسها أن تأخذ من درجات التلميذ المتفوق للتلميذ المتخلف ، ومن درجات التلميذ النشيط للتلميذ الكسلان ألاَّ تساعد بهذا على التخلف والكسل ، وتشجع التلاميذ الكسالي على التسول لينالوا الدرجات ولو حتى بالمال !

أما الأب مكسيموس كابس فإنه يحاول أن يجد مخرجاً وفلسفة جديدة لعقيدة زوائد القديسين فيقول " زوائد القديسين كما يقدمها قداسة البابا شنودة مرفوضة من الكاثوليك ، وكان الواجب أن يستخبر من أهل الذكر قبل أن يكتب أشياء تشوه وجه الحقيقة . ولكن هذه هي عادة البابا شنودة يريد أن يبين أن كنيسته على حق أو قل أن مفهومه هو الصحيح وباقي المفاهيم جميعها مغلوطة .. أننا يا قداسة البابا شنودة نؤمن أنه لا يمكن أن يعطى أحد شيئاً مما عنده للآخرين مهما بلغت درجته من الكمال ، ولا كامل إلاَّ الله وحده ..

إذن ما هو مفهوم الكنيسة الكاثوليكية من زوائد القديسين أن الكنيسة تقيم قداسات كثيرة وابتهالات وصلوات ويوزع المؤمنون صدقات على أنفس موتاهم ليرحمهم الرب فنقول في صلواتنا ليعطيهم الراحة الأبدية ، ولنفترض أن هذه الأنفس التي نصلي من أجلها هلكت وبالتالي لا تحتاج إلى هذه الصلوات ، أو إذا كانت هذه الأنفس خلصت واستحقت فردوس النعيم ولا حاجة لها أيضاً لصلواتنا . فهل تذهب صلواتنا سدى ؟ أو بطريقة أخرى هل يهمل الله هذه الصلوات ولا يلتفت إليها ؟

أننا نعرف أن صلوات المؤمن كما يقول الكتاب لا ترجع فارغة وكل صـــلاة بإســم المسيح وبإيمان صادق لابد لها من أجر فأين يذهب هذا الأجر ؟ هل يعود إلى الإنســـان نفسه أم أن لله الحرية فى توجيهه فى الجهة التى يراها مناسبة وهل للكنيسة الســلطان أن تحوّل عائد هذه القداسات والصلوات إلى جهة أخرى بموجب السلطان المعطى لـــها من السيد المسيح ؟ .. بعد موت النفس لا تتغير ولا تكسب أجراً ولا تستحق قصاصـــاً ، وصلواتهم فى هذه الحالة لا تنفع إلاَّ غيرهم ، ونحسبها زائدة عـــن حاجتـــهم لأنـــها لا تفيدهم بشئ .

وقداسة البابا شنودة يعترف بشفاعة القديسين فما معنى الشفاعة ؟ أن الشـــفاعة هى طلب من الله لأجل الإنسان الذى يتشفع فيهم ؟ وهذا الطلب هـــو صلـــوت لا تفيـد صاحبها ولكنها تفيد غيره . فالشفاعة إذن زائدة عن حاجة القديس الذى يتشفع لأنـها لا تفيده شخصياً بشئ ولكن تفيد من تشفع فيهم ، وبالتالى نعتبرها من زوائـــد القديسـين وعسي بعد هذا الشرح أن يفهم قداسة البابا شـــنودة مفـــهوم زوائـــد القديســين عنـد الكاثوليك " [٣٧٢]

توضيح :

نحن نؤمن بالقديسين ، ونبنى الكنائس على أسمائهم ، ونلتمس بركتهم ، ونطلـب صلواتهم وشفاعتهم لأجل ضعفنا ، ونوقد الشموع أمام أيقوناتهم علامة أنهم كانوا نـوراً فى العالم ، ونسجل حياتهم وجهادهم فى كتبنا ، ونقرأ فى القداسات السنكســـار الــذى يحوى حياتهم وفضائلهم ، وفى صلواتنا الطقسية ننظم لهم الألحان والتماجيد ، ونســمى أولادنا باسمائهم تيمناً وبركة ، ومع كل هذا فإننا ندرك المفهوم الصحيـــح لشــفاعتهم ، أنهم يلتمسون المعونة من الله الغنى لأجلنا نحن الفقراء ، وليس معنى شفاعتهم أنـــهم يتنازلون من رصيد حسابهم لنا ، وإلاّ كان رصيد السيدة العذراء ومارجرجس ومارمينـا نفذ منذ زمن بعيد ، ولصارت شفاعتهم بلا قيمة .. فى عرس قانا الجليل عندما تشـفعت السيدة العذراء من أجل أهل العرس كل ما فعلته أنها أبلغت الرسالة لإبنها ، وهو صنـع المعجزة دون أن تطلب منه صراحة ، ولم يخصم من رصيدها قيمة الخمر الجديد ..

كما أننا نرفض عقيدة زوائد القديسين للأسباب الآتية :

---

[٣٧٢] إيماننا القويم جـــ٢ لماذا نؤمن بالمطهر ؟ صـــ٥٤-٥٧ .

أ- لأن المطلوب من كل إنسان أن يصل إلى حد الكمال " فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل " (مت٥: ٤٨) أى أن يصل الإنسان إلى " قياس قامة ملء المسيح " (أف٤: ١٣) وبهذا المقياس لا يوجد الإنسان الذى يقول لله أنني وصلت للكمال ولدىّ رصيد فائض أتركه لأخوتي .

ب- السيد المسيح أوصانا قائلاً " متى فعلتم كل ما أُمرتم به تقولوا أننا عبيد بطالون " (لو١٧: ١٠) ومن هو الإنسان الذى يتمم كل الوصايا ولا يعثر فى واحدة ؟!

جـ - إن كان مشاعر الآباء الرسل أنهم لم يصلوا إلى حد الكمال فمعلمنا يعقوب الرسول يقول " لأننا فى أشياء كثيرة نعثر جميعاً " (يع٣: ٢) ويوحنا الحبيب يقول " إن قلنا أنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا " (١يو١: ٨) ومعلمنا بولس الرسول بعد أن تعب أكثر من جميع الرسل يقول " أن المسيح قد جاء إلى العالم ليخلص الخطاة الذين أولهم أنا " (١تي١: ١٥) " ليس أنى قد نلتُ أو صرتُ كاملاً . ولكنى أسعى لعلى أدرك " (في٣: ١٢) .. فمن يجرؤ بعد هذا ويقول : أنا لي زوائد من الأعمال الصالحة والفضائل أضعها تحت سلطان بابا روما ليوزع منها على المحتاجين . فأنا غنى ولست بمحتاج .. أننى أتصور إنساناً يقول هذا لله فيرد عليه الله قائلاً : ولماذا يا أبني اجتاحتك مشاعر الفريسي المتكبر وتخليت عن مشاعر العشار الخاطئ ؟ " لأنك تقول إنى غنى وقد استغنيت ولا حاجة لي إلى شئ ولست تعلم أنك أنت الشقى والبائس وفقير وأعمى وعريان " (رؤ٣: ١٧) .

د- عندما طلبت العذارى الجاهلات زيتاً من العذارى الحكيمات قلنَ لهنَّ " لعله لا يكفى لنا ولكنَّ بل إذهبنَّ إلى الباعة ابتعن لكنَّ " (مت٢٥: ٨،٩) ... فهذه هى مشاعر القديسين دائماً وأبداً .

هـ- نحن يا أحبائى لا نداين الله بصلواتنا وابتهالاتنا وإقامتنا القداسات وتوزيع الصدقات على أرواح موتانا ، وكأن لكل صلوة ثمن ، ولكل صدقة قيمة محدودة ، ونقول لله تبارك اسمه ، لقد وصل إليك صلوات مقدارها كذا .. من أجل فلان ، وهذا الفلان إتضح أنه ليس فى حاجة إليها فالرجاء تحويلها إلى حساب فلان بأمر بابانا المعظم بابا روما ، وأيضاً وصل إليك صلوات بمبلغ كذا .. من أجل فلان ، وبما أن هذا الفلان قد هلك ولا حاجة له بهذه الصلوات فالرجاء بتحويلها

إلى حساب فلان بأمر بابانا المعظم بابا روما .. هل يُعقل هذا يا إخوتى ؟! ولو تصورنا هذا الموقف يحدث على مستوى حياتنا المادية ، وتقدم إنسان بهدية ثمينة إلى رئيس عظيم للإفراج عن أحد المعتقلين ، وبعد أن قدم هديته علم أن الشخص المطلوب الإفراج عنه قد أُفرِج عنه بالفعل قبل توسط هذا الرئيس ، فهل يجرؤ مقدم الهدية ويقول لهذا الرئيس : برجاء رد الهدية أو تحويلها لحساب فلان المعتقل الآخر .. وماذا يفعل هذا الرئيس العظيم بمقدم الهدية ؟!!

سابعاً : صكوك الغفران

تاريخ صكوك الغفران :

أول صك غفران أصدرته روما كان فى أوائل القرن الحادي عشر، وانتشرت فكرة صكوك الغفران مع الحروب الصليبية ، حيث قال رجال الدين بأن الجندي الذى يتوب ويعترف ويتقدم للحرب المقدسة لتحرير أورشليم فإن الكنيسة تمنحه صك غفران يضمن له إعفاء من نيران المطهر ، ففى سنة ١٠٩٥م أعلن البابا أوربانوس الثاني رقم (١٥٨) [١٠٨٨-١٠٩٩] الغفران المطلق من نيران المطهر لكل من يشارك فى الحرب المقدسة .. لقد استمرت الحروب الصليبية نحو مائتي عاماً وقد استنفذت الطاقة البشرية والمادية لدول أوربا ، فيقال أنه ضاع ضحيتها نحو ستة ملايين من الأنفس (تاريخ المسيحية جـ٣ د. عزت ذكى صـ٤٥) ولكنها مع هذا كانت مصدر غنى عظيم للبابوية .. لماذا ؟ لأن أملاك كل جندى محارب كانت توضع تحت حراسة الأسقف لحين عودته ، وغالباً كان لا يعود ثانية فتضم إلى أملاك الكنيسة ، وأخيراً سقطت مدينة عكا آخر معقل لأهل الغرب سنة ١٢٩١م وانتهت بذلك سلسلة هذه الحروب .

ثم بدأ رجال الدين يمنحون مثل هذه الصكوك لمن يقوم بأعمال خيرية أو الذين يزورون الأماكن المقدسة فى روما ، وكان البابا يصدر صكوك الغفران للجميع ، أما الأسقف فله أن يصدر الغفرانات فى أبروشيته فقط ، ومع الوقت تحولت صكوك الغفران إلى تجارة رابحة يلجأ إليها باباوات روما كلما احتاجوا للمال ، وكانت هذه الصكوك متنوعة القيمة ، فكل صك يتناسب مع الخطية المرتكبة .

وفى السنة الأولى من القرن الثالث عشر أعلن البابا بونيفاتيوس الثامن رقم (١٩٢) [١٢٩٤-١٣٠٣] أن هذه السنة هى سنة اليوبيل ، وإن كانت الأمال فى تحرير أورشليم قد ضاعت ، فإن مدينة روما بما فيها من مزارات لبطرس وبولس الرسولين وكثير من الشهداء تعتبر أورشليم ثانية ، ولذلك منح غفران كامل لكل إنسان يزور قبرى الرسولين بطرس وبولس يومياً لمدة ثلاثين يوماً إذا كان من أبناء روما ، أو لمدة خمسة عشر يوماً للغرباء عن روما ، وهذا الغفران يشمل جميع الخطايا التى صنعها الإنسان فى الماضى والتى يصنعها فى الحاضر والتى سيصنعها فى المستقبل ، حتى قال أحد المؤرخين " كنت ترى أسراباً بأكملها طول العام تفد من كافة دول أوربا ومن ألمانيا ، وتتكدس زاحمة الطرقات ، والكل يطمع فى نوال الغفران البابوى " (تاريخ المسيحية حـ٣ د.عزت ذكى صـ٤٦) وجمع البابا فى تلك السنة تبرعات نقدية وذهبية غزيرة جداً من التى وضعها الزائرون على قبرى بطرس وبولس الرسولين ، حتى تسمت هذه السنة بالسنة الذهبية ، وهذا شجع الباباوات فيما بعد إلى تقريب سنة اليوبيل ، فبعد أن كانت كل مائة سنة جعلها البابا اكليمنس السادس رقم (١٩٧) [١٣٤٢-١٣٥٢] كل خمسين سنة ، ثم جعلها البابا اربانس السادس رقم (٢٠١) [١٣٧٨-١٣٨٩] كل ثلاثين سنة ، وأخيراً جعلها البابا بولس الثانى رقم (٢١٠) [١٤٦٤-١٤٧١] كل خمسة وعشرين عاماً .

صكوك الغفران والانشقاق البروتستانتي :

فى سنة ١٥١٣م إرتقى البابا لاون العاشر عرش البابوية [١٥١٣-١٥٢١] وهو الابن الثالث لورنزو دى مديتشي أحد ملوك إيطاليا ، وقد اعتاد على حياة الرفاهية والبذخ كما كان يعشق الفن والتعمير ، فطلب من مايكل انجلو أن يصنع تصميماً كاملاً لزخرفة كنيسة القديس بطرس ، وأحتاج للمال الوفير لتنفيذ هذا التصميم ، وأيضاً لتغطية نفقات البلاط البابوي ، فأشار عليه عمه الكاردينال " بوش" ببيع صكوك الغفران ولذلك أصدر فى ٣١ مارس سنة ١٥١٥م قراراً ببيع صكوك الغفران كاملة أى تعفى الإنسان نهائياً من نيران المطهر الجهنمية سواء كان مازال هذا الإنسان على قيد الحياة أو أنه مات وما زال يتعذب فى المطهر . ورغم اعتراض معظم الولايات الألمانية على صكوك الغفران فإن البابا لاون وجد ضالته المنشودة فى " البرت " رئيس أساقفة ماينسي الذى لم يجاوز الخامسة والعشرين من عمره وكان تحت يده ثلاث إبروشيات

عن طريق الرشوة ، وكان البرت فى أشد الإحتياج للمال لسداد ديونه المتراكمة عليه لدى البنوك ، فاتفق مع البابا على بيع صكوك الغفران فى الأبروشيات الثلاث على أن تقسم الحصيلة مناصفة بينهما ، وأختار البرت رئيس أساقفة مايتسي الكاهن الدومنيكاني يوحنا تتزل ليقوم بالبيع من خلال حملة دعائية كبيرة ، فكان يسافر يوحنا من مدينة إلى أخرى فى موكب ضخم ، ويصف هذا الموكب أحد المؤرخين فيقول " كان باعة صكوك الغفران يعبرون الممالك والبلدان بمواكب فخمة وأبهة عظيمة ، وكانوا يعيشون عيشة راقية ، وينفقون المال عن سعة وبلا حساب ، وعندما كان يقترب الموكب إلى مدينة ما كان يذهب أولاً مندوب إلى حاكم المدينة ويقول له : نعمة الله والأب المقدس (البابا) عند أبوابك .. فسرعان ما كنت ترى رجال الاكليروس والرهبان والراهبات وأعضاء المجالس البلدية والحرف الصناعية يخرجون زرافات زرافات حاملين الطبول والرايات .. حاملين الشموع فى أيديهم وسائرين على نغمة الطبل والموسيقى ، وكنت ترى الشوارع ملأى بالرايات ترفرف فى كل مكان والأجراس تدق والنواقيس تقرع ، والرهبان والراهبات سائرين بشكل مظاهرة وهم يصيحون { ابتاعو ! ابتاعوا ! } أما الراهب التاجر العظيم (يوحنا تتزل) نفسه فكان يجلس فى عربة حاملاً فى يده صليباً كبيراً أحمر وأمامه المرسوم البابوى على وسادة من القطيفة . وقد كانت الكنائس هى صالات البيوع .. وهنا يقوم تتزل ويعتلى المنبر وبصوت جهوري وفصاحة خشنة يعلن للملأ قيمة الغفرانات .. (فيقول) : أن صكوك الغفران هى أثمن وأشرف هبات الله . تعالوا فأعطيكم رسائل مختومة ختماً صحيحاً بها تضمنون الغفران حتى للخطايا التى تنوون ارتكابها . أنى لن أرضى بأن استبدل امتيازاتي بامتيازات القديس بطرس فى السماء لأنى خلصتُ بغفراناتى نفوساً أكثر جداً مما خلص الرسول بعظاته . لا توجد خطية مهما عظمت لا تستطيع الغفرانات التكفير عنها . ليس ذلك فقط بل هناك ما هو أكثر منه فإن الغفرانات لا يقف حد مفعولها على الأحياء بل يتناول الأموات أيضاً . أيها الكاهن ! أيها الشريف ! أيها التاجر ! أيتها الزوجة ! أيها الشاب ! أيتها الشابة ! ألا تسمعون والديكم وأقاربكم وأصدقاءكم الأموات يصرخون مستغثين من أعماق الهاوية قائلين لكم : أننا نتعذب ونقاسي أهوالاً مرة وفى إمكانكم إنقاذنا بشئ من الاحسان التافه الذى تستطيعون أعطاءه ولا تريدون ! أيها الناس الأغبياء وقساة القلوب : من منكم لا يدرك وينتهز هذه النعمة المقدمة لكم بهذا السخاء ؟ أنه فى نفس اللحظة التى ترن فيها

نقودك فى قاع الصندوق تنطلق النفس من المطهر وتطير حرة إلى السماء .. إن الرب إلهنا لا يملك فيما بعد ، بل قد سلّم كل السلطان للبابا " [٣٧٣]

ويذكر العلامة ميرل دوبينياه قصة لطيفة عن صكوك الغفران حدثت مع الراهب الدومنيكاني يوحنا تتزل إذ " سمع أحد الشرفاء السكسونيين وعظ تتزل فى لبسك فأغاظته أكاذيبه فدنا منه وقال له : هل من مغفرة لذنب مستقبل ؟ فقال لا ريب ، فقال : أن نفسي تتوق أن تنتقم من أحد الأعداء بدون أن أذهب بحياته فاعطنى صك غفران بعشرة ريالات . قال : ذلك لا يعطى بأقل من ثلاثين ريالاً فأعطاه ذلك وأخذ صك الغفران . ولما ذهب تتزل من لبسك كمن له ذلك الشريف هو أعوانه فى أجمه بين بوتربرخ وتربلين ، ولما وصل إلى هناك وثبوا عليه وصفعوه وضربوه قليلاً وأخذوا منه صندوقاً مملوءاً من أثمان الغفرانات ، فشكاهم تتزل إلى المجلس ، فنشر الشريف صك الغفران أمام الحكام فقرأوه وأمروا بإطلاقه " [٣٧٤]

وكانت صكوك الغفران من أهم الأسباب التى أدت إلى اعتراض مارتن لوثر والريخ زونكلى وجون كالفن على الكنيسة الكاثوليكية ، وانتهى هذا الإعتراض بالانشقاق البروتستانتي .

صكوك الغفران والمال :

كان الدافع كله لبيع صكوك الغفران فى القرنين ١٥، ١٦ ليس رحمة بالناس بل الحصول على المال ، فقالت "ايرجيتا" التى تعترف الكنيسة الكاثوليكية بقداستها أن البابا قد جمع الوصايا العشر فى جملة واحدة وهى " قدم لي مالاً" (لوثر مبتدع البروتستانتية لنبيه نصر صـ٢٦) وقال أحدهم " أن المال وليس المحبة هو الذى كان يستر كثرة من الخطايا فى ذلك الوقت " (مختصر تاريخ الكنيسة جـ٢ اندرو ميلر صـ٢١٣) وقال الدكتور القس جون لوريمر "ضج الناس بالشكوى من أعلى حاكم إلى أدنى قروى بأن الكنيسة عاشت للمال ومن أجل الكنيسة ضغط البابا على الأساقفة الذين عصروا الكهنة الذين هم بدورهم عصروا الشعب . قال مواطن اسباني :

" أرى أننا نادراً ما نحصل على شئ من خدام المسيح إلاّ بالمال . فى العماد بالمال .. فى الزواج بالمال – الاعتراف بالمال– ولا سر المسحة الأخيرة بدون المال لا يدقون

---

[٣٧٣] مختصر تاريخ الكنيسة جـ٢ اندروميلر صـ٢١٤، ٢١٥ .

[٣٧٤] تاريخ الإصلاح فى القرن السادس عشر صـ٨٢، ٨٣ .

الأجراس بدون المال – لا مراسم فى الكنيسة بدون المال " .. بالطبع كانت المراكز والوظائف الكنسية لمن يدفع المبلغ الأكبر .. وإذا سافر البابا أو إحتفل بأحد الأعياد ، حينئذ تفرض لذلك ضريبة إضافية . يقدرون أن الكنيسة فى فرنسا وألمانيا استولت على ما يتراوح بين ثلاث إلى نصف كل أملاك الدولة . وفى إنجلترا تلقت الكنيسة وصرفت حوالى ٢٥% من الدخل القومى " [٣٧٥]

صورة من صك الغفران :

وهذه صورة من صك الغفران الذى كان يبيعه يوحنا تتزل " ربنا يسوع المسيح يرحمك (يا فلان) باستحقاق آلامه القدسي ، وأنا بما أعطيت من السلطان الرسولي أحلّكَ من قصاص كنسي أوجب عليك ، ومن كل خطية وإثم مهما كان عظيماً ومن كل علّة وإن كانت مغفرتها مختصة بأبينا الأقدس البابا والكرسي الرسولي ، وأمحو عنك كل ما جلبته على نفسك من أقذار العجز والملام ، وأرفع عنك عقاب المطهر ، وأردك إلى الشركة فى أسرار الكنيسة وأدخلك فى شركة القديسين ، وأرجعك إلى الطهارة والبر اللذان كانا لك عند معموديتك ، حتى أنه فى ساعة الموت عينها يُغلق أمامك الباب الذى يدخله الآثمة إلى محل العقاب ، ويُفتح لك الباب الذى يدخله المقدسون إلى فردوس الابتهاج ، وإذا حييت سنين كثيرة تبقى هذه النعمة لا تتغير إلى آخر ساعات حياتك. باسم الأب والأبن والروح القدس "

الأخ يوحنا تتزل النائب قد وقع ذلك بيده " [٣٧٦]

صكوك الغفران ومذبحة برثلماوس :

فى ليلة ٢٤ أغسطس سنة ١٥٧٢م دق ناقوس كنيسة سان جرمانوس فى الثالثة صباحاً فاندفع الجنود الفرنسيون يرتدون قبعات ذات صليب أبيض وهجموا على منازل البروتستانت فذبحوا سبعين ألفاً ولم يرحموا النساء ولا الأطفال حتى سالت دماءهم إلى نهر السين ، وعقب هذه المذبحة أصدر البابا بيوس الخامس (١٥٦٦-١٥٧٢م) الذى يدعونه قديساً غفرانات كاملة لمن قاموا بمذبحة برثلماوس (راجع ياأخوتنا البروتستانت ..هلموا نتحاور جـ١صـ٩٣،٩٤)

---

[٣٧٥] تاريخ الكنيسة جـ٤ جون لوريمر صـ٣٧،٣٨ .

[٣٧٦] تاريخ الإصلاح فى القرن السادس عشر صـ٨٠،٨١ .

صكوك الغفران واليانصيب :

وصل الحد إلى الإعلان فى الصحف عن يانصيب لربح النفوس التى فى المطهر ، ففى اليونايتد برتسبترين بتاريخ ٣١ مارس سنة ١٧٩٧م تحت عنوان (يانصيب لأجل النفوس ببلاد المكسيك) نشرت " الكريستان انديفوولد " إعلاناً يستحق الالتفات بعث إليها بصورته القس فرنسيس برتون أحد المرسلين ببلاد المكسيك عن إقامة يانصيب فى كنيسة كاثوليكية هناك لربح بعض النفوس من المطهر ، وتلاوة هذا الإعلان .. هو هذا :

أن نفوس أقارب الذين ربحت نمرهم فى اليانصيب السابق قد نالت نعمة العتق من عذابات المطهر ، ويمكن لذويهم السعداء الحظ حاملي تلك النمر يتأكدون بملء الثقة أن نفوس حياة أولئك قد أعتِقت من لهب النيران المطهرية عتقاً أبدياً . ولزيادة الإيضاح نأتى هنا إلى بيان تلك النمر وأسماء الذين خلصت نفوسهم من المطهر :

نمرة ٧١٤ نفس المحامى جمس نسيكى أعتقت من المطهر ودخلت الأفراح السماوية .. إلخ (راجع الايضاحات الجلية عن حقيقة الأرثوذكسية للشماس ميخائيل شحاتة صـ١٣٨،١٣٩) .

صكوك الغفران فى الأسر :

يحكى ملنر القصة التالية عن صكوك الغفران التى كانت فى طريقها إلى اسبانيا " يخبرنا برنت أن هذه التجارة المذرية فى بيع الغفرانات لم تندثر نهائياً بأى حال من الممالك البابوية كما كان يُظن ، فهو يقرر أنه فى أسبانيا والبرتغال كان يوجد فى كل مكان وكيل خاص مهمته القيام بهذا البيع بأساليب مخجلة وفاضحة .. فى سنة ١٧٠٩م رأهمت الطراوات الإنجليزية فى برستول سفينة اسبانيولية كبيرة واستولت عليها ، وقد وجدوا فى هذه السفينة خمسمائة بالة من صكوك الغفران – وثائق مطبوعة باسم البابا– وكانت كل بالة تحتوى على ستة عشر رزمة (رزمة الورق تساوى ٤٨٠فرخاً) فكان مجموع ما تحمل هذه السفينة من صكوك الغفران يعادل ثلاثة ملايين وثمانمائة وأربعين ألفاً .. والكل مضطرون لشراء هذه الغفرانات فى نظير إعفائهم من الصيام الكبير .. (ملنر مجلد ٣صـ٤٣٩)"[٣٧٧]

[٣٧٧] تاريخ الكنيسة جـ١ اندرو ملر صـ٥٦٩،٥٧٠ .

نتائج صكوك الغفران :

قادت صكوك الغفران إلى الإهمال والتهاون والتسيب واستسهال الخطية ، فليرتكب الإنسان ما يشاء من الشرور ، وكل خطية لها ثمنها الذى يدفعه فيستريح ضميره ويضمن المغفرة والنجاة . وبذلك قتلت صكوك الغفران الكثيرين وقادتهم للهلاك الأبدي .

محاولة الأب مكسيموس كابس :

وللأسف فإن الأب مكسيموس كابس الذى آل على نفسه القتال عن كنيسته الكاثوليكية إلى النفس الأخير ، يتمسك بعدم الإعتراف بالأخطاء التى سقطت فيها الكنيسة فى القرون المظلمة ، ويحاول أن يجد مخرجاً لصكوك الغفران فيعتبرها أنها ما هى إلاَّ إيصالات التبرع فيقول " اشترطت (الكنيسة) أن يضحى (من يزور روما) بجزء من أمواله فى المساهمة وهذا بنوع التكفير عن القصاصات التى كان يجب أن تفرض على الذنب بعد التوبة كما كان معمولاً به فى القرون الأولى من تأسيس الكنيسة ، وبعد أن إعترف الخاطئ لدى الكاهن ونال الحل من الذنب ..

وكان من يتبرع بشئ يُعطى إيصالاً بما دفعه ، وهذا نوع من الأمانة وحسن سير الحسابات وضبطها . ولذا اعتبروا هذا الإيصال صكاً لغفران الخطايا . أليس فى هذا تشهير لا أساس له من الصحة .

وعلى أسوأ الفروض إن كان قلة من الأفراد استغلوا هذا العمل الحميد لجمع المال فهذا ليس معناه أن الكنيسة كلها تكون مدانة ومحكوم عليها بالخطأ .. ومع ذلك لم يثبت تاريخياً أن بعض الأفراد استغلوا هذا النداء لمصالحهم الخاصة ، أن الناس يحجون إلى بيوت الله سواء المسيحيين فى بيت المقدس أو للمسلمين فى مكة المكرمة طلباً للتكفير عن القصاصات المترتبة على الذنوب التى ارتكبوها وغفرت لهم بعد التوبة وهذا ما فعلته الكنيسة الكاثوليكية عندما طلبت من المؤمنين الحج إلى روما والمساهمة فى بناء بيت الرب " [٣٧٨]

توضيح :

نظام التضحية بالمال للتكفير عن القصاصات لم يكن معمولاً به فى الكنيسة الأولى كما ذكر الأب المكرَّم . إنما كان المال مكانه فى الكنيسة الأولى تحت أقدام الرسل .

---

[٣٧٨] إيماننا القويم جـ٢ لماذا نؤمن بالمطهر ؟ صـ٤٤، ٤٥ .

والحقيقة أن صكوك الغفران لم ترتبط بالتبرعات. قال الكردينال اللاتينى نيش " أنه مادام الناس لم يكن لهم فكر عن المطهر لم يفتشوا عن الغفرانات ، لأن كل اعتبار الغفرانات هو المطهر . وحيث أن المطهر لم يكن معروفاً عند الكنيسة الجامعة إلاَّ في أجيالنا الأخيرة فليس بعجيب إذا كان فى أول الكنيسة (الكنيسة الأولى) لم تكن الغفرانات موجودة . فالمطهر ربما لا يوجد ذكره قط فى كتب الآباء الأقدمين ، والروم حتى يومنا هذا لا يؤمنون به ، ، واللاتينيون قبلوه ليس فى وقت واحد بل رويداً رويداً " (نقض لوثر قضية ١٨) " [٣٧٩]

ومن البديهى أن صكوك الغفران تختلف تمام الاختلاف عن ايصالات التبرع ، فعند التبرع يقدم الإنسان ما تجود به نفسه وبقدر التبرع يُحرَّر الإيصال ، أما صكوك الغفران فمحددة القيمة فهناك صك مثلاً بـ ١٠ ليرات وآخر بمائه وثالث بخمسمائة ، وفى التبرع يدفع المتبرع قيمة التبرع دون أن يتوقع مقابل بل يقدم تبرعه بإحساس الإنسان المديون لله بسبب كثرة إحساناته ، ولسان حاله يقول " من يدك وأعطيناك " فهل يتوفر هذا الشرط فى صكوك الغفران ؟ كلاَّ لأن لكل صك مقابل سواء مغفرة خطية معينة أو إخراج نفس من المطهر أو أكثر .

أما عن زيارة المسيحيين للقدس فلكيما ينالوا بركة الأماكن المقدسة ، ويكفى رؤيتهم للقبر الفارغ الذى يفج منه كل عام النور الذى يضئ الشموع لكيما يمتلئ الإنسان إيماناً وتسرى فى حياته قوة القيامة ، وليس أحد من المسحيين يذهب إلى الأماكن المقدسة لكيما تغفر خطاياه وتمحى ذنوبه ، فالمغفرة هى بدم المسيح فقط لا غير والطريق إليها التوبة ، ومن المعروف أن مفهوم الحج فى المسيحية يختلف عنه فى الإسلام لأن الحج فى الإسلام يغفر ما تقدم وما تأخر من الذنوب . ثم ماذا دهاك أيها الأب المسيحي الكاثوليكي لأن تُدخِل فى حديثك دين آخر وأنت تناقش قضية مسيحية ؟! أم أنكم عندما سمحتم لأنفسكم بالإعتراف بخلاص غير المؤمنين والزواج منهم وقبول معموديتهم .. إلخ صارت الأمور بالنسبة لكم سيان .

الغفرانات : أما عن الغفرانات فى الكنيسة الكاثوليكية فقد ورد عن غفرانات القديس فرنسيس :

---

[٣٧٩] علم اللاهوت القسم الخاص للقمص ميخائيل مينا صـ١٠٥، ١٠٦ .

س- ما القول فى زيارة كنائس رهبنة القديس مارى فرنسيس فى اليوم الثانى من شهر آب . هل يربح زائرها فى هذا اليوم غفراناً كاملاً متعدداً بحسب تعدد دخوله الكنيسة حيث يصلى فيها ولو قليلاً ؟

ج- بالإيجاب .

س- ما القول فى نفع الغفران الذى يُصرَف إلى النفوس المطهرية ، هل نفعه لهم مقطوع به ، بحيث يمتنع انتفاؤه ؟

ج-أجاب بعضهم بالإيجاب وبرهانهم أن المسيح خوَّل الكنيسة سلطاناً أكيداً بحيث يمتنع عدم نفاذه بقوله تعالى (كل ما حللتم) هذا وإن منح الغفران من أجل الموتى هو فعل حقيقى من أفعال المفاتيح لصدوره من سلطان رسولي .. ومن المعلوم أن المفتاح يصيب الفتح بلا محالة حيث كانت الشروط مستوفاة ، إذا الغفران فعال قطعاً دائماً وأبداً سواء أكان حق الأحياء أو الموتى " (علم اللاهوت جـ٢ للأب بطرس غورى صـ١٠٤٩) " [٣٨٠]

وأورد قداسة البابا شنودة الثالث الأمثلة الآتية :

أمثلة من غفرانات الزيارات :

" أورد فى كتاب { قانون الرهبانية الثالثية العالمية } .. أن الحبر الروماني قد منح من يزور هيكل تلك الأخوية .. وقد أورد جدولاً بتلك الأيام وغفراناتها ..

١- أول كانون الثانى – ختان السيد- غفران ٣٠ سنة و ٣٠ اربعينية .

٢- سادس كانون الثانى – الغطاس – غفران ٣٠ سنة و ٣٠ اربعينية .

٤-اربعاء الرماد وأحد الرابع من الصيام : لكل غفران ١٥ سنة و١٥ اربعينية .

٥- أحد الشعانين : غفران ٢٥ سنة و٢٥ أربعينية .

٨- كل يوم من الصيام الكبير – غير ما ذكر – لكل غفران ١٠ سنوات و١٠ أربعينيات .

١١- ٢٥ نيسان – القديس مرقس الإنجيلي – غفران ٣٠ سنة و ٣٠ اربعينية .

١٥- أحد العنصرة والأيام الثمانية التالية – غفران ٣٠ سنة و ٣٠ اربعينية .

[يلاحظ أننا إخترنا بعض أمثلة أيام من تلك القائمة الطويلة]

---

[٣٨٠] علم اللاهوت القسم الخاص للقمص ميخائيل مينا صـ١٠٥ .

تسع سنوات غفراناً ، لكل درجة يصعدها جاثياً من درجات السلم المقدس ، وهي ٢٨ درجة !! أى غفران ٢٥٢ سنة لصعود السلم كله ..

أمثلة للغفران بسبب التلاوات :

ورد فى كتاب { الصلوات اليومية } للكاثوليك الغفرانات الآتية :

١- غفران ٥٠ يوماً لكل مرة يقول فيها المصلى " بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين "

٢- غفران سبع سنوات وسبع أربَعينيات ، لكل مرة تتلى فيها أفعال الإيمان والرجاء والمحبة . وهذه الأفعال عبارة عن صلوات كل منها عبارة عن ثلاث أو أربعة أسطر .

٣- غفران ١٠٠ يوماً لكل مرة يقول فيها المصلى " يا ملاك الله المتقلد حراستي من رأفته تعالى ، أنر عقلي واحرسني ، ودبرنى وأرشدني ، وخلصنى من الشرير . آمين "

٤- غفران ١٠٠ يوم لكل مرة يقول فيها المصلى " هلم يا روح القدس ، وأملأ قلوب مؤمنيك ، وأضرم فيها نار محبتك المقدسة "

٥- غفران ٣٠٠ يوماً لكل من يدعو قلب يسوع الأقدس .

٦- غفران ٣٠٠ يوماً لكل من يقول { يايسوع ومريم .. } .

٧- غفران ٧ سنين وسبع اربعينيات لكل من يقول { ياليسوع ومريم وماريوسف } إلخ

ورد فى كتاب تحفه الزهور الذكية للنفوس صــ٢٧٩ .

غفران ١٠٠ يوماً لكل مرة " أبانا .. ولكل مرة " السلام .. " .

غفرانات خاصة بمسبحة قلب يسوع :

عن كتاب { صلوات أحباء قلب يسوع } صدر سنة ١٩٥٦م :

ص١٤ – غفران ٣٠٠ يوماً ، لمن يقول { يا قلب مريم الحلو ، كن خلاصي } وغفران ١٠٠ يوماً لصلاة أخرى

ص٧ –غفران ٣٠٠ يوماً لمن يقول أبانا ، والسلام ، والمجد ، على نية الكنيسة .

غفرانات ساعة الموت :

إن كانت إلى جواره الوردية أو الأيقونة : يربح غفراناً بسببها ، ولا يشترط أن تكون معلقة بجيده ، أو ملتوية على ذراعه ، أو مضبوطة بيده . بل يكفى أن تكون على الفراش قريبة منه ، ولو لم يرها أو يلامسها ولا يعلم بها .

غفرانات شهر قلب يسوع :

غفران سبع سنوات وسبع أربعينيات ، وغفراناً كاملاً ، لمن يحضر شهر قلب يسوع ١٠ مرات على الأقل ، فى كنيسة أو بيت ، ويزور كنيسة أو معبداً فى شهر يونيو .

ومن الأمثلة أيضاً :

غفرانات سنة اليوبيل الخاصة بالموتى (المرجع كتاب : مختصر اللاهوت الأدبي) " [٣٨١]

وفى صلاة للقديس يوحنا دي لاسال فى ظهر صورته :

أيها القديس يوحنا دي لاسال المجيد ، يارسول الأطفال والشبان ، كن لنا من أعلى السموات مرشداً ومحامياً . إشفع فينا وأعضدنا لنسلم من شوائب الضلال والفساد ، ونظل دائماً محافظين على ولاء السيد المسيح ورأس كنيسته المعصوم (يقصد بابا روما) . أنلنا أن نلازم الفضائل التى كنت فيها أنموذجاً عجيباً ، فلنستحق أن نشاطرك المجد فى الوطن السمائى آمين (غفران ٣٠٠ يوم مرة فى اليوم . وغفران كامل فى الشهر للتلاوة اليومية) .

ويعلق قداسة البابا شنودة الثالث على سيل الغفرانات هذا قائلاً :

"١-المفروض فى الغفران أنه لمغفرة خطية أو خطايا : فما معنى منح غفران بسبب صلوات ، أو تلاوات مقدسة ، أو زيارة لأديرة أو كنائس ؟! ما هو الشئ الذى يُغفَر هنا ؟

٢-المبدأ اللاهوتى الثابت هو أن المغفرة وسيلتها التوبة : { توبوا لتمحى خطاياكم } (أع٣: ١٩) و { إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون } (لو١٣: ٣،٥) فما دخل التلاوات والزيارات بالمغفرة ؟

٣-أن الغفرانات عن طريق التلاوات والزيارات والإحتفالات ، لا يمكن أن تتم بدون الرجوع إلى الله ، ونقاوة القلب بترك الخطية .

---

[٣٨١] لماذا نرفض المطهر ؟ لقداسة البابا شنودة الثالث صـ٧٩-٨٢ .

٤- مجرد التلاوات يغفل العمق الروحي للصلاة : فما أسهل أن يكرر الإنسان صلاة عشرات أو مئات المرات ، ويكون ذلك بلا عمق وبلا روح .. وربما صلاة واحدة قصيرة بعمق وروح ، تكون أكثر فائدة من مائة صلاة بمجرد التلاوة . أن العشار صلى صلاة قصيرة بكلمات قليلة وخرج بها مبرراً (لو١٨: ١٤) .

٥- وما معنى تحديد الغفرانات بأيام وسنين وأربعينيات ؟ : على أى أساس وضعت هذه الأرقام ؟ وما سندها اللاهوتي ؟ وما سندها الكتابي ؟ وهل هى مجرد أقساط تُدفَع من حساب إنسان ؟ وهل هى خصم من حساب المطهر وعلى أى أساس ؟! وأيهما أسهل : أن يقول شخص (أبانا الذى) مرة ، أم يقضى ١٠٠ يوماً فى عذاب المطهر؟ وأين التوازن بينهما .. وما معنى غفران ٢٥٢ سنة لمن يصعد درجات السلم المقدس جاثياً ؟! هل صعود هذه الدرجات يوازى عذاب ٢٥٢ سنة فى المطهر ، بعذابات تشبه عذابات جهنم .. ؟!

٦- هل زيارة الأماكن المقدسة هى للبركة أم للغفرانات : ما معنى أن زيارة مكان معين ، فى يوم معين بالذات ، تمنح غفران ٣٠ سنة و٣٠ أربعينية ؟! وما ذنب الذى لم تسمح له ظروف عمله ، أو ظروفه المالية ، أو ظروف صحته بزيارة ذلك المكان المقدس ؟!

٧-ما معنى أن يُغفر لشخص ١٥ سنة لعمل ، و٢٥ سنة لعمل آخر ، ٣٠ سنة لعمل ثالث ؟! أو تختلف هذه الغفرانات باختلاف يوم الزيارة وموعده . أو تختلف مدة الغفران إن قيلت الصلاة سراً أو قيلت علانية ! ولماذا الغفران أحياناً بالأيام وأحياناً بالأربعينيات ، وأحياناً بالسنوات أو بعشرات السنوات ؟! " [٣٨٢]

ثم كتب الأب مكسيموس كابس معلقاً على كلام قداسة البابا قائلاً " الغفرانات كما يقدمها قداسة البابا شنودة فى كتابه عن المطهر مرفوضة من الكاثوليك ، ونعتبر ما كُتب هو تشهير لا مبرّر له للكنيسة الكاثوليكية .. وكما للكنيسة الحق فى أن تفرض عقوبات زمنية تترجم بالسنين والاربعينات والأيام كما ورد فى أقوال القديسين ولمدى الحياة أيضاً لها الحق أن تستبدل هذه العقوبات الزمنية بصلوات أو تلاوات أو زيارات لأماكن مقدسة . وذلك بموجب ذات السلطان الكهنوتى الذى أعطى لها مؤسس الكنيسة وهو السيد المسيح ..

---

[٣٨٢] المرجع السابق صـ٨٢-٨٤ .

الغفرانات نوعان :

غفرانات عن الذنب وغفرانات عن قصاص الذنب .. الكنيسة الكاثوليكية تعتقد تمام الاعتقاد أن الذنب لا يُغفر إلاَّ بالإعتراف لدى الكاهن المفوض له بسماع الاعترافات ونوال الحل ، وهذا الاعتقاد مأخوذ من السلطة التى منحها السيد المسيح لرسله عندما قال لهم " ما حللتموه على الأرض يكون محلولاً وكل من أمسكتم عليهم خطاياهم أُمسكت "

النوع الثانى من الغفرانات وهو الغفران من القصاص.فى باب العقوبات الكنسية التى أوردها قداسة البابا شنودة كثير من التناقضات ، فهو يخلط بين العقوبات عن الذنب أى العقوبة الزمنية وبين وفاء العدل الإلهي عن الذنب ، ولذا نجده يتخبط ويورد آيات من الكتاب المقدس لا علاقة لها بالموضوع .. أنه يقول { نحن نوافق على عقوبة أرضية .. كما أن الكتاب لا يقول أن هناك عقوبة أرضية على كل خطية وإلاَّ وقع الإنسان فى اليأس لأننا فى كل يوم نخطئ ، ولأننا فى أشياء كثيرة نعثر جميعاً (يع٣: ٢) نقطة أخرى نقولها ، وهو أن العقوبة الأرضية هى للفائدة الروحية وليست للتكفير ، ليست هى ثمن الخطية ، إنما هى تأديب وعلاج .. أن الكنيسة التى فرضت العقوبة بسلطانها أن ترفعها .. } (لماذا نؤمن بالمطهر ؟ صـ٩٤-٩٦) .

أن قداسة البابا شنودة من سياق كلامه كله يقر بسلطان الكنيسة عن فرض عقوبات على الخطية ، وهذا السلطان أعطى لها من الرب يسوع عندما أعطاها سلطان الحل والربط . ويقول أيضاً أن للكنيسة الحق فى الحل من هذه العقوبات كما أن لها السلطان بالربط بموجب ذات السلطة التى أعطيت لها من الرب ونسى أن يقول أن للكنيسة أن ترفع هذه العقوبات وتستبدلها بصلوات أو زيارات ..

فما يقال عن غفران مائة يوم أو أربعين يوماً أو سنين أو غفراناً كاملاً ليس هو غفران عن الذنب لأن الذنوب كما قلنا فى أول بحثنا هذا لا تُغفَر إلاَّ بالاعتراف ونوال الحل من الكاهن الشرعي المعتمد من السلطة الكنسية " [٢٨٣]

توضيح :

موضوع الغفرانات فى الكنيسة الكاثوليكية ليس له علاقة على الإطلاق بالعقوبات الكنسية أو غفران قصاص أو عقوبة الخطية ، ولو كان المقصود بهذه الغفرانات هى

---

[٢٨٣] إيماننا القويم جـ٢ لماذا نؤمن بالمطهر ؟ صـ٢٨-٤٢ .

رفع عقوبة خطية معينة لكان ذلك يتضح من نص الغفران ، فيقول مثلاً الذى يكذب يقرأ الآيات التى تدين الكذب عشر مرات ويصلى للرب ثلاث مرات يومياً ويطلب المعونة لكيما يخلصه من خطية الكذب ، ولكن نصوص الغفران لم ترتبط بخطية معينة لكنها شملت أيام . فمثلاً الذى يقول " بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين " يغفر الله له جميع الخطايا التى صنعها أو التى سيصنعها خلال ٥٠ يوماً ، فإذا قال الآية ثمانية مرات يحصل على غفران لعقاب خطاياه طوال العام كله ، ولو قال الآية عدة مئات من المرات خلال ساعة واحدة يعفى من نيران المطهر لأنه سيحصل على غفران العمر كله ، ومثلها لو قال " هلم يا روح الله القدوس ، وأملأ قلوب مؤمنيك ، واضرم فيها نار محبتك المقدسة " فى مدة خمس ثوان يحصل على غفران لعقوبة خطاياه لمدة مائة يوم ، ولو كرَّر العبارة اثنى عشر مرة خلال دقيقة من الزمن يحصل على غفران عقوبة جميع خطاياه خلال ١٢٠٠ يوم أى أكثر من ثلاث سنوات . أما لو أسعده الحظ وصعد السلم المقدس فإنه يحصل على غفران لعقوبة جميع خطاياه خلال ٢٥٢ سنة يأخذ ما يحتاج إليه العمر كله ويوزع الباقى على أحبائه هل هذا معقول ؟!

وحتى لو إفترضنا أن هذه الغفرانات تخصم من مدة العقوبة فى المطهر فلن نجد على الإطلاق توازن ولا تكافؤ ولا عدل بين تلاوة صلاة تستغرق ثوانى ، وبين إعفاء خمسين يوماً أو مائة يوماً من نيران المطهر .



الفصل السابع
معتقدات خاصة بالأسرار والأصوام وتاريخ عيد الميلاد

أولا : الأسرار السبعة

هناك بعض الخلافات بين الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية ، فمثلاً الكنيسة الكاثوليكية تقبل معمودية الطوائف بل أنها تقبل معمودية المنشقين والهراطقة والوثنيين ، ويؤخرون سر الميرون حتى بلوغ سن التمييّز بين السادسة والثانية عشر ، ويمنعون الأطفال من تناول الأسرار المقدسة ، ويزوجون بناتهم لغير المؤمنين .. وهلم جرًّا .

١- سر المعمودية

نناقش فى هذا السر النقاط الآتية :

أولاً : الكنيسة الكاثوليكية تعترف بالمعمودية عن طريق السكب أو الرش .

ثانياً : الكنيسة الكاثوليكية توصى بتعميد الجنين فى بطن أمه .

ثالثاً : الكنيسة الكاثوليكية تقبل معمودية الطوائف .

رابعاً : الكنيسة الكاثوليكية تعترف بالمعمودية التى يجريها الهراطقة والوثنيون .

خامساً : هل تقبل كنيستنا القبطية الأرثوذكسية معمودية الكنيسة الكاثوليكية ؟

أولاً : الكنيسة الكاثوليكية تعترف بالمعمودية عن طريق السكب أو الرش

يعترف الأب انطون صالحانى اليسوعي بأن الأصل فى المعمودية هو التغطيس ، وأن الكنيسة الكاثوليكية غيَّرت التغطيس إلى الرش فيقول " أن الكنيسة الغربية كانت قديماً تُعمِد بالتغطيس ثم عدلت عن هذه الطريقة لأسباب صوابية منها المحافظة على الحشمة المسيحية خاصة إذا كان الشخص المُعَمَّد من النساء وفى سن الصبا ، وخصوصا بعد أن أُلغيت فى الكنيسة خدمة النساء الشماسات (ياكونيس) ومنها تسهيل منح العماد ، ومنها منع الخطر المُعرَّض له الطفل المولود حديثاً إذا عُمِد بالتغطيس ثلاثاً فى البلاد الباردة خاصة إذا كان ضعيف البنية ، ومنها أن الأشخاص الذين يرُاد عمادهم

قد يكونوا مُبتَلين بأمراض لا تسمح مطلقاً أن يُعمدَوا بالتغطيس كالمخلعين والمدنفين (المقبلين) على الموت ، ومنها أنه قد يُمنح العماد فى أماكن ليس فيها ماء كاف للتغطيس .. وورد فى كتاب تعليم الرسل الإثنى عشر ما نصه " عمّدوا باسم الآب والإبن والروح القدس فى ماء حي . وإن لم يكن عندك ماء حي فعمد بماء آخر . وإن لم تقدر فى ماء بارد ففى (ماء) حامٍ . وإن لم يكن عندك ما يكفى من إحدهما فاسكب على الرأس ثلاث مرات باسم الآب والإبن والروح القدس " [٣٨٤]

كما يقول الأخوة الكاثوليك بأن بطرس الرسول عمّد فى اليوم الأول لحلول الروح القدس ثلاثة آلاف نفس ، فلو لم يعمدهم بالرش فكيف كان يعمدهم بالتغطيس ؟!

توضيح :

بالنسبة لعماد النساء فى سن الصبا فإنهنَّ يرتدين ملابس بيضاء ، ويغطسنَّ فى المعمودية ثلاث مرات ، ويدهنَّ بزيت الميرون فى الأماكن الظاهرة من الجسم ، وبذلك يبعد الأب الكاهن عن العثرة ، وفى البلاد الباردة يمكن تدفئة مياه المعمودية وهذه التدفئة لا تُبطل الطقس . أما بالنسبة للذين لا تسمح حالتهم الصحية بقبول المعمودية بالتغطيس فقد أجازت الكنيسة عمادهم بالسكب أو الرش ، وهذا هو الاستثناء الذى حوّلته الكنيسة الكاثوليكية قاعدة عامة ، وهذا الاستثناء دافع عنه الشهيد كبريانوس فى الرسالة رقم ٧٦ قائلاً " أن سر المعمودية لا يعدم قوته إذا أُتم عند الضرورة بالرش ولا حاجة بعد ذلك إلى إعادة التعميد " [٣٨٥]

وأيضاً فى حالة الضرورة القصوى للعماد وفى حالة عدم توفر ماء كاف مثل عماد مسجون فى سجنه فيجوز العماد بالرش وهذا ما أشار إليه كتاب تعاليم الرسل ، وهذا أيضاً استثناء وليس قاعدة عامة . أما عن عماد ٣٠٠٠ نفس فإن بطرس لم يعمدهم بمفرده بل كان معه بقية التلاميذ الإثنى عشر ، والرسل السبعين ، وجميعهم نالوا الرتبة الكهنوتية وبذلك يخص كل منهم نحو ٣٧ نفس ، وهذا ليس بالعدد الكثير ، والمياه كانت متوفرة فى أورشليم ، فما المانع من عمادهم بالتغطيس ؟!

والعماد بالتغطيس أمر مُسلَّم به فى الكتاب المقدس وفى التقليد وواضح جداً فى

---

[٣٨٤] الحقائق اللامعة فى عقائد الكنيسة الجامعة سنة ١٩٢٦ صـ ٤٩ ، ٥١ .

[٣٨٥] الإيضاحات الجلية عن حقيقية الأرثوذكسية للشماس ميخائيل شحاته صـ ١١٦ .

أقوال الآباء ، فمعمودية يوحنا كانت بالتغطيس " فلما إعتمد يسوع صعد للوقت من الماء " (مت٣: ١٦) وهكذا كان يعمد يوحنا (مر١: ٥) ولهذا إختار عين نون " كان يوحنا أيضا يعمد فى عين نون بقرب ساليم لأنه كان هناك مياه كثيرة وكانوا يأتون ويعتمدون " (يو٣: ٢٣) فإن كانت معمودية يوحنا التى للتوبة كانت تتم بالتغطيس ، فهل معمودية العهد الجديد التى تمنحنا مغفرة الخطايا والولادة الثانية تكون بالرش ؟! مع أن الولادة تكون للطفل ككل وليس لجزء منه دون الآخر ، وفى عماد الخصي الحبشي قال " هوذا ماء ماذا يمنع أن اعتمد فقال فيلبس إن كنت تؤمن من كل قلبك يجوز فأجاب وقال أنا أؤمن أن يسوع المسيح هو إبن الله فأمر أن تقف المركبة فنزل كلاهما إلى الماء فيلبس والخصي فعمده . ولما صعدا من الماء " (اع٨: ٣٦) .

وقد أوضح الإنجيل أن المعمودية هى موت ودفن وقيامة مع المسيح " فدُفنّا معه بالمعمودية للموت حتى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضا فى جدة الحياة " (رو٦: ٤) " مدفونين معه فى المعمودية التى فيها أُقمتم أيضا معه " (كو٢: ١٢) ومعروف أن الجسم كله يُدفن وليس جزء منه فقط ، والمعمودية فى معناها اللغوى تعنى صبغة فيقول الأب جراسيموس مسرة فى كتابه الأنوار صـ٢٧ " أن المعمودية التى هى فى أصلها " فابتزما " هى صيغة مبالغة من " فابتين " الذى معناه الصبغ أى إدخال الشئ إلى قلب السيال (الإناء) المطلوب الاصطباغ به ، ولفظة فابتزما معناها إدخال الشيء فى السيال مع كبسه إلى أسفل كما تقتضي المبالغة وهذا لا يكون إلاَّ بالتغطيس " [٣٨٦]

أما قوانين الرسل فقد نصت على إتمام العماد المقدس بالتغطيس وليس بالرش ، ففى القانون الأول " فليتعروا ويبدأ أن يُعَمد الأطفال .. ومن بعد يُعَمد الرجال الكبار وأخيراً النساء .. ولا أحد ينزل بشئ غريب إلى الماء " وفى القانون ٢٥ من الدسقولية جاء " كل أسقف أو قس لا يتم ثلاث غطسات فى السر الواحد بل غطسه واحدة تعطى لموت الرب فليقطع " [٣٨٧] وفى القانون ٣٤ " وليكن التعميد فى مكان جار أو ماء يجرى إلى المغطس فإن كان ثمة ضرورة فليسكب فى المغطس الماء الذى يوجد ، وغطاسنا

---

[٣٨٦] تنوير الأذهان إلى ما فى عقائد الكنيسة الغربية من الزيغان صـ٢١،٢٢ .

[٣٨٧] المرجع السابق صـ١٨، ١٩ .

فى الماء هو اننا نشارك موت المسيح والصعود من الماء هو مثال انبعاثنا منه " [٣٨٨]

ولذلك نجد أجران المعموديات الأثرية كافية لغطس الرجال ، وتشمل سلالم تأتى من الغرب إلى جرن المعمودية ، وسلالم أخرى يصعد عليها المعمد متجهاً للشرق .

أما أقوال الآباء التى يتضح فيها تماماً إتمام المعمودية بالتغطيس فإنها كثيرة جداً ، ونذكر منها هنا القليل جداً :

أ- قال القديس باسيليوس " فبثلاث غطسات والماء مساوٍ فى العدد يتم سر المعمودية العظيم حتى يتصورّ رسم الموت وتستنير نفوس المعمدين بتسليم معرفة الله " [٣٨٩]

ب-الشهيد يوستين " .. بعد ذلك يأتى بهم (الموعوظين) إلى حيث يوجد ماء ، وتعاد ولادتهم بأسلوب إعادة الولادة التى أعيدت به ولادتنا لأنهم يستحمون حينئذ فى الماء على إسم أبى الكل الإله السيد مخلصنا يسوع المسيح والروح القدس " [٣٩٠]

حـ-العلامة ترتليانوس " لأننا لا نغطس مرة واحدة بل ثلاث مرات باسم كل واحد " الأقانيم " (ترتليانوس ضد بركسياس) " وحين نأتى إلى الماء نغطس ثلاث مرات " (ترتليانوس فى الاكليل) "[٣٩١].

د- كيرلس الأورشليمى فى العظة الثالثة " كما أن الذى يدخل فى الماء ويعمد يتغمر بالمياه من كل جهة هكذا اعتمدوا تماماً من الروح أيضاً ولكن الماء يغمر من الخارج وأما الروح فإنه يعمد النفس داخلياً بلا انقطاع " [٣٩٢]

ومن شهادات الأخوة الكاثوليك على ممارسة المعمودية بالتغطيس نذكر ما يلى :

أ-جاء فى لاهوت أنطونين جـ٢ صـ ١٦٢ " أعلم أنه حيث توجد عادة التعميد بالغطسات الثلاث التى إستمرت فى الكنيسة اللاتينية إلى الجيل الـ١٣ ، فمن يتركها بدون ضرورة فإنه يخطئ ضد وصية الكنيسة كأنه لم يحفظ طقس كنيسته ، ولكن يجب أن تصير الغطسات الثلاث هكذا حتى أن المُعمَد يغطس على دعوة كل أقنوم

---

[٣٨٨] المرجع السابق صـ٢٥ .

[٣٨٩] المرجع السابق صـ١٩ .

[٣٩٠] المرجع السابق صـ١٩ .

[٣٩١] المرجع السابق صـ٢٠ .

[٣٩٢] المرجع السابق صـ٢٠ .

إلهي غطسة واحدة " [393]

ب- يقول الأب فاضل سيداروس اليسوعي " يغطس المعمَّدون فى الماء كى يدفنوا بخطاياهم فيها فيقومون لحياة جديدة وكان المعمَّدون قديماً ينزلون عراة فى جرن المعمودية .. وعندما يغطس المعمَّدون فى الماء أنهم يتجاوزون الموت الذى يستوجبونه من جراء خطاياهم .. وللتعبير عن ذلك كانت الكنيسة القديمة تختار للمعمودية أماكن تتميز بغزارة المياه ، بمياه تنبع من ينبوع حي ، رمزاً للحياة الأبدية التى تنبع من المعمودية وتفيض على حياة المُعمَّدين اليومية كى يحيوا معموديتهم . ويعبر راعى هرماس فى القرن الثانى الميلادي عن هذه الرمزية بقوله ينزلون فى الماء أمواتاً ويصعدون منه أحياء " [394]

كما يقول أيضا " نذكر أن الكلمة اليونانية للدلالة على المعمودية هى Baptisma أى " الغطس " وفى بداية المسيحية كانت الأماكن المخصَصة للمعمودية بجوار الأنهار أو البحار أو الينابيع ، حتى يتسنى للمعمَّدين الغطس فى المياه ؛ أمْرهم أمْر يسوع نفسه فى نهر الأردن (الإزائيات) أى خازن ملكة الحبشة (أع٨: ٣٦-٣٨) ويتم الغطس ثلاث مرات ، تذكيراً بالأيام الثلاثة التى قضاها يسوع فى القبر ليخرج قائماً منه ، فالمعمَّدين يموتون عن خطاياهم مع المسيح لحياة جديدة ، وفى الغرب منذ القرن الرابع كانت فى داخل أجران المعمودية فى الكاتدرائيات سلالم ينزل عليها المعمَّدون للغطس ، وأخرى ليصعدوا منها ، الأولى موجَّهة نحو الغرب إشارة إلى حالة الخطيئة ، والثانية نحو الشرق إلى نور المسيح .. أما الشرق فقد احتفظ دائما بالغطس (للبالغين) والتغطيس (للأطفال) حفاظاً منه على عمق رمزية هذه الحركة – من موت وقيامة – وتمسكاً بما فعله يسوع نفسه ، وتأكيداً على ما يعنيه لفظ المعمودية اليوناني . وعند الكاثوليك عامة يجوز إستخدام إحدى الطرق الثلاث الغطس والتغطيس ، أو السكب ، أو الرش ، وقد اجاز المجمع التريدانتيني (١٥٤٥-١٥٦٣م) الطرق الثلاث ، ونحن نعلم أن الشرقيين منهم يمارسون تغطيس الأطفال " [395]

---

[393] المرجع السابق صـ٢٥،٢٦ .

[394] سرَّا المعمودية والتثبيت صـ٣٠ .

[395] المرجع السابق صـ١٠٣-١٠٤ .

حـ -جاء فى قوانين الكنائس الشرقية "٤٨ – على الرتبة الطقسية أن تكون كاملة وبالتغطيس .. أن العديد من الكتب الليترجية يلحظ عادة منح سر المعمودية بالتغطيس الثلاثي . أنه لعُرف ذو مغزى سامى التعبير ، حُوفظ عليه طويلاً فى تقاليد الكنائس الشرقية حتى فى الوقت الحاضر ، ويُشجّع على استخدامه الآن فى كنيسة الغرب (راجع مثلاً " الحق القانونى الكنسي " ق٨٥٤) بالرغم من أنه غالباً ما يُستغنى عنه لأسباب تسهل الراحة على السلطات المختصة . إذن أن نسعى لإعادة رتبته التغطيس الثلاثى ، وذلك بفطنة ولكن أيضا بغيرة " [٣٩٦]

ثانياً : الكنيسة الكاثوليكية توصى بتعميد الجنين فى بطن أمه

بحجة الآية " من آمن واعتمد خلص ومن لا يؤمن يدن " (مــت٣: ١٦) أوصت الكنيسة الكاثوليكية بعماد الجنين فى بطن أمه عن طريق توصيل أنبوبة أو حقنه داخل رحم الأم بشرط أن تصل المياة إلى جسم الطفل .

وجاء فى كتاب مختصر اللاهوت الأدبي الكاثوليكي لهيربرجون تحت رقم ٤٦٥ " ويجوز أن يُعمد الولد فى بطن أمه بحلول ماء تلافياً لمرض ممكن " [٣٩٧] وتحت رقم ٤٦٧ " يجب أن يمس الماء المعمود (المتعمد) لذلك فالعماد باطل إذا مس الماء ثيابه فقط ، أو رحم الوالدة وتوابعه عند تعميد طفل فى حشي أمه .. " [٣٩٨] وتحت رقم ٤٧٨ " وإذا لم يظهر أى جزء من جسم الجنين وأمكن أن تصل إليه ، لا إلى غشاء الرحم فقط بواسطة الحقنة فعليك أن تعمده .. إذا توفيت الوالدة قبل ولادة الطفل عليك والإلزام ثقيل بحكم المحبة أن تهتم بأمر عماده أن آملت أنه حي " [٣٩٩]

تعليق : رغم أن الكنيسة الأولى أدركت أهمية المعمودية للخلاص لكنها لم تمارس مثل هذه الأمور ، لأنها تعلم تماما أن هذه الآية تنطبق فقط على الأحياء الذين نزلوا من بطون أمهاتهم إلى أرض الشقاء .. عجباً لقوم يمنعون التغطيس فى العماد منعاً للإحراج

---

[٣٩٦] مجمع الكنائس الشرقية – توجيه لتطبيق المبادئ الليترجية الواردة فى مجموعة قوانين الكنائس الشرقية صـــ ٧٠ ، ٧١ .

[٣٩٧] مختصر علم اللاهوت الأدبي صـــ ٣٩٩ .

[٣٩٨] المرجع السابق صـــ٤٠١ .

[٣٩٩] المرجع السابق صـــ٤٠٩ .

الذى يقع فيه الكاهن الكاثوليكي المتبتل عند عماد النسوة رغم أن كل منهنّ ترتدى جلباباً أبيض ، ويسمحون لهذا الكاهن أن يمارس عملية غريبة وكأنه طبيب لأمراض النساء وكيف يمكن تصور عملية كهذه ؟! ، وما هى النتيجة لو أن حقنة المياه أصابت عين الصبى أو جمجمته الضعيفة ؟! .. أما عماد جنين فى بطن أمه التى لفظت أنفاسها الأخيرة فهو عملية تفوق الوصف والخيال وتدخل تحت بند التشهير بالجثة .

ثالثاً : الكنيسة الكاثوليكية تقبل معمودية الطوائف

يقول الأب مكسيموس كابس فى رده على كتاب قداسة البابا شنوده الثالث لماذا نرفض المطهر ؟ " فالمعمودية تصيّرنا أبناء الله مسيحيين لا غير ، فلا علاقة للمعمودية بالطوائف فليست هى كاثوليكية ولا أرثوذكسية ولا بروتستانتية ولكنها معمودية واحدة للخلاص وتصيّرنا أعضاء فى ملكوت الله الذى هو الكنيسة الجامعة أما الخلافات العقائدية فلا شأن لها بالمعمودية " [٤٠٠]

وجاء فى مقال ثورجي بمجلة روز اليوسف عدد ٣٦٨٩ الصادر فى ٢٢ فبراير سنة ١٩٩٩م تحت عنوان حرب الفتاوى بين الطوائف المسيحية : زواج الأرثوذكسي من كاثوليكية حرام " ويقول القمص الياس يوسف سكرتير بطريرك الأقباط الكاثوليك : الكنيسة الأرثوذكسية تعيد المعمودية لغير المنتمين إليها على إعتبار أنها سبق أن حرمت باقى الطوائف المسيحية ، وهذا غير صحيح .. وإذا فرضنا أن قرار الحرمان واقعي وأنهم لديهم الحق المطلق ، فإنه طبقا لنص الإنجيل وتراث الكنيسة فإن المعمودية تكون شرعية سواء كان الشخص الذى أجرى مراسيم العماد محروماً أو غير محروم لأنه لا يجرى مراسم العماد بإسمه أو بصفته ، ولكنها تتم بإسم الثالوث القدوس كما قال السيد المسيح ذلك " .

توضيح :

المعمودية لا تكون واحدة إلاَّ إذا كان الإيمان واحداً ولهذا قال الإنجيل " إيمان واحد معمودية واحدة " (أف٤ : ٥) فهل إيمان الأخوة البروتستانت بالأسرار وفاعليتها هو هو إيمان الأخوة الكاثوليك هو هو إيمان الغير مسيحيين ؟! نحن نؤمن أن من شروط السر

---

[٤٠٠] إيماننا القويم جـ٢ الأب مكسيموس كابس صـ٤ .

أن يتم بواسطة كاهن مشرطن أى إستلم درجته الكهنوتية بوضع اليد بطريقة صحيحة بحيث لو تتبعنا التسلسل نصل إلى أحد الآباء الرسل الذين نالوا سلطان الكهنوت من الرب يسوع ، بينما الأخوة البروتستانت لا يعترفوا بكل هذا ، ولا يعترفوا أن المعمودية تهب مغفرة الخطايا الجديَّة والفعلية ، وتهب الميلاد الجديد ، وقد أوضح كتاب مختصر اللاهوت الأدبي الكاثوليكي بأنه يلزم لإتمام السر أن تكون نية خادم السر مناسبة أى يؤمن بفاعلية سر المعمودية ، فجاء تحت رقم ٤٥٠ " لا يصح ايلاء السر بدون النية المناسبة لأن ايلاء السر هو فعل بشرى . أما النية المشار إليها فيجب أولاً : أن توجد فعلاً عند ايلاء السر ، فيعمل الخادم بوحيها كعلة آلية .. وإذا سبق لأحد أن نوى إيلاء سر ما ولكنه الآن .. لا يعمل بوحيها فعمله باطل "[٤٠١]

وبينما أقر بعض الأخوة الكاثوليك معمودية البروتستانت فإن بعض منهم رفضوها ، فمثلاً يقول الأب أنطون صالحاني اليسوعي أن هناك " أحزاباً كثيرة من البروتستانت لا يستعملون الصورة المفروضة من الرب بل يفسدونها ولهذا السبب لا يصح العماد الذى تمنحه الفرق . فالكنيسة الكاثوليكية لا تجزم أن كل عماد يُعطى من البروتستانت هو غير صحيح بل تُلزم بفحص الطريقة التى يجرون عليها فى العماد . فإذا ثبت بعد الفحص المدقّق أنهم يحسنون إعطاء العماد باستعمال المادة (الماء العادى) والصورة (أنا أعمدك باسم الآب والابن والروح القدس بالإضافة إلى ثلاث غطسات) المفروضتين ، وبوضع النية (فلا تكون المعمودية فريضة أو علامة) يقبل عمادهم . أما إذا ثبت أنهم يفسدون الصورة ولا يستعملون الماء الطبيعى بل ماء الورد مثلا أو ماء الزهر ، أو لا يضعون النية فالكنيسة الكاثوليكية توجب إعادة العماد "[٤٠٢]

ولو كانت المعمودية لدى البروتستانت هى هى المعمودية لدى الكاثوليك فعلامَ الصراع المرير بينهما على مدى العصور والأيام ؟!

رابعاً : الكنيسة الكاثوليكية تعترف بالمعمودية التى يجريها الهراطقة والوثنيون

واسمح لى يا صديقى بأن نرجئ مناقشة هذه النقطة إلى الفصل القادم الخاص بمعتقدات الأخوة الكاثوليك تجاه غير المؤمنين .

---

[٤٠١] مختصر اللاهوت الأدبي صــ٣٨٨ .

[٤٠٢] الحقائق اللامعة فى عقائد الكنيسة الجامعة صــ٣٣ .

خامساً : هل تقبل كنيستنا القبطية الأرثوذكسية معمودية الكنيسة الكاثوليكية ؟

جاء بقرارات المجمع المقدس لكنيستنا القبطية فى جلسة السبت ١٩٩٠/٦/٣ ما يلى :

س: هل نُعمّد الأقباط الكاثوليك ؟

ج : نعم لأن بيننا وبين الكاثوليك خلافات فى العقيدة مثل انبثاق الروح القدس ، والحبل بلا دنس ، وخلاص غير المؤمنين "[٤٠٣] وجاء فى نفس الجلسة " بعد الإتفاق اللاهوتي حول الإيمان مع الروم الارثوذكس ، فكنائس الروم الارثوذكس التى تقبل معموديتنا نقبل معموديتها . أما الكاثوليك فبيننا وبينهم خلافات كثيرة جوهرية ولا يمكننا قبول معموديتهم "[٤٠٤]

وقال نيافة الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمى " ما زلنا فى مرحلة الإنفصال فى شركة الأسرار المقدسة ، وبلغة أخرى Nointercammunian أى لا شركة فى الأسرار ، وأننا منذ عام سنة ٤٥١ م أى منذ مجمع خلقيدونيا الذى إنشقت فيه أو إنقسمت الكنيسة إلى كنيستين شرقية بزعامة كنيسة الإسكندرية فى عهد البابا ديسقورس ، وغربية برئاسة بابا روما ، أمست الكنيستان دائرتين مغلقتين إحدهما عن الأخرى ، ولا شركة بينهما ، فعمل الروح القدس فى كل كنيسة يجعل الأسرار ذات فاعلية فى دائرة كل كنيسة على حدة بدون شركة أو إتصال بين الدائرتين أو الكنيستين . بناء على ذلك فلا يجوز لأرثوذكسي أن يتناول الأسرار المقدسة فى كنيسة كاثوليكية ، ولا الكاثوليكي أن يتناول الأسرار فى كنيسة أرثوذكسية .

ومادام كذلك فيما يتعلق بسر التناول ، وهو سر الشركة ، وهو شركتنا مع المسيح ومع الكنيسة ، فالمعمودية الكاثوليكية أيضاً لا نعترف بها ما لم تتم الوحدة الإيمانية أولاً ثم الاتحاد فى سر التناول وهو سر الشركة . وما قلناه فى المعمودية ينسحب أيضاً على سر الزيجة وسائر الأسرار ، ولذلك فإننا نعيد معمودية الكاثوليكي أو الكاثوليكية إذا أراد أن يتزوج بأرثوذكسية أو تتزوج بأرثوذكسي قبل أن يباشر لهما عقد الإكليل الأرثوذكسي .

والخلاصة أنه مع الإعتراف بأن الكنيسة الكاثوليكية كنيسة رسولية لكن ليس هناك

---

[٤٠٣] القرارات المجمعية فى عهد صاحب القداسة والغبطة البابا شنودة الثالث صـ٥١ .

[٤٠٤] المرجع السابق صـ٥٤ .

إعتراف أو إقرار بأرثوذكسية الأسرار التى تتم فى الكنيسة الكاثوليكية عندما ينتقل الكاثوليكي إلى عضوية الكنيسة الأرثوذكسية " [٤٠٥]

وقد أورد القمص باسيلى فانوس وكيل عام بطريركية الأقباط الكاثوليك فى مجلة الصلاح شهر نوفمبر سنة ١٩٩٨م قرار المجمع المقدس ورأى نيافة الأنبا غريغوريوس معاتباً الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ، وهو لم يعاتب رؤساء كنيسته الذين يقبلون معمودية يجريها رجل وثنى لا يعرف المسيح ولا يعترف بالمسيحية ، ولا يؤمن ولا يعتقد ولا يفهم قوة السر وفاعليته .

٢- سر الميرون

نناقش فى هذا السر النقاط الآتية :

أولاً : السر التائه .

ثانيا : متى يُمنح سر الميرون .

ثالثاً : من الذى له حق منح سر الميرون ؟

أولاً : السر التائه

ظن الأخوة الكاثوليك فى كنيسة روما حتى القرن الثانى عشر أن سرّى المعمودية والميرون سراً واحداً ، فيتمم الكهنة سر المعمودية ، ويقوم الأساقفة بتثبيت هذه المعمودية التى تمت بيد القسوس ، ولذلك دعوه بسر التثبيت . وأكثر من هذا أن هذا السر أهمل فى الغرب لمئات السنين ، فيقول الأب فاضل سيداروس اليسوعي : " أما فى الغرب فقد كلّف الأساقفة قساوستهم منح السر تكليفاً جزئياً فكان القساوسة يُعمِدون ، وكان الأساقفة يحفظون لأنفسهم ختم المعمودية أى تثبيت المعمودية ، ومن هنا (جاءت) تسمية السر " سر التثبيت " .. وفى القرن الثانى عشر حيث أصبح التمييز واضحاً بين سر المعمودية وسر التثبيت ، لم يعد مدلول " التثبيت " تثبيت " معمودية " القساوسة عن طريق الأساقفة – كما كان الأمر فى البداية – بل تثبيت " المعمدين " أنفسهم عن

---

[٤٠٥] القيم الروحية فى سر المعمودية صـ٢٠٥-٢٠٦ .

يد الأساقفة .. إلاَّ أن الكنيسة الغربية فـي نهايـة القـرون الوسـطى وحتـى القـرن السابع عشر أهملت هذا السر بسبب غياب الأسـاقفة .. وأمـا المجمـع الـتريدانتينى (Trente :.١٥٤٥-١٥٦٣م) فقد أكد أنه سر يتميز عن المعموديـة .. وفـى القـرن التاسع عشر أعيدت إلى هذا السر قيمته (وهذا يؤكد أن هذا السر كان تائهاً فى الغرب) . وأما المجمع الفاتيكانى الثانى (١٩٦٢- ١٩٦٥م) فقد أبرز قيمة هذا السر .. وقـد أعاد المجمع إمكانية تكليف الأساقفة قساوستهم منح السر. وفى سياق المجمع أوضـح البابا بولس السادس فى سنة ١٩٧١م أن " مادة " السر هى مسحة بالزيت ولا وضـع اليدين (وإن إستخدام الطقس كلتا الاشارتين) تقربـاً منـه إلـى الشـرقيين فـى روح مسكونية واضحة " [٤٠٦]

وبينما تتم الكنيسة اللاتينية سر الميرون بمسـح الجبهـة فقـط ، فـإن الـروم والسريان الكاثوليك يختلفون معهم فى هذا فجاء فى قرارات المجمع البنانى " أن الدهـن (سر الميرون) يجب أن يتم فى الجبهة لا غير كما فى طقس الكنيسة اللاتينية أمـا فـى طقس الروم والسريان فإنه يتم فى الجبهة والعينين والمنخرين والأذنين والقدمين " [٤٠٧]

ثانيا : متى يُمنح سر المَيرون ؟

مارست الكنيسة منذ نشأتها سر الميرون عقب سر المعمودية ، فالطفل بالمعمودية ينال مغفرة الخطايا ويصبح إبنا لله ، وبالميرون يصبح هيكلاً للروح القدس الذى يعمـل فيه ويقوده للملكوت ، ويتغذى الإنسان بجسد الرب ودمه . أما الكنيسة الكاثوليكية فقـد أجلت سر الميرون لحين وصول الطفل إلى سن التمييّز من السادسة وحتى الثانية عشـر ، فجاء فى مختصر اللاهوت الأدبي تحت رقم ٤٨٨ " لا يُثبَّـت (لا ينـال الطفـل سـر الميرون) تثبيتاً صحيحاً إلاَّ المُعَمد الذى عليه أيضا ، بعـد بلوغـه سـن التميّـيز .. (ق٧٨٦) ، وجاء فى الحاشية " بأمر المجمع اللبنانى (مل) بأن لا يُعجّل منـح التثبيـت عموماً قبل تمام السنة السادسة وبأن لا يُؤخر إلى ما وراء الثانية عشر " [٤٠٨]

أمـا المجمع الفاتيكانى الثانى فإنه لم يحسـم الأمر لأنه لم يحدد السن التى يقبـل

---

[٤٠٦] سرّا المعمودية والتثبيت صـ١٣١-١٣٤ .

[٤٠٧] مختصر اللاهوت الأدبي صـ٤١٧ .

[٤٠٨] المرجع السابق صـ٤٢٢ .

فيها الإنسان هذا السر ، فيقول الأب فاضل سيداورس " وهناك تياران لم يحسم بينهما المجمع الفاتيكانى الثانى .

* إقتبال السر فى سن الثانية عشر حتى يعى الفتى (أو الفتاة) وعياً شخصياً معنى هذا السر .. غير أن هذا الاتجاه يفصل تماماً بين سرّى المعمودية والتثبيت . علاوة على أن المُعمَّدين فى هذا العمر نادراً ما يواظبون على التنشئة الكنسية .
* إقتبال السر فى سن السابعة . أى مع " التناول الأول " طبقا لتوجيه مجمع لاتوان (١٢١٥م) .. غير أن هذا الإتجاه لا يأخذ بعين الإعتبار سن الطفل الصغير ويصعب عليه فهم سرّين (دفعة واحدة) ولا سيما أن سرّ التثبيت صعب الفهم ، وشخص الروح القدس لغز لعامة المسيحيين ، والكنائس الغربية على إختلافها تتبنى حالياً أحد التيارين " [٤٠٩]

توضيح :

قال العلامة ترتليانوس " بعد خروجنا من صميم المعمودية مُسحنا بزيت مقدس تبعاً للتكملة القديمة ، كما كانوا قديماً يُدهنون بزيت القرن لنوال الكهنوت " [٤١٠]

وقال القديس كيرلس الأورشليمى " ونحن أيضاً بعد أن صعدنا من جرن الينابيع المقدسة مُنحت لنا المسحة رسماً لما مُسح به المسيح أعنى الروح القدس " [٤١١]

وجاء فى القانون ٤٨ من قوانين مجمع اللاذقية (٣٤٣ -٣٨١م) " أن الذين تعمدوا يجب بعد معموديتهم أن يمسحوا بالمسحة السماوية ويصيروا مشتركين فى ملكوت المسيح .. (وقال فان اسبن) يشير هذا القانون إلى المسحة بالميرون على جبهة المُعمَد وهو سر التثبيت " [٤١٢]

وجاء فى كتاب علم الذمة الكاثوليكي " حسب عادة الكنيسة القديمة كان يُمنَح هذا السر (التثبيت) للأطفال مع سر العماد " [٤١٣]

وقال الأب فاضل سيداروس اليسوعي " فأما فى الشرق فقد كلف الأساقفة

---

[٤٠٩] سرّا المعمودية والتثبيت صـ١٥٠،١٥١ .

[٤١٠] تنوير الأذهان بالبرهان إلى ما فى عقائد الكنيسة الغربية من الزيغان صـ٣٢ .

[٤١١] المرجع السابق صـ ٣٣ .

[٤١٢] مجموعة الشرع الكنسي – الارشمندريت حنانيا الياس كساب صـ١٣٢ .

[٤١٣] علم الذمة صـ١٦٢ – أورده الأسقف ايسيذورس فى كتابه تنوير الأذهان بالبرهان صـ٢٦ .

قساوستهم منح السر (الميرون) تكليفاً كاملاً ، المعمودية وسر الروح القدس ، فكــان القساوسة يمنحونهما مع الأفخارستيا ، فعُرفت هكذا " أسرار التدرج " التى أُعتبرت مدخلاً للحياة المسيحية عامة ولسائر الأسرار خاصة .. ومن مزايا النظام الشرقى هذا الحفــاظ علــى وحدة سرّي المعمودية والميرون أمانة لممارسة الكنيسة الناشئة فــى سـفر أعمــال الرسـل حيث المعمودية ووضع الأيدي معا " [٤١٤]

ولا أدرى لما تحرم الكنيسة الكاثوليكية أطفالها من سكنى روح الله فيهم يرشــدهم ويعلمهم ويذكرهم بكلمات الرب يسوع ، هل بحجة أنهم لا يدركون ؟ وهل فاعلية الســر تتوقف على إدراكنا ، ولو كان الأمر هكذا فلماذا يمنحونهم سر العماد المقدس رغم أنهم لم يدركوا بعد ؟!

وإن كان روح الله القدوس حلَّ على يوحنا المعمدان وهو ما زال جنيناً فــى بطــن أمه فهل كان مخطئاً فى هذا ؟! والمرضى الذين يتناولون الأدوية لعلاجهم هــل تتوقــف فاعلية هذه الأدوية على إدراكهم وفهمهم لتاثير هذه الأدوية فى مقاومة أمراضــهم ؟! .. أن ما تفعله الكنيسة الكاثوليكية من تأخير سر الميرون يُعد جريمة ضد الطفولة البريئــة لا يماثلها إلاَّ جريمة منعهم فى التناول من الأسرار المقدسة فى ذات الكنيسة .

ثالثا : من الذى له حق منح سر الميرون ؟

للأخوة الكاثوليك فى هذا عدَّة آراء وهى :

أ- الذين لهم حق منح السر هم الأساقفة فقط باعتبارهم خلفاء الرسل الأطــهار ، ففــى القرن التاسع الميلادى بعد أن بشَّر اليونان أهل القسطنطينية بلاد البلغــار فقبلــوا الإيمان الأرثوذكسي الخلقيدونى وعمدوهم ومسحوهم بسر الميرون بيد القساوســة البيزنطيين طمع نيقولاوس بابا روما فى إخضاع أهل بلغاريــا لســطوته ، فأرسـل أساقفته إليهم يعيدون مسحهم بالميرون بحجة أن هذا السر لا يمنحــه إلاَّ الأســاقفة فقط ، فكتب فوتيوس بطريرك القسطنطينية يقول " أنهم (أساقفة روما) لم يختشــوا أن يعيدوا ميرون المميزيّن من القسوس داعين أنفسهم أساقفة وقائلين يا للغرابــة بأن المسحة التى يتممها القسوس باْطلَة لا نفع لها . فياترى أيوجد إنســان سـمع بجنون عظيم مثل هذا لم يبطئ هؤلاء المجانين عــن إرتكابــه بإعادتــهم مسـحة

---

[٤١٤] سرّا المعمودية والتثبيت صـــ١٣١،١٣٢ .

الممسوحين من ذى قبل ، وعرضهم أسرار المسيحيين الإلهية الفائقة على الطبيعة للهذر الطويل والضحك العريض ؟ فإنهم يقولون : لا يجوز للكهنة أن يقدسوا المكمَّلين بميرون . لأن هذه شريعة خُصَّت برؤساء الكهنة وحدهم . فمن أين هذه الشريعة ومن مشترعها ؟ مَنْ من الرسل ؟ مَنْ من الآباء ؟ مَنْ من المجامع ؟ أو أين ومتى سُنَّت ؟ وبحكم من قامت ؟ ألا يجوز للكاهن ان يختم بالميرون المعمَّدين ؟ فإذاً (لا يجوز له) ولا أن يعمّد بالكلية ولا أن يكهن . لكى لا يكون كاهنك نصف كاهن مُحصى فى عدد اكليروس فاقد الكهنوت بل كاهناً كاملاً . فإنه مادام يقدس جسد ودم المسيح كيف لا يقدس المكمَّلين الآن بمسحة الميرون ؟ "[٤١٥]

ويقول الأب فاضل سيداروس أنه " جاء فى مجمع فلورنسا (F lorence : ١٤٣٨-١٤٤٥م) أن الأسقف وحده يمنح السر لأن الرسل فقط – فى سفر أعمال الرسل – يمنحون الروح القدس بوضع أيديهم "[٤١٦] ، وجاء فى وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني " وهم (الأساقفة) خدَمة (خدام) التثبيت الأصليون "[٤١٧] .

ب- للنواب الرسوليين حق منح سر الميرون بحكم وظيفتهم ، فمتى تركوا هذه الوظيفة فقدوا صلاحيتهم فى منح السر ، فجاء فى مختصر اللاهوت الأدبي تحت رقم ٤٨٨ " يلى حق منح سر التثبيت بحكم الشرع العام .. النواب والمتقدمون الرسوليين ممن لم يقبلوا بعد الدرجة الأسقفية (ق٧٨٢ بند ٣) فإذا ثبّتوا بعد انتهاء مدة ولايتهم أو خارجاً عن منطقتهم وأن باذن الرئيس المحلى فعملهم باطل (ق٧٨٢ بند٢) "[٤١٨]

هـ – ويمكن لبطريرك طائفة كاثوليكية أن يفوض القسوس لمنح السر . أما قسوس طائفة اللاتين فإنهم يحصلون على التفويض من الكرسي الرسولي ، فورد بكتاب مختصر اللاهوت الأدبي تحت رقم ٢٨٨ " أن الخادم المألوف بسر التثبيت هو من رُقىَّ إلى الدرجة الأسقفية دون سواه (ق٧٨٢ بند ١) .. أما الخادم غير المألوف لسر التثبيت فهو الكاهن الذى يوليه هذا الحق الشرع العام أو انعام الكرسي الرسولي (ق٧٨٢ بند ٢) جاء فى قرارات المجمع اللبنانى (مل) أن للبطريرك أن

---

[٤١٥] تاريخ الانشقاق حـ١ صـ٤٥٩ .

[٤١٦] سرّا المعمودية والتثبيت صـ ١٣٣ .

[٤١٧] وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني دستور عقائدى فى الكنيسة رقم (٢٦) صـ٣٤٧ .

[٤١٨] مختصر اللاهوت الأدبي صـ٤١٩ .

يفوض إلى الكهنة العاديين إيلاء سر التثبيت (صـ٤٢٦) .. وأن ليس له أن يفوض ذلك إلى غير كهنة طائفته ، وهذا الانعام يمنحه الكرسي الرسولي كهنة الطائفة اللاتينية . ولهم بموجبه أن يثبتوا فقط أبناء طائفتهم تثبيتاً صحيحاً "[٤١٩]

د- للقسوس فى الكنائس الشرقية الكاثوليكية الحق فى منح سر الميرون ، فجاء فى وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني " فى ما يتعلق بخادم سر الميرون المقدس (التثبيت) يجب الرجوع كلياً إلى النظام الذى سار عليه الشرقيون منذ أقدم العصور ومن ثم يحق للكهنة أن يمنحوا هذا السر باستعمال زيت الميرون الذى باركه البطريرك أو الأسقف "[٤٢٠]

وجاء أيضاً فى ذات الوثائق " يستطيع جميع الكهنة الشرقيين أن يمنحوا هذا السر بطريقة صحيحة سواء كان مع رتبة العماد أو منفصلاً عنها ، وذلك لجميع المؤمنين أيّاً كان طقسهم ولا يستثنى التابعون للطقس اللاتينى "[٤٢١] كما جاء فى القانون ٦٩٤ من مجموعة قوانين الكنائس الشرقية (م.ق.ك.ش) التى اصدرها البابا يوحنا بولس الثانى فى ١٨ تشرين الأول سنة ١٩٩٠م أن القسوس يمنحون سر الميرون مع سر المعمودية " أنه فى تقليد الكنائس الشرقية الكاهن هو الذى يمسح بالميرون المقدس وذلك مع المعمودية او منفصلاً عنها " وفى القانون ٦٩٦ أن " جميع كهنة الكنائس الشرقية يستطيعون أن يمنحوه (سر الميرون) منحاً صحيحاً مع المعمودية أو خارجاً عنها "[٤٢٢]

توضيح :

أن هذا التعدد والتضارب فى الآراء فتارة يقولون أن الذى له حق منح السر هو الأسقف فقط وأن سر الميرون الذى يتممه الكاهن هو باطل ، وتارة يربطون بين السر ووظيفة الكاهن ، وتارة ثالثة يجيزونه للكاهن بتفويض ، وتارة رابعة يعترفون بأن السر الذى يتممه الكاهن هو صحيح ولا سيما فى بلاد الشرق بل وأكثر من هذا فإنهم يرون أن هذا السر ليس ضرورياً للخلاص ، ففى سؤال ورد فى كتابهم فتاوى لاهوتية

---

[٤١٩] المرجع السابق صـ٤١٨ .

[٤٢٠] وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني – مرسوم فى الكنائس الشرقية الكاثوليكية رقم (١٣) صـ٤٥٩ .

[٤٢١] المرجع السابق صـ ٤٥٩ .

[٤٢٢] مجمع الكنائس الشرقية – توجيه لتطبيق المبادئ الليترجيه الواردة فى مجموعة قوانين الكنائس الشرقية صـ٧٢ .

جاء فيه " أهمل مرقس قبول سر التثبيت . ما هو التثبيت ؟ وماهى مفاعيله ؟ هل خطئ مرقس ؟ وجاءت الإجابة : التثبيت سر يمنح المعمَّد الروح القدس ليقويه فى الإيمـــان ، وذلك بواسطة الدهن بالميرون ووضع اليد مع تلاوة الصورة المسنيــة . أمـــا مفاعيلـــه فهى .. لم يأثم مرقس ثقيلاً إذا كان استصعب قبول هذا السر ، بسبب تقدمة فى العمـــر أو لسبب آخر صوابى . لأن هذا السر ليس ضرورياً للخلاص ، إنما يجـــب أن يحـــرص على قبوله ، لأن إهماله يسبب خسران أجر عظيم فى السماء " [٤٢٣].. ألا ترى صديقـــى أن هذا يفقد الكنيسة الروح الواحد ، ولا يتفق مع ما يتلونه فـــى قـــانون الإيمـــان " نؤمـــن بكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية " ؟!!

قال ... بيس ايرونيموس فى الرسالة رقم (١٤٥) " ماذا يعمل الأسقف ولا يعملــــه الكاهن ما لا الشرطونية (منح سر الكهنوت) " [٤٢٤] ، وجـــاء فـــى كتـــاب علـــم الذمـــة الكاثوليكي صـــ٤٨ " الكهنة القدماء كانت عادتهم يدهنون المعمَّديـــن بـــالميرون بـــإذن رؤسائهم كما يبان ذلك واضحاً فى كتاب الرتبة القديمة " [٤٢٥]

٣- سر التوبة والاعتراف

نناقش فى هذا السر النقاط الآتية :

أولاً:الإعفاء من الاعتراف للكاهن .

ثانياً : الكاهن الهرطوقى يمنح الحل .

ثالثاً : منح الحل للشخص الهرطوقى .

رابعاً : للرئيس الأعلى احتكار الحل لبعض الخطايا .

خامساً : الكنيسة الكاثوليكية تعتنق الفكر البروتستانتي .

---

[٤٢٣] فتاوى لاهوتيه – الأب نعمة الله مطر صـــ٢٠٦، ٢٠٧ .

[٤٢٤] تنوير الأذهان بالبرهان إلى ما فى عقائد الكنيسة الغربية من الزيغان صـــ٣٤ .

[٤٢٥] المرجع السابق صـــ٢٦ .

أولاً : الإعفاء من الاعتراف للكاهن

جاء فى كتاب مختصر اللاهوت الأدبي الكاثوليكي تحت رقم ٥٦٧ ، ٥٦٨ أن الكنيسة الكاثوليكية تعفى من يخشي من إفشاء اعترافاته والفضيحة أو يخشي أن يتسبب فى عثرة للكاهن المتبتل ولا سيما فى الأمور الجنسية فيقولون " أن العجز يُعفى من واجب الاعتراف بجميع الخطايا المميتة .. والعجز المذكور طبيعى وادبى ، وهو طبيعى فى منازع (قريب من الموت) عُقد لسانه ، وفيمن يستحيل عليه تذكر خطاياه .. وهو أدبى فيمن يسبب له الإعتراف مشقات غير مألوفه .. أولاً : خطر إفشاء سر الإعتراف .. ثانيا : خطر الفضيحة .. يكون اعترافه طويلاً فيظن الحاضرون أن خطاياه المميتة كثيرة .. ثالثاً : خطر العثار (العثرة) أو خطر ارتكاب الخطيئة وهو خطر قد يتعرض له التائب أو المعرّف (الكاهن) بسبب اعترافه بخطايا ضد الوصية السادسة (لا تزن) .. " [٤٢٦]

ثانياً : الكاهن الهرطوقى يمنح الحل

جاء فى مختصر اللاهوت الأدبي تحت رقم ٥٧٩ " لكل كاهن وإن كان غير مصرّف (غير مصرح له) فى سماع الإعترافات أن يحل حلاً صحيحاً وجائزاً – وإن بحضور كان مصرّف فى ذلك – جميع المتقلبين فى خطر الموت من جميع خطاياهم ومن جميع التأديبات حتى المحفوظة والمشتهرة منها (ق٨٨٢) .. وتشمل لفظة " كل كاهن " من كانت رسامته صحيحة وإن كان واقعاً فى عجز أو تأديب أو جاحداً أو منشقاً أو هرطوقياً " [٤٢٧]

ثالثاً : منح الحل للشخص الهرطوقى

أوصت الكنيسة الكاثوليكية الكاهن بمنح الحل للشخص الهرطوقى عندما يشرف على الموت حتى لو كان مقتنعاً بضلاله ، فجاء فى مختصر اللاهوت الأدبي تحت رقم ٥٥٨ " لك (أيها الكاهن) أن تحل هرطوقياً أو منشقاً متقلباً فى خطر الموت ، على أن يكون سليم النية ، وأن يتعذر إقناعه بأنه على ضلال ، وأن تبذل جهدك فى تلافى الإعثار (العثرة) فعليك بالتالى أن تحرك فيه الفضائل الإلهية والندامة .. ثم تمنحه الحلة (الحل) بدون أن يشعر بها " [٤٢٨]

---

[٤٢٦] مختصر اللاهوت الأدبي صـ٤٩٤ ، ٤٩٥ .

[٤٢٧] المرجع السابق صـ٥٠٣ .

[٤٢٨] المرجع السابق صـ٤٨٧ ، ٤٨٨ .

رابعاً : للرئيس الأعلى إحتكار الحل لبعض الخطايا

جاء فى مختصر اللاهوت الأدبي تحت رقم ٥٨٣ " حفظ الخطايا هو أن يختص الرئيس الصالح بالحل منها ، فلا يستطيع من هو أدنى منه هذا الحل لعدم الولاية للرئيس المذكور (ق٨٩٥، ٨٩٦) أن يحتفظ بثلاث أو أربع من أفظع وأخطر الخطايا الخارجية المعينة فى نوعها . على أن لا يستمر الحفظ أكثر مما يلزم لاستئصال رذيلة عامة راسخة أو لتوطيد الاداب المسيحية المتداعية (ق ٨٩٧، ٨٩٨، ١٢٤٧ بند ١) " [٤٢٩]

خامساً : الكنيسة الكاثوليكية تعتنق الفكر البروتستانتي

لقد إعترفت الكنيسة الكاثوليكية بأنه يمكن للإنسان الخاطئ ان يعترف مباشرة لله ، وبالتالى فإنها اعترفت بهذا ضمناً بإنه لم يعد هناك ضرورة لسر التوبة والاعتراف أمام الكاهن ، فجاء فى كتاب مجموعة الشرع الكنسي للارشمندريت حنانيا الياس كساب نقلاً عن أحد المؤرخين الموثوق فيهم " قد ساد بين الكاثوليك فى القرون الوسطى رأى بأن الاعتراف لله وحده كاف " وجاء فى القانون ٣٣ لمجمع تشالون **Chalon** سنة ٨١٣ " أن البعض يؤكدون أننا يجب أن نعترف بخطايانا لله وحده . واخرون يقولون أنه يجب أن يعترفوا للكاهن ، واتباع أىّ من الاسلوبين لا يخلو من فائدة عظيمة فى الكنيسة المقدسة . فالاعتراف لله يطهر الخطايا ، ولكن الاعتراف أمام الكاهن يعلمنا كيف يجب أن نتطهر من خطايانا " [٤٣٠]

توضيح :

بالنسبة للنقطة الأولى الخاصة بإمكانية الإعفاء من الاعتراف بحجة خطر إفشاء الكاهن أسرار المعترف والخوف من الفضيحة ، فإن الكنيسة تضمن تماماً للمعترف سرّية اعترافاته لأنها وضعت عقاباً صارماً للكاهن الذى يفشي الاعترافات إذ تجرده من رتبته . أما الخوف من إعثار الكاهن فهذا مرجعه إلى إصرار الكنيسة الكاثوليكية على منع كهنتها من الزواج ، ومن المسلَّم به أن العثرة من الأمور الجنسية تكون أقوى تأثيراً على الكاهن المتبتل ، وسنعود إلى هذه النقطة فى سر الكهنوت .

وبالنسبة للنقطة الثانية الخاصة بنوال الحل من الكاهن المنشق الهرطوقي ، فكيف

---

[٤٢٩] المرجع السابق صـ٤٨٧، ٤٨٨ .

[٤٣٠] مجموعة الشرع الكنسي صـ٧٥ .

يصح هذا وهو نفسه مربوطاً بخطاياه ولا يملك أن يحل نفسه فكيف يحـل الآخريـن ؟! وهل فاقد الشئ يعطيه .. أن الكاهن الهرطوقي قد فقد صلاحيته تماماً فى إتمام أى سـر من الأسرار ، وإن تجرأ وتمَّم أى سر فعمله هذا باطل باطل ، لأنه من شروط إتمام السر كاهن مشرطن .

وبالنسبة إلى النقطة الثالثة الخاصة بمنح الحل للشخص الهرطوقى المقتنع بضلاله ، والتحايل على الموقف بمنحه الحل دون أن يشعر فيتمتم الكاهن بالحل وكأنـه يتمتـم بعزيمة سحرية تنقل الهرطوقي المعاند من نيران جهنم أو المطهر إلى الملكوت ، ليـس هكذا عقيدة وطقس الكنيسة يا أحبائى بل يجب أن يتلو الكاهن الحل بصـوت مسـموع للشخص التائب المعترف الذى يسمع بآذانه الحل فيثق أن خطاياه قـد غُفِـرت ويحـل السلام الإلهي فى قلبه ، فإن تلى الكاهن الحل جهراً لإنسان غير تائب فلن يفيده الحـل فى شئ ، لأن شرط نوال الحل أن يتوب الإنسان عن خطاياه ويتعـهد بعـدم تكرارهـا ويعترف بها علانية أمام الكاهن ، فإن كان الهرطوقي مقتنع بهرطقته ولم يعلن توبتـه ولم يتراجع عن أفكاره المميتة فماذا يفيده الحل ؟!

وبالنسبة إلى النقطة الرابعة الخاصة باحتكار الرئيس الأعلى الحـل عـن بعـض الخطايا ، فلو ذهب المعترف إلى الأب الكاهن واعترف بصدق وأمانة بخطيته وتعهد أمام الله بعدم تكرارها فهل يملك الكاهن أن يربط ويمسك خطيته عليه ويرفض هذا الإنسـان التائب ويحيله إلى رئيسه ؟! .. قطعاً لا يستطيع لأنه لا يوجد سند لهذا التصرف لا مـن الكتاب المقدس ولا من التقليد ولا من أقوال الآباء .

أما النقطة الخامسة والأخيرة الخاصة بإمكانية الاعتراف لله مباشـرة والاسـتغناء عن الاعتراف لله أمام الكاهن ، فهذا هو الفكر البروتستانتي الذى ينكر سر الكهنوت بـل جميع الأسرار وفاعليتها وأهميتها ، وهو ضد أقوال الكتـاب المقـدس التـى توصينـا بضرورة الاعتراف أمام الأب الكاهن سواء فى العهد القديم أو الجديد .

٤- سر الأفخارستيا

نناقش فى هذا السر النقاط الآتية :

أولا : تقديم الفطير .

ثانيا : الاحتفاظ بالقربان المقدس عدة أيام وعرضه على البعض .

ثالثا : منع الشعب من تناول الدم .

رابعا : تصفية الخمر ببياض البيض أو غراء السمك ، ومزجه بالكحول بنسبة١٢-١٨%

خامسا : منع تناول الأطفال .

سادسا : للشماس والعلمانى والراهبة حق مناولة الاسرار .

سابعا : للكاهن أن يقيم أكثر من قداس يومياً ، ويمكن أن يكون بمفرده أو تجاوبه إمرأة

ثامنا : للكاهن المنشق أو الهرطوقي إقامة السر .

تاسعا : الولادة والحيض والعلاقات الزوجية ليست موانع للتناول .

عاشرا : تناول الشعب وهم محتزين بأحذيتهم .

حادي عشر : المذبح قد لا يتخذ اتجاه الشرق .

ثاني عشر : الصوم الافخارستي .

أولاً : تقديم الفطير

لا تقدم الكنيسة اللاتينية خبزة واحدة كما فعل الرب يسوع بل تقدم عدداً كبيراً من الفطير الصغير جداً (البرشان) ليتناول كل شخص برشانة فجاء فى كتاب مختصر اللاهوت الأدبي تحت رقم ٤٩٣ " أن يكون الخبز فى الكنيسة اللاتينية فطيراً مستديراً وأن تكون برشانة الكاهن أكبر من التى يتناولها الشعب وأن تكون نظيفة . أن إستعمال الخبز الخمير مُحرَّم فى الكنيسة اللاتينية "[٤٣١]

والأمر العجيب أن الكاهن يحدد للروح القدس عدد البرشانات التى يريد تحويلها إلى جسد الرب ، فجاء فى كتاب مختصر اللاهوت الأدبي تحت رقم ٤٩٢ " يقصد (الكاهن) مثلاً أن يقدس نصف الأربعمائة برشانة الموجودة أمامه (فى) الحقة (الصينية) . ويكون التعيّين كافياً إذا قصد الكاهن أن يقدس المادة الموجودة أمامه .. وأن ظنَّ خطأ

[٤٣١] مختصر اللاهوت الأدبي صـ٤٢٧ .

أن عددها كذا ولم يكن كذلك .. أن نقط الخمر العالقة على جوانب الكأس الداخلية والفتائت التى تبقى عالقة بالرشانات حتى كلام التقديس تتكرس على وجه الاحتمال ، إلاَّ إذا قصد الكاهن عدم تكريسها . أما النقط العالقة على جوانب الكأس الخارجية والفتائت التى انفصلت انفصالاً تاماً عن البرشانات قبل كلام التقديس فلا تتكرس " [٤٣٢]

ويستند الأخوة الكاثوليك فى تقديم الفطير على الآيات الآتية :

" سبعة أيام تأكلون فطيراً . اليوم الأول تعزلون الخمر من بيوتكم . فإن كل من أكل خميراً من اليوم الأول إلى اليوم السابع تقطع تلك النفس من إسرائيل " (خر١٢: ١٥) .

" وفى أول أيام الفطير تقدم التلاميذ إلى يسوع قائلين له أين تريد أن نعدّ لك لتأكل الفصح " (مت٢٦: ١٧) .

" وكان الفصح وأيام الفطير بعد يومين " (مر١٤: ١) .

" وقرب عيد الفطير الذى يقال له الفصح " (لو٢٢: ١) .

توضيح :

عندما قدم السيد المسيح سر الأفخارستيا يوم خميس العهد لم يكن الفصح قد جاء بعد بدليل قول يوحنا الحبيب " أما يسوع قبل عيد الفصح .. قام عن العشاء وخلع ثيابه وأخذ منشفة واتَّزر بها " (يو١٣: ١-٤) وفى صباح الجمعة لم يكن الفصح قد قُدم بعد " ثم جاءوا بيسوع من عند قيافا إلى دار الولاية وكان صبح ولم يدخلوا هم إلى دار الولاية لكى لا يتنجسوا فيأكلون الفصح " (مت١٨: ٢٨) أى أنهم إلى هذه اللحظة لم يكونوا قد أكلوا الفصح بعد ، وحتى رُفِع السيد المسيح على الصليب " وكان استعداد الفصح ونحو الساعة السادسة .. " (يو١٩: ١٤) وحتى غروب يوم الجمعة لم يكن عيد الفصح قد جاء بعد " ثم إذا كان إستعداد فلكى لا تبقى الأجساد على الصليب فى السبت لأن يوم ذلك السبت كان عظيماً سأل اليهود بيلاطس أن تكسر سيقانهم ويرفعوا " (يو١٩: ٣١) وكان حتى هذه اللحظة مسموحاً بالبيع والشراء " فاشترى (يوسف الرامى) كتاناً فأنزله وكفنه .. " (مر١٥: ٤٦) وما دام عيد الفصح لم يبدأ بعد لذلك كان هناك خبزاً فى المنازل ولذلك غمس يسوع اللقمة وأعطاها ليهوذا " الذى أغمس أنا اللقمة وأعطيه فغمس اللقمة وأعطاها ليهوذا .. " (يو١٣: ٢٦) ومن المعروف أن

---

[٤٣٢] المرجع السابق صـ٤٢٦ .

الفطير لا يُغمَس ولكن الخبز هو الذى يُغمَس ، ولذلك قال الإنجيل " وفيما هـم يـأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال خـذوا كلوا هـذا هـو جسـدى " (مت٢٦: ٢٦) وكلمة خبز فى الأصل اليونانى " أرطوس أزيموس " أى خـبزاً مختمـراً وليس فطيراً (الانوار للارشمندريت جراسموس مسرة صـ١١١) .

وجاء فى سفر الأعمال " وكانوا يواظبون على تعليم الرسل والشـركة (الاغـابى) وكسر الخبز (سر الأفخارستيا) والصلوات " (اع٢: ٤٢) ، " وفى أول الأسبوع إذ كـان التلاميذ مجتمعين ليكسروا خبزاً " (اع٢٠: ٧) وقال معلمنا بولس الرسول " الخبز الـذى نكسره أليس هو شركة جسد المسيح " (١كو١٠: ١٦) " إذاً أىٌ من أكل هذا الخبز أو شرب كأس الرب بدون إستحقاق يكون مجرماً فى جسد الرب ودمه " (١كو١١: ٢٧) .

أما قول البشيرين " فى أول أيام الفطير " أو وقرب عيد الفطير " فيعلق على هـذا يوحنا فم الذهب قائلاً " أن الإنجيلى بقوله : بلغ يوم الفطير الذى كان ينبغى فيه أن يذبح الفصح يعنى اليوم كان قريباً وعلى الأبواب ، لا أنه أتى وبذلك يشير إلى تلك الليلة لأنهم كانوا يبتدئون من العشاء " (مقالة ٨١) " [٤٣٣]

وجاء فى تاريخ موسهيم ان الكنيسة فى القرن الأول الميلادى كانت تقدم الخـبز والخمر " ثم يتلو الصلوات على قرابين الخبز والخمر .. " [٤٣٤] ، أما استخدام الفطير فقد بدأ فى الكنيسة الكاثوليكية منذ القرن الحادى عشر ، ولذلك كتب البطريرك القسـطنطيني ميخائيل كيرولاريوس مع لاون رئيس أساقفة بلغاريا رسالة سنة ١٠٥٣م إلـى يوحنـا رئيس أساقفة أترانت يحذره من استعمال الفطير كما تفعل كنيسة روما حديثـاً (تـاريخ الانشقاق حـ٢ صـ٧٨، ١٠١، ١٠٣،١٣٨) .

وفى المجمع الفلورنتيني فى القرن الخامس عشر بين كنيستى روما والقسطنطينية وبعد أن فشل الوفد البيزنطى فى إقناع بابا روما بالعودة إلى الطقـس الأصلـى بتقديـم الخبز ، جاء فى نص المجمع " وأيضا نرسم أن يُتمَّم جسد المسيح أم بفطـير أو بخـبز خمير من قمح إتماماً حقيقياً وأن يكون الكهنة ملزومين أن يتمموا جسد المسيح ذاتـه بأحد الشكلين (خبزاً وفطيراً) كل واحد حسب عادة كنيسته غربية كانت أو شرقية " [٤٣٥]

---

[٤٣٣] تنوير الأذهان بالبرهان إلى ما فى عقائد الكنيسة الغربية من الزيغان صـ٦٠ .

[٤٣٤] موسهيم كتاب ١ قرن ١ قسم ٢ فصل ٤ صـ٤٣ .

[٤٣٥] تاريخ الانشقاق حـ٣ صـ٢٩٥ .

وجاء فى مختصر اللاهوت الأدبي تحت رقم ٥١٣ " وعليه (الكاهن) أن يناول فطيراً أو خبزاً حسب طقسه " [٤٣٦] وقال بيرون " أن الخبز والفطير يصلحان على السواء لإتمام سر الشكر الإلهي " [٤٣٧]

أما الكنائس الكاثوليكية فى مصر ولا سيما الأقباط منهم فإنهم يقدمون ذات القربان الذى نقدمه فى كنائسنا الأرثوذكسية ، وغالباً ما يحصلون عليه من كنائسنا ، وجاء فى قوانين مجمع الكنائس الشرقية أن " القرابين المقدسة التى تُقدَّم فى الليترجيا الإلهية هى خبز من حنطة خالصة " وتناول التوجيه الخاص بهذه القوانين صنع الخبز " بما أن الكنائس المسيحية تعرف عدّة طرق لتحضير الخبز المُعَّد للأفخارستيا يطلب القانون التقيد بأحكام الشرائع الخاصة المختلفة . أن الإختلاف الأكثر ظهوراً من هذا القبيل هو القائم بين الخبز الخمير الذى تستعمله تقليدياً غالبية الكنائس الشرقية ، والخبز الفطير الذى يستخدمه الأرمن واللاتين . لقد حدث فى الماضى جدال حول رمزية كل من العرُفين ، غالباً ما رافقته حرب كلامية ، مضفياً عليه أحيانا تفسيرات لاهوتية . وبما أنه فى هذه البلدان لكل عرف قيمته حدَّدت (م.ق.ك.ش) أن كل كنيسة ذات شرع خاص تحافظ على ما ورثته من آبائها ، لأن مثل هذا الحرب يُعبر رمزيا عن المظاهر المكمّلة للسر الأفخارستي . وهناك اختلافات أخرى منها الشكل الواجب أن يُعطى للخبز المُعَّد للاحتفالات الأفخارستية ، والأختام التى يحب أن يوسم بها ، والصلوات التى ترافق تحضيره ، والأسماء التى تُدعىَ بها .. إلخ فلنتتبع فى كل من هذه التفاصيل ترتيبات الكتب الطقسية " [٤٣٨]

أما موضوع أن الكاهن يضع امامه ٤٠٠ برشانه مثلا ويطلب من روح الله القدوس أن يحل ويقدس ويطهر ويحوّل ٢٠٠ إلى جسد المسيح ويترك البقية لفرصة أخرى ، فقد يتشكك الكاهن أيهما تقدس وتحوّل وأيهما لم يتحول ، وقد يتشكك الشعب أيضا ولا يدرى هل تناول جسد الرب أم أنه تناول فطيراً بسيطاً ، وما الداعى لكل هذه الأمور والكنيسة علمتنا أننا نتناول جميعاً من خبزة واحدة فنصبح جسداً واحداً ؟!

[٤٣٦] مختصر اللاهوت الأدبي صـ٤٤٦ .

[٤٣٧] مقدمة اللاهوت قسم ٢ .فصل ٣ قضية ١ .

[٤٣٨] مجمع الكنائس الشرقية صـ٩٥،٩٦ .

ثانياً : الاحتفاظ بالقربان المقدس عدة أيام وعرضه على البعض

تقدم الكنيسة اللاتينية برشان ليس طازجاً حتى يكاد يتعرض للتلف فجاء في مختصر اللاهوت الأدبي تحت رقم ٤٩٣ " أن لا يكون الخبز قديم العهد ، وهو يبقى مادة صحيحة عند إبتدائه بالعفونة ، إلاَّ إذا عمت جميع أجزائه . إن فساد الخبز وعفونته منوطان بشدة رطوبة الطقس أو خفتها وعليه يجب إجمالاً أن تُغير البرشانات كل خمسة عشر يوماً أو كل شهر " [٤٣٩]

وبعد التقديس والتحول ومناولة الشعب يحفظون البرشان الباقي في مكان مغلق ، وأحيانا يعرضونه على بعض الشعب فيسجدون أمامه ، فجاء في نفس المرجع السابق تحت رقم ٥١٩ ، ٥٢٠ " لابد لحفظ القربان المقدس من شخص يهتم به بما يليق بمقامه السامي (ق١٢٦٥ بند ١) ولا يُقتضى في هذا الشخص صفة معينة (يمكن أن يكون علمانياً) أو أن يحتفظ كاهن بمفتاح المقدِس أي بيت القربان .. يجب أن يتلى القداس مرة في الأسبوع على الأقل في المكان الذي يحفظ فيه القربان الأقدس (ق١٢٦٥ بند ١) أما الأمكنة التي يجب أن يحفظ فيها القربان المقدس فهي (ق١٢٦٥) : الكنيسة الكاتدرائية أو الكنيسة الرئيسية .. يجب أن تحدَّد الأغراض المقدسة (الذخيرة المقدسة) بالوقت المناسب لئلا يصيبها الفساد (ق١٢٧٢) .. ينبغي أن لا يمضى على خبز البرشان أكثر من أربعة أو ستة أسابيع " [٤٤٠]

وجاء تحت رقم ٥٢١ عرض القربان المقدس " يجوز وأن (ولو) بدون إذن الرئيس المحلى أن يُعرَض القربان الأقدس عرضاً خاصاً في كل كنيسة ومعبد يُحفظ فيهما .. والعرض الخاص هو أن يُفتَح بيت القربان الأقدس ليتمكن المؤمنون من مشاهدته في الحقة (الصينية) والسجود له . لا يعرض القربان الأقدس عرضاً عاماً إلاَّ يوم خميس الجسد (خميس العهد) في أثناء القداس وصلاة المساء " [٤٤١]

توضيح :

ما أجمل طقس كنيستنا الأرثوذكسية أن تقدم الحمل طازجاً لم يمض على خروجه من النار عدة ساعات ، ويتم اختياره بمعرفة الأب الكاهن بدقة بالغة لأنه سيتحوَّل إلى

[٤٣٩] مختصر اللاهوت الأدبي الكاثوليكي صـ٤٢٧ .

[٤٤٠] المرجع السابق صـ٤٤٨-٤٥٠ .

[٤٤١] المرجع السابق صـ٤٥٠، ٤٥١ .

الحمل الحقيقى الذى بلا عيب وحده ، فكيف نُقدِم تقدمة (برشان) مرَّ عليها عــدّة أيــام حتى أمسكت العفونة بتلابيبها ؟!

كما ان خروف الفصح الذى كان الشعب يأكله بالكامل حسب الوصية الإلهيــة " ولا تبقوا منه إلى الصباح " (خر١٢: ١٠) يعلمنا أن لا نترك ولو جزءاً بسيطاً مــن ذبيحــة القداس للغد ، ولاشك أن هذا ما سارت عليه الكنيسة الأولى وأخبرنا به التــاريخ الــذى أنبأنا بأنهم كانوا يحملون أجزاء من الذبيحة الإلهية للمرضي والمساجين ولكن أحداً من المؤرخين لم يخبرنا بإنهم ابقوا منه شيئا لليوم التالى أو لعده أيام .. أنه سر الأســـرار الذى لا نكف عن التسبيح أمامه .. أنه سر الأسرار الذى تشتهى الملائكة أن تطلع عليه ، فكيف ننفض من حوله كلٍ إلى حال سبيله ونحفظه فى مكان ليتفــرج عليــه البعــض ويسجدون أمامه ؟!

ثالثا : منع الشعب من تناول الدم

كان الشعب يتناول من الجسد والدم حتى نهاية القرن الحادى عشر ثم جاء البابـــا بسكاليس الثانى [١٠٩٩-١١١٨] ومنع الشعب من تناول الدم ، بحجة أن من يأكل مــن الجسد لا يحرم من الدم لأن الجسد يحوى الدم أيضا ، وفى القرن الخامس عشــر ثبَّــت مجمع قسطنديا فى الجلسة الثالثة عشر بتاريخ ١٤يونيو سنة ١٤١٥م هذا الرأى فقال " فى بعض الأماكن من البسيطة يوجد أناس يتشبثون تشبثا وقحاً بأن الشــعب المســيحى يجب أن يشترك بالأسرار المقدسة فى سر الشكر تحت الشــكلين الخــبز والخمــر .. لا يتناول تحت النوعين إلاَّ القسوس الخادمون ، وأما العوام (الشعب) فتحت النوع الواحــد فقط نوع الخبز لأنه لا ريب فى أن جسد يسوع المسيح وكل دمه موجود فى كل واحــدٍ من هذين النوعين ، ولذا بما أن هذه العادة أُدخلت بحكمة إلى الكنيسة وصارت مرعيَّــة منها زمناً طويلاً فقرّرها شريعة لا يستطيع أحد أن يلغيها أو يغيرها " [٤٤٢]

توضيح :

" فقال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد إبن الإنســـان وتشــربوا دمه فليس لكم حياة فيكم " (يو٦: ٥٣) فبأي لسان ترد الكنيسة الكاثوليكية على الســـيد المسيح الذى قال " من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبديَّة وأنا أقيمه فـــى اليـــوم

---

[٤٤٢] تاريخ الانشقاق حــ١ صــ١٣١،١٣٢ .

الأخير.لأن جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق . من يأكل جسـدي ويشـرب دمـي .." (يو٦: ٥٤-٥٦) ؟!

وفى يوم خميس العهد قدَّم الرب يسوع لتلاميذه كل من الجسد والدم " خذوا كلـوا هذا هو جسدي وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً إشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمـى الذى للعهد الجديد .. " (مت٢٦:٢٦ ، ٢٧) فبأي حق حرمت الكنيسة الكاثوليكية شـعبها من تناول الدم الكريم ؟ ولو أخذنا بحجة أن الجسد يحوى الدم بداخله فما الداعى لوجود الكأس أصلاً عند التقديس ؟!

وما رأيك فى كلام معلمنا بولس الرسول " إذاً أىُّ من أكل هذا الخبز أو شرب كأس الرب بدون إستحقاق .. ولكن ليمتحن الإنسان نفسه وهكذا يأكل من الخبز ويشرب مـن الكأس .لأن من يأكل ويشرب .. " (١كو١١: ٢٧-٢٩) فلماذا عمَّم القَول علـى جميـع المؤمنين ولم يُقصِره على القسوس الذين يخدمون السر فقط ؟!

قال الشهيد كبريانوس فى الرسالة ٥٤ " أننا نحثهم ونحرضهم علـى الجـهاد ولا نتركهم بلا سلاح . بل نُحصِنهم بالسلاح الكامل وهو جسد ودم المسيح ، لأننا كيف نُعلِم أو ندعو إلى الإعتراف بإسمه وأن يهرقوا دمهم إذا كنا لا نمنح دم المسيح للمجـاهدين عنه " [٤٤٣]

وقال جيلاسيوس بابا روما [٤٩٢-٤٩٦] " قد أتضح لنا أن بعضاً من المسـيحيين يتناولون جسد المسيح الإلهي ولكنهم يبتعدون عن كأس الدم الإلـهى . ولا نعلـم لأى سبب يعملون هذا ؟ فنأمر إذن أنه يجب على الجميع أن يشتركوا بالسر المقدس كـاملاً وإلاَّ فليكن أمثال أولئك غير مقبولين فيه لأن قسمة السر الواحد غير ممكنـة مـن دون حصول إهانة عظيمة للموضوعات المقدسة والأشياء الشريفة " [٤٤٤]

وجاء فى كتاب مجمع لبنان صـ١٥٨ " لا يقدم أحد الكهنة على المذبح تقدمة أكثر من عدد الشعب وكذلك المزج بين الخمر والماء . لكن يُعَد لكل شخص جزء ومقدار مـن شرب الكأس على النوع الذى أعطاه السيد لتلاميذه لمغفرة الخطايا " [٤٤٥]

---

[٤٤٣] تنوير الأذهان بالبرهان إلى ما فى عقائد الكنيسة الغربية من الزيغان صـ٥٤ .

[٤٤٤] المرجع السابق صـ٥٤ .

[٤٤٥] المرجع السابق صـ٥١ .

وجاء حديثاً فى مجموعة قوانين الكنائس الشرقية (م.ق.ك.ش) التى أصدرها يوحنا بولس الثانى فى ١٨ تشرين سنة ١٩٩٠ " يجب أن توزع الأفخارستيا تحت شكلي الخبز والخمر المقدسين فليُتخل إذن بدون إبطاء عن عادة توزيع المناولة تحت شكل الخبز المقدس وحده ، كما يمكن أن يحصل ذلك أحيانا اليوم ، بتأثير لاتيني . أن مثل تلك الممارسات يجب أن تعتبر كتجديد حديث العهد ، غريب كلياً عن التقليد الشرقى . ويمكن أن يسهل إعادة توزيع الأفخارستيا نظامياً تحت الشكلين استخدام أوانى مقدسة مناسبة ، مع الحفاظ على نظم التقليد الطقسي الخاص وعوائده " [٤٤٦]

رابعاً : تصفية الخمر ببياض البيض أو غراء السمك ومزجه بالكحول بنسبة ١٢-١٨%

جاء فى مختصر اللاهوت الأدبي تحت رقم ٤٩٤ " لا يجوز أن يُمزج الخمر بالبوتاس أو غيره من المواد لإزالة مرارته ولكن يجوز أن يمزج بشئ قليل من الكحول لحفظه من الفساد ، على أن يكون الكحول من كحول الخمر .. وأن لا يجعل هذا المزج نسبة الكحول فى الخمر أكثر من ١٢ بالمائة . ويجوز أن تبلغ هذه النسبة ١٧أو ١٨ بالمائة .. ويجوز أن يصفى الخمر ببياض البيض أو غراء السمك ، وهما مادتان من شأنهما تنظيف الخمر والرسوب فى قعر البرميل ، وتصرف مع الرواسب عند تعبئة الخمر فى القناني " [٤٤٧]

توضيح :

لا توافق كنيستنا الأرثوذكسية على مزج عصير الكرمة بأى سوائل أخرى مثل الكحول ، ولا بأي مواد أخرى مثل بياض البيض أو غراء السمك أو خلافه إنما تحافظ عليه كما هو مع تصفيته بأى طريقة بسيطة لا تؤثر عليه ، ولا تدخل عليه ولو شوائب قليلة جداً من مواد أخرى . هكذا تسلّمت الكنيسة وهكذا تُسلّم بأمانة ما تسلمته .

خامساً : منع تناول الأطفال

جاء فى مختصر اللاهوت الأدبي تحت رقم ٥٠١ " لكل مُعمَّد أن يتناول القربان المقدس ولكن عند بلوغه سن التمييز وحصوله على المعرفة اللازمة .. فليمتنع عن

---

[٤٤٦] مجمع الكنائس الشرقية – توجيه لتطبيق المبادئ الليترجية الواردة فى مجموعة قوانين الكنائس الشرقية صـ٨٦،٨٧ .

[٤٤٧] مختصر اللاهوت الأدبي الكاثوليكي صـ٤٢٧ .

مناولة الأطفال الذين لصغر سنهم لا يعرفون شيئا عن هـذا السـر (ق٤ ٨٥) وتجـوز مناولتهم فى خطر الموت إذ استطاعوا أن يميّزوا جسد المخلص عـن أى طعـام آخـر ويسجدوا له باحترام .. على الخورى يراقب هؤلاء القاصرين لئلا يتناولوا قبل بلوغـهم سن التميّز وحصولهم على الإستعداد الموافق. " [٤٤٨]

وقد سبق أن أيد المجمع التريدنتينى سنة ٥٤٥ ١م فى الجلسة ٢١ القانون الرابـع منع الأطفال من التناول من الأسرار المقدسة (تنوير الأذهان بالبرهان صـ٣٧) .

توضيح :

قال الرب يسوع " الحق أقول لكم إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلـوا ملكوت السموات ..أنظروا لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار لأنى أقول لكم أن ملائكتهم فـى السموات كل حين ينظرون وجه أبي الذى فى السموات " (مت١٨: ٣، ١٠) ، " حينئذ قُدّم إليه أولاد لكى يضع يديه عليهم ويصلى فانتهرهم التلاميذ . أما يسوع فقال دعوا الأولاد يأتون إليَّ ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات " (مت ١٩: ١٣، ١٤) والأطفال هم الذين إنفتحت قلوبهم للرب يسوع فى دخوله كملك لأورشليم " والأولاد يصرخون فـى الهيكل ويقولون أوصنّا لإبن داود. غضبوا (قادة اليهود) وقالوا أما تسـمع مـا يقـول هؤلاء .. فقال لهم يسوع نعم . آما قرأتم قط من أفواه الأطفال والرُضّع هيّأت تسـبيحاً " (مت٢١: ١٥، ١٦) وقال معلمنا بطرس الرسول " لأن الوعـد هـو لكـم ولأولادكـم " (اع٢: ٣٩) " فاطرحوا كل خبث وكل مكر والرياء والحسـد وكـل مذمـة . وكأطفـال مولودين الآن اشتهوا اللبن العقلى العديم الغش لكى تنموا به " (١بط ٢: ١) .

وجاء فى شهادة موسهيم المؤرخ البروتستانتى عن القرن الثانى إشتراك الأطفـال فى سر الأفخارستيا " لما مارس المسيحيون العشاء الربانى وذلك كان غالبا يوم الأحـد كانوا يقدسون بعض خبز قرابين الشعب وخمرها بصلوات معلومة يتلوها الرئيس اسقف الجماعة ، وكانت الخمر ممزوجة بماء ، والخبز يقسم فتاتاً ، وكان يُرسل حصص مـن الخمر والخبز المقدسين إلى الغائبين والمرضى شهادة بمحبتهم الأخوية لهم ، وكان هذا الطقس الأقدس يعتبر عندهم ضرورياً لنوال الخلاص والبراهين على ذلك كثيرة . ولـهذا لا أجترى أن أغلط الذين يعتقدون أن العشاء الربانى كان يُعطى فى هذا القرن فى شمالى

[٤٤٨] مختصر اللاهوت الأدبي صـ٤٣٣، ٤٣٤ .

افريقية للأطفال " [449] وايضاً عن شهادته عن القرن الثالث الميلادى يقـــول " جميعــهم (المسيحيون) اعتقدوا بأنه (العشاء الربانى) ضروري جداً للحصول علـــى الخــلاص ، ولهذا رغبوا عموماً فى أن يشترك به الأطفال (يوحنا فم الذهب موعظة ٢٢ كتاب ٥) " [450]

وجاء فى القانون ١٣ لمجمع نيقية " كان فى بدء حياة المرء يُناوَل الطفـــل ســر الشكر بعد إتمام سري المعمودية والمسحة " [451] وقال القديـــس أوغســطينوس (فــى الساقطين ١: ٢٠) " من يتجاسر ويقول أن هذا الرأى لا يخص الأطفال وأنهم يستطيعون أن تكون لهم حياة فيهم من دون مشاركة الجسد والدم " [452]

وقال بابا روما اينوشنسيوس الأول [٤١٨-٤٢٢] فى الرســـالة ٤٣ أنـــه " أمــر خارج عن الواجب أن يُكرِّم الأطفال بقرابين الحياة الأبدية قبل أن ينالوا نعمة المعموديــة لأنهم أن لما ينالوا دمه لا تكون لهم حياة فيهم " [453]

وجاء فى كتاب علم الذمة الكاثوليكي صـــ٧٢ " أنه قد جرت العادة فى بدء الكنيسة إلى الجيل الـــ١٣ أن يعطى سر الأفخارستيا للأطفال بعد قبولهم سر العماد وهذه العـــادة لم تزل محفوظة فى الكنيسة الشرقية من الروم " [454] وورد فى نفس الكتاب صـــ ١٧١ " أما تناول الأطفال فهو عادة قديمة شرقاً وغرباً ويستعملها البعض من الشرقيين إلـــى يومنا هذا . وفى كتب رتبتنا القديمة والرتبة الرومانية القديمة وفى الرتبـــة اليونانيــة مفروض على خادم سر العماد فرضاً واضحاً بعد تعميد الطفل بدهنه بالميرون حالاً ثـــم يناوله القربان الأقدس " [455]

وحديثاً جاء فى قانون ٦٩٧ من مجموعة قوانين الكنيسة الشرقية الصـــادر مــن البابا يوحنا بولس الثانى " بأن تُمنَح الأفخارستيا فى أقرب وقت ممكن بعــد المعموديــة والمســح بالميرون المقدَّس ، على قاعــدة شرع كل كنيسة ذات شرع خاص ، ويعود

---

[449] موسهيم ك١قرن٢ قسم٢ فصل٤ صـــ٧٥، ٧٦ .

[450] المرجع السابق صـــ٧٦ .

[451] مجموعة الشرع الكنسي صـــ٧٨.

[452] تنوير الأذهان بالبرهان إلى ما فى عقائد الكنيسة الغربية من الزيغان صـــ٣٧ .

[453] المرجع السابق صـــ٣٧ .

[454] المرجع السابق صـــ٢٦ .

[455] المرجع السابق صـــ٢٦ .

القانون ٧١٠ إلى موضوع اشتراك الأطفال المعمدين حديثاً فى الأفخارستيا ؟ " [٤٥٦]

وإن كانت المعمودية تهبنا الولادة الجديدة والميرون يهبنا الحرارة الروحية بسكنى الروح القدس فينا ، فإن الأفخارستيا تهبنا الغذاء الروحي طعام الحياة الأبدية للكبار والصغار ولا يمكن أن يستغنى عنه أحد لأن العضو الذى لا يصله الغذاء فإنه ييبس ويموت ، والغصن الذى لا تصله العصارة ينشف ويجف .

سادساً : للشماس والعلمانى والراهبة حق مناولة الأسرار

جاء فى كتاب مختصر علم اللاهوت الأدبي تحت رقم ٤٩٨ " وخادم توزيع سر الأفخارستيا غير المألوف هو الشماس الحاصل على إذن الرئيس المألوف أو الخورى .. ولا يعطين هذا الإذن إلاَّ لداع خطير .. أما الداعى الخطير فهو أن ينشغل الكهنة بسماع الاعترافات أو الوعظ مثلاً . أن رؤساء الكنائس هم كالخوارنة بناء على القانون ٨٤٦ بند ٢ المعطوف على ٨٤٩ بند ١ بشأن توزيع الأفخارستيا ، لذلك فلهم أن يمنحوا الشمامسة الإذن المشار إليه [جاء فى قوانين المجمع اللبنانى (مَن) " أما فى الكنيسة الشرقية فيسوغ للشماس الكبير خلواً عن إذن (بدون إذن) خصوصي من الأسقف أو الكاهن حتى فى حضورهما أيضا أن يوزع الأفخارستيا (الجسد) فى القداس الإحتفالى على الاكليروس والعوام ولكن لا على الكهنة (ص١٨) ولا يجوز فى الكنيسة المارونية للشمامسة أن يناولوا أحداً جسد الرب خلواً من إذن الأسقف (صـ١٨٦)] على الشماس وهو يناول أن يلبس البطرشيل على عادة الشمامسة وأن يقوم برتبة المناولة كالكاهن .. وله بعد مناولة المرضى أن يمنحهم البركة بالقربان المقدس . وله بعد المناولة العادية أن يبارك بيده .. للعلمانى عند الضرورة القصوى أن يناول نفسه وغيره من العلمانيين متجاوزاً العثار (العثرة) إذا تطلب تناول بعض المرضى الزاد الأخير مهارة خاصة ، فللكاهن أن يكل (يوكِل) هذه المناولة إلى راهبة ممرضة فتقوم بها بواسطة ملعقة صغيرة " [٤٥٧] وجاء فى وثائق المجمع الفاتيكانى الثانى " وللشماس .. أن يمنح العماد رسمياً ، وأن يحتفظ بالقربان ويوزعه ، وأن يحضر الزواج باسم

---

[٤٥٦] مجمع الكنائس الشرقية – توجيه لتطبيق المبادئ الليترجية الواردة فى مجموعة قوانين الكنائس الشرقية صـ٧٤ .

[٤٥٧] مختصر اللاهوت الأدبي صـ٤٣١،٤٣٢ .

الكنيسة ويباركه ، وأن يحمل الزاد الأخير إلى المنازعين "[458]

توضيح :

يمكن للشماس الكامل " الدياكون " أن يحمل الكأس ويناول الدم بشرط أن يكون متفرغاً بالكامل للعمل الكنسي ، ولكن ليس له الحق فى لمس الجسد أو مناولته للشعب ، أو القيام بالعماد ، أو منح البركات . إنما كل هذه الأمور هى من إختصاص القسوس فما فوق .

وما هو الداعى الضرورى الذى جعل الكنيسة الكاثوليكية تُصَرّح للشماس بتوزيع الأسرار المقدسة مع وجود كهنة يتلقون إعترافات أو يلقون عظات ؟! ، وهل يليق أن يتشغل الكاهن باعتراف أو عظة ويترك توزيع الأسرار المقدسة للشماس ؟! .. إن كان طقس الكنيسة ينص فى صلاة اللقان على أن أكبر رتبة كهنوتية هو الذى يغسل أرجل الشعب ، فهل يصح أن ينشغل صاحب الرتبة الكهنوتية عن الأسرار . أما الشخص العلمانى فليس له أن يلمس الأسرار المقدسة ، ولا الأوانى المقدسة ، وأيضا الراهبات ليس لهنَّ أن يلمسنَّ لا الأسرار ولا الأوانى المقدسة .

سابعاً : للكاهن أن يقيم أكثر من قداس يومياً ، ويمكن أن يكون بمفرده أو تجاوبه إمرأة

جاء فى كتاب مختصر اللاهوت الأدبي تحت رقم ٥٤٣ " للكاهن الذى يقدس مرتين أو ثلاث فى نفس اليوم أن يشرب فى نهاية القداس السابق غسالة الكأس المأمور بها ، على أن تكون بالماء فقط الذى لم يعد يفسخ الصيام القربانى .. للكاهن الذى عليه أن يقدس مرتين أو ثلاث وشرب سهواً غسالة فيها خمر أن يتلو القداس الثانى أو الثالث "[459]

ويمكن للكاهن أن يقيم القداس بمفرده فجاء تحت بند ٥٤٧ " على الكاهن أن يتخذ خادماً يعاونه على القداس ويجاوبه فيه (ق٨١٣ بند ١) وهذا إلزام ثقيل لا يعفى منه إلاّ الضرورة كوجوب منح الزاد الأخير (مناولة إنسان فى خطر الموت) أو واجب الكاهن أو الشعب سماع قداس بُدِيء به ثم إنصرف الخادم (الشماس) ولم يعد . ولك ، لأسباب أقل

---

[458] وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني – دستور عقائدى فى الكنيسة –فى تنظيم السلطة الكنسية رقم ٢٩ صـ٣٥١

[459] مختصر اللاهوت الأدبي صـ٤٦٨،٤٦٩ .

خطورة أن تقدس بحضور خادم يجهل الخدمة جهلاً تاماً وعليك إذا كانت أجوبة الخـــادم غير صحيحة أن تجاوب عنه .. " [٤٦٠]

ويمكن للمرأة أن تجاوب الكاهن فى خدمة القداس فجاء تحت رقـــم ٥٤٧ " ليـس للمرأة أن تخدم القداس إلاّ لسبب صوابي ولعدم وجود رجل . وليس لها على الإطـــلاق أن تقترب من المذبح ، بل عليها أن تجاوب من بعيد (ق٧١٣ بند٢) " [٤٦١]

توضيح :

الكنيسة الكاثوليكية تسمح للكاهن بإقامة أكثر من قداس فى اليوم الواحد ، وذلـــك لأنها قلّصت ساعات الصوم الأفخارستي من تسع ساعات إلى ثـــلاث ســاعات بالنسـبة للمأكولات وساعة واحدة بالنسبة للمشروبات ، ولكن متى عادت هذه الكنيسة للطقـــس القديم والتزم كهنتها بفترة صوم تسع ساعات قبل القداس فعندئذ ستصح الأمـــور ولــن يمكن إقامة أكثر من قداس فى اليوم على المذبح الواحد لأن قانون الصوم ينطبق علـــى المذبح أيضاً . ولا يصح أن يقيم الكاهن قداساً بمفرده ، وهذا يذكرنا بقصة لطيفة حدثت أيام البابا اثناسيوس الرسولي إذ وجد قساً يقيم قداساً بمفرده ، وكان مسموحاً للقسـوس حينئذاك بالعمل الخارجى ، فسأل البابا القس عن عمله فأجابه القس أنه يعمل حـــداداً ، فسأله هل يمكنك أن تتمم العمل بمفردك ؟ فأجابه بالنفى قائلاً : كلا .. لأننى أحتاج إلـــى شخص أخر ينفخ فى الكور لكيما يشتعل الفحم فأستطيع أن أشكل الحديد ، فقال له البابـا : إن كانت الصنعة البسيطة لتشكيل الحديد تحتاج إلى شخصين على الإقل ، فكيف تقيـــم القداس بمفردك ؟ فاتعظ القس واستفاد من كلام البابا .

أما المرأة فليس لها الحق أن تشارك الكاهن التسبيح فـــى الكنيســة ، ولا تقــرأ الإنجيل والرسائل ، ولا يُسمَع صوتها فى الكنيسة طبقاً للوصيـــة الإنجيليـــة " لتصمـــت نساؤكم فى الكنائس لأنه ليس ماذوناً لهنّ أن يتكلمنّ " (١كو٤: ٣٤)

ثامنا: للكاهن المنشق أو الهرطوقى إقامة السر

جاء فى كتاب مختصر اللاهوت الأدبي الكاثوليكي تحت رقم ٤٩٨ " أن خـــادم تقديـــس الأفخارستيا هو الكاهن وحده وإن (كان) هرطوقياً أو منشقاً " [٤٦٢]

---

[٤٦٠] المرجع السابق صـــ٤٧٧ .

[٤٦١] المرجع السابق صـــ٤٧٧ .

[٤٦٢] مختصر اللاهوت الأدبي صـــ٤٩٨ .

توضيح :

الكاهن الهرطوقى أو المنشق هو كاهن محروم من الكنيسة فلا يجوز له التنـــاول من الأسرار المقدسة ، فكيف يُقيم القداس الإلهي ؟! .. هل يُقيم القداس ولا يتناول منـه ؟! ، وإن كان الكتاب المقدس يوصينا أن لا نشارك الهراطقة صلواتهم ولا نســتقبلهم فــى بيوتنا بل لا نسلِّم عليهم لئلا نشترك معهم فى هرطقتهم ودينونتـــهم ، فيوحنــا رســول المحبة يقول " إن كان أحد يأتيكم ولا يجئ بهذا التعليم فلا تقبلوه فى البيت ولا تقولوا له سلام . لأن من يسلم عليه يشترك فى أعماله الشريرة " (٢يو١٠،١١) ومن يجــرو أن يحضر قداساً يقيمه كاهن هرطقي محروم من فم الثالوث القدوس والكنيسة ؟! وعندمــا تصرح الكنيسة الكاثوليكية بأن صلوات الهرطوقى صحيحة وتقدماته مقبوله إلا تشــجع بهذا على الإنشقاق والهراطقة ؟!

تاسعاً : الولادة والحيض والعلاقات الزوجية ليست موانع للتناول

جاء فى كتاب مختصر اللاهوت الأدبي تحت رقــم ٥١٣ " أن الــولادة والحيــض والعلاقات الزوجية ، والانزال غير الاختياري ليست مما يحول دون التناول " [٤٦٣]

توضيح :

جاء فى القانون الثانى للقديس ديونيسيوس الاسكندرى " لا يجــوز للنســاء فــى حيضهنَّ أن يتقدمنَّ إلى المائدة المقدسة ويتناولنَّ جسد المسيح المقدس ودمه الكريــم. بل لا يجوز أن يدخلنَّ إلى الكنيسة . أما واجب تقديم الصلوات فيقمنَّ به فى مكان آخر " [٤٦٤]

وجاء فى القانون السابع للقديس ديونيسيوس " هل يجوز لإمرأة وهــى فــى دور حيضها أن تشترك (تتناول) ؟ الجواب : لا.إلى أن تعود نقية " [٤٦٥]

وجاء فى القانون ٢٢ لنفس القديس أيضاً " سؤال٥ : هل يجوز للرجل أو المــرأة أن يتناول إحداهما الأسرار المقدسة بعد المضاجعة ليلاً ؟ الجواب : لا.فقد قال الرســول " لا يمنع أحد كما الآخر عن ذاته إلاَّ على موافقة إلى حين لكى تتفرغا للصلاة ثم عــودا إلى ما كنتما عليه لئلا يجربكما الشيطان لعدم عفتكما " (١كو٧: ٥) [٤٦٦]

---

[٤٦٣] المرجع السابق صـــ٥٤٤ .

[٤٦٤] مجموعة الشرع الكنسي صـــ٩٠١ .

[٤٦٥] المرجع السابق صـــ٩٠٩ .

[٤٦٦] المرجع السابق صـــ٩٠٩ .

عاشرا : تناول الشعب وهم محتذّين بأحذيتهم

يتقدم الشعب الكاثوليكى رجالاً ونساءاً للتناول من الأسرار المقدسة دون أن يخلع أحد منهم حذاءه .

توضيح :

عندما تقدم موسي لينظر المنظر العجيب إذ تشتعل النار فى العليقة الخضراء ولا تحترق ، ناداه الله قائلاً " إخلع حذاءك من رجليك لأن الموضع الذى أنت واقف عليه ارض مقدسة " (خر٣: ٥) ونفس الموقف تكرّر مع يشوع بن نون تلميذ موسي النبي إذ سمع الصوت الإلهي يناديه " إخلع نعلك من رجلك لأن المكان الذى أنت واقف عليه هو مقدس " (يش٥: ١٥) .

فإن كان الموقف هكذا لمن يظهر له رب الجنود لكيما يتحدثّ معه ، فكم وكم لمن يتقدم إلى الجسد المقدس والدم الكريم لعمانوئيل إلهنا ؟! ألاّ يسمع الأب الكاهن وهو يصرخ قائلاً " هذا هو الجسد المحيي الذى أخذه من سيدتنا كلنا والدة الإله القديسة الطاهرة مريم وجعله واحداً مع لاهوته بغير إختلاط ولا امتزاج ولا تغيّير ؟!

يا أحبائى عندما نتقدم للأسرار الإلهية نخلع أحذيتنا ، إشارة إلى طرح الاهتمامات العالمية وكل الأمور الميتة من قلوبنا ومن حياتنا .

حادى عشر : المذبح قد لا يتخذ إتجاه الشرق

بعض الطوائف الكاثوليكية لا تهتم فى تصميم كنائسها بأن تكون المذابح فى اتجاه الشرق .

توضيح :

جاء فى رسالة القديس باسيليوس الكبير إلى أمفيلوخيوس عن المؤمنين " وهم يرفعون الصلاة ملتفتين إلى الشرق للدلالة على أنهم ينشدون عدن الجنة فى الشرق وهى التى طُرد منها جدَّانا الأولان " [٤٦٧]

وجاء فى قوانين المجمع اللبنانى صـ٣١٤ " ولتكن عمارة الكنائس على قدر الإمكان بموجب رتبتنا بالشكل التابع ، فليكن المذبح الكبير نحو الشرق وباب الكنيسة نحو الغرب " [٤٦٨]

---

[٤٦٧] مجموعة الشرع الكنسي صـ٩٠١.

[٤٦٨] تنوير الأذهان بالبرهان إلى ما فى عقائد الكنيسة الغربية من الزيغان صـ٢٩٢

وجاء فى مجموعة قوانين الكنائس الشرقية " منذ أزمنة عريقة فى القدم درجت العادة فى صلاة الكنائس الشرقية بأن يجثو (المصلّي) حتى الأرض متجهاً نحو الشرق ، والأبنية المقدسة نفسها كانت تُبنىَ بحيث يكون المذبح متجهاً نحو الشرق . يشرح يوحنا الدمشقى معنى هذا التقليد بقوله " ليس هو من الأمور البسيطة ولا هو على سبيل الصدفة أنَّنا نتجه فى صلاتنا نحو الشرق . بما أن الله نور عقلي (يو١: ٥) وأن المسيح يُسمى فى الكتب المقدسة شمس العدل (ملا٣: ٢٠) والمشرق (زك٣: ٨) .. " وغرس الرب الإله جنة فى عدن فى المشرق ، وجعل هناك الإنسان الذى جبله " (تك٢: ٨) إذاً نحن نلتمس وطننا القديم فنتجه إليه ونسجد للرب .. والرب فى عودته إلى السماء قد أرتفع نحو المشارق ، وهكذا سجد له التلاميذ ، وسيأتى هكذا كما عاينوه منطلقاً إلى السماء (اع١: ١١) على حد ما قال الرب نفسه " مثلما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر فى المغارب كذلك يكون مجئ ابن البشر " (مت٢٤: ٢٧) إذاً بانتظار مجئ الرب نسجد نحن نحو الشرق . أن هذا تقليد غير مكتوب جاءنا من الرسل " (يوحنا الدمشقى - ايضاح فى الإيمان الأرثوذكسي الكتاب ٤ الراس ١٢ صـ١١٣٣ " [٤٦٩]

ثانى عشر : الصوم الأفخارستي

نؤجل مناقشة هذه النقطة إلى نهاية الفصل لحين الحديث عن الأصوام .

٥- سر الزيجة

نناقش فى هذا السر النقاط الآتية :

أولا : لا طلاق لعلة الزنا .

ثانيا : الحكم ببطلان الزواج بعد مرور عدة سنوات .

ثالثا : درجات القرابة المانعة للزواج والتفسيح بها .

رابعا : السماح بالعلاقات الزوجية فى فترة الحيض ، وزواج الخنثى ، وفسخ الزواج لقباحة وجه الزوجة .

---

[٤٦٩] مجموعة الكنائس الشرقية –توجيه لتطبيق المبادئ الليترجية الواردة فى مجموعة قوانين الكنائس الشرقية صـ١٤٣-١٤٥ .

خامسا : يكفى حضور الكاهن أو الشماس لإتمام الزواج بدون قيامه بالصلاة .

سادساً : هل يجوز ارتباط طرف أرثوذكسي بطرف كاثوليكي ؟

سابعا : الزواج بغير المؤمنين .

أولا : لا طلاق لعلة الزنا

يمنع الأخوة الكاثوليك الطلاق ولو لعلة الزنا ، كما صرح بذلك الرب يسوع (مت٥: ١٩،٣٢: ٩) بنصوص واضحة لا تقبل التأويل ، فورد فى كتاب مختصر اللاهوت الأدبي الكاثوليكي تحت رقم ٧٦٤ بأنه يمكن افتراق الزوجين بالتراضي بسبب وجود نفور بينهما ، ويمكن الافتراق بالإرادة المنفصلة بسبب سقوط طرف منهما فى الزنى ولكن لا يمكن حل الوثاق الزوجى " تنحل الحياة الزوجية بتراضى الطرفين ، وفى بعض الأحيان بالرغم من إرادة أحدهما . وهذا الانحلال يعنى افتراق الزوجين مائدة ومضجعاً ومسكناً مع بقاء الوثاق الزوجى بينهما ، وتنحل هذه الحياة بالتراضي لسبب صوابي (ق١١٢٨، وقانون ١١٧ من شريعة الزواج المعمول بها منذ ٢ آيار سنة ١٩٤٩م) كالنفور الشديد المتبادل .. لأحد الزوجين أن يفترق عن الآخر بالرغم منه بسبب الزنى ، أو غيره من الأمور الخطيرة . وله أن يفترق افتراقاً مؤبداً بسبب الزنى (ق١١٢٩، وقانون ١١٨ من شريعة الزواج المعمول بها منذ ٢ آيار سنة ١٩٤٩م) " [٤٧٠]

وتحت رقم ٧٦٦ " أن معظم القوانين المدنية تجيز ليس فقط انحلال الحياة الزوجية بل انحلال الوثاق الزوجى حتى وثاق زواج المعمَّدين المكتمل ، ولكن انحلال هذا الوثاق لا عبرة له بتاتاً أمام الله " [٤٧١]

أما الأب مكسيموس كابس فى رده على قداسة البابا شنودة الثالث فيقول " وأنا اسأل البابا شنودة بناء على هذا الطلاق هل يجوز لأحد الزوجين أن يتزوج فإذا أجاب بالإيجاب أقول له أن هذا يخالف نص تعاليم السيد المسيح ، فلو تابع الآية لفهم معنى الطلاق هنا إذ يتابع السيد المسيح قائلاً : " ومن تزوج بمطلقة فقد زنى " (مت٥: ٣٢) معنى هذه الآية إذن هو يجوز الطلاق لعلة الزنى ولكن لا يجوز لأحد الطرفين أن يتزوج . وفى هذه الحالة لا يعتبر الطلاق طلاقاً بالمعنى المفهوم ولكنه انفصال جثمانى

---

[٤٧٠] مختصر اللاهوت الأدبي صـ٦٦٥،٦٦٦ .

[٤٧١] المرجع السابق صـ٦٦٧ .

separation de corps كما الكاثوليك وفى حالة إقدام الكنيسة الأرثوذكسية فى تزويــج أى من الطرفين المطلقين تشاركه فى خطيئة الزنى " [472]

تعليق : قال السيد المسيح " ومن يتزوج مُطلَّقة (اســم مفعــول) فإنــه يزنـــى " (مت٥: ٣٢) ولم يكلف الأب مكسيموس خاطره فى سؤال نفسه : لمـــاذا طُلِقــت هــذه المرأة ؟ .. بلاشك أنها طُلِقت لأنها سقطت فى خطية الزنى فحق عليها القـــول الإلـــهي " من طلق امراته إلاَّ لعلة الزنا يجعلها تزنى " (مت٥ : ٣٢) إذاً هذه المرأة سقطت فـــى الزنا ولم تكن أمينة مع زوجها لذلك لا تسمح الكنيسة بائتمانها على زوج آخر ، فتمنـــع منعاً باتاً زواجها ، وأن تجرأ أحد وتزوجها فإنه يُعدُّ إنساناً زانياً .

ولخطورة الأمر يُكرِّر الرب يسوع نفس القول فى موضع آخر " وأقول لكم أن من طلق امرأته إلاَّ بسبب الزنا وتزوج بأخرى يزني " (مت١٩: ٩) ومعنى هذا أن من يطلق امرأته بسبب الزنا ويتزوج بأخرى فهو لا يزنى ، ومن المعروف أن " إلاَّ " أداة استثناء فما بعدها يخالف ما قبلها ، وما دامت القاعدة أن الطلاق لا يجوز فإن الرب هنا وضـــع الاستثناء وهو جواز الطلاق وجواز الزواج بأخرى فى حالة وقوع فعل الزنـــا ، وهـــذا المعنى يفهمه الكبير والصغير ، وكل معنى أو تفسير آخر فهو لا يوافق الحق .

ثم تُرى هل عبارة الأب مكسيموس " يجوز الطلاق لعلة الزنـــي " يوافـــق عليـــها الأخوة الكاثوليك الذين يتمسكون بالقول " لا طلاق علـــى الإطـــلاق ، ولا فـــكَ للوثـــاق الزوجى ؟! ، وربما لهذا يعود سريعاً ويحاول تفسير العبارة بقوله " لا يعتـــبر الطـــلاق طلاقاً بالمعنى المفهوم ولكنه انفصال جثمانى " ، وهل كان الرب يسوع ينقصـــه البيـــان لإيضاح الحقيقة ومعنى الطلاق بالمعنى غير المفهوم ؟! وهل أمر كهذا حســـــاس جـــداً وجوهرى للغاية ويتوقف عليه الكيان الأسرى يتركه الرب لمهب الريح ، ويحدثنا عـــن طلاق لا نفهمه ؟!

ثم يورد الأب مكسيموس بعض أقوال الآباء التى تؤيد النظرية الكاثوليكيـــة ومـــن بين الآباء الذين عـــرض لأقوالهم ما يلى :

" قال هرماس فى كتابه الراعى .. قلت لمُرسَل الله إسمح لي يا سيدي أن أعرض عليـــك بعض سؤالات .. إذا كان لرجل امراة مؤمْنة بالرب ووجدت فى فعل زنى فهل يخطـــئ إذا ساكنها رجلها .. فقال أنه طالما يجهل ذلك لا يخطئ ولكن إذا علـــم الرجـــل بخطيئتـــها

---

[472] إيماننا القويم جـــ١ صــــ١٠١،١٠٢ .

وساكنها وهى مستمرة على الأثم لا تقدم توبة فإنه يضحى شريكها فى الخطيئة والزنى . قلت فما العمل إذاً على الرجل إذا كانت المرأة تستمر على خطيئتها . قال فليطلقها ويبق وحده وأما إذا تزوج بإمرأة أخرى فقد زنى هو أيضا .

والقديس يوستينوس الفيلسوف فى سنة ١٦٥م قال فى عامود ١٥ من كتابه " كل من تزوج امرأة طلقها رجل فقد زنى "

ويقول القديس باسيليوس الكبير سنة ٢٧٩م " لا يجوز للرجل إذا طلق امرأته أن يتزوج أخرى ، وكذلك المرأة التى طلقها رجلها لا يجوز لها أن تتزوج آخر "

ويقول القديس اغريغوريوس اللاهوتى سنة ٢٨٩م فى رسالته رقم ١٤٤ " أن شريعتنا تحرم الطلاق قطعاً وإن كانت الشرائع المدنية تُحكم بخلاف ذلك .. "

تعليق : ما دام هناك نص إنجيلي واضح فلا يصح أن نعتمد على أقوال الأباء إلاّ فى ضوء التفسير الصحيح للنص الإنجيلى ، ولا يخفى عليك يا سيدى أن هناك تلاعب كثير حدث فى بعض أقوال الآباء ، وأبلغ مثال على ذلك أنك فيما تذكر قول القديس باسيليوس الذى يمنع زواج الطرف البرئ فإن الأرشمندريت حنانيا الياس كساب أورد فى القانون (٢١) للقديس باسيليوس " .. إذا ارتكبت الزوجة الفحشاء يحكم بطلاقها وإذا أبقاها الرجل عنده لا يعد من الأتقياء " [٤٧٣] وجاء فى القانون التاسع للقديس باسيليوس أيضاً " أن الرب إلهنا ساوى بين الرجل والمراة فى المنع من الطلاق إلاَّ لعلة الزنا .. " [٤٧٤]

وقول الشهيد يوستين بأن " كل من تزوج امرأة طلقها رجل فقد زنى " فهو قول يتمشى مع الحق لأن الرجل لن يطلق زوجته إلاَّ إذا سقطت فى علة الزنا ، ومثل هذه الذى يتزوجها يزنى .. ولا أدرى لماذا تحكم الكنيسة على الطرف البرئ الأمين بعدم الزواج ؟ ألا تدفعه بهذا للفساد ؟! والمرأة الأمينة التى تهجر زوجها الزانى من يهتم بها ويعولها إن لم تتزوج ثانية أم أنها تصير مطمعاً للأشرار ؟!

وما هو النص الإنجيلى الذى يعتمد عليه الأخوة الكاثوليك فى الهجر الدائم وعدم السماح بالطلاق عند وقوع الزنا ؟! والأمر العجيب أنه من بين الأدلة التى أوردها الأب مكسيموس لا تشهد له بل تشهد عليه ، فمثلاً أورد القانون ١٧ لمجمع ميليف سنة

---

[٤٧٣] مجموعة الشرع الكنسي صـ٨٩٩ .

[٤٧٤] المرجع السابق صـ٨٨٧ .

٤١٦م " بحسب التعليم الإنجيلي والرسولي رضيت الجماعة أن الرجل الذى طلقته امرأته ، والمرأة التى طلقها رجلها لا يجوز لهما أن يتزوجا بآخر بل يجب أن يبقيا هكذا فإن لم يخضعا فليجبرا بالتأديب وينبغى أن يلتمس شريعة ملوكية بهذا الخصوص " [٤٧٥] وواضح من النص أن المجمع حكم على الرجل الذى طلقته امرأته لأنه رجل زانى ، وحكم على المرأة التى طلقها رجلها لأنها امرأة زانية .

أما السند الكتابى الذى يعتمد عليه الأب مكسيموس كابس فى منع الطرف البرئ من الزواج فهو (رو٧: ٣) حيث يقول القديس بولس الرسول " أن المراة التى تحت رجل حي مرتبطة بالناموس برجلها ما دام حياً فإن مات الرجل برئت من ناموس الرجل فمن ثمَ ما دام رجلها حيًّا إن صارت لرجل آخر فإنها تدعى زانية وإن مات رجلها فهى حرة من ناموس الرجل حتى أنها إن صارت لرجل آخر فليست زانية " (رو٧: ٣) .. يتضح من الشرع الإلهي أن الديانة المسيحية لا تبيح الطلاق ولا فسخ هذا العقد الذى تم صحيحاً إلاَّ بموت أحد الزوجين مهما كانت الظروف أو الملابسات " [٤٧٦] ويؤيد قوله بأقوال القديس ايرونيموس والقديس أغسطينوس فيقول " القديس ايرونيموس سنة ٤٢٠م فى رسالته إلى اماندوس .. أيمكن للمرأة إذا تركت رجلها الزانى والصادومي وتزوجت بالإكراه رجلاً آخر أن تشترك فى الأسرار ما دام فى الحياة الرجل الذى تركته قبلاً ؟ .. أن المرأة مقيدة بالناموس ما دام رجلها حيًّا فإن رقد رجلها فهى مُعتَقة فلتتزوج ممن تشاء لكن فى الرب فقط .. فالرسول بهذا قطع كل نوع من العذر وعلَّم تعليماً واضحاً أن المرأة ما دام رجلها حيًّا تكون زانية إذا تزوجت بآخر سواء كان رجلها الأول زانياً أو صادومياً أو ملطخاً بجميع الآثام وهجرته إمرأته بسبب هذه الذنوب ..

ويقول القديس اغسطينوس .. المرأة مرتبطة ما دام رجلها حيًّا وبكلام أوضح ما دام رجلها موجوداً فى الجسد وكذلك الرجل أيضاً مرتبط ما دامت امرأته فى الجسد ، وإذا أراد أن يطلق الزانية فلا يتزوج أخرى لئلا يرتكب الذنب الذى يوبخها عليه . والمرأة إذا أرادت أن تطلق الزانى فلا تتزوج آخر لأنها مرتبطة ما دام رجلها حيّاً ولا تُحَل من الناموس إلاَّ إذا مات رجلها " [٤٧٧]

---

[٤٧٥] إيماننا القويم جـ١ صـ١٠٩ .

[٤٧٦] المرجع السابق صـ١٠٠،١٠١ .

[٤٧٧] المرجع السابق صـ١٠٧-١٠٩ .

ويختم الأب مكسيموس حديثه بأسلوب لا يليق فيقول " البابا شنودة يعترف بأن كنيسته انحرفت عن تعاليم الكتاب المقدس زمناً طويلاً إذ صرَّحت المجالس المليَّة بالطلاق لأكثر من ثلاثين حالة متشابهة مثل عدم الخلقة والمرض المزمن والسجن الطويل وغيرها كثير وكثير يعرفها جيداً ويعرفها الأقباط جميعاً وهي مسجلة في قانون الأحوال الشخصية السابق ويحاول البابا شنودة حالياً أن يقلل من هذه الحالات ، ولكن القانون والشرائع الإنجيلية صريحة ولا تحتاج إلى وسيط فإما أنه يسير حسب شريعة الكتاب وتعاليم السيد المسيح وأما يُعتَبر أنه مخالف لها ولو كانت حالة واحدة . ولا يصح لرجل مثله في مركزه أن يحكم على من يسيرون بالحق بينما يسير هو في الباطل . وما عليه إلاّ أن يراجع نفسه ويراجع تعاليم الكتب وقوانين الكنيسة الجامعة الرسولية " [٤٧٨]

تعليق : يقول معلنا بولس الرسول " أم تجهلون أيها الأخوة لأني أكلم العارفين بالناموس . أن الناموس يسود على الإنسان ما دام حياً .. فإن المرأة التي تحت رجل هي مرتبطة بالناموس بالرجل الحي ولكن إن مات الرجل فقد تحرَّرت من ناموس الرجل فإذاً ما دام الرجل حيَّاً تُدعى زانية إن صارت لرجل آخر . ولكن إن مات الرجل فهي حرَّة من الناموس حتى أنها ليست زانية إن صارت لرجل آخر " (رو٧: ١-٣) .

وهنا يعالج بولس الرسول مشكلة افتخار اليهود على الأمم بأنهم أصحاب الناموس ، ولذلك فإن الرسول يركز كلامه على ارتباط الإنسان بالناموس ولا يتحدث عن مشكلة زنا وطلاق وزواج آخر ، وفي حديثه ضرب مثلاً بهذا أن المرأة مرتبطة بزوجها ما دام حياً وغني عن البيان أنها مرتبطة بزوجها الصالح وليس الزاني ، والمرأة تمثل هنا الأمة اليهودية والرجل هو الناموس ، ولكن ماذا حدث عندما خانت هذه الأمة الناموس ؟ قال عنها إله الناموس " هل رأيتَ ما فعلت العاصية إسرائيل . انطلقت إلى كل جبلٍ عالٍ وإلى كل شجرة خضراء وزنت هناك .. لم تخف الخائنة يهوذا أختها بل مضت وزنت هي أيضاً " (ار٣: ٦-٨) ، وماذا كان الحكم ؟ لقد حدث الطلاق " هكذا قال الرب أين كتاب طلاق أمكم التي طلَّقتها .. من أجل آثامكم قد بُعتم ومن أجل ذنوبكم طُلِّقت أمكم " (اش٥٠: ١) .

ولو كان الرسول يقصد التطبيق الحرفي للمثل بأن المرأة إذا مات زوجها تصبح حرَّة لإستكمل قوله بأن الناموس قد مات ولذلك أصبحت البشرية المتمثلة في الأمة اليهودية حرَّة وتستطيع أن ترتبط بالمسيح ، ولكن الرسول لم يقل هذا لأن الناموس

---

[٤٧٨] المرجع السابق صـ١١٠ .

صالح وحرف واحد منه لا يسقط . إنما قال فى العدد اللاحق أن المرأة هى التى ماتت مع المسيح " أنتم قد مُتُّم " (٧: ٤) فتحرَّرت من حكم الناموس ، وقامت مع المسيح وصارت عروساً له .

ولا يفوتنا أيضاً أن نذكر أن بولس الرسول عندما قال " وأما المتزوجون فأوصيهم لا أنا بل الرب أن لا تفارق المرأة رجلها وإن فارقته فلتلبث غير متزوجة أو لتصالح رجلها ولا يترك الرجل امرأته " (١كو٧: ١٠، ١١) كان يتحدث عن مفارقة حدثت بسبب خصام بينهما ، ولا يتحدث عن إمرأة زنت فطلقها زوجها أو إمرأة زنى زوجها فطلقته ولا يتعرض هنا قط لموضوع الطلاق لعلة الزنا الذى وضع فيه الرب يسوع قانوناً واضحاً وصريحاً .. أن سر الزيجة يُوحّد الاثنين ويجعلهما جسداً واحداً " لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسداً واحداً " (تك٢: ٢٤) ولكن عندما يدخل بينهما طرف ثالث ويلتصق بإحدهما فإنه يصير جسداً واحداً " أم لستم تعلمون أن من التصق بزانية هو جسد واحد لأنه يقول يكون الأثنان جسداً واحداً ..الذى يزنى يخطئ إلى جسده " (اكو٦: ١٦، ١٨) وبالتالى ينفك وثاق الزوجية .

واسمح لي أيها الأب المكرَّم أن أسألك : مارأيك فى باباوات روما الذين حكموا بالطلاق وحكموا بزواج المُطلَّق أيضاً ؟! ففى القرن التاسع أقرَّ البابا نيقولاوس [٨٥٨-٨٦٧] طلاق القيصر لوتاريوس لزوجته " ثتورغة " ، وعقد زواجه على خليلته " والداردة " (تاريخ الانشقاق جـ١ صـ٣٥٩) وفى القرن العاشر وافق البابا غريغوريوس الخامس [٩٩٦-٩٩٩] على طلاق الملك روبرت لزوجته " بيرثا " بحجة أنها كانت قريبته من الدرجة الرابعة ، وعقد له الزواج على غيرها (تاريخ الانشقاق جـ٢صـ٥٢) ، وفى القرن السادس عشر وبإذن البابا يوليوس الثانى [١٥٠٣-١٥١٣] تزوج الملك هنرى الثامن زوجة أخيه ارثر الذى مات ، وبعد ذلك طلقها أيضا بإذن البابا بحجة أن الزواج لم يكن شرعياً ، وهكذا الباباوات مرتينوس الخامس وافجانيوس الرابع [علم الذمة صـ٢٦٦] وبولس الثالث وبيوس الثانى وبيوس الثالث وغريغوريوس الثالث عشر واكليمنضس الثامن واوربانوس الثامن جميعهم أجروا الطلاق والزواج (لاهوت انطونين مجلد ٢ صـ٤٦٠) [راجع تنوير الأذهان بالبرهان للأسقف ايسيذورس صـ١١٤، ١١٥] والأمر العجيب أن علماء الكنيسة الكاثوليكية كانوا يوافقون على وجود الزانيات وممارسة اعمال النجاسة والرذيلة ، فيقول ليكورى " هل

يمكن السماح بوجود الزوانى المشتهرات ؟ أجيب أن الرأى العام المحتمل يوجبه .. والبرهان عليه هو لأنه إذا ارتفعت (منعت) الزوانى فتحدث خطايا أسمج وأقبح أعنى الصادومية (المعاشرة التى على غير الطبيعية] والبهائمية [معاشرة البهائم] وإهراق المنى ، فضلاً عن انفساد النساء المحصنات المحتشمات " (ق١صـ١٩٤) [٤٧٩]

وأخيراً فأننى أريد أن أوجه التحية للأسقف الكاثوليكي " زغبى" الذى نادى فى المجمع الفاتيكاني الثاني بحق الزوج البرئ فى الزاوج ، فجاء فى وثائق المجمع " وبمناسبة النقاش عن الزوج البرئ أثار الأسقف " زغبى" من القاهرة أنه من حق الزوج البرئ الذى لم يتسبب فى الطلاق أن يتزوج مرة أخرى " [٤٨٠]

ثانياً : الحكم ببطلان الزواج بعد مرور عدة سنوات

فى عهد البابا بيوس التاسع [١٨٠٠-١٨٢٣] طلَّق نابليون بونابرت زوجته " جوزفين " لأنها كانت عاقراً ، وكانت حجته فى هذا عدم توافر ركن الرضى عندما عقد الزواج منذ عدة سنوات ، ووافقه البابا ليس على الطلاق فقط بل وعلى الزواج أيضاً من مارى لويس إبنة ملك النمسا [تنوير الأذهان بالبرهان صـ١١٤] .. حقا لقد توسع الأخوة الكاثوليك فى موضوع بطلان الزواج ، ولذلك قد تجد زوجة تتقدم إلى مجلسهم الاكليريكي بطلب بطلان زواج تقول فيه : عندما تزوجت زوجى هذا منذ عشر سنوات لم أكن موافقة عليه إنما تعرضت إلى ضغط من قبل أسرتى ، وبذلك لم يكن ركن الرضى متوفراً فيحاولون تصحيح هذا الزواج الباطل كما جاء فى مختصر اللاهوت الأدبي تحت رقم ٧٦٧ " تصحيح الزواج هو إزاله بطلانه الذى رافق إنعقاده ، والتصحيح على نوعين التصحيح البسيط والتصحيح من الأصل (الجذرى) .. يقوم التصحيح البسيط بتحديد الرضى الزوجي بعد زوال بطلان الزواج ، فيصبح الزواج صحيحاً إعتباراً من تاريخ تجديد الرضى .. " [٤٨١] فإن لم ينجحوا فى هذا فإنهم يحكمون لها ببطلان الزواج رغم أنها عاشت معه سنين هذه عددها وانجبت منه أولاداً وبناتاً وبذلك تستطيع أن تتزوج من آخر ، ويحرمون إنسانة أخرى مسكينة من هذا الحق رغم أن زوجها لا يكف عن العبث والفساد والزنى .

---

[٤٧٩] تنوير الأذهان بالبرهان إلى ما فى عقائد الكنيسة الغربية من الزيغان صـ١٢٠ .

[٤٨٠] وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني صـ٣٣ .

[٤٨١] مختصر اللاهوت الأدبي الكاثوليكي صـ٦٦٨.

ثالثا : درجات القرابة المانعة للزواج والتفسيح بها .

بينما ورد فى الكتاب المقدس القرابات الممنوعة عند إتمام الزواج (لا١٨: ٦-١٨) فإن الأخوة الكاثوليك يمنعون من الزواج قرابات أخرى قد حلَّلها الكتاب مثل ابن وابنة العم أو العمة ، وابن وابنة الخال أو الخالة وقرابات كثيرة غير هذه ويضعون لذلك جداولاً وأنساباً (راجع مختصر اللاهوت الأدبي صـ٦١٦-٦٢٤) هذا بينما سمح المجمع التريدنتينى بالزواج من الدرجة الثانية للأمراء والملوك " ولا يحل الزواج فى الدرجة الثانية (أبناء وبنات العم والعمة والخال والخالة) إلاَّ للأمراء و لملوك وعن علة معتبرة " (المجمع التريدنتينى- قوانين المجمع اللبنانى صـ١٣) "[٤٨٢] وحكمت الكنيسة بمن لا يؤمن بقدرة الكنيسة على الحكم فى هذه الأمور بالمنع أو المنح بالحرم " من يزعم أن الكنيسة لا تقدر أن تُفسخ الزيجة بعد عقدها أو تمنعها بموانع الدرجات والقرابة والنسبة المذكورة فى سفر الأخبار (اللاويين) ولا سلطان لها على التحليل فى بعضها أو فرض غيرها فليكن محروماً " (المجمع التريدنتينى ورد فى كتاب قوانين المجمع اللبنانى صـ١٢٩) "[٤٨٣]

رابعا : السماح بالعلاقات الزوجية فى فترة الحيض ، وزواج الخنثى ، وفسخ الزواج لقباحة وجه المرأة

جاء فى كتاب مختصر اللاهوت الأدبي تحت رقم ٧٥٠ " تحرم المجامعة تحت طائلة الخطأ المميت لأسبوعين بعد الولادة .. وهى غير مُحرَمة فى أثناء الحيض إذا برَّرها سبب صوابى ، ولكن يستحسن الامتناع عنها فى فترة الحيض "[٤٨٤]

أما عن سماح بزواج الخنثى ، والسماح بفسخ الزواج لقباحة وجه الزوجة فيقول الأسقف ايسيذورس " من غريب أمر شريعة اللاتين أنها توجب وتسلب وتثبت وتنفى فى الموضوع الواحد . فإننا نرى ليكورى يقول فى (ق٢ صـ٣٧٦) بين موانع عجز الزواج ما هو (أن العجز الذى نتكلم فيه هنا هو ما به القرينان لا يمكنهما أن يحصلا على المجامعة الكافية بذاتها للتناسل) حسناً قال ذلك أننا نقرُّ معه لأن المقصود من

---

[٤٨٢] تنوير الأذهان بالبرهان إلى ما فى عقائد الكنيسة الغربية من الزيغان صـ١١٧ .

[٤٨٣] المرجع السابق صـ١١٧.

[٤٨٤] مختصر اللاهوت الأدبي الكاثوليكي صـ٦٥٤ .

الزواج الحصول على النسل ، ولكن ليكورى لم يثبت هذا الرأى فإنه فى الصفحة التـــى تلى هذا الرأى عدل عنه وأجاز بها زواج الخنثى .. أننا نحسب ليكورى مجنوناً لأنه من جهة يبيح فسخ زواج المرأة ذات الوجه القبيح (ق٢صــ٣٧٨) ومن جهة أخرى ســمح بزواج الخناث " [٤٨٥]

خامساً : يكفى حضور الكاهن أو الشماس لإتمام الزواج بدون قيامه بالصلاة

تكتفى الكنيسة اللاتينية بحضور الرئيس المحلى أو الخوري أو الكــاهن أو حتــى الشماس عقد الزواج فيصبح العقد صحيحاً دون إجراء أى مراسيم دينية ، وهذا مـــا لا توافق عليه الكنائس الكاثوليكية الشرقية فيقولون " ٨٨-واجب الرتبة المقدسة .. فـــى الكنيسة اللاتينية يطلب فقط حضور الرئيس المحلي ، أو الخوري ، أو الكاهن ، أو حتــى شماس إنجيلى ينتدب لذلك (راجع ١١٠٨ ، البند ١ من مجموعة الحق القانونى) فـــى التقليد الشرقى على الكاهن ليس فقط أن يحضر الزواج ، بل أن يباركه ، والبركة تعنــى أنه يعمل كخادم حقيقى للسر بحكم سلطان التقديس الكهنوتى (الممنوح له) كى يُوحّد الله العروسين على مثال الوحدة غير الزائلة بين المسيح والكنيسة ، ولكى تقدســها نعمــة السر . ويحدد القانون ٨٣٢ ، البند ٣ من " م.ق.ك.ش" أيضاً أنـــه إذا عُقِـد الــزواج لأسباب استثنائية أمام الشهود فقط فعلى الزوجين أن يقبلا من الكاهن فى أقــرب وقــت ممكن بركة الزواج " [٤٨٦]

تعليق : الزواج المسيحى ليس هو مجزد عقد يوقعه طرفـــان ويوقعــه الشــهود ووكيلا الزوج والزوجة ، لكنه سر عظيم " هذا السر عظيم " (أف٥: ٣٢) ، والكنيســـة الكاثوليكية توافقنا أنه من الأسرار الكنسية السبعة فكيف يتم السر بدون الصـــلاة ؟! .. أن سر الزيجة المقدس لا يتم إلاَّ بالصلاة من كاهن مشرطن علـــى طرفيــن مســيحيين مُعمدين ، فيحل الروح القدس عليهما ويباركهما ويوحّدهما فى جسد واحد ، ومن يقــول أن حضور الخورى أو الكاهن أو الشماس بدون إقامة مراسيم الصلاة هو كاف لصحـــة الزواج كمثل من يقول أن الخبز والخمر على المذبح يتقدسان ويتحولان إلى جسد الــرب ودمه بمجرد مرور الكاهن أمامهما وبدون أى صلوات تقام .. أن هذه النظرة اللاتينيـــة

---

[٤٨٥] تنوير الأذهان بالبرهان إلى ما فى عقائد الكنيسة الغربية من الزيغان صــ١١٧،١١٨ .

[٤٨٦] مجمع الكنائس الشرقية –توجيه لتطبيق المبادئ الليترجية الواردة فى مجوعة قوانين الكنائس الشرقية صــ١١٢،١١٣ .

فى الاستحفاف بسر الزيجة المقدس هو الذى جعلها تنحدر إلى تتميم الزواج بين طرف مسيحى مُعمَّد وأخر لا يعرف المسيح وبالتالى فهو من أبناء الظلمة وبليعال ، ولا أرى كيف يمكن لهذه الكنيسة أن تجمع فى آن واحد بين النور والظلمة ؟!!

سادساً : هل يجوز ارتباط طرف ارثوذكسي بطرف كاثوليكي ؟

أصدر المجمع المقدس لكنيستنا القبطية الأرثوذكسية فى جلسة يوم ١٩٧٩/٢/٢١م القرار الآتى : " لا يجوز عقد الزواج إلاَّ بين أرثوذكسي وأرثوذكسية ، متحدين فى إيمان الكنيسة القبطية الأرثوذكسية " [٤٨٧]

وكتب عاطف حلمى فى مجلة روزاليوسف عدد ٣٦٨٩ فى ١٩٩٩/٢/٢٢م تحت عنوان " حرب الفتاوى بين الطوائف المسيحية : زواج الأرثوذكسي من كاثوليكية حرام !!

يقول الأنبا مرقس .. بالنسبة لرفض الكنيسة الأرثوذكسية تزويج بناتها من غير الأرثوذكس فإن هذا له أكثر من مبرر الأول : أنه طبقاً لقانون الأحوال الشخصية الحالي ، فإن اختلاف الطائفة أو المذهب يؤدى إلى تطبيق احكام الشريعة الإسلامية فى قضايا الطلاق .. الثانى : أنه فى حالة انضمام الفتاة إلى طائفة العريس منعاً لهذا الأمر ، فإنها ينطبق عليها قرار الحرمان الصادر ضد هذه الطوائف ولا يحق لها ممارسة الأسرار الكنسية داخل الكنيسة الأرثوذكسية ..

القمص صليب متى ساويرس عضو المجلس الملى العام : لابد أن يكون الزوجان متحدي العقيدة حتى تنشأ أسرتهما فى عقيدة واحدة ، لأن كل عقيدة لها طقوسها ونظامها ومبادئها .. بالنسبة للكاثوليك تعاد معموديتهم لأن هناك حرماناً لهم منذ مجمع خلقيدونية عام ٤٥١م .. وهذا الحرمان معناه عدم صلاحية رجال الدين الكاثوليك فى ممارسة أسرار الكنيسة ومنها المعمودية والزواج . ومن ثم تحرم الكنيسة الأرثوذكسية أى طرف يتزوج بالمراسم الدينية الإنجيلية أو الكاثوليكية ، أو حتى الانضمام لاحدى هاتين الطائفتين ..

القمص الياس يوسف سكرتير بطريرك الأقباط الكاثوليك : طبقاً لنص الإنجيل وتراث الكنيسة فإن المعمودية تكون شرعية سواء كان الشخص الذى اجرى مراسم العماد محروماً أو غير محروم لأنه لا يجرى مراسم العماد باسمه أو بصفته ، ولكنها تتم باسم الثالوث القدوس كما قال السيد المسيح ذلك .. أن جوهر الزواج قائم على

---

[٤٨٧] القرارات المجمعية فى عهد صاحب القداسة والغبطة البابا شنودة الثالث صـ٣٦ .

رضى الطرفين وليس فى الاكليل الذى يُقيمه الكاهن وعندما يتم الرضى فإن على الكاهن مباركة هذا الرضا ..

الدكتور جرجس كامل المتخصص فى دراسات آبـاء الكنيسـة (يقـول) القديـس كبريانوس .. له كتاب فى هذا الأمر قال فيه " أن الانشـقاق ليـس هرطقـة أو كفـراً وخروجاً عن الإيمان ، لكنه خروج عن وحدة الصف المسيحي " وبهذا فإنه يمنع إعـادة معمودية الطوائف التى إنشقت عن بعضها البعـض " .. القديـس البابـا اثناسـيوس الرسولي .. فى كتابه ضد الأريوسية (فى المقالة الثانية نص رقم ٤٢ ، ٤٣) .. أكـد أن المعمودية الوحيدة المرفوضة كنسياً والباطلة شرعاً هى معمودية الهراطقة الكفار لأنـهم ينكرون الإيمان المسيحي ، ويقصد بهؤلاء اتباع اريوس المنشق والكافر .. "

تعليق : نقول للأب الياس يوسف ان جوهر الزواج المسيحي ليس مجرد الرضى بين طرفين فقط ، ولكنه الرضى الذى يلحقه حلول الروح القدس من خـلال صلـوات الإكليل فيُوحّد بين الزوجين ، وليس كل رضى على الأب الكاهن أن يباركه فإن لم يكـن للطرفان العقيدة الواحدة الصحيحة فلا يحق للكاهن أن يبارك مثل هذا الزواج .

ونقول للدكتور جرجس كامل أن كبريانوس والبابا اثناسيوس عاشا فى وقت كـانت فيه الكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية ، ولم يعاصرا الإنقسامات التى حدثت فيما بعد واسبابها وما ترتب عليها .. لكن هل تظن يا دكتـور أن البابـا اثناسـيوس لوسـمع الكاثوليك يتلون قانون الإيمان مغايراً ومضافاً إليه " والابن " هل تظن انـه كـان يقـف صامتاً ؟! ولو سمع ما عرضنا له من آراء كاثوليكية وما سنعرض له تُرى هـل كـان يمنحهم البركة ويقول لهم أن العيب كل العيب فى كنيستى الأرثوذكسية ؟!!

سابعاً : الزواج بغير المؤمنين

ونؤجل الحديث فى هذه النقطة للفصل القادم عند حديثنا عن معتقدات خاصة بغـير المؤمنين .

٦- سر مسحة المرضى

يقول الأخوة الكاثوليك أن سر مسحة المرضى يدعى المسحة الأخيرة ، وسر الخارجين لأنه لا يُمنح إلاّ للمحتضرين والمشرفين على الموت ولمن قربت شمس حياتهم على الغروب لكيما يقويهم ويعضدهم فى نزاع الموت فورد فى القانون الأول صـ ٢٦٨ من ليكورى أن هذا السر لا يمنح للأطفال ولا المجانين ، وفى صـ ٢٦٩ " هل يكون هذا السر صحيحاً إذا أعطى لأى مريض كان حتى ولو لم يكن مرضه ثقيلاً ؟ أجيب أنه غير جائز حقاً وبرهان ذلك قانون المجمع التريدينتيني جلسة ١٤ رأس ١٣ أن هذا الدهن يجب استعماله للمرضى ولاسيما لأولئك الذين يمرضون بنوع خطر هكذا حتى أنهم يُلحظون مجدين فى خروج الحياة ولذلك يدعى سر الخارجين " واورد ليكورى مرسوم البابا أوجانيوس الرابع الذى قال " أن هذا السر لا يجب أعطاؤه إلاّ للمريض الذى يُخشى من موته " (راجع تنوير الأذهان بالبرهان للأسقف ايسيذورس صـ١٢١،١٢٢)

وجاء فى وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني " الزمن الملائم لقبولها (مسحة المرضي) يحل بنوع أكيد عندما يتعرض المؤمنون لخطر الموت بسبب المرض أو الشيخوخة " [٤٨٨]

وجاء فى قانون ٧٣٨ من مجموعة قوانين الكنائس الشرقية (م.ق.ك.ش) التى أصدرها البابا بولس الثانى فى ١٨ تشرين الأول سنة ١٩٩٠م " بـأن تمنح المسحة للمرضى كلما تعرَّض هؤلاء لمرض خطير" [٤٨٩]

بل والأغرب من هذا أنهم يسمحون للكاهن بمنح السر للإنسان الذى فارق الحياة خلال نصف ساعة لموتى الشيخوخة وحتى مرور ساعتين لموتى الحوادث ، فجاء تحت رقم ٦٢٨ من مختصر اللاهوت الأدبي " لابد لقبول المسحة الأخيرة قبولاً صحيحاً من أن يكون القابل حيَّاً ومعمداً ومميزاً وفى خطر الموت بسبب المرض أو وهن الشيخوخة .. لك أن تمنح المسحة الأخيرة بعد نصف ساعة تقريباً من خروج النفس الأخير لمن

[٤٨٨] وثائق المجمع الفاتيكانى – عن الطقوس الدينية (٧٣)صـ٥٢٦ .

[٤٨٩] مجمع الكنائس الشرقية–توجيه لتطبيق المبادئ الليترجية الواردة فى مجموعة قوانين الكنائس الشرقية صـ١٢٥ .

توفى على أثر مرض طويل ، وساعتين أو أكثر بعد ذلك لمن توفى فجأة " [490]

تعليق : لقد أسَّس الرب يسوع هذا السر عندما وهب تلاميذه إمكانية الشفاء قائلاً لهم " اشفوا مرضى طهّروا برصاً . اقيموا موتى . اخرجوا شياطين . مجاناً أخذتم مجاناً أعطوا " (مت١٠: ٨) وفعلاً تمَّم التلاميذ هذا السر " ودهنوا بزيت مرضى كثيرين فشفوهم " (مر٦: ١٣) . واعتادت الكنيسة الأولى على إقامة هذا السر ولذلك يقول معلمنا يعقوب الرسول " أمريض أحد بينكم فليدع قسوس الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب . وصلاة الإيمان تشفى المريض والرب يقيمه وإن كان قد فعل خطية تغفر له " (يع ٥: ١٤،١٥) وكان يسبق السر سر التوبة والاعتراف الذى يقدمه المريض ـ الكاهن لذلك قال معلمنا يعقوب " اعترفوا بعضكم لبعض " (يع٥: ١٦) ، ويظهر من الكتاب المقدس ما هو الداعى لإقامة السر ؟ وما هو الهدف منه ؟ فالداعى لإقامة السر هو مرض الإنسان ، والهدف منه الشفاء وهذا الهدف واضح جداً فى صلوات السر السبعة ، وهذا ما يقرُّ به مجمع الكنائس الشرقية " ترافق مسحة المرضى صلاة لشفائهم . معنى تلك الصلاة مرتبط جوهريا بصفتها علامة تعبر عن شفاء الشخص بالكامل ، وعن رأفة الأب السماوى التى ينعم بها على الإنسان المبتلي فى جسده وفى نفسه بالمرض والخطيئة .. يعنى زيت المرضى إذاً الدواء الروحي الذى تُنعِم به الرحمة الإلهية على الإنسان الذى تُلِّم به ويلات الحياة الكثيرة .. ميزة المسحة الخاصة فى الطقوس الشرقية .. يتضرع (الكاهن) إلى الرب أن يمنح المريض خلاص الجسد والنفس ، سواء أكان فى الوقت الحاضر أم فى آخر الأزمنة .. " [491]

ولكن عندما تؤجل الكنيسة الكاثوليكية هذه المسحة إلى وقت الموت ، فماذا تكون مشاعر المريض وهو يرى الأب الكاهن مقبلاً عليه وكأنه ملاك الموت الذى حضر ليقبض روحه ، واترك الأب فاضل سيداروس اليسوعي للتعبير عن هذا شاكرين الله أنه شهد شاهد من أهلها حيث يقول " أن سر مسحة المرضى قد أصبح فى مفهوم الناس ، مرادفاً للمسحة التى يتقبلها المسيحى وهو على فراش موته ، بوعى أو فى حالة غيبوبة ، حتى أن أسرته لا تريد استدعاء القسيس ليمنحه إياه خوفاً من أن يفهم

---

[490] مختصر اللاهوت الأدبي الكاثوليكي صـ٥٤٣ .

[491] مجمع الكنائس الشرقية – توجيه لتطبيق المبادئ الليترجية الواردة فى مجموعة قوانين الكنائس الشرقية صـ١٢٤-١٢٦ .

المريض أنه فى حالة خطر ، بل أنه مشرف على الموت .

ولكن الحقيقة تختلف هنا كل الاختلاف ، فقد أراد يسوع شفاء المرضي أيام حياته الأرضيَّة ، كما أراد أن تواصل الكنيسة من بعده هذه الخدمة الخلاصية ولكن هذا السر أصبح مع مرور الزمن سر الموت لا سر الشفاء .. هناك خدمة خاصة بشفاء المرضى مارسها يسوع وأوصي بها تلاميذه الرسل ، ومارستها الكنيسة الأولى من بعده منذ بدايتها . وهذا ما جعل الكنيسة تعترف فى ما بعد ، بأن هناك سرًّا خاصاً بشفاء المرضى .. أن سر مسحة المرضى هو سر شفاء الجسد . فكلام يسوع ويعقوب صريح ولا يقبل الشك فيه " يضعون ايديهم على المرضي فيتعافون " (مر٦: ١٨) " الرب يعافيه .. صلوا بعضكم لبعض لكى تشفوا " (يع ٥: ١٥،١٦) .. هذا ما أُهمل طوال حقبات من تاريخ الكنيسة شرقاً وغرباً ، إذ أصبح السر سرّ الموت ، بدل أن يبقى كما قصده ومارسه يسوع والكنيسة الناشئة من بعده سرّ الشفاء . لقد فهمت الكنيسة هذا المعنى الجسدى حتى حوالى القرن العاشر " [٤٩٢]

٧- سر الكهنوت

منعت الكنيسة الكاثوليك كهنتها من الزواج بينما سارت كنيستنا الأرثوذكسية على منوال الكنيسة الأولى بدون تغيّير ولا تبديل فتسمح للكهنة بالزواج مرة واحدة قبل سيامتهم ولا تقبل فى الكهنوت من تزوج مرتين ، وبعد السيامة إذا انتقلت زوجة الكاهن لا يتزوج ثانية لأن جميع النسوة هنَّ بناته ، ومن يتزوج من الكهنة بعد انتقال زوجته يسقط من رتبته .

وقد أجازت الكنيسة زواج الآباء الكهنة (قبل سيامتهم) لحكمة عالية .. فما هى الأسباب التى دعت الكنيسة للموافقة على أن يكون القسوس متزوجون ؟ ذلك لأنهم يفتقدون الرعيَّة ويدخلون البيوت بل يدخلون فى المشاكل الأسرية والشخصية والعاطفية ، ويقبلون الاعترافات من الكبار والصغار ، ومن المتبتلين والمتزوجين ، فلكيما لا يعثروا ولا يصيروا سبب عثرة لذلك رأت الكنيسة أن يكون الكهنة متزوجين والرهبان والأساقفة متبتلين ، وهذا ما أشار به القديس بفنوتيوس أحد أساقفة الصعيد المشهود

---

[٤٩٢] سر مسحة المرضى صـ٥-١٨ .

به بالبر والتقوى ، فبالرغم من أنه كان متبتلاً إلى أنه دعى إلى زواج الكهنة أمام مجمع نيقية سنة ٣٢٥م ، وأخذ المجمع بمشورته إذ ثبَّت ما كان قائماً بالفعل من زواج الكهنة وبتولية الأساقفة ، وهذا يتفق مع احكام الإنجيل إذ نرى معلمنا بولس الرسول يوصي تلميذه تيطس قائلاً " من أجل هذا تركتك فى كريت لكى تكمل ترتيب الأمور الناقصة وتقيم فى كل مدينة قسوساً كما أوصيتك . إن كان أحد بلا لوم بعل امرأة واحدة له أولاد مؤمنون .. " (تي١: ٥،٦) بل أن السيد المسيح أختار بعض تلاميذه من المتزوجين مثل بطرس الذى دخل بيته وشفى حماته (لو٤: ٣٨،٣٩) .

ولكن من هم الباباوات الذين منعوا وماهى المجامع التى منعت زواج القسوس ؟ من هؤلاء البابا اينوشنسيوس الأول [٤٠١-٤١٧] فى قانونه الثانى سنة ٤٠٤م ، والبابا لاون الأول [٤٤٠-٤٦١] فى قانونه الثالث سنة ٤٤٣م (راجع الإيضاحات الجلية عن حقيقة الأرثوذكسية للشماس ميخائيل شحاته صـ١٢٥) والبابا اغريغوريوس السابع [١٠٧٣-١٠٨٥] منع زواج الكهنة بحرمٍ قاطعٍ ، ومجمع لاتيران الأول سنة ١١٢٣ فى القانون رقم (٤٠) ، ومجمع لاتيران الثانى فِى القانون رقم (١٦) مجلد ١٠ صـ١٠٠٣ قال " أن زواج الاكليروس عمل قبيح وأنه يجعلهم عبيداً للشهوات والنجاسة " (علم اللاهوت من القسم الخاص للقمص ميخائيل مينا صـ١٢٤،١٢٥) ويقول برسيفال " وفى القرن الرابع منعت عدة مجامع الأساقفة والقسوس والشمامسة من مساكنة نسائهم الشرعيات .. على أنه لم يظهر هناك أى استعداد أو ميل لأن يعلن شرعاً أن زيجات الاكليريكيين فى الدرجات الكهنوتية تعتبر ملغاة .. وفى القرنين الخامس والسادس كانت شريعة العزوبة مرعيَّة فى كل كنائس الغرب بأمر المجامع والباباوات.. وفى القرن السابع حتى القرن العاشر كانت شريعة العزوبة فى الواقع غير مرعيَّة كثيراً فى قسم واسع من الكنيسة الغربية " [٤٩٣]

ويستشهد الأخوة الكاثوليك بشهادة القديس ايرونيموس الذى قال " أن المسيح البتول ومريم العذراء قد دشَّنا البتولية للجنسين . أما الرسل فقد أُنتقوا من المتبتلين أو من الأرامل أو على الإقل من المتعففين بعد الكهنوت " [٤٩٤]

[٤٩٣] مجموعة الشرع الكنسي صـ٥٤٥،٥٤٦ .

[٤٩٤] المرجع السابق صـ٥٤٥ .

وشهادة ابيفانيوس " أن الذى يمارس وظيفة الزوج ويلد أولاداً حتى ولو كان بعل امرأة واحدة لا يجوز على الإطلاق قبوله فى إحدى الدرجات شماساً أو قساً أو أسقفاً أو ايبوذياكونيا . على أنه يجوز لمن صان نفسه عن مضاجعة زوجته أو لمن قد ترمل بعد زيجة واحدة أن يقبل ويسام لاحدى هذه الدرجات " [٤٩٥]

ويقول الأرشمندريت جراسيموس مسرة " أول من منع زيجة الاكليروس كله البابا سيريكيوس [٣٨٥-٣٩٨] ولكن حكمةُ قاومه كثيرون إلى أيام غريغوريوس السابع [١٠٧٣-١٠٨٥] الذى منعها بحرمٍ قاطعٍ خلافاً لقانون الرسل وغيره ، وكان ذلك داعياً لفساد عظيم فى الغرب حتى أن الأسقف الغربى البيوس بيلاجيوس أسقف سيلبي فى البرتغال قال فى أواسط القرن (١٤) : يا ليت الاكليروس لم ينذر مثل هذه العفة وخصوصاً فى اسبانيا لأن أولاد الاكليروس (غير الشرعيين) فيها أكثر من أولاد الشعب وهذا القول قول رجل اكليُروسي من الشرق ضد اكليروس الغرب " [٤٩٦]

وقام البابا لاون التاسع [١٠٤٩-١٠٥٤] بإصدار قراراً بإلغاء زواج الاكليروس اصلاً ولكنه تغاضى عن تنفيذه (تاريخ الانشقاق حـ٢ صـ٧٦) ، أما عن طريقة التنفيذ البشعة للقانون الذى سنَّه البابا اغريغوريوس السابع فيتطرق إليها الأرشمندريت جراسيموس مسرة قائلاً " ما أكتفى (البابا اغريغوريوس) بمنع إعطاء درجة الاكليروس للمتزوجين بل حكم بأن يُفصل جميع الكهنة والشمامسة المتزوجين عن زوجاتهم .فأرسل رسلاً من طرفة إلى جميع الأبرشيات سنة ١٠٧٤م ، وأمر رؤساء كهنته أن يفسخوا ذوى الزوجات من الاكليروس عن زوجاتهم ، وجعلهم تحت مسؤوليةٍ إن لم يقوموا بتنفيذ الأمر . ثم أنه قرَّر مجمعياً بإنه لا يجوز لأحد أن يسمع قداساً من كاهن ذى زوجة .. فحصل اضطراب عظيم وهيجان جسيم فى كل ابروشية وضربت الانشقاقات إطنابها بين الشعوب الغربية بسبب هذا الحكم الظالم على مئاتٍ وألوفٍ من الكهنة وعلى زوجاتهم الشرعيات حتى شهد المؤرخون أنه لم تحصل قلاقل فى مدة أعظم الهرطقات مثل القلاقل التى حصلت فى تنفيذ القانون .. ولكن كثيرين من الكهنة المتزوجين وخصوصاً كهنة ولاية ميلان الإيطالية فضّلوا ترك وظائفهم الكهنوتية على ترك زوجاتهم الشرعيات ، فافرزوا أنفسهم من كنيسة رومية وطعنوا فى البابا وأصحابه المحرّمين

---

[٤٩٥] المرجع السابق صـ٥٤٥ .

[٤٩٦] تاريخ الانشقاق حـ ١ صـ٤٥٨، ٤٥٩ .

زيجة الاكليروس بإنهم من ذوى هرطقة مانى ..

الأول : فسخ (البابا) الزيجة الطاهرة فأخزى وأحزن الأزواج والزوجات والأولاد الشرعيين ورماهم من ارتفاع عظيم ، والثاني : أنه لم يعامل الاكليروس المتزوج معاملة لطيفة بل وضعهم تحت القصاصات الكنسية ، وكان يُسلِمهم للحكام ويضبط (يصادر) أملاكهم ويهينهم ويعذبهم على أوجه متنوعة " [497]

والآن نطرح السؤال التالي : هل هناك قوانين مجمعية صريحة تبيح زواج الكهنة ؟

الإجابة : نعم ، فالقانون الخامس من قوانين الآباء الرسل ينص على " لا يجوز لأسقف أو قس أو شماس أن يصرف عنه امرأته ويطلقها بحجة الورع ، فإن أبعدها فليقطع من الشركة ، وإن أصرَّ على غيّه فليسقط " [498]

والقانون ٢٦ من قوانين الآباء الرسل صرح بإنه " لا يجوز لأحد من الاكليروس عدا القراء (الاغنسطسيّين) والمرتلين (الابسالتسيّين) أن يتزوج بعد سيامته " [499] ، وقانون ١٥ من قوانين المجامع المسكونية " أى قس أو شماس أو من كان من زمرة الكهنوت بالجملة امتنع عن الزيجة واللحوم لا بقصد نسك بل لكونه يشمئز منها على أنها دنسة مرزولة ناسياً ما قيل أن كافة الأشياء هى حسنة جداً (اتي٤:٤) وأن الله خلق الإنسان ذكراً وانثى (مت١٩: ٤) ولكنه يفترى مجدفاً على الخليقة إما أن يتندَّم أو يُقطَع ويُطرَح من الكنيسة . وهكذا يجرى مع العامى أيضاً " [500]

والقانون الرابع من مجمع غنغرا " كل من يميز مرتاباً فى أمر قس متزوج على أنه إذا قدس لا يجب أن يتناول القربان منه فليكن محروماً " [501] ، وصرح القانون الرابع من مجمع قرطاجنة بأن "يمتنع القسوس عن زوجاتهم يوم خدمتهم وكذلك الشمامسة وكل من يخدم المذبح " [502]

والقانون السادس من مجمع ترولو (المجمع الخامس السادس) " فليسقط أى

---

[497] تاريخ الانشقاق حـ٢ صـ١٢٦،١٢٧ .

[498] مجموعة الشرع الكنسي صـ٨٥١،٨٥٢ .

[499] المرجع السابق صـ٥٤٣ .

[500] تنوير الأذهان بالبرهان إلى ما فى عقائد الكنيسة الغربية من الزيغان صـ٢٨ .

[501] المرجع السابق صـ٩٨ .

[502] المرجع السابق صـ٩٩ .

شخص مشرطن يعقد زواجاً . أما من شاء أن يتزوج فليفعل قبل سيامته " [٥٠٣] ، والقانون الثالث عشر لنفس المجمع أحتج على الكنيسة الغربية فقال " إذ قد علمنا أنه قد جرت العادة فى كنيسة الرومانيين أن كل من حسب مستحقا لأن يسأم شماساً أو قساً يجب أن يتعهد بعدم مساكنة زوجته بعد سيامته ، فنحن فيما أننا نحافظ على القاعدة القديمة وعلى الكمال والترتيب الرسوليين ، نأمر بان تبقى زيجات المتقدمين إلى هاتين الدرجتين الكهنوتيتين المقدستين من الآن فصاعداً ثابتة ، فلا يُحل الاتحاد الزوجى بوجه من الوجوه ، ولا يُفرَض المنع من المساكنة الزوجية فى الأوقات الملائمة .. ولا يطلب منه (الملتزم المتقدم للسيامة) وقت السيامة أن يعِد بالأمتناع عن مساكنة زوجته لئلا نُظهر ازدراءنا للزواج الذى سنّه الله وباركه بحضوره كما يقول الإنجيل ، " وما جمعه الله فلا يفرقه إنسان " (مت١٩: ٦) وكما قال الرسل " ليكن الزواج مكرَّماً والمضجع طاهراً " (عب١٣: ٤) .. " [٥٠٤]

وفى تعليق البيذاليون على هذا القانون " .. أن هذا المجمع لم يخطئ فيما سنّه فى قضية الكهنة المتزوجين . بل أن الرومانيين ارتكبوا شططاً فى إرغامهم هؤلاء الكهنة على فصل نسائهم عنهم " [٥٠٥]

ومما يجدر الإشارة إليه أنه ورد فى كتاب مختصر اللاهوت الأدبى أن " بعض الطوائف الشرقية كالموازنة والمكيين تسمح بقبول المتزوجين فى درجة الكهنوت . والكرسي الرسولي لم يشاء إلغاء هذه العادة (قانون ٧١ من شريعة الطقوس والأشخاص المعهود بها منذ ٢٥ آذار سنة ١٩٥٨) " [٥٠٦]

والمجمع الفاتيكاني الثاني اعترف بزواج الكهنة فى الكنيسة الأولى فقال " وفى الحقيقة الكهنوت لا يستلزمه البتولية بطبيعته ، كما يظهر فى حياة الكنيسة الأولى ، وفى تقليد الكنائس الشرقية ، حيث يوجد أيضاً كهنة متزوجون دون استحقاق عظيم . إلى جانب الذين اختاروا من جميع الأساقفة بموهبة النعمة أن يحافظوا على البتولية .

---

[٥٠٣] مجموعة الشرع الكنسي صـ٥٤٢ .

[٥٠٤] المرجع السابق صـ٥٥٢ .

[٥٠٥] المرجع السابق صـ٥٥٣ .

[٥٠٦] مختصر اللاهوت الأدبي الكاثوليكي صـ٦١١ .

وهذا المجمع المقدس إذ يوصي بالبتولية الكنسية . لا ينوى البتة تعديل ذلك النظام المختلف القائم شرعاً فى الكنائس الشرقية . وهو يحث بكل محبة جميع الذين قبلوا الكهنوت وهم متزوجون على مواصلة تكريس حياتهم تكريساً كاملاً وسخيًّا من أجل القطيع الذى اؤتمنوا عليه ثابتين فى دعوتهم المقدسة .. ولهذه الأسباب القائمة على سر المسيح ورسالته أصبحت العزوبة التى كان مُوصى بها الكهنة من قبل ، مفروضة قانوناً على الكنيسة اللاتينية على جميع الذين يتقدمون إلى الدرجة المقدسة "[٥٠٧] ولا يخفى أن طائفة الأقباط الكاثوليك فى مصر قد قامت بسيامة عدد من الكهنة المتزوجين . والآن بعد مناقشة قضية زواج الكهنة لم يبق إلاَّ نقطة جانبية وهى :

حلق اللحية : ذكر الأرشمندريت جراسيموس مسرة " قال القديس ابيفانيوس أن من قبائح الماساليين حلق لحاهم (هرطقة٨٨) ومن أجلهم إنعقد مجمع سيذا سنة ٣٨٣م الذى أصدر ضمن قوانينه قانوناً يمنع حلق اللحى ، وكتب البطريرك ذوسيثاوس عن هذا الأمر بالتفصيل وقال فيما قال : قص اللحية بدأ فى كنيسة رومية قبل البابا لاون التاسع بوقت قليل ، وبعده البابا غريغوريوس السابع كان يجيز الأساقفة والاكليروس ليحلقوا لحاهم . وهكذا غيَّر شكل خليفة بطرس إلى شكل عريس جديد بديع المنظر ، والفرق بين الاثنين أن البابا يلبس بطرشيلاً واومونوريا ويتقدم فى مجمع مماثليه ويُسمى بابا ، ولكن بعد البابا غريغوريوس المذكور قام باباوات غيره انفوا الإقتداء به فحافظوا على لحاهم مثل جيلاسيوس الثاني وغيره . غير أن الإصلاح الجديد غلب العادة القديمة وما زال حلق اللحى والشنب مصطلحاً عليه فى كنيسة الغرب "[٥٠٨]

الأصوام

نناقش فى هذا الموضوع النقاط الآتية :

أولا : استبدال صوم الأربعاء بالسبت .

ثانيا : الصوم يبدأ من سن ٢١ عاماً .

ثالثا : الصوم البياضي .

---

[٥٠٧] وثائق المجمع الفاتيكانى الثانى – مرسوم فى حياة الكهنة ورسالتها رقم (١٦) صـ١٦٤ .

[٥٠٨] تاريخ الانشقاق جـ١ صـ٤٣١، ٤٣٢ .

رابعا : تناول اللحوم فى أيام الصوم .
خامسا : الصوم الأفخارستي .

أولا : استبدال صوم الأربعاء بالسبت

تسلمت الكنيسة صوم الأربعاء والجمعة من الرسل والأطهار ، كما تسلمت أيضاً الامتناع عن الصوم فى السبوت باستثناء بسبب النور حيث كان جسد مخلصنا الصالح فى القبر . أما الكنيسة الكاثوليكية فقد حلّت صوم السبوت بدل صوم الأربعاء .

فعن صوم الأربعاء والجمعة جاء فى القانون ٦٩ من قوانين الرسل " فليسقط أى أسقف أو قس أو شماس أو قارئ أو مرتل لا يصوم صوم الفصح الأربعينى المقدس أو يومى الأربعاء والجمعة من كل أسبوع إلاَّ إذا اضطرته إلى ذلك علة جسدية . أما العامى الذى لا يصوم فيقطع من الشركة " [٥٠٩]

وجاء فى القانون (١٥) للبابا بطرس خاتم الشهداء " يجب الصوم يوم الأربعاء تذكاراً لمؤامرة اليهود على تسليم يسوع ويجب الصوم يوم الجمعة تذكاراً لآلام الفادى لأجلنا " [٥١٠]

وعن تحريم صوم السبوت جاء فى رسالة الشهيد اغناطيوس لأهل فيلبي " من صام يوم الأحد أو السبت دون سبت واحد " سبت النور" فليكن كقاتل المسيح " [٥١١]

أما عن تمسك الكاثوليك بصوم السبوت فجاء فى كتاب فوتيوس بطريرك القسطنطينة ضد أعمال البابا نيقولاس بابا روما الذى أراد أن يفرض سيطرته على شعب البلغار الذين بشرهم أهل القسطنطينية " فاولاً : نقلهم (البابا نيقولاس نقل شعب البلغار) إلى صوم السبوت خلافاً للقوانين ومن المعلوم أن مخالفة التسليم وإن كانت صغيرة فإنها تسبب الاحتقار التام للعقيدة كلها " [٥١٢] .. " القانون ٦٤ للرسل ٥٥ للمجمع السادس يحرم الذين يصومون السبوت " [٥١٣] .. " ومن أسباب رفع اسماء باباوات روما من الذيبتخا (قائمة الذكر) فى الكنائس الشرقية حفظهم (اللاتين) صوم

---

[٥٠٩] مجموعة الشرع الكنسي صـ٨٦٦ .

[٥١٠] المرجع السابق صـ٨٨٠ .

[٥١١] تنوير الأذهان بالبرهان إلى ما فى عقائد الكنيسة الغربية من الزيغان صـ ٢٨٦ .

[٥١٢] تاريخ الانشقاق جـ١ صـ٤٥٨ .

[٥١٣] المرجع السابق صـ٤٦٣ .

السبت بدلاً من الأربعاء وبتغييرهم كيفية الصوم " [٥١٤]

ثانيا : الصوم يبدأ من سن ٢١ عاماً

جاء في كتاب مختصر اللاهوت الأدبي تحت رقم ٣٩٠ " يجب الصوم على من أتم الحادية والعشرين من عمره حتى بلوغه مطلع الستين منه . أما القطاعة فتجب عليه بعد تمام السابعة (ق١٢٥٤) [الإنسان الماروني مُقيد بالصيام منذ بلوغه الخامسة عشر من عمره (مجمع ٩ آيار سنة ١٩٢٥م)] " [٥١٥]

تعليق : ماهى الحكمة من تحديد سن الصوم بـ٢١ عاماً ؟! ولماذا نحرم الإنسان حتى هذا السن من بركات الصوم ؟! .. ترى عندما يبدأ الشاب في ممارسة الصوم في هذا السن ألا يصير الصوم حملاً ثقيلاً عليه ؟! .. يا أخوتي أن الصوم لمن اختبروه هو فرح ومعين لنا في جهادنا الروحي وفرصة لسمو الروح والاقتراب من العرش الإلهي .. عاش ابوانا الأولان نباتيان ، واختبر دانيال وداود وأنبياء العهد القديم قوة وفاعلية الصوم ، وعاش الآباء الرسل والشهداء والقديسون حياة الصوم .

بينما رفعت الكنيسة اللاتينية الإلزام بالأصوام إلى سن ٢١ عاماً ، فإن الكنيسة المارونية جعلت سن الإلزام ١٥عاماً ، وصاحب كتاب الذمة رأى أن السن الملزم للصوم هو عشر سنين فيقول " أن المسيحيين أجمع يلتزمون أن يحفظوا الصوم الكنسي المقدس إذ يكونون بلغوا من العمر السنين التى لا توجب لهم مضرة في أجسادهم . وقد يُحسَب هذا الزمن عموماً صوابياً لالتزام الصوم إذا بلغ الفتى إلى العشر سنوات " [٥١٦]

ثالثا : الصوم البياضى

لقد تهاونت الكنيسة الكاثوليكية اللاتينية بالأصوام حتى كادت الأصوام تضمحل في هذه الكنيسة ، وسمحت لأبنائها بأكل البيض والجبن والزبد والسمك وشرب اللبن في أيام الصوم ، ودعت هذا الصوم بالصوم البياضى ، بينما انكر عليها هذا الموارنة الكاثوليك والروم الكاثوليك (مرشد المستفحصين صـ٣٩٤ - علم الذمة صـ١١٥، ١١٦- طقس الموارنة صـ٥١٩) ويعترف مختصر اللاهوت الأدبي تحت رقم ٣٨٧ بأن

---

[٥١٤] تاريخ الانشقاق جـ٢ صـ١٠٣ .

[٥١٥] مختصر اللاهوت الأدبي الكاثوليكي صـ٣٢٦ .

[٥١٦] علم الذمة صـ١٦ .

" الكرسي الرسولي قد منح تفسيحاً واسعاً فى شريعتى الصوم والقطاعة " [٥١٧] وتحت رقم ٣٨٩ " تحرم وصية القطاعة اكل اللحم ومرقه ، لا البيض أو اللبن .. ويجوز أن يُستعمل الدهن الذائب كادام لإعداد الأطعمة وأكل الخبز .. وتعتبر بعض الطيور المائية غير مُحرَّمة فى بعض البلدان المجاورة للبحر ، وذلك بموجب انعام من الكرسي الرسولي أو بحكم العادة " [٥١٨]

أما القانون ٥٦ من مجمع ترولو فقد أحتج على هذا الصوم الكاثوليكي " علِمنا أيضاً أنه فى مقاطعات ارمينيا وفى اماكن أخرى يأكل بعض الناس بيضاً وجبناً فى سبوت الصوم الكبير واحاده ، فيلوح لنا أنه يحسن أن يسود نظام واحد فى كنيسة الله ، وان يُحفَظ الصوم حفظاً دقيقاً . وكما يمتنع الناس عن أكل ما ذُبح هكذا يجب أن يمتنعوا عن أكل البيض والجبن وهما من نتاج الحيوانات الممنوع أكل لحومها . وكل من لا يحفظ هذه الشريعة فليسقط إن كان اكليريكياً وإن كان عامياً فليقطع " [٥١٩]

وجاء فى لاهوت انطونين المجلد الأول صـ٤٠٥ " أن الصوم هو الانقطاع عن اللحم وعن البيض أيضاً لأنه مُحرَم من الناموس العام لأنه يصدر من اللحم .. قال القديس اغريغوريوس فى التمييز ٤ عن القانون ٦: أنه من الواجب أننا فى الأيام التى نمتنع بها عن لحوم الحيوانات نمتنع أيضاً عن كل ما يأخذ أصل جذوره من اللحوم فنصوم عن الحليب والجبن والبيض أيضا ، وبهذا فإن اسكندر السابع قد حرَّم مقولة لزوم البيض والجبن في الصوم الكبير

رابعا : تناول اللحوم فى أيام الصوم

جاء فى كتاب مختصر علم اللاهوت الأدبي تحت رقم ٣٨٨ " أن وصية الصوم لا تسمح إلاَّ بوجبة طعام كاملة فى النهار وهى تُجيز صباحاً ومساءاً وجبة خفيفة تُعين مقدارها العادات المحلية المثبتة (١٢٥١ بند ١) وفى بعض البلدان يُسمح بأكل اللحوم فى وجبة المساء ، فضلاً عن الوجبة الكاملة المذكورة ... ولا مانع من تناول اللحم والسمك فى نفس الوجبة " [٥٢٠]

---

[٥١٧] مختصر اللاهوت الأدبي الكاثوليكي صـ٣٢٣ .

[٥١٨] المرجع السابق صـ٣٢٥، ٣٢٦ .

[٥١٩] مجموعة الشرع الكنسي صـ٥٨٤ .

[٥٢٠] مختصر علم اللاهوت الأدبي صـ٣٢٤ .

وجاء تحت رقم ٣٩٢ " ويبطل أيضاً الإلزام بالصوم والقطاعة بالتفسيح العام أو الخاص . أما التفسيح العام فقد منحه الكرسي الرسولي لبعض البلدان ، يُخصَ بالذكر منها التى يعايش فيها الكاثوليك البروتسانت ، فُسمح للكاثوليك فيها أن يأكلوا لحماً كل يوم جمعة إلاَّ الجمعة العظيمة ، ويتمتع بهذا الإذن فى سويسرا المسافرون و .. أما التفسيح الخاص فيمنحه خادم الرعيَّة لأبناء رعيته فرداً فرداً أو عائلة بكاملها باعتبارها فرداً . كما يمنحه رؤساء الرهبان المعصومون رهبانهم من ناذرين ومبتدئين والخدم والضيوف وغيرهم ممن يقيمون ليلاً ونهاراً فى الدير (ق١٢٤٥) " [٥٢١]

تُرى من يقول أن هذا الصوم يُعدُّ صوماً مقبولاً ؟!!

ومن يقدر أن يميز بين صوم كهذا وعدمه ؟!!

تُرى هل هذا الصوم وتلك الصلاة اللذان يطردان الشياطين عنا ؟!

ألا نشكر الله على كنيستنا القبطية الأرثوذكسية التى تُعيّشنا فى مجد وعظمة وقوة الكنيسة الأولى !!

خامساً : الصوم الأفخارستي

الصوم الأفخارستي أى عدد ساعات الانقطاع عن الطعام والشراب قبل حضور القداس ، وهى لا تقل فى كنيستنا الأرثوذكسية عن تسع ساعات قبل بداية القداس ، وبحيث يتم الانقطاع من الساعة الثانية عشر مساء اليوم السابق للتناول ، فلو كان القداس سيبدأ فى وقت متأخر فى الثالثة بعد الظهر مثلاً مثل قداسات الصوم الكبير فإن ساعات الانقطاع تصل إلى خمسة عشر ساعة وتستمر حتى نهاية القداس والتناول . أما الكنيسة الكاثوليكية فقد تهاونت كثيراً ، فجاء فى مختصر اللاهوت الأدبي تحت رقم ٥٠٦ " على الكاهن أن يمتنع عن المأكولات الجامدة وعن المشروبات الكحولية ثلاث ساعات قبل الابتداء بالقداس ، وعلى المؤمنين أن يمتنعوا عنها ثلاث ساعات قبل المناولة . للكاهن ان يتناول سائلاً بساعة قبل الابتداء بالقداس ، وللمؤمن أن يفعل مثله ساعة قبل التناول .. أن الماء لا يفسخ الصوم القرباني ولذلك يمكن شربه فى أى وقت كان .. (الإرادة الرسولية تاريخ ١٩ آذار سنة ١٩٥٧م) وفى خانة الملاحظات دُوّن الآتى : بموجب قرار صادر من مجمع الستنوفيشيو ، وقد ثبَّته الحبر الأعظم ونشر فى ١٠ كانون الثانى سنة ١٩٦٤م أصبح واجب الانقطاع عن الاكل والشرب ثلاث ساعات

---

[٥٢١] المرجع السابق صـ٣٢٧ .

أو ساعة قبل المناولة للجميع من كهنة وعلمانيين "[522]

بل أنهم سمحوا للكاهن الغير صائم أن يقيم القداس ويتقدم للتناول فجاء تحت رقم ٥١٢ " سادسا : تلافى العثار (العثرة) والفضيحة . وعليه وإن كنت غير صائم (أيها الكاهن) أن تُقدّس لئلا يُهمل المؤمنون سماع قداس واجب ، وأن تتلو قداسك الأول تلافيا للفضيحة ، وأن تتناول .. "[523]

وأمام هذا التهاون الشديد صرح مجمع الكنائس الشرقية بإنه يود لو يعيد نظم الصوم القديمة " أن تبديل نظام الصوم الأفخارستي (تقلُّص فترة الصوم إلى ساعة واحدة) أسهم فى تعزيز مشاركة أكبر فى الأفخارستيا ، ولكنه ساعد أحياناً فى اضعاف وعى القيمة الخارقة ومعنى السر المُختَفى به ، ويعيد القانون ٧٠٧ البند (١) من (م.ق.ك.ش) إلى الشرع الخاص فى تحديد ما يلزم مواعيد فى هذا الشأن . فيجب تقويم مناسبة امكانية اعادة نظم الصوم القديمة ، ولو جزئياً فى الكنائس الكاثوليكية الشرقية .."[524]

تغيير ميعاد عيد الميلاد [525]

كان العالم يسير على التقويم اليوليانى (الميلادى) حيث تبلغ السنة ٣٦٥ يوماً وست ساعات ، ويعتمد هذا التقويم على ظهور نجم الشعرى اليمانية " Sirius " الذى يُعَد المع نجم فى السماء بعد الشمس ، ويبعث ضوءاً وحرارة أكثر من الشمس بمقدار ٢٦ مرة ويتم دورته فى ٣٦٥ يوماً وربع والذى وضع هذا النظام العالم الفلكي المصري سوسيجينوس سنة ٤٦ ق.م بناء على رغبة الإمبراطور يوليوس قيصر لإصلاح السنة الرومانية ، ولذلك سُمى شهر يوليو باسمه ، وشهر اغسطس باسم الإمبراطور اغسطس قيصر ، وكانت مصر تسير على النظام القبطى القائم اساساً على هذا النظام اليوليانى النجمي ، وبذلك كان ميعاد عيد الميلاد واحد فى جميع العالم تحتفل به مصر فى ٢٩

---

[522] المرجع السابق صـ٤٣٨ .

[523] المرجع السابق صـ٤٤٣ .

[524] مجمع الكنائس الشرقية – توجيه لتطبيق المبادئ الليترجية الواردة فى مجموعة قوانين الكنائس الشرقية صـ٨٩ .

[525] راجع " عيد الميلاد المجيد ٢٥ ديسمبر أم ٧ يناير " للشماس اقلاديوس ابراهيم .

كيهك (وفى السنة الكبيسة ٢٨ كيهك) ويحتفل به العالم ٢٥ ديسمبر .

ولكن الذى حدث أن علماء الفلك فى عصر البابا الرومانى غريغوريوس الثالث عشر [١٥٧٢-١٥٨٥] وبالتحديد فى عام سنة ١٥٨٢م ظنوا خطأ ان التقويم اليوليانى هو التقويم الشمس الذى يبلغ ٣٦٥ يوما وخمس ساعات ، وثمانية واربعون دقيقة وستة واربعون ثانية ، فحسبوا الفارق كالآتى :

	ثانية	دقيقة	ساعة	يوم
التقويم اليوليانى	–	–	٦	٣٦٥
التقويم الشمس	٣٦	٤٨	٥	٣٦٥
	١٤	١١		

وأرادوا التصحيح بأثر رجعى ، وعوضاً عن أن يحسبوا تاريخ التصحيح من تاريخ سريان التقويم اليوليانى ٤٦ ق.م حسبوا التاريخ من ٣٢٥م وهو تاريخ انعقاد مجمع نيقية وتكليف بابا الاسكندرية بتحديد ميعاد عيد القيامة وابلاغه للعالم كله ، فحسبوا الفرق كالآتى :

١٥٨٢ (السنة التى اجروا فيها التعديل) - ٣٢٥ (تاريخ انعقاد مجمع نيقية) =

١٢٥٧ سنة x ١٤ ثانية ١١ دقيقة (الفرق فى السنة) = عشرة أيام

فماذا فعلوا ؟ نام الناس مساء ٤ أكتوبر سنة ١٥٨٢ م واستيقظوا ليجدوا أن التقويم تغير إلى ١٥ أكتوبر سنة ١٥٨٢م (بفارق عشرة أيام) وفى تلك السنة عيَّدوا عيد الميلاد يوم ٢٥ ديسمبر فأصبح الفارق بين الكنيسة الشرقية والغربية عشرة أيام وعيدت الكنيسة الشرقية فى تلك السنة كالعادة يوم ٢٩ كيهك وهو يقابل ٤ يناير .

وأصبح الفرق سارياً فى الكنيسة الغربية (١٤ ثانية ١١ دقيقة سنوياً) فكل ١٢٨ سنة يكَون هذا الفرق يوماً ، وبذلك أصبح ٢٩ كيهك يختلف عن الغرب بمقدار يوماً كل ١٢٨ سنة كالشكل الآتى :

٤ يناير		٥ يناير		٦ يناير		٧ يناير		٨ يناير		٩ يناير
	+١٢٨		+١٢٨		+١٢٨		+١٢٨		+١٢٨	
١٥٨٢	←	١٧١٠	←	١٨٣٨	←	١٩٦٦	←	٢٠٩٤	←	٢٢٢٢

الفصل الثامن
معتقدات خاصة بغير المؤمنين

نناقش فى هذا الفصل النقاط الآتية :

أولاً : الكنيسة الكاثوليكية تعترف بالمعمودية التى يجريها الهراطقة والوثنيون .

ثانيا : الكنيسة الكاثوليكية توافق على الزواج بغير المؤمنين .

ثالثا : الكنيسة الكاثوليكية تعتقد بخلاص غير المؤمنين .

أولاً : الكنيسة الكاثوليكية تعترف بالمعمودية التى يجريها الهراطقة والوثنيون

تعتقد الكنيسة الكاثوليكية دون سواها من كافة الكنائس المسيحية بأن المعمودية التى يجريها الهراطقة والوثنيون صحيحة ما دامت تتم بنفس المادة (أى برش أو سكب الماء أو بالتغطيس) ، وتتم بنفس الصورة (أى النطق بالقول : أنا أعمدك يا فلان باسم الأب والابن والروح القدس) فجاء فى كتاب مختصر اللاهوت الأدبي الكاثوليكي تحت رقم ٤٥١ " يصح العماد الذى يمنحه طبيب يهودي وهو يقصد أن يعمل ما تعمله الكنيسة أو المسيحيون " وتحت رقم ٤٥٢ " لا يقتضى لصحة إيلاء السر أن يكون مانحه مؤمناً أو فى حالة النعمة ، وعليه فإذا عمَّد يهودي مراعياً ما تجب رعايته صح العماد ، وإن كان المُعمِّد لا يؤمن بالعماد أو المسيح " وتحت رقم ٤٧٢ " لأي كان (أى شخص كان) وإن كان غير كاثوليكي أو غير مؤمن أن يمنح على وجه صحيح العماد غير الاحتفالي " [٥٢٦]

وقد ناقش الأب أنطون صالحانى اليسوعي هذا الموضوع ، ودار محور حديثه حول سؤالين هما :

س١ : هل المعمودية التى تتم على يد إنسان علماني تعتبر صحيحه ؟

س٢ : هل يُشترط لصحة المعمودية أن يكون خادم السر ذو إيمان مستقيم ؟

---

[٥٢٦] مختصر اللاهوت الأدبي الكاثوليكي صـ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٤٠٥ .

فعن السؤال الأول قال أن المعمودية التى يجريها العلماني فى حالة الضرورة هـى صحيحة وجائزة ، وإن أجراها فى حالة غير ضرورية فهى صحيحة لكنها غير جـائزة " وهكذا العلماني إذا عمَّد بالرتبة المختصة بالكهنة أو فى غير الضرروة يكـون عمـادهُ صحيحاً لكن غير جائز ، وهؤلاء آباء الكنيسة نراهم يُميّزون بكل صواب فـى إعطـاء سـر المعمودية صحة السر وجواز منحه . فيُعلّمون أنه لا يجوز للعلمـاني أن يتعـدى حقوق الكهنة فى منح سر المعمودية ، ويقولون أنه يخطئ إذا منحه بـدون ضـرورة لكنهم يؤكدون أن السرَّ الممنوح على هذه الطريقة يكون صحيحاً لا بـاطلاً وإن أخطـأ الذى تعـدى الحقوق . أمّا إذا أعطى العلماني العماد لضرورة موجبه فيكون عملهُ خالياً أيضاً من الخطأ " [٥٢٧]

أما كنيستنا الأرثوذكسية فإنها تعلمنا أن نتمسك بالعقيدة ونسلمها كما سُلّمت لنـا ، فلا يحق للعلمانى أن يجرى المعمودية ، ومن شروط إتمام السرّ أن يكون خـادم السـر كاهن مشرطن .

وحول السؤال الثانى تعرض الأب أنطون للشق التاريخي من المشـكلة فقـال " إن مسألة صحة أو عدم صحة العماد باعتبار استقامة أو عدم إسـتقامة إيمـان المُعمّـد ، وديانته ليست حديثة فى الكنيسة ، وقد أثارت فى القرن الثالث والرابع للمسـيح جـدالاً عنيفاً تناظر فيه اشهر الأساقفة مثل القديس كبريانوس .. جمع كبريانوس سـنة ٢٥٦ مجمعين محليَّين .. وقرَّروا أن الأسرار التى تمنح خارجاً عن الكنيسة الجامعة لا يمكـن أن تكون صحيحة . وغبَّ عقد هذين المجمعين أوفد كبريانوس إلـى روميـة أسـقفين أصحبها بتحرير غاية فى الرقة والإحترام إلى الحبر الروماني القديس اسـطفانوس الأول (٢٥٤-٢٥٧) يخبره بما قرَّره الأساقفة ليُثبته بسلطته ، فكان هذا الخبر كشرارة وقعـت فى غابة .. ساءه ما بلَّغه إياه الأسقفان المرسلان من طرف كبريانوس فلم يعطهما تحية السلام وكتب إلى كبريانوس رسالة شديدة اللهجة بين فيها العادة القديمة قائلاً { إذا عاد إليكم أحد من أيَّه هرطقة كان فلا تُبدعوا شيئاً جديداً بل إتَّبعوا ما يُسلّم إليكـم وهـو أن تضعوا فقط عليه الأيدى للتوبة } وتهدد بالقطع كبريانوس وإساقفته إن لـم يرعـووا . وأرسل أيضا رسالة فى المعنى نفسه إلى فرمليانوس والأساقفة الشرقيين من كيلكية

[٥٢٧] الحقائق اللامعة فى عقائد الكنيسة الجامعة صـ٣٦ .

وكيدوكية شركاء كبريانوس فى رأيه " [528]

ثم إنتهى الأب أنطون إلى النتيجة الآتية " أن صحة السر لا تتوقف علـــى إيمـــان خادم السر وبرارته جاز لنا أن نستنتج بكل صواب أن العماد يكون صحيحاً وأن أعطـــى من وثنى بشرط أن يمنحه كما تمنحه الكنيسة وأن يقصد عمل ما تعمله " [529] ثم يقول " وعليه فإذا وُجد شخص مؤمن بالمسيح ولم يكن بعد قَبِل العماد ووُجد فى خطر المـــوت القريب ولم يكن حاضراً عنده إلاً صديق غير مسيحى فالتمس منه المريـــض أن يعمّـــده مُتمّماً ما يعمله المسيحيون ويقصدونه ، فعماده هذا يكون صحيحاً ، وهكذا القول عـــن طفل غير مُعمَّد وُجِد فى حالة النزاع الأخير ولم يوجد لديه أحد من المسيحيين بل وُجـــد أحد الوثنيين فيقدر هذا الوثنى أن يتمم سر العماد المقدس علـــى المذهـــب المســـيحى ويكون العماد الممنوح منه صحيحاً " [530] ويستشهد الأب أنطون بأقوال بعض بابـــاوات روما فيقول " قال البابا نيقولاس الأول فى جوابه على سؤالات إستفهمه عنـــها البلغـــار { ذكرتم أن كثيرين فى بلادكم مُنحوا العماد من أحد اليهود وأنكم تجـــهلون أكـــان هـــذا مسيحياً أم غير مسيحي وتطلبون ما الذى يجب عمله فى أمر هؤلاء } فأجاب البابا قائلاً " إذا ثبت أنهم إعتمدوا باسم الثالوث الأقدس أو فقط باسم المسيح .. كما جاء فى أعمال الرسل يجب أن لا تعاد معموديتهم } ، وقال أيضا البابا أوجانيوس الرابع فـــى صـــورة الإيمان التى بعثه بها إلى الأرمن { فى وقت الضرورة ليس فقـــط الكـــاهن والشـــماس الإنجيلى لكن أيضا الرجل العلماني والمرأة بل الوثني والهرطوقي يمكنـــهم أن يُعَمـــدوا بشرط أن يستعملوا الصورة التى تستعملها الكنيسة مع النية بأن يتمموا ما تعمله } وقال القديس ايزيدوروس { أن روح الله يمنح نعمة العماد وإن كان مـــانح العمـــاد وثنيـــاً } (مجلة الحق القانونى الصفحة ٤٨٢) والمجمع اللاترانى الرابع وهو المجمع المسكونى الثانى عشر (سنة ١٢١٥م) حدَّد أن { سرّ المعمودية الممنوح كما يجب يفيد للخـــلاص أيًا كان مانحه } .. ورب معترض يقول : هل يمكن أن يقصد الوثني عمـــل مـــا تعملـــه الكنيسة وهو لا يؤمن بالعماد ولزومه للخلاص ولا بالكنيسة ولا بالمسيح . أجيب أنـــه لا يُطلـــب من الوثني أن يؤمن بهذه الأمور ليكون العماد الذى يمنحه صحيحاً بل يكفى أن

---

[528] المرجع السابق صـــ٣٨ .

[529] المرجع السابق صـــ٣٩ .

[530] المرجع السابق صـــ٤٥ .

يعلم أن المسيحيين يعتقدون ذلك ويقصد عمل ما يعلمونه وما يُطلب منه " [٥٣١]

توضيح : جاء فى القانون (٤٧) من قوانين الآباء الرسل كما أورده الأرشمندريت الكاثوليكي حنانيا إلياس كساب " أيّ أسقف أو قس عمَّد ثانية من كان قد أقتبل المعمودية الحقيقية ، أو لم يعتمد (لا يعيد معمودية) من كان قد تدنس بمعمودية الكفرة فليسقط بما أنه مستهزئ بصليب الرب وموته ولم يميز بين الكهنة الحقيقيين والكهنة الدجالين .. كان بعض المسيحيين أثناء الاضطهادات أو البدع يسقطون إما خوفاً من الإضطهاد أو إنخداعاً بتعاليم بعض المبتدعين فالذى يرتد من هؤلاء تائباً إلى الكنيسة لا يجوز إعادة معموديته لأنه كان قد عُمّد فى الكنيسة الحقيقية قبل سقوطه ، والمعمودية واحدة لا تجوز إعادتها ولكنه يعاد تثبيته فى الإيمان بالتوبة والصلاة والمسحة ، وأما من كان قد إعتمد عند المبتدعين فمعموديته باطلة وتجب إعادتها " [٥٣٢]

وقد تعرض الارشمندريت حنانيا إلياس (الكاثوليكي) للجانب التاريخى من هذه المشكلة بأمانة فقال " عُقِد فى مدينة قرطاجنة فى افريقيا ثلاثة مجامع مكانية للنظر فى قضية إعادة المعمودية فى عهد القديس كبريانوس الشهيد . إجتمع المجمع الأول فى سنة ٢٥٥م .. فحدَّد أنه لا يمكن لإنسان أن يعمد خارج الكنيسة ، فهى لا تعترف إلاّ بمعمودية واحدة ، والمرتدون إلى الكنيسة الجامعة من المبتدعين يجب أن يُعمَدوا ثانية .. وإذا كان البعض قد انضموا إلى المبتدعين بعد معمودية أرثوذكسية فيجب قبولهم عند ارتدادهم دون معمودية .. والتأم المجمع الثانى فى سنة ٢٥٨م (أو سنة ٢٥٦م حسب رأى ميلياس) واجتمع فيه ٧١ أسقفاً .. وقد دعا كبريانوس هذا المجمع ليُثبّت الشريعة التى وضعها المجمع السابق بشأن إعادة المعمودية ، فحدَّد ما يأتى .. ثانياً : أن كل معمودية قام بها المبتدعون باطلة ، وكل من يرتد بعد معمودية كهذه يجب أن يُعَمد معمودية أرثوذكسية ولا يعنى ذلك عماده ثانية بل هى المعمودية الواحدة إذا لم يسبق لهم أن نالوا المعمودية الحقيقية .. ثم عقد مجمع ثالث فى السنة نفسها برئاسة كبريانوس حضره ١٨٤ أسقفاً .. أن الذى دعا إلى عقد هذا المجمع رسالة كان قد أرسلها المجمع الثاني المار ذكره إلى استفانوس بابا روما فيشرح فيها ما تحدَّد بخصوص إعادة المعمودية ، فعقد البابا إستفانوس مجمعاً فى روما حدَّد فيه أن

[٥٣١] المرجع السابق صـ٤٧ ، ٤٨ .

[٥٣٢] مجموعة الشرع الكنسي صـ٨٦٠ .

معمودية المبتدعين الذين يُعمدّون كما تعمد الكنيسة لا يجوز إعادتها .. فدعا القديس كبريانوس إلى عقد هذا المجمع الثالث ليُثبِّت أن معمودية المبتدعين تُعد باطلة فيجب تعميد المرتدين خلافاً لما حدَّده البابا إستفانوس . ونشب مثل هذا الخلاف بين البابا استفانوس والأساقفة فى آسيا وكان قد كتب إليهم فى أنهم يجب ألاَّ يعيدوا المعمودية ، فعقدوا مجمعا فى أيقونية فى سنة ٢٥٨م برئاسة القديس فرميليانوس أسقف قيصرية فى سنة ٢٥٨م برئاسة القديس فرميليانوس أسقف قيصرية الجديدة .. فارتأوا عدم قبول شئ من الأسرار التى يقوم بها المبتدعون لأنها باطلة بما فيها معموديتهم وسياستهم " [٥٣٣]

ورغم أن أتباع بولس الساموساطى كانوا يعمدون باسم الآب والابن والروح القدس إلاَّ أن الكنيسة رفضت معموديتهم ، فجاء فى القانون (١٩) من قوانين مجمع نيقيا " أننا نحدد أن أتباع بولس الساموساطى اللاجئين إلى الكنيسة الجامعة يجب أن تُعاد معموديتهم على كل حالٍ .. وكان البولسيون كما يقول القديس اثناسيوس يذكرون إسم الآب والإبن والروح القدس فى إتمام سر المعمودية ولكنهم لم يكونوا يستعملون هذه الكلمات بمعناها الحقيقى ولذلك اعتبر المجمع والقديس أثناسيوس أن عمادتهم باطلة (هيفيلة) " [٥٣٤]

وجاء فى رسالة القديس كبريانوس او قانون المجمع المكاني الثالث " أننا نرى ونعتقد متيقنين أنه لا يمكن لأحد أن يُعمّد خارج الكنيسة ، بمعنى أنه ليس هناك إلاَّ معمودية واحدة فى الكنيسة المقدسة .. فالماء إذن يجب أن يُنقى ويُقدس بواسطة الكاهن لتُغسل بالمعمودية فيه خطايا المستنير (المُعمَّد) مصداقاً لقول الرب بفم حزقيال النبى " وانفتح عليكم ماءاً فتطهرون .. " (حز٣٦: ٢٥ ،٢٦) ولكن كيف يستطيع من هو نفسه غير طاهر أن يطهر ويقدس الماء وهو خال من الروح القدس ؟ .. وكيف يستطيع من لا يقدر أن يحرر نفسه من خطاياه وهو خارج الكنيسة أن يمنح آخر فى تعميده غفران خطاياه ؟ .. أن مغفرة الخطايا لا تمنح إلاَّ فى الكنيسة ولما لم يكن للمبتدعين كنيسة فيستحيل عليهم مغفرة الخطايا .. لابد للمعتمد أن يُمسح للرب بمنحه مسحة الميرون المقدس وحصوله فى داخله على نعمة المسيح أما الذى ليس له كنيسة

---

[٥٣٣] المرجع السابق صـ٧٥٥- ٧٥٦ .

[٥٣٤] المرجع السابق صـ٩٣ .

ولا مذبح فلا يستطيع أن يقدس الزيت .. ما نوع الصلاة التى يقدمها كاهن رجس خاطئ فى المعمودية ؟ .. ومن يستطيع أن يعطى ما ليس عنده ؟ أو كيف يقدر أن يقوم بالأعمال الروحية من قد حرم نفسه من الروح القدس ؟ .. كل من خُدِع وحُمِل على السير فى طريق الضلال واغتسل خارجاً يجب أن يخلع عنه هذا الخطأ أيضا بالمعمودية الحقيقية فى الكنيسة ، فقد وقع أثناء قدومه إلى الله – خطأ – على مجدف فيما كان يبحث عن كاهن .. من كان له أن يُعمد فله أيضا أن يعطى الروح القدس ، ولكنه ما دام لا يقدر أن يعطى الروح القدس لأنه صار بدون نعمة الروح القدس فهو ليس مع الروح القدس ولا يستطيع أن يُعمِد .. من يأتى إليه .. ما دام كل شئ عندهم باطلاً وكاذباً فلا يجوز أن يعتبر شئ مما يقومون به مقبولاً عندنا .. هل فى وسع هؤلاء مقاومى الرب الدجالين أن يمنحوا نعمة المسيح " [٥٣٥]

وقد أورد الأرشمندريت جراسيموس مسرة رسالة القديس فرمليانوس إلى كبريانوس بشأن استفانوس بابا روما الذى يُصر على الإعتراف بمعمودية الهراطقة ، فيصفه بالعتوه وأنه يتمثل بيهوذا الخائن ، ونقتطف من هذه الرسالة الطويلة القليل منها " ولكن لنترك الآن ما عمله إستفانوس لكى لا يكون ذكر وقاحته داعياً لكدر أعظم لنا نظراً لقباحة ما فرط منه .. ليست معمودية فى غير الكنيسة .. ظهر بغتة إمرأة متجنّنه (بها أرواح شريرة) كانت تدعو نفسها نبية حاملة روحاً .. وكانت تصنع غرائب وعجائب وتدّعى بأنها تحرك الأرض كلها .. كانت تتظاهر بأنها زيادة على صنائعها تقدّس وتتمم سر الشكر بدعاء جليل .. وكانت تستعمل (فى المعمودية) كلمات السؤال القانونية المعتادة (طقس جحد الشيطان والإعتراف بالمسيح) وتعمد كثيرين ، فظهر أنها لا تخالف قانون الكنيسة فى شئ .. فماذا تقول عن هذه المعمودية التى عدّها الشيطان واستعمل الإمرأة إلة لها ؟ ألعل إستفانوس والموافقون لرأيه يقبلونها ؟ سيما أنها لا تترك علامة الثالوث ولا السؤال القانونى الكنائسي .. ولكنه فى الصحيح مفعول من الشيطان .

فعلينا من ثمَّ أن نسأل مساعدي الهراطقة ما قولهم فى معموديتهم أجسديَّة هى أم روحيَّة ؟ فإنها إن كانت جسدية فلا فرق بينها وبين معمودية اليهود التى يستعملونها بمثابة حمام دارج يغسلون به أوساخهم .. وإن كانت روحية فكيف يمكن أن تكون

---

[٥٣٥] المرجع السابق صـ٧٥٨ ، ٧٦٠ .

معمودية روحية عند الذين ليس لهم الروح القدس ؟ إن كانت عروس المسيح واحدة فمن الواضح أن الكنيسة الجامعة هي وحدها التي تلد أبناء لله لأنه ليست عرائس كثيرة للمسيح .. ما لم يكن استفانوس يعتقد أن الهرطقة تلد وتربي (أولاداً) والكنيسة تجمع المرميِّين (الأولاد المطروحين) وتربي الذين لم تلدهم كما لو كانوا أولادها فإنها لا تستطيع أن تكون أماً لأولاد غرباء .. وأما أعداء الكنيسة الواحدة الجامعة التي نحن بها ، وأعداؤنا نحن خلفاء الرسل ، الذين يباشرون ضدنا أعمالاً كهنوتية غير مباحةٍ ويصنعون مذابح رجسة فلا فرق بينهم وبين قورح وداثان وابيرام ، ولكونهم متعدِّين على الكهنوت مثلهم سوف يُعاقبون بعقابات مثل عقابهم لا يفلت منهم المشاركون آراءهم .. أما أنا فلا أستطيع ان أطيق حماقة إستفانوس الواضحة بهذا الصدد .. لو كانت المعمودية خارجاً باسم المسيح تستطيع أن تطهر الإنسان لكان وضع الأيدي هنالك باسم المسيح شرعاً لكونه عمل باسم المسيح.أننا لا نعرف غير كنيسة الله الواحدة ، ولا نعتمد بغير معمودية الكنيسة المقدسة ولهذا السبب .. اجتمعنا معاً عدداً كثيراً من ايقونية وبحثنا في مثل هذه الأمور باجتهاد كثير وأخيراً حدَّدنا أن المعمودية التي تقام خارج الكنيسة مرفوضة .. أنك (ياإستفانوس) أشنع من جميع الهراطقة .. إستفانوس .. يصنع شقاقاً في الأخويَّة من أجل الهراطقة " [٥٣٦]

أما الشهيد كبريانوس ففي رسالته إلى يومبييوس فإنه يصف البابا استفانوس بأنه " صديق الهراطقة وعدو المسيحيين .. " وفي رسالة إلى كونيدس يحذره من هذا البابا قائلاً " إنتبه من ضلاله باجتهاد في المحاماة عن الهراطقة ضد المسيحيين وضد كنيسة المسيح " [٥٣٧] ، وقد إنتهى الأمر بالبابا إستفانوس إلى حرم فرميليانوس واساقفة كيليكية وغلاطية ، وأيضاً أساقفة افريقيا (راجع تاريخ الانشقاق جـ١ صـ٧١، ٧٣)

وظل الخلاف قائماً إلى أن حسمهُ المجمع المسكوني الأول سنة ٣٢٥ في نيقية ، والثاني سنة ٣٨١ في القسطنطينية حيث حدَّد كل منهما أن المعمودية واحدة تتممها الكنيسة الواحدة أما معمودية الهراطقة فإنها بالإسم فقط ولكن بالفعل غير صحيحة لعدم ارتباطها بالإعتراف الصحيح بالثالوث القدوس (قانون ١٩ من مجمع نيقية) وقانون ٨،٧ من مجمع القسطنطينية)

[٥٣٦] تاريخ الانشقاق جـ١ صـ ٧٦-٩٣ .

[٥٣٧] المرجع السابق صـ٩٤ .

ويقول الأب فاضل سيداروس اليسوعي " فلقد أشار كبريانوس (حوالى ٢٠٠-٢٥٨م) أسقف قرطاجنة فى أفريقيا الشمالية جدالاً حول ضرورة إعادة تعميد الهراطقة ، وذلك ما بين ٢٥٥، ٢٥٨م إذ كانت الشيع والبدع تتفاقم حينذاك . ويتلخص فكره فى أن المعمودية واحدة ، غير أن الكنيسة وحدها تعمد لأنها وحدها عروس المسيح التى بوسعها أن تلد لله أبناء وتقدسهم .. وبالتالى أن لم يكن خادم السرّ من الكنيسة فهو لا يستطيع أن يقوم بما تقوم فى الكنيسة ، فيجب إعادة التعميد .. أما باسيليوس (٣٢٩-٣٧٩م) أسقف قيصرية فإنه ما بين ٣٧٤ ، ٣٧٥م رفض رفضاً مبدئياً إعادة تعميد المنشقين عن الكنيسة ، ولكنه طالب بإعادة تعميد الهراطقة غير أنه بالفعل تبنى موقف كبريانوس ، فنادى بإعادة تعميد الهراطقة والمنشقين " [٥٣٨]

وجاء فى مجموعة قوانين الكنائس الشرقية " ٤٦-خادم سر المعمودية : خلافاً لما يحصل فى التقليد اللاتيني والذى كرَّره " الحق القانوني الكنسي " فى القانون ٨٦١ البند (١) يُحصر منح سر المعمودية العادي فى جميع التقاليد الشرقية – وهذا ما ذكَّرَ به القانون ٦٧٧ البند (١) من مجموعة قوانين الكنائس الشرقية – فى من أُلبسوا نعمة الكهنوت ، أى من الأساقفة والكهنة ، مُقصيا الشمامسة الإنجيليّين .. فى حالة الضرورة ووفقاً لما ورد فى القانون ٦٧٧ البند (٢) يجوز ليس فقط للشمامسة الإنجيليين بل أيضا للاكليريكيّين ، الأعضاء فى مؤسسات الحياة المكرسة ، وأيضا " لأى مؤمن مسيحي " أن يمنحوا سرّ المعمودية بوجه شرعي ، ولكن لا يحق ذلك " لأىّ شخص (غير مسيحي) تحركه نية صالحة وفقا لما ورد فى القانون ٨٦١ البند (٢) من الحق القانوني الكنسي للكنيسة اللاتينية " [٥٣٩]

ملاحظة : الكنيسة الكاثوليكية تسمح أيضاً للأب الكاهن إقامة القداس من أجل شخص غير مؤمن أو هرطوقي ، وتسمح له بتقاضي الأجر عن هذا ، ففى إجابة سؤال حول هذا الموضوع جاء " يمكن تقديم القداس سراً مع قبول الحسنة من أجل الجميع مؤمنين وغير مؤمنين ، أحياءً وأمواتاً ، على أن اللاهوتيين يرتابون فيما إذا كانت الثمرة التكفيرية تلحق غير المؤمنين .. بناءً على المبادئ المعطاة فى الجواب عن الأول

[٥٣٨] سرّا المعمودية والتثبيت صـ١١١ .

[٥٣٩] مجمع الكنائس الشرقية –توجيه لتطبيق المبادئ الليترجية الواردة فى مجموعة قوانين الكنائس الشرقية صـ٦٨،٦٩ .

جاز للأب أن يقدس لأجل الشخص الغير الكاثوليكي ويأخذ حسنة لقاء قداسه ، سواء أكان هذا الشخص من غير المؤمنين أم من الهرطقة ، بشرط أن يكون التقديم قد تم سراً لا علناً " [٥٤٠]

ثانيا : الكنيسة الكاثوليكية توافق على الزواج بغير المؤمنين

تعريف : الزواج بغير المؤمنين كما يقول نيافة الأنبا بيشوى مطران دمياط وسكرتير المجمع المقدس لكنيستنا القبطية الأرثوذكسية " الزواج بغير المؤمنين هو تشريع قانوني تقبله الكنيسة الكاثوليكية وتعتبره نوعاً من التساهل أو التفسيح ، يصدر به تصريح من الأسقف المسئول ، وتستند فى ذلك إلى ما تسميه (بالتفسيح البولسي) نسبة إلى القديس بولس الرسول الذى لم يقصد أن يعطى تفسيحا مثل هذا على الإطلاق.

ومن العجيب أن الكنيسة الكاثوليكية – فى الوقت الذى ترفض فيه التصريح للشخص الذى خانته زوجته مع رجل آخر أن يطلقها ويتزوج بغيرها – فإنها تقبل أن يتزوج الطرف المسيحي بطرف غير مسيحى .. أيّاً كانت ديانته حتى ولو كان ملحداً !! وأن يتم ذلك الزواج داخل الكنيسة وبحل منها ، وأن تبارك هذه العلاقة أو أن يتم خارج الكنيسة أو أن يتم على مرحلتين بأن تصلى الكنيسة على الطرف المسيحي فى الكنيسة وتصلى على الطرف غير المسيحى خارج الكنيسة أو أن تصلى على الطرف المسيحي وحده ويكون الطرف الآخر – الغير مسيحي – غائبا إذ أنه لا يقبل أحيانا– أى الطرف الغير مسيحي – أن يدخل الكنيسة . كما لا يقبل أحيانا أن يضع الكاهن يده فوق رأسه ، وبهذا يتم الزواج فى غياب أحد الطرفين " [٥٤١]

التقلب العجيب : الأمر العجيب ذاك التقلب العجيب فى تشريع الكنيسة الكاثوليكية وذاك الانفتاح المدمر للكيان الأسرى ، فالكنيسة الكاثوليكية تقسّم الزواج إلى زواج المعمَّدين وزواج غير المعمَّدين ، فجاء فى مختصر اللاهوت الأدبي الكاثوليكي تحت رقم

---

[٥٤٠] فتاوى لاهوتية – الأب نعمة الله مطر صـ٢١٦–٢١٨ .

[٥٤١] حوارات مسكونية الطبعة الثالثة عشر صـ٩١ .

٦٥٨ " الزواج أما زواج معمَّدين وأما زواج غير معمَّدين " [٥٤٢] وكانت الكنيسة ترفض الاعتراف بالزواج بغير المؤمنين فجاء تحت رقم ٦٦ " أما زواج غير المعمَّدين فهو من اختصاص السلطة المدنية .. أما الكنيسة فلا شأن لها فى هذا الزواج ، وبالتالى فإن شرائعها الزواجية لا تطبق على اليهود ولا المحمديّين (المسلمين) أو الوثنيّين أو غيرهم ممن لم يقبلوا سر العماد " [٥٤٣]

وجاء فى موانع الزواج تحت رقم ٦٩٢ " فى اختلاف المذهب .. يُحرم هذا المانع بحكم الشرع الكنسي تزاوج معمَّدين إحدهما كاثوليكي والآخر مُنتَم إلى بدعة هرطوقية أو منشقة .. يجب أن يكون عماد الطرفين أكيداً .. فإذا تبين أن الهرطوقى غير معمد كان المانع بينهما مانع اختلاف دين مبطل للزواج " [٥٤٤]

وجاء التأكيد على هذا مراراً وتكراراً فمثلاً تحت رقم ٦٩٣ " .. فليس لابنة كاثوليكية بسبب مانع اختلاف المذهب أن تتزوج كاثوليكياً جحد إيمانه أو أنتمي إلى مذهب ينكر وجود الله أو يعترف بهذا الوجود كالمذهب اليهودى أو المحمدى ، وقال بعض العلماء بأن مانع اختلاف المذهب لا يمنع هذه الابنة أن تتزوج بروتستانتياً { بدون مذهب } ولكنهم يوجبون معاملة هذا البروتستانتي معاملة الخاطئ المُشتهَر " [٥٤٥]

وقد أورد الأرشمندريت حنانيا إلياس نصوص بعض القوانين التى تمنع الزواج بغير المؤمنين مثل القانون العاشر من قوانين مجمع اللاذقية " لا تتزوجن مبتدعاً " [٥٤٦] والقانون ٣١ لنفس المجمع " لا يجوز أن تعطى أولادنا بالزواج إلى المبتدعين يتخذون مصاهرة المؤمنين سبيلاً لإفساد أفكارهم ودفعهم إلي إعتناق تعاليمهم الفاسدة " [٥٤٧] ، والقانون ٧٢ من قوانين مجمع ترولو (المجمع الخامس والسادس) " أنه لا يجوز لرجل أرثوذكسي أن يتزوج إمرأة مبتدعة ، ولا لإمرأة أرثوذكسية أن تتزوج رجلاً مبتدعا فإذا اتفق حدوث شئ من هذا الطلب من المتزوجين أُعتبرت زيجاتهم باطلة

---

[٥٤٢] مختصر اللاهوت الأدبي الكاثوليكي صـ٥٧ .

[٥٤٣] المرجع السابق صـ٥٧٢ .

[٥٤٤] المرجع السابق صـ٦٠٢ ، ٦٠٣ .

[٥٤٥] المرجع السابق صـ٦٠٣ .

[٥٤٦] مجموعة الشرع الكنسي صـ٢٠٠ ، ٢٠١ .

[٥٤٧] المرجع السابق صـ٢٢٥ .

ويجب فسخها إذ لا يحسن مخالطة من لا تجوز مخالطته ، أو أن يعيش الخروف مع الذئب ، أو أن يكون نصيب شعب المسيح مع الخطاة ، وكل من خالف أوأمرنا فليقطع (وجاء فى خلاصة القانون) " الزواج الذى يعقد بين مؤمن ومبتدع باطل " [٥٤٨]

وبعد كل هذا التدقيق والتشديد والمنع تأتى الكنيسة الكاثوليكية دون غيرها من جميع الكنائس المسيحية وتخترع التفسيح البولسي فتحل ما قد منعته وتحلل ما قد حرمته بشدة ، فجاء تحت رقم ٧٠١ فى مختصر اللاهوت الادبى الكاثوليكي " باطل هو زواج غير المُعَمد بالمُعَمد فى الكنيسة الكاثوليكية .. يُفسح (يسمح) فى مانع إختلاف الدين بنفس الشروط التى يُفسح فيها فى مانع إختلاف المذهب (أى ينتفى كل خطر على إيمان الطرف الكاثوليكي وعلى نسله) " [٥٤٩]

التفسيح البولسي : يقول الأخوة الكاثوليك أن بولس الرسول عندما قال " وأما الباقون فأقول لهم أنا لا الرب إن كان أخ له إمرأه غير مؤمنة وهى ترتضي أن تسكن معه فلا يتركها والمرأة التى لها رجل غير مؤمن وهو يرتضى أن يسكن معها فلا تتركه لأن الرجل غير المؤمن مُقَّدس فى المرأة والمرأة غير المؤمنة مقَّدسة فى الرجل . وإلاً فأولادكم نجسون . وأمَّا الآن فهم مقدَّسون " (١كو٧: ١٢-١٤) فإنه كان يقصد أن يمنح المؤمنين سماحاً من عنده بالزواج بغير المؤمنين ، فيقول الأب مكسيموس كابس تعليقاً على هذا النص " يقول القديس بولس أن هذا التفسيح هو من عنده وليس من عند الرب . أى أن هذه الشريعة لا تنقض كلام الرب . وبالتالى يوصي القديس بولس بالبقاء معه إذا لم يكن هناك خوف على إيمان المؤمن أى خلاصه كما يظهر من تتابع الآيات . وأما إذا كان هناك خوف باغراء الطرف الغير المؤمن للطرف الآخر المؤمن فليترك أحدهما الآخر لأن الزواج ليس إستعباد طرف لآخر ولكنه مشاركة ورغم هذا الأنعام البولسي لم يصرح القديس بولس لأحد الطرفين أن يتزوج لأنه لا يمكن أن يناقض نفسه إذ يقول فى مكان آخر ما سبق أن ذكرته أن الرجل مرتبط بناموس إمرأته مادامت إمرأته حيَّة والمرأة مرتبطة بناموس رجلها ما دام رجلها حيًا ، فإذا تزوجت بآخر فى حياة زوجها أو تزوج الرجل أخرى فى حياة امرأته يصبح كلا منهما زانياً " [٥٥٠]

---

[٥٤٨] المرجع السابق صـ٥٩٣ .

[٥٤٩] مختصر اللاهوت الأدبي الكاثوليكي صـ ٦١٠ ، ٦١١ .

[٥٥٠] إيماننا القويم جـ١ صـ١٠٤،١٠٥ .

توضيح : لتوضيح ما يدَّعيه البعض بالتفسيح البولسي نقول :

١- أن أهل كورنثوس سألوا بولس الرسول عن بعض الأمور الخاصة بالبتولية وزواج الأرامل وزواج المؤمنين والطلاق ، وإيمان أحد الطرفين فى زيجة قائمة بين طرفين غير مؤمنين فأجابهم بولس الرسول بأمانة قائلاً أن الطلاق سبق أن أعطى الرب يسوع فيه رأياً صريحاً عندما قال " وأما أنا فأقول لكم أن من طلق إمرأته إلاَّ لعلة الزنا يجعلها تزنى ومن تزوج مطلقة فإنه يزنى " (مت ٥: ٣٢) لهذا قال لهم بولس الرسول " وأما المتزوجون فأوصيهم لا أنا بل الرب أن لا تفارق المرأة رجلها " (١كو٧: ١٠) وعن الزيجة القائمة بين طرفين غير مؤمنين ثم آمن أحدهما فقد أجاب الرسول بأمانة بالغة إذ قال لهم " وأما الباقون فأقول لهم أنا لا الرب .. " أى أن الرب يسوع لم يذكر وصية صريحة فى هذا ، وليس معنى هذا أن هذا الكلام هو كلام بولس الرسول نطق به بدون وحي من الروح القدس لأن " كل الكتاب هو مُوحَى به من الله ونافع للتعليم .. " (٢تي٣: ١٦) ، وليس معنى هذا أن هذا سماح من بولس الرسول وليس من الروح القدس أو ليس من الكنيسة أو ليس حكماً عاماً يلتزم به جميع المسيحيين فى كل آن ومكان .

٢- لو عدنا إلى الفقرة من أولها (١كو٧: ٨-١٢) نجد بولس الرسول يحدثنا عن عدة فئات من المؤمنين أولهم غير المتزوجين وهؤلاء دعاهم الرسول إلى البتولية (ع٨) ثم الأرامل ودعاهم أن يظلوا كما هنَّ ، وبعد هذا اتجه بالحديث إلى المتزوجين زواجاً مسيحيا وهؤلاء أوصاهم بعدم الطلاق ، وأخيراً تحدث عن فئة كانت قائمة فى القرن الأول الميلادي وهى حالة أسرة غير مسيحية آمن أحد طرفيها دون الآخر وهؤلاء قال عنهم " وأما الباقون فأقول لهم أنا لا الرب .. " (١كو٧: ١٢) فهو يتحدث عن زواج قائم بالفعل بدليل الآتى :

أ- قال بولس الرسول " إن كان أخ له إمرأة غير مؤمنة " أى متزوجا بالفعل ، وليس أخا يبحث عن زوجة لكى يرتبط بها .

ب- " وهى ترتضي أن تسكن معه فلا يتركها " فقول بولس الرسول " لا يتركها " تعنى أنها مرتبطة به وتعيش معه .

حـ - " وإلاَّ فأولادكم نجسون " أى أن هذا الإرتباط مرَّ عليه وقتاً طويلاً حتى انجبوا أولاداً .

د- " إن فارق غير المؤمن فليفارق " فهنا يسمح الإنجيل بالفراق لأن هذه الزيجة لم تتم فى ظل الشريعة المسيحية بينما المسيحية لا تسمح بالطلاق إلاَّ لعلة الزنا .

٣- أوصى معلمنا بولس فى نفس الاصحاح أن الزواج لابد أن يتم بين طرفين مسيحيين " المرأة مرتبطة بالناموس مادام رجلها حيّاً ولكن إن مات رجلها فهى حرة لكى تتزوج بمن تريد فى الرب فقط " (١كو٧: ٣٩) وفى الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس يقول " لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين لأنه أيَّة خلطة للبر والإثم .. وأيَّة شركة للنور مع الظلمة . وأي اتفاق للمسيح مع بليعال . وأي نصيب للمؤمن مع غير المؤمن . وأيَّة موافقة لهيكل الله مع الأوثان . فإنكم أنتم هيكل الله الحي كما قال الله أنى سأسكن فيهم وأسير بينهم وأكون لهم الهاً وهم يكونون لي شعباً لذلك أخرجوا من وسطهم واعتزلوا يقول الرب ولا تمسوا نجسا فأقبلكم وأكون لكم أباً وأنتم تكونون لي بنين وبنات يقول الرب القادر على كل شئ فإذ لنا المواعيد أيها الأحباء لنُطهر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح مكملين القداسة فى خوف الله " (٢كو ٦: ١٤-٧: ١) .

فالإنسان المسيحي الذى تبرَّر بدم المسيح كيف يختلط بالإثم ؟ والإنسان المسيحي الذى هو نور للعالم كيف يجتمع مع الظلمة ؟! والمسيح الساكن فينا كيف يتفق مع بليعال الساكن فى أبناء الظلمة ؟! وكيف يلتقى الإنسان المسيحي الذى هو هيكل مقدس لله مع الإنسان غير المسيحي الذى هو هيكل لسكنى الشيطان ؟!

وهل بعد كل هذه التعبيرات القوية الصريحة والقاطعة يعود البعض ويتجنَّى على معلمنا بولس الرسول ويقول أنه منحنا تصريحاً وسماحاً وتفسيحاً لنلقى بأنفسنا فى أحضان العالم فنكتوى بناره ونهلك بهلاكه ؟!!

٤- أليس الزواج سرّاً مقدساً من الأسرار السبعة ؟! ألا يقر الأخوة الكاثوليك بهذا ويعترفون أن الروح القدس يحلُّ على العروسين فيوحّدهما فى جسد واحد ؟! فكيف يحلُّ روح الله فى الإكليل على طرف غير مؤمن لا يؤمن أصلاً بالثالوث القدوس ولم يعتمد ولم يدهن بالدهن المقدس وليس له علاقة بروح الله القدوس ؟! وهل إلى هذه الدرجة تهاونت كنيسة روما بهذا السر المقدس حتى أنها تصلى على الطرف المسيحي داخل الكنيسة بمفرده وأما الطرف الآخر المتمسك بأباطيله تصلى عليه

خارج الكنيسة أولا تصلى على الإطلاق ، بل وتسمح لرجل الدين الغير مسيحي أن يشارك فى الشعائر الدينية ، وأكثر من هذا أنه وصل بهم الأمر إلى قولهم بأن حضور القس أو الشماس الإنجيلي الإكليل دون أن يقيم أى شعائر أو صلوات فهو كافٍ لإتمام سر الزيجة . ثم بعد هذا ترسل الكنيسة الطرف المسيحي وغالباً ما يكون هذا الطرف هو إبنة المسيح لكيما تعيش مع إبن بليعال ؟! .. يا للأسف .. أليست هذه علاقة غير مقدسة تحللها كنيسة روما وتُسكّن ضمير الفتاة بما يدعونه التفسيح البولسي ؟!.. ويا لحسرتك أيها الكاروز العظيم إذ ترتكب روما الإثم باسمك !! ثم قولوا لي ياإخوتي الكاثوليك الذين تؤمنون باللامعقول .. كيف يكون حال أسرة كهذه قد بنيت على الرمال وبعيدة كل البعد عن صخر الدهور ؟ كيف يعيشان معاً ؟ كيف يصليان معاً ؟ كيف يقرآن الكتاب المقدس معاً ؟ كيف يصومان معاً ؟ وإلى أى بيت عبادة يذهبان معاً ؟ وكيف يُعيدان معاً ؟ وعندما ينجبان أطفالاً يتبعون من منهما ؟ عندما يرى الأولاد تضارباً فى المبادئ وتعدُّدا فى العقيدة فلا يعرفان أيهما الحق وأيهما الباطل ألا يفقدون الثقة بكل عقيدة ؟

٥- توافق الكنيسة الكاثوليكية على الزواج المختلط بشرط أن لا يكون هناك خطراً على إيمان الطرف الكاثوليكي ولا على إيمان الأولاد ، وبلا شك أن الخطر موجود موجود ومن ضحت بالمسيح من أجل شاب أحبته حتى لو الكنيسة الكاثوليكية باركت ما لم يباركه الله فإنها لن تلبث طويلاً متمسكة بصليبها الذى يرى فيه الطرف الآخر أنه كفر وعثرة وجهالة ، فعندما يصير الخطر مكشوفاً وينتهى الطُعم اللذيذ المذاق الذى وضعه الشيطان فى سنارته ، وتفوق ابنة المسيح من غفوتها وتريد ان تتحرَّر من أسر الشيطان فتطلب من زوجها الإنفصال فيجيبها : لا انفصال ولا طلاق لأن الطلاق بإرادتي أنا المنفردة وأنت ما عليك إلى الطاعة سواء برضاكِ أو رغماً عن أنفك بحكم ديني وحكم قانون بلدي .. تُرى من يكون مسئولا عن هذه المأساة ؟! .. وماذا يكون تصرف هذه السيدة المسكينة عندما ترى زوجها قد تزوج بثانية عليها وثالثة ورابعة ؟! وماذا تفعل عندما ترى إنحرافات زوجها الأخلاقية وزناه ولا تملك الإنفصال عنه بل هى مُجبَرة على معاشرة هذا الزانى .. تُرى من هو المسئول عن هذه الكارثة ؟! .. وأين الكنيسة الكاثوليكية التى أدخلتها فى هذه المصيدة الفولاذية وذاك الفخ الذى لا نجاة منه ؟!!

٦- وإن كان شر البليّة ما يضحك ، فإن ما يضحك فى الزواج المختلط أمرين :

أ- تشترط الكنيسة الكاثوليكية حرصاً منها على استقرار الزواج وقدسيته إتمام الصيغة القانونية فى حالة ارتباط طرف كاثوليكي بطرف أرثوذكسي لئلا يحدث فى الأمر شيئاً ، وكان الطرف الأرثوذكسي يُعدُ خطراً أو شرًّاً أكثر من الوثني ، فجاء فى قرارات المجمع الفاتيكاني الثاني " تحاشيا لبطلان الزيجات المعقودة بين كاثوليك شرقيين من جهة ، ومُعمَدين شرقيّين غير كاثوليك من جهة أخرى (طرف أرثوذكسي) ورغبة فى تأمين إستقرار الزواج وقدسيته وتأمين السلام فى الأسرة . فقد قرَّر هذا المجمع أن الصيغة القانونية لمثل هذه الزيجات إجبارية من باب الشرعية الطقسية فقط . أما لأجل صحة الزواج فيكفى حضور أي رجل دين مع مراعاة سائر أصول الشرع الآخرى " [٥٥١]

ب- أما الأمر الثاني المضحك فهو ما صوَّره المجمع الفاتيكاني الثاني من قدسية الزواج ، وأنه إلتقاء الطرفين بالمسيح ، وهذا الزواج على مثال إتحاد المسيح بالكنيسة ، وعلى الزوجين أن يكونا شاهدان للإيمان المسيحي وعليهما أن يربيًا أولادهما فى الإيمان المسيحي .. إلخ وقلت فى نفسي وهل يمكن للكنيسة الكاثوليكية أن تحل معضلة كهذه وهى كيف تحقق كل هذه الأمور فى أسرة صنعتها ورب الأسرة لا يعترف بكل هذا ؟!! ونذكر هنا بعض ما أورده المجمع الفاتيكاني الثاني :

* " ٤٨- قداسة الزواج والأسرة : (ب) .. وكما قطع الله فيما مضي عهد محبة ووفاء لشعبه هكذا يلتقى اليوم مخلص البشرية بالزوجين المسيحيّين فى سر الزواج . وهو يبقى معهما حتى يستطيعا بهبة ذاتيهما أن يتحابا فى أمانة دائمة تماماً كما أحب هو نفسه الكنيسة وبذل ذاته لأجلها . أن الحب الزوجى الأصيل ينبثق من الحب الإلهي ، وتوجهه وتثريه قدرة الفادى الخلاصيَّة فى الكنيسة بحيث يتجه الزوجان بحبهما الفعَّال للرب .. " [٥٥٢]

* " المتزوجون المسيحيون يعبرون بقوة سر الزواج عما بين المسيح والكنيسة فى وحدة سرية وحب خصب ويشتركون فيه (أف٥: ٣٢) ويتعاونون ليصلوا إلى

---

[٥٥١] وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني -مرسوم فى الكنائس الشرقية (١٨) صـ٤٦٠ .

[٥٥٢] وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني - الكنيسة فى العالم المعاصر (٤٨) صـ٨٤ .

القداسة فى الحياة الزوجية وفى ولادة البنين وتربيتهم " [٥٥٣]

* " ففى الأسرة يجد الزوجان دعوتهما الخاصة أن يكونا شاهدين للإيمان ومحبة المسيح ، الواحد أمام الآخر وكلاهما أمام أبنائهما . أن الأسرة المسيحية تعلن بأعلى صوتها عن فضائل ملكوت الله " [٥٥٤]

* " وعلى المتزوجين والوالدين المسيحيين .. أن يلقنوا بمحبة أبناءهم الذين رزقهم إياهم الله التعاليم المسيحية والفضائل الإنجيلية " [٥٥٥]

* " فالزوجان المسيحيان .. أول من يهتم بنقل الإيمان لأبنائهما وتربيتهم عليه " [٥٥٦]

جـ- والأمر الثالث المضحك أن الكنيسة الكاثوليكية لا توافق على إلحاق أبناءها بمدارس غير كاثوليكية ، ففى سؤال من أرملة كاثوليكية لها ثلاثة أولاد ترسلهم ليتثقفوا فى مدرسة غير كاثوليكية جاء بالإجابة " على الوالدين أن يحبوا أبناءهم محبة قِوامها أن يريدوا لهم الخير ، ويبعدوا عنهم كل ضرر روحي وجسدي .. وعليه فإنه محظور على الوالدين تحت طائلة الإثم الثقيل ، أن يرسلوا أولادهم إلى مدارس غير كاثوليكية .. إرسالها الأولاد إلى مدرسة غير كاثوليكية فهو محظور عليها أيضاً تحت طائلة الإثم الثقيل ، إذا كان ثم خطر قريب يلحق ضرراً بإيمان الأولاد وآدابهم ، ولا يعذرها إلاّ سبب قاهر " [٥٥٧] ولا أدرى أيهما أخطر على الإيمان الكاثوليكي مدرسة غير كاثوليكية أو زوج غير مسيحي ؟!!

ثالثا : الكنيسة الكاثوليكية تؤمن بخلاص غير المؤمنين

فى هذه الجزئية من البحث نناقش النقاط الآتية :

أولاً : فلسفة خلاص غير المؤمنين .

ثانيا : حجج الكاثوليك فى خلاص غير المؤمنين .

---

[٥٥٣] المرجع السابق – دستور عقائدى (١١) صـ٣٣٢ .

[٥٥٤] المرجع السابق – دستور عقائدى (٣٥) صـ٣٥٦ .

[٥٥٥] المرجع السابق – دستور عقائدى (٤١) صـ٣٦٣ .

[٥٥٦] المرجع السابق – قرار مجمعى رسالة العلمانيين (١١) صـ٢٥٥ .

[٥٥٧] فتاوى لاهوتية – الأب نعمة الله مطر صـ١٢٦-١٢٨ .

ثالثا : تاريخ عقيدة خلاص غير المؤمنين .

رابعا : هل توافق الكنائس الأخرى على عقيدة خلاص غير المؤمنين ؟

أولاً : فلسفة خلاص غير المؤمنين

جذور عقيدة خلاص غير المؤمنين فى الكنيسة الكاثوليكية هو الاضطهاد الرهيب الذى تعرّض له اليهود على يد النازى الألماني هتلر ، فأرادت الكنيسة الكاثوليكية تحسين صورتهم أمام المجتمع الدولي وذلك بتبرئتهم من دم المسيح ، وإظهارهم على أنهم شعب الله المختار وأنهم سيخلصون ، فجاء فى وثائق المجمع الفاتيكاني " فاليهود كما يقول الرسول لم يزالوا من أجل الآباء محبوبين عند الله الذى لم يندم على هباته ودعوته .. ولئن كان ذو السلطان والأتباع من اليهود عملوا على قتل المسيح إلاّ أن ما أقترف أبان الآلام والصليب لا يمكن أن ننسبه فى غير تمييّز إلى جميع اليهود الذين عاشوا أنذاك ولا إلى اليهود المعاصرين لنا وإن كانت الكنيسة هى شعب الله الجديد فلا يعنى ذلك أن اليهود قد أصبحوا شعباً مرذولاً أو ملعوناً من الله كما لو كان ذلك منصوصاً عليه فى الكتاب المقدس .. ونأسف للأحقاد والإضطهادات ومظاهر العداء للساميه فى أى عهد ومن أين صدرت (تصريح عن علاقة الكنيسة مع الديانات غير المسيحية (٤) صـ٤٧٤،٤٧٥ ، فأحتج أساقفة الشرق الكاثوليك ولفتوا الأنظار إلى الدين الإسلامي ، ثم تفتحت أذهان روما إلى أديان أسيا مثل البوذيَّة والهندوسيَّة ، فاضطربت الأفكار ولجأت إلى الإعتقاد بأن كل إنسان سيخلص مهما كان إيمانه أو عبادته حتى لو كان إنساناً وثنياً ما دامت إرادته صالحة كما سنرى عند التعرض لتاريخ فكرة خلاص غير المؤمنين .

أما عن إعتقاد الكنيسة الكاثوليكية بأن الشعب اليهودى سيظل شعب الله المختار لأن الله لا يسلب النعم التى وهبها فيقول الأب لاسلو صابو اليسوعى فى محاضرته عن خلاص غير المؤمنين :

" فإسرائيل القديم قد أُختير ولداً بكراً لكى ينقل بركة إبراهيم إلَى الأمم كافة (تك١٢: ٣) وفى نظر المسيحيين ، مازال هذا الولد البكر مختاراً على الدوام لأن " لا

رجعة فى هبات الله " (رو ١١: ٢٩) غير أنه ، بعد اليوم ، يشارك فى اختياره هذا جميع شعب الأرض الجديدة " ٥٥٨

وبعد أن أستقر فى ذهن الكنيسة الكاثوليكية فكرة خلاص اليهود ، انتقلت كنيسة روما إلى فكرة الخصوصية والشمولية أى أن الله إختار الشعب اليهودي كشعب خاص له (الخصوصية) ، ولكنه ليس شعبه الفريد لأن الله اختار جميع شعوب العالم (الشمولية) بطريقته الخاصة ، وكما قطع عهداً مع إبراهيم أب الشعب اليهودى ، فإنه قطع عهداً مع البشرية جمعاء ، فيقول الأب لاسلو صابوا اليسوعى " فالمفروض فى المختار تبعاً للكتاب المقدس أن يعرف أنه ليس فريداً وأن اختياره نفسه يضعه فى علاقة بالشمولية " يتبارك بك جميع عشائر الأرض " (تك١٢: ٣) .. علماء الشريعة قد لحظوا وجود عهود متنوعة : عهد نوح (الذى يشمل الشعوب جميعاً) وعهد إبراهيم (الموجه إلى المؤمنين كافة) وعهد موسي (الذى قام مع العبرانيين) .. وفى الواقع ثمة " عهد " وحيد يقوم بين الله والبشرية جمعاء ، ولو أنه عُبّر فى حقبات مختلفة من تاريخ الخلاص .. يبقى المختارون دوماً متضامنين مع جماعة الناس وعليهم أن يتحملوا مسؤوليتها " ٥٥٩

وقالوا ليس معنى إختيار إسحق (الشعب اليهودى) رفض أسماعيل (الأمم) " لا تؤدى رسالة المختار ، على مستوى العهد القديم نفسه ، إلى سقوط لا رحمة فيه للذين على ما يبدو قد تُركوا جانباً ، وذلك يتضح مثلاً من التفكير فى مصير الأخوين إسحق وإسماعيل " وأمَّا إسماعيل فقد سمعت قولك فيه ، وهانذا أباركه وأنمّيه وأكثّره جداً جداً" (تك١٧: ٢٠) فالاختيار كيفما ظهر يُرجع إلى الجميع " ٥٦٠

واعتمدوا على سفر يونان ليؤكدوا إهتمام الله بالأمم وقبوله إياهم ، ولكنهم تطرفوا فى القول إذ ادَّعوا أن الهدف من إرسالية الله ليونان لم يكن نزع العبادة الوثنية ، لكن الهدف كان فقط عودة أهل نينوى إلى السلوك حسب الناموس الأدبي بغض النظر عن مكان ونوعية عبادتهم فيكفيهم فقط الإيمان بإله رؤوف يكره الخطية ولا يهم بعد ذلك

---

[٥٥٨] هل من خلاص لغير المسيحيين ؟ مؤتمر حول " لاهوت الأديان " مُستلّ من مجلة المشرق اليسوعية سنة ١٩٩٦ صـ٢٨٢ .

[٥٥٩] المرجع السابق صـ٢٨٦ .

[٥٦٠] المرجع السابق صـ٢٨٢ .

حتى لو عبدوا الأصنام ، فيقول الأب لاسلو صـابو اليسوعي " الدرس الأول الذى نستخلصه من هذا الكتاب المدهش (سفر يونان) هو أن إدانة الأمم ليست نهائية لا رجعة فيها .. بيد أن تلك الرسالة ليست بالضرورة دعوة صريحة إلى التبشير بالدين اليهودى . مهما يكن من أمر ، فإن كان قد اكتفى فى السفر بالقول أن النينويين " رجعوا عن طريقهم الشرير " (يون٣: ١٠) فذلك للدلالة على أن تخليهم عن عبادة الأوثان لا يدخل فى قصد الكاتب ، لا يؤخذ على الوثنيين مخالفتهم الناموس الادبي الذى طبعه الله فى قلب كل إنسان (راجع عا١،٢) وفى الواقع مضى وقت طويل قبل أن يكشف مفسرو الكتاب المقدس أن شخص يونان ما مثّل البتة رسول التوحيد أو المشيخية ، وإنه ما كان مكلّفاً بتحويل مستحقيه إلى الدين اليهودى ..

وقد يحسن أن نُذكّر فى هذا الشأن بالقول النبوى الشهير الوارد فى سفر ملاخي " .. وفى كل مكان تُحرَق وتُقرّب لأسمي تقدمة طاهرة " (ملا١: ١١) .. يقدم بحارة ترشيش تقدمة على متن سفينتهم نفسها دونما اضطرار إلى التوجه نحو أورشليم . كذلك يمكن أن يكون المرء فى الوقت نفسه مواطناً فى نينوى وعابداً لله الحق من غير أن يخضع بالضرورة للختان . أن الدين هنا قد إقتصر على ما هو أساسي : الإيمان بإله رؤوف ورحيم ، يمقت الخطيئة ، ويريد خلاص الناس جميعاً (يون ٤: ٢) "[٥٦١]

ولكى يؤكدوا على قبول الله لجميع الأمم (رغم عبادتهم المرذولة) قالوا " لا تؤلف عبرة كتيب يونان بأى حال من الأحوال شاذة فى كتب العهد القديم ، فالفصول الأحد عشر التى تقع فى مطلع الكتاب المقدس تروي بأسلوب رمزي تاريخ الإنسانية قبل أن يكون إبراهيم .. إبراهيم لم يُولد يهودياً ، وإن إسرائيل هو قبل كل شئ ابن آدم .. إبان القسم الثاني من ملك سليمان ، وهو زمن تمت فيه المصالحة بين إسرائيل القديم ومصر الفراعنة . وعندما بدأ الزائرون القادمون من المحيط يقصدون أورشليم بكثرة ، ترتب على أنبياء المملكة أن يجيبوا على أسئلة من هذا النوع : إن كان يهوه الإله الوحيد كيف يُفسّر أن يعبده شعب صغير جداً ، فى حين أن إمبراطوريات شاسعة تجهله ، مثل مصر وآشور وبابل .. أما الجواب عن هذه التساؤلات ، فأتى فى رواية الخلق التى دُوّنت تحديداً فى ذلك الزمن . بالتالى سدّ الكاتب اليهودي فراغاً فصل بين تاريخ إسرائيل وتاريخ الأمم الآخرى ، الأول تاريخ إبراهيم والثانى تاريخ آدم .

---

[٥٦١] المرجع السابق صـ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

فضلاً عن ذلك فإن ما شغل فكر الكاتب اليهودى هو مسؤولية إسرائيل القديم حيال الشعوب التى تحيط به ، وفى طليعتها الموآبيون والآمونيون (الذين اعتبروا ابناء لوط) فكيف يمكن لهذه الشعوب أن تحصل على بركة الله بواسطة إبراهيم ؟ .. إذا ما عدنا إلى قراءة رواية " مساومة الرحمة " (تك١٨: ١٦-٣٣) نرى أن وساطة إبراهيم تترجم بصلاة تشفع . فى تلك الصلاة لا تعتبر سدوم مدينة وثنية ، مدينة قد تكون معارضة لشعب العهد ، أو مفصولة عن الأرض التى باركها يهوه . على خلاف ذلك ، تبدو سدوم ، فى نظر الكاتب اليهودي ، نموذجاً لجماعة إنسانية ينظر يهوه إليها لكى يحكم فى أمرها ويخلصها . زد على ذلك أن صلاة إبراهيم لا ترمى إلى إنقاذ قريب (لوط) يريد إبراهيم أن يؤمّن حمايته فحسب ، بل إنقاذ سدوم بأكملها . فالشفاعة فى آخر المطاف لا تقصد خلاص الأبرار بقدر ما تقصد رسالة هؤلاء من أجل خلاص الآخرين جميعا " [٥٦٢]

توضيح :

١- بشأن ما أعلنته الكنيسة الكاثوليكية فى المجمع الفاتيكاني الثاني من تبرئة اليهود من دم المسيح ، وأنهم ما زالوا شعب الله المختار ، وأنهم سيخلصون (رغم عدم إيمانهم بالمسيح) إحتجت عليه الكنائس الأرثوذكسية . بل أن الأساقفة الكاثوليك المصريين الذين حضروا هذا المجمع صوتوا ضد هذا القرار ، ومن أمثلة الاحتجاجات ضد قرار الفاتيكان بتبرئة اليهود البيان المشترك الذى صدر من كنيستي أنطاكية والإسكندرية الأرثوذكسيتين فى ٢٤ يناير سنة ١٩٦٥م والذى وقّع عليه كل من البطريرك اغناطيوس الثالث بطريرك أنطاكية وسائر الشرق ، والبابا كيرلس السادس بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية وجاء فيه :

" وبخصوص البلبلة التى حدثت فى الأيام الأخيرة حول تفسير حادثة صلب المسيح نتيجة مشروع القرار الذى بحثه أخيراً مجمع الفاتيكان الثاني ، نُصرّح بأنه قد سبق فأعلن كل منا منفرداً رأى كنيسته المقدسة فى هذا المشروع وظروف ظهوره - واليوم - وإذ تم لقاؤنا معا فإننا ننتهز هذه الفرصة لنؤكد عقيدتنا الأرثوذكسية المشتركة المبنية على ما جاء فى الكتاب المقدس وتقليد الكنيسة وتفاسير الآباء من

---

[٥٦٢] المرجع السابق صـ٢٨٥ ، ٢٨٧ .

أن شعب اليهود هم الذين حكموا بصلب المخلص وطلبوا تنفيذ ذلك الحكم بيد بيلاطس البنطى بحسب الكتب .

وأن تاكيدنا لهذا الحادث التاريخى الهام فى حياتنا لا يتعارض أبداً والتعاليم المسيحية التى تنادى بالمحبة والإخاء والتسامح لجميع البشر مهما إختلفت أديانهم وعقائدهم وألوانهم وجنسهم وجنسياتهم ، ونأمر بنبذ التفرقة العنصرية والإضطهاد " [٥٦٣] ، ثم جاء قرار المجمع المقدس لكنيستنا القبطية الأرثوذكسية كالتالى :

قرار المجمع المقدس فى ١٩٦٥/٢/١٣م

فحص المجمع المقدس للكنيسة القبطية فى جلسته فى ١٣ فبراير سنة ١٩٦٥م الموافق ٦ أمشير سنة ١٦٨١ش ما يقع على اليهود من مسئولية فى صلب السيد المسيح وقرّر الآتى :

١- يشهد الكتاب المقدس فى وضوح أن اليهود صلبوا السيد المسيح له المجد ، وتحملوا مسئولية صلبه حين أصرُّوا على ذلك بقولهم لبيلاطس البنطى : أصلبه أصلبه . دمه علينا وعلى أولادنا (يو٢٣: ٢١ - مت٢٧: ٢٥) وحكم عليهم معلمنا بطرس الرسول بقوله " هذا أخذتموه مُسلَّماً بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق وبأيدى أثمة صلبتموه وقتلتموه " (أع٢: ٢٢) وقال لهم أيضا " ولكن أنتم أنكرتم البار وطلبتم أن يوهب لكم رجل قاتل ورئيس الحياة قتلتموه " (أع٣: ١٤،١٥) ووبخهم القديس إسطفانوس قائلاً " أى الأنبياء لم يضطهده آباؤكم وقد قتلوا الذين سبقوا فأنبأوا بمجيء البار الذى أنتم الآن صرتم مسلّميه وقاتليه " (اع٦: ٥٢) .

٢- لا تشمل هذه الإدانة جماعة معينة من اليهود دون غيرها وإنما توجه بها بطرس الرسول إلى اليهود من كل أمة تحت السماء (اع٢) وقد قال بولس الرسول عن اليهود بصفة عامة أن اليهود قتلوا الرب يسوع والأنبياء واضطهدونا وهم لا يرضون الله ويقاومون جميع الناس ويمنعونا أن نكلم الأمم لخلاصهم حتى يتمّموا خطاياهم كل حين ..

٣- يعلن المجمع المقدس تمسكه بعقيدة عصمة الكتاب المقدس ووجوب التزام الروح السائدة فيه وتقاليد آباء الكنيسة حين التعرض لتفسير آياته .

---

[٥٦٣] جريدة مصر - الأربعاء ١٩٦٥/٢/١٧ .

٤- هذا وأن الرحمة الحقيقية نحو الخطاة لا تكون بتبرئتهم من خطيتهم وإنما بهدايتهم وإرشادهم حتى يتوبوا ويؤمنوا لتغفر لهم خطاياهم كما قال القديس بطرس . توبوا وارجعوا لتمحى خطاياكم (أع٣: ١٩) والرسول بولس يعلن هذا بقوله سيخلصون متى نُزِعت خطاياهم (رو١١: ٢٣-٢٧) :

وهذا ما قاله السيد المسيح فى الأصحاح الثالث والعشرين من إنجيل متى " يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها " ، " أنى أقول لكم أنكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا مبارك الآتى باسم الرب "

٥- يعلن المجمع المقدس تأييده الكامل للتصريح الثنائى الذى أصدره صاحب القداسة البابا كيرلس السادس بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية وماراغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك انطاكية وسائر الشرق ..

كما يذكر بالتقدير الجهود التى قام بها من جهة هذا الموضوع مندوبو الكنيسة القبطية كمراقبين فى دورات المجمع الفاتيكاني الثاني السابق ، ويشيد بموقف أخوتنا كاثوليك الجمهورية العربية المتحدة والشرق الأوسط فى مكافحتهم هذه الوثيقة وتصويتهم ضدها فى مجمع الفاتيكان .

٦- على أن تقرير هذه الحقيقة التاريخية والإيمانية لا يتنافى مع التعاليم المسيحية التى تنادى بالمحبة والإخاء والتسامح لجميع البشر .

٧- والمجمع المقدس للكنيسة القبطية يضرع إلى الله أن يوفق الفاتيكان فى إتخاذ قرار فى دورته القادمة يزيل البلبلة الحادثة بسبب هذا الموضوع " [٥٦٤]

٢- أما عن أقوال الأخوة الكاثوليك فى مؤتمر " حول الأديان " والتى يجسّم جانب منها الأب لاسلو صابو اليسوعى فنود أن نوضح الآتى :

أ- بالنسبة للخصوصيَّة والشموليَّة فواضح تماماً أن الله لا يقبل الخطية على الإطلاق لأنه نور والخطية ظلمة ، ومع محبته العظيمة للبشر فإن كل من يتمسك بالخطية يتعرض للهلاك ، وأشر أنواع الخطايا هى ترك الله الينبوع الحى والبحث عن آلهة آخرى فكل آلهة الأمم شياطين ووراء كل وثن شيطان ، وعندما إزداد شر

---

[٥٦٤] الكنيسة القبطية فى مصر وأثيوبيا ترفض الوثيقة الفاتيكانية لتبرئة اليهود من دم المسيح – بشارة بسطوروس– اصدار مكتبة مارجرجس شيكولانى .

العالم اختار الله أسرة واحدة مكونة من ثمانية أشخاص هذه هـي الخـصوصية التي يمثلها نوح وأسرته . أما الشمولية فهي جميع الناس الذين عاشوا في زمن نوح ، وماذا كانت النتيجة ؟ لقد هلك الجميع حتى البهائم والطيور وخلص نـوح وأسرته فقط ، وعاد الشر واستشرى فاختار الرب رجلاً واحداً هو إبراهيم وقطع معه عهداً هو ونسله ومع أحد من الشعوب الوثنية لم يقطع عهداً قط ، ثم إختار الرب الإله إسحق القديس دون إسماعيل الدموي ، وبعـد هـذا اختـار يعقـوب المجاهد دون عيسو المستهتر المستبيح ، وجعل عهده مع بني إسرائيل يعقـوب دون شعوب الأرض قاطبه التي تمسكت بأوثانها وأصنامها وشـرورها إلـى أن تجسَّد في ملء الزمان وتمَّ الفداء وأرسل رسله الأطهار يكرزون للمسكونة كلها حتى يجمع الكل فيه .. في المسيح يسوع إجتمع اليهود مع الأمم فـي كنيـسة العهد الجديد ، وفيه تصالح السمائيون مع الأرضيين ، وفيه تحقَّقـت الـشموليَّة والوحدة إذ هو مركز الشموليَّة ومركز الوحدة ، وخارج دائرته لا توجد بركة ولا يوجد خلاص .

ب- أعلن سفر يونان دعوة الله الموجهة لجميع الشعوب ، وكشف لنا عن قلـب الله المفعم بالحب للجميع ، وأنه مستعد أن يقبل كل من يأتي إليه فهو لـم يـرفض راحاب الأممية ولا راعوث الموآبية ، ولذلك أرسل نبيه يونان يحذر مدينة نينوى لتتوب وترجع عن شرها ولا تنقلب وتهلك ، وأشرَّ ما كان مما في نينـوى هـو عبادتها الوثنية ، ولا يخفى على القارئ ارتباط العبادة الوثنية بالإنحطاط الخلقي وارتكاب الشرور والآثام مثل الزنا والنجاسة والعهارة وسفك الدماء حتى وصلت في بعض الشعوب إلى تقديم ذبائح بشرية لآلهتها ، ولا أدري كيف يجرد الأخوة الكاثوليك إرسالية يونان من البشارة بالإله الواحد خالق السماء والأرض ؟! ألـم يشهد يونان أمام ركاب السفينة بإله السماء والبحر والأرض " أني عبراني وأنـا خائف من الرب إله السماء الذي صنع البحر والبر . فخاف الرجال خوفاً عظيماً " (يون١: ٩) ؟ .. ألم يؤمن ركاب السفينة بإله يونان " فخاف الرجال خوفاً عظيماً وذبحوا ذبيحة للرب (الإله الحقيقي) ونذروا نذوراً " (يون١: ١٦) ؟ وبلا شك أن يونان عندما رآه أهل نينوى خارجاً من فم الحوت كان مثار دهشتهم وذهـولهم فسألوه عن قصته ؟ وعمن أرسله إليهم ؟ ولماذا ؟ وكيف يرضونه ؟ ولابـد أن

يونان أجابهم عن جميع أسئلتهم حتى وإن لم يذكر الكتاب هذا ، وكانت النتيجة إيمان أهل نينوى بإله يونان " فآمن أهل نينوى بالله ونادوا بصوم ولبسوا مسوحاً .. " (يون٣: ٥) فقل لي من هو الله (معرفة بالألف واللام) الذى آمن به أهل نينوى ؟ أليس هو إله يونان ؟ وهل بعد هذا يجرؤ أحد أن يقول أن القصد من إرسالية يونان ليس التخلي عن عبادة الأوثان إنما إصلاح السلوك ؟ وهل يظن إنسان أنه مع عبادة الأوثان يمكن إصلاح السلوك ؟!

حـ - التقدمة التى تنبأ عنها ملاخى والتى ستقدم فى كل مكان يصفها بأنها تقدمة لله الحقيقي (لإسمي) وليس لإسم الآلهة الزائفة الغريبة ، ولذلك فهى تقدمه طاهرة ، فهى تشير إلى تقدمة العهد الجديد التى تقدم لله فى كل مكان ، وإذا أخذنا بكلام الكاتب أن الهدف من إرسالية يونان إلى أهل نينوى هو إيمانهم بإله رؤوف ورحيم يمقت الخطية ويريد خلاص الناس جميعا فإننا لن نجد إله تنطبق عليه هذه المواصفات غير الإله الحقيقي الذى نعبده نحن المسيحيون ، وبدون دمه المسفوك على عود الصليب لا يمكن بل ويستحيل على أى إنسان أن يجد خلاصاً .

د- عبارة الأب لاسلو " إن كان يهوه الإله الوحيد كيف يُفسَر أن يعبده شعب صغير جداً ، فى حين أن إمبراطوريات شاسعة تجهله مثل مصر وآشور وبابل " هى عبارة فى منتهى الخطورة لأنها تعنى أحد أمرين أولهما :أن يهوه ليس هو الإله الحقيقي الوحيد بل توجد آلهة أخرى حقيقية وهذا ما نستبعده بالنسبة لإنسان مسيحي مُوحّد بالله ولا يشرك به أحداً ، وثانيهما : أن يهوه هو الإله الوحيد الذى يعبده شعب إسرائيل الصغير ، وهو أيضا الإله الوحيد الذى كان يهدف أهل مصر وآشور وبابل إلى عبادته حتى وإن عبدوا آلهة وثنية متنوعة ، وهذا هو ما يرمى إليه الكاتب أى أن هذه الإمبراطوريات الشاسعة العظيمة كانت تعبد الإله الوحيد يهوه فى صورة آلهتها الوثنية العديدة ، وبذلك فإن هذه الشعوب الوثنية ستخلص مثل شعب إسرائيل تماماً ، وهذا أمر نرفضه تماماً ، ولا سيما أننا نعلم أن الله لا يأخذ بالوجوه ولا بالكثرة فمعلمنا بطرس يقول " الذى فيه خلُص قليلون أى ثمانى أنفس " (١بط٣: ٢٠) وقال الرب يسوع " ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذى يؤدى إلى الحياة . وقليلون هم الذين يجدونه " (مت٧: ١٤)

وعندما سأله واحد " أقليل هم الذين يخلصون ؟ فقال لهم اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق فإنى أقول لكم أن كثيرين سيطلبون أن يدخلوا ولا يقدرون " (لو١٣: ٢٣،٢٤) .

هـ- أما قول الأب لاسلو صابو اليسوعي عن صلاة إبراهيم من أجل سدوم " فى تلك الصلاة لا تعتبر سدوم مدينة وثنية " [إذاً ماذا تعتبر يا سيدى ؟ أتعتبر مدينة مؤمنة ؟!] ويكتفى باعتبارها مدينة معارضة لشعب العهد ومنفصلة عن الأرض التى باركها يهوه .. إذاً لماذا أهلكها الله بالنار والكبريت رغم شفاعة إبراهيم ؟ هل لأنها معارضة لشعب الله ومنفصلة عن الأرض التى باركها يهوه ، أم بسبب عبادتها المرذولة الشيطانية التى قادتها إلى ارتكاب الشرور والمعاصي والآثام حتى صعد صراخها إلى آذن رب الجنود ؟!!

ولكيما نستكمل نظرة الأخوة الكاثوليك إلى غير المؤمنين وفلسفتهم تجاه خلاصهم دعنا نطرح الأسئلة الآتية :

س١ : هل أقام الله أنبياء من الوثنيّين وهل قطع معهم عهداً ؟

س٢ : هل سيحاكم الوثنيون المؤمنين ؟ أو يصبحون وسطاء رحمة وخلاص لهم ؟

س٣ : ألا تحوز المسيحية كل الحقيقة ؟

س٤ : ألا يخلص الإنسان بدون الإيمان والمعمودية ؟

س١ : هل أقام الله أنبياء من الوثنيين وهل قطع معهم عهداً ؟

يقول الأخوة الكاثوليك بأن الله إله المحبة خالق كل البشر ومخلّصهم لا يمكن أن يهتم بشعب اليهود فقط ويترك بقية الشعوب الوثنية . لذلك فهو ربىّ الوثنيّين وأهتم بهم ، وأقام منهم أنبياء ، وقطع معهم عهداً ، ولأن الأخوة الكاثوليك لم يجدوا السند لأقوالهم هذه من الكتاب المقدس لذلك نقّبوا فى أقوال الآباء لعلهم يجدون ما يسندهم فى أقوالهم ، فيقول الأب جوزيف بُوحَجَر اليسوعي فى محاضرته عن آباء الكنيسة والوثنيين والوثنية :

" د – العناية الإلهية تربّي الوثنيين وتهتم بهم .. الخالق لا يمكنه أن لا يهتم بمخلوقاته ، ويوستينوس كان اول من إعترف بهذا اليقين حين كتب فى دفاعه

الموجه إلى مجلس الشيوخ الروماني " ينبئ (الله) بالمستقبل بالروح النبوي ، ليدعو البشر إلى الفهم والذكرى ، ويُظهر بذلك إهتمامه بهم وعنايته الإلهية " JVSTIN (Apologie , 44) فى هذه الفقرة يؤكد يوستينوس أولاً أن أنبياء العهد القديم لم يتنبأوا للشعب اليهودي فقط ، بل أن أقوالهم كانت موجَّهة إلى جميع البشر .. (ويكرّر يوستينوس) أن أجزاء الحقيقة الصغيرة التى عند الفلاسفة وصلت إليهم بفضل الإقتباسات التى أخذوها من الكتّاب المُلهمين .. جرؤ اكليمنضس على القول فى الكتاب السادس من مجموعة الأبحاث (CF Les Stromates VI . 5) وكأنه يردّد صدى الآية الأولى من الرسالة إلى العبرانيين ، أن الله كما أنه أقام أنبياء عند اليهود ، أقام عند اليونانيين أنبياء آخرين يتكلمون لغتهم ويُعدّونهم لتلقى الوحي فى يسوع المسيح . وموضوع الأنبياء الوثنين نجده أيضاً عند اوريجانس حين يعلق على حادث العرّاف الوثنى بلعام ، الذى بارك اليهود بدل أن يلعنهم .. أن الله على ما ورد بقلم اكليمنضس أقام أكثر اليونانيين اعتباراً ليكونوا أنبياءهم . ولماذا ؟ السبب هو بسيط ، فإن اوريجينس يصرّح بأن الله فى رغبته أن " يخلص جميع البشر " يتكيّف مع العقلية الوثنية وأحكامها المسبقة .. وكان اكليمنضس ينطق من فكرة إستعداد إنجيلي لليونانييّن ، فلم يتردّد فى تسمية هذا الأستعداد عهداً فإننا نقرأ فى " البحث السادس " هذا النص : " أن الله أعطانا العهد الجديد ، أما عهد اليونانيّين واليهود فهما العهدان القديمان .. أن الإله الواحد هو الذى أعطى العهدين والذى أعطى اليونانييّن الفلسفة اليونانيَّة التى بفضلها يُمجّد القدير عند اليونانييّن . فبالتربية اليونانيَّة وبتربية الشريعة ليس هناك إلاّ شعب واحد .. أن اكليمنضس يقيم توازناً بين اليهود وغير اليهود تُسمى عهداً ، فما من داعٍ إلى عدم تسمية الفلسفة اليونانية أيضا عهداً " [٥٦٥]

توضيح : فى عقائدنا المسيحية نعتمد على آيات كتابية واضحة وصريحة ولا نكتفِ بآية ونترك بقية الآيات التى تمس الموضوع ، فبالأكثر لا نعتمد على بعض أقوال الآباء فى تكوين عقيدة ما بينهما نجد آباءاً آخرين يهاجمون ذات العقيدة .

وعلى كلٍ فإن قول يوستينوس بأن " أنبياء العهد القديم لم يتنبأوا للشعب اليهودي

---

[٥٦٥] هل من خلاص لغير المسيحيين ؟ ومؤتمر حول لاهوت الأديان " مُستل من مجلة المشرق اليسوعية سنة ١٩٩٦م صـ٢٩٩-٣٠٢ .

فقط بل أن أقوالهم كانت موجّهه إلى جميع البشر ، وإن أجزاء الحقيقة الصغيرة التـــى عند الفلاسفة وصلت إليهم بفضل الإقتباسات التى أخذوها من الكتّاب المُلهمين " هو قول مقبول لأنه يشهد بأن المرجع الأساسي فى قضية الخلاص هو الكتـــــاب المقـــدس ، وقول اكليمنضس بأن الله أقام أنبياءاً من اليونانييّن ليعدونهم لتلقى الوحى فـــى يســـوع المسيح ، فيمكن قبول هذا القول على اساس أن بعض الفلاسفة نادوا بأنه لا أمـــل فـــى نجاة وخلاص الإنسان إن لم ينزل الله من السماء وينقذه . أما إذا أُخذ المعنى علـــى أن هناك أنبياء وثنيون تنبأوا بأقوال الله فهذا مرفوض حتى لو قال به بعض الأباء ، فأقوال الآباء هنا التى لا تعتمد على آيات كتابية صريحة مجرد إجتهاد منهم قـــد يصـــح وقـــد يخطئ ، ولا يخفى عن القارئ أن أوريجانوس كان يقول بخلاص الشيطان وبأنه سيصير فى شكل الله ولا أظن أن أحداً من الأخوة الكاثوليك يقبل قولاً كهذا ..

ونشكر الله أن الأب جوزيف لأمانته أورد بعض أقوال الآباء الذين رفضوا بشـــــدة فكرة خلاص غير المؤمنين ، فقد أورد بعض أقوال ترتليانوس فمثلاً عند حديثـــــه عـــن الفلسفة الوثنية قال " فأىُ شركة بين اثينا وأورشليم ، بين المجمع والكنيسة ، بين الهراطقـــة والمسيحيّين ؟ إن تعليمنا آتٍ من الرواق ، ولكن من رواق سليمان ، الذى يعلمنا هو نفســـه " أن نبحث عن الله فى سلامة القلب " ففى ماذا يفكر الذين يريدون أن يصنعوا لنا مســـيحية رواقيّة أفلاطونية أو جدليّة ؟ لا ، لا ، لسنا فى حاجة إلى فضول بعد يســـوع المســـيح ، ولا إلـــى ابحـــاث بعـــد الإنجيـــل . فحيـــن نؤمـــن لا نعـــود ونبحـــث عـــــن أى شـــئ وراء إيماننا.." (TERTULIEN , DE La Prescription Contre Les Heretiques . 7) " [٥٦٦]
وعند حديثه عن العبادات الوثنية قال " الشيطان عمل على تقليد الإلوهة فوراء كل وثـــن يستتر شيطان " [٥٦٧]

س٢ : هل سيحاكم الوثنيون المؤمنيـــن ؟ أو يصبحـــون وســـطاء رحمـــة وخلاص لهم ؟

يقول الأب لاسلو صابو اليسوعي " ففى يوم الدينونة سيحكم النينويون الذين تابوا بـــإنذار يونان على شعب الداخل .. (مت١٢: ٤١).. أكـــان يمكـــن اليـــهود أن يتخيّلـــوا أن

---

[٥٦٦] المرجع السابق صـــ٣٠٧ .

[٥٦٧] المرجع السابق صـــ٣٠٩ .

الوثنييّن سيحاكمونهم ؟ ولكن نرى هنا أن مَنْ هم فى الخارج يحكمون على مَنْ فى الداخل . وقد يجوز أن نبلغ باستنتاجنا حدّ القول أنه يمكن الذين هم فى الخارج أن يصبحوا وسطاء رحمة الله ، وسطاء خلاص للذين هم فى الداخل ! .. أن الدينونة ليست فصلاً بين يهودي وغير يهودي ، أو بين مسيحي وغير مسيحي ، فسبيل الأبرار (السراط المستقيم) لا يقوم على صعيدٍ دينى ، بل على صعيدٍ الهي وأخلاقي إلى حد كبير " [568]

ويقول الأب فاضل سيداروس اليسوعى : " فالذين كانوا يظنون انهم من أهل الخلاص أى المؤمنون بيسوع المسيح والمعمَّدون والمنتمون إلى الكنيسة – سوف يفاجأون أنهم ليسوا أهلاً للملكوت وأما الذين كان المؤمنون يستبعدونهم عن الملكوت – أى غير المؤمنين غير المعمَّدين وغير المنتمين إلى الكنيسة – فأولئك سوف يتنعمون بالملكوت سوف يأتى الناس من المشرق والمغرب ومن الشمال والجنوب فيجلسون على المائدة فى ملكوت الله " .. " أن العشارين والبغايا يتقدمونكم إلى ملكوت الله " (مت٢١: ٣١) فعكَس يسوع معايير الخلاص والدخول فى الملكوت ليبيّن فائق رحمة الله وشديد رغبته فى خلاص البشر بأجمعهم ، على نقيض الذين يحصرونه على فئة معينة ويعتبرون أنفسهم مخلَّصين بمنطق هو بالفعل منطق الفريسيين .

وتطبيقا لذلك كله صرَّح آباء المجمع الفاتيكاني الثاني فهم الكنيسة لخلاص غير المعمدين بعبارات تستحق العودة إليها ".. أما الذين لم يقبلوا الإنجيل بعد ، فإنهم متجهون نحو شعب الله بطرق مختلفة .." (الدستور العقائدى فى الكنيسة رقم ١٦) " [569]

توضيح : النص السابق الذى يعبر عن حال لسان الأخوة الكاثوليك يشمل عدَّة مغالطات ، فأولاً : القول بأن الوثنييّن سيحاكمون شعب الله قول خاطئ لأنه يعنى أن الشيطان سيحكم بواسطة اتباعه على أبناء الله ، والحقيقية أن أهل نينوى كانوا فيما قبل وثنيون فتابوا عن عبادتهم المرذولة واكتشفوا خداع الشياطين لهم وآمنوا بإله يونان فرفضوا أوثانهم ولم يعودوا إلى شياطينهم ولو عادوا إليها وتركوا الإله الحقيقي لهلكوا

---

[568] هل من خلاص لغير المسيحيين – مؤتمر حول " لاهوت الأديان " وساطات الخلاص فى ضوء الكتاب المقدس صـ٢٨٩، ٢٩٠ .

[569] سرّا المعمودية والتثبيت صـ٨١ ، ٨٢ .

وما كان الرب يسوع يذكر اسمهم فى العهد الجديد .

وثانياً : القول بأن من هم فى الخارج سيحكمون على من هم فى الداخل قول غير صحيح ، لأن الذين فى الخارج سيظلون فى الخارج ، ولا يمكننا أن نتصور أن إنساناً يحمل خطيته الجدية والفعلية ويسرى عليه حكم العدل الإلهي بالموت يتبدل فجأة فى الدينونة فيصبح مبرّراً بل حاكماً وديّاناً للقديسين ، ولكن الحقيقة أن الذين كانوا فيما قبل فى الخارج بلا إله ، ولكن بعد أن عرفوا المسيح صاروا آل بيت الله ..

وثالثاً : هذا النص نص " لا دينى " لا يصدر من إنسان له دين إنما يصدر من إنسان لا يعترف بالدين ولا يقيم له وزناً .. إنما يقيم الوزن بناء على الأعمال وينظر إليها كوسيلة للخلاص ، وهذه مغالطة لاهوتية فى منتهى الخطورة لأنها تعنى ببساطة شديدة أن تجسد الله وصلبه وموته وقيامته أعمال لا لزوم لها إنما هى عبث فى عبث ، لأنه ما دامت الأعمال تخلص الإنسان بغض النظر عن إيمانه بالمصلوب فما هو المبرر للصلب ورحلة آلام الموت ؟! .. صدقونى يا أحبائى لو أن الأب لاسلو نظر نظرة واحدة فقط بفهم وتمعن لإكليل الشوك أو الجنب المطعون أو عرى ابن الله أو المسامير ما كان يجرؤ أبداً أبداً أن ينطق بمثل هذه الأقوال ويدوس دم العهد الجديد .

س٣ : ألا تحوز المسيحية كل الحقيقة ؟

للأسف الشديد ، ومن منظار خلاص غير المؤمنين وصل التحرر الكاثوليكي إلى فقدان الثقة فى المسيحية على أنها تحوز الحقيقة كل الحقيقة ، وفقدان البصيرة الروحية حتى تساوت فى أعينهم المسيحية مع أى عقيدة أخرى حتى لو كانت عبادة الأوثان ، فيقول الأب عزيز الحلاق اليسوعي فى محاضرته. التعدّدية الدينية وعلم لاهوت الأديان :

" أن وجود الآخر المغاير فى آرائه ومعتقداته يحرّر من الإدعاء الخادع بامتلاك الحقيقة ، ويُذكّر بأن لا أحد يمكنه التبجح بحيازة كلية الحقيقة ، فلا تلاقي حقيقياً مع الآخر دون الإقرار بإمكانية الاغتناء منه .. فالحوار بين الأديان أصبح ضرورة ملحّة لعالم اليوم .. أن الحوار بين الأديان له عدّة مستويات ، ولكن يجب أن يقود فى نهاية المطاف إلى طرح التساؤل عن المصير الإنساني الذى يشغل جوهر رسالة

كل دين ، والذى يعبر عنه الفكر اللاهوتي المسيحي بقضية الخلاص ، أى هل هنالك خلاص خارج حدود المسيحية ، وهل تقود الأديان الأخرى إتباعها نحو الخلاص ؟ ..

ومما يجدر ذكره أن ذهنية القرون الوسطى كانت تقسم المجتمعات والناس على اساس ديني ، وكان كل يدعى أن إيمانه هو الإيمان الصحيح ودينه هو الدين الحق بينما يقبع الآخرون فى ضلال مبين ..

ولكن مع اطلالة القرن السادس عشر انفتح الأفق على قارات وأقوام لم تكن معروفة من قبل مما طرح مجدداً وبإلحاح على الفكر اللاهوتي فى قضية التعددية الدينية فى العالم ومسأله خلاص غير المسيحيين ، كما أن احتكاك المُرسَلين بمجتمعات لها تراث دينى عريق جعلهم يكتشفون قيماً روحيَّة لا يرقى لها الشك .. ولنا فى رسول الصين " ريتشي " خير مثل إذ أصبح يُضرب به المثل كنموذج للانفتاح والحوارية مع الأديان الآخرى ..

ولكن العقبة الكاداء التى تعطِّل كل حوار هو إدعاء احتكار الحقيقة الإلهية وتكفير الآخرين ، إذ من اليسير على الإنسان أن يدَّعى امتلاك كلية الحقيقة مُنصّبا ذاته أميراً عليها ، وكابتاً التساؤلات التى يثيرها وجود الآخر الذى يخالفه الرأى أو الدين ، لأن ذلك يعطيه طمأنينه نفسيَّة وتفوقاً وهمياً على الآخر ، ولكن قبول التساؤلات الآتية من الآخر معناه التحرر من الاكتفاء الذاتي والإعتراف بوجود سر يفوق الإدراك والفهم الإنساني أى أن الحقيقة ليست ملكية خاصة تفصل البشر بعضهم عن بعض ، بل هى نداء يدعو كل إنسان إلى السير نحوها برفقة الآخرين والحوار معهم لأن سرّ الله فوق الجميع " [٥٧٠]

توضيح : عجباً هل يا عزيزى المسيحية ينقصها شئ وتحتاج أن تستكمله من اليهودية أو الوثنية أو غيرها ؟! وما هو هذا الشئ الذى تجده لدى الآخرين ولا تجده فى المسيحية ؟!

تُرى هل المسيح صار فقيراً ، فأصبحت عروسه الكنيسة فقيرة معدمة ، فذهب أبناؤها يلتمسون الغنى من عبدَة الأصنام ؟!

وإن كنت ياعزيزى تعتبر أن إعتقاد الكنيسة بأنها مؤسَّسة على صخر الدهور والمسيح كائن بمجده فى وسطها وسور نار حولها ، وأنها حازت الحقيقة كل الحقيقة ..

---

[٥٧٠] هل من خلاص لغير المسيحيين – مؤتمر حول " لاهوت الأديان " صـ٣٣٩-٣٤٢ .

أن كنت تعتبر هذا نوع من التبجح ، فقل لي وأخبرني أين ستجد الحقيقة خارج نطـــاق المسيحية ؟ قل لي من يؤمن بأن المسيح هو الله المتجسد من أجل خلاص البشرية غير المسيحيين ؟ أم أنك تشك في هذه الحقائق ولذلك تلتمس بقية الحقيقة مـــن البوذيَّـــة أو الهندوسيَّة ؟!

س ٤ : ألا يخلُص الإنسان بدون الإيمان والمعمودية ؟

رغم أن الفكر الكاثوليكي يحاول التشبث بضرورة الإيمان والمعموديـــة للخــلاص - خجلاً من الآيات الصريحة والواضحة والقاطعة الدالة على هذا - إلاَّ أنه يفشل فـــي هذا لأنه يعلن مراراً وتكراراً أن الإنسان الوثني بدون إيمانه بالرب يسوع يمكنه أن يخلص ما دامت إرادته صالحة ، ونأخذ مثالاً على هذا الفكر مما كتبـــه الأب فـــاضل سيداروس اليسوعي بشأن مصير غير المُعمَّدين غير المنتمين للكنيسة ، حيث يبـــدأ الأب فاضل مقاله بأن هناك ثمة تناقض ظاهري بين بعض أقوال الكتاب التي تفصـــح عن قصد الله في خلاص الجميع - بغض النظر عن الإيمـــان والمعموديـــة - وبيـــن أقوال أخرى تشترط ضرورة الإيمان والمعمودية للخلاص فيقول :

" مما لا شك فيه أن قصد الله في خلاص البشر بأجمعـــهم لمـــن بديـــهيات العـــهد الجديد .. وعلى نقيض ذلك ثمة نصوص كتابية توحـــي بضـــرورة الإيمـــان لنيـــل الخلاص (مر١٦:١٦) .. وتوحـــي نصـــوص كتابيـــة أخـــرى بضـــرورة الإعتمـــاد (المعمودية) أيضاً لنيل الخلاص (يو٣: ٥) .. فنحن في حيرة .. مـــن جهـــة ثمـــة تناقض ظاهري بين قصد الله الخلاصي الشامل لجميع البشر وبين حصـــر الخـــلاص فيمن يعتمدون .. فكيف يمكننا الخروج مـــن هذين المأزقين ؟ " [٥٧١]

ثم يقترح الأب فاضل حلاً للخروج من هذا المأزق بقولـــه أن الإيمـــان والمعموديـــة ضروريان لخلاص الذين يعلمون ، وأمام أقوال السيد المســـيح القاطعـــة بضـــرورة الإيمان والمعمودية يقول الأب فاضل القصد من أن كلام السيد المسيح الحث علـــى الإيمان والمعمودية ، لكن بدونهما لا يهلك الإنسان فيقـــول : " أن واجـــب الإيمـــان والاعتماد (المعمودية) والانتماء إلى الكنيســـة خـــاص بمـــن وصلتـــهم البشـــارة ، ورفضوها ، وهذا ما يقره المجمع الفاتيكاني الثاني بكـــل وضـــوح " لا يســـتطيع أن

---

[٥٧١] سرا المعمودية والتثبيت صـــ٧٥-٧٦ .

يخلص أولئك الذين يعلمون أن الكنيسة الكاثوليكية قد أسَّسها الله بواسطة المسيح كضرورة ، وبالرغم من ذلك يرفضون دخولها أو البقاء فيها " (الدستور العقائدى فى الكنيسة رقم ١٤) فعدم الخلاص مرتبط بـ " الرفض " مع " العلم " بحقيقة المسيح وكنيسته والسؤال المُلح هو أن ما يقرب من ثلاثة أرباع البشرية لم تصلهم البشارة ، فهل هم يُهلِكون ؟ وهل يُهلكهم الله ؟ .. أن كلام يسوع على ضرورة الإيمان به والاعتماد (المعمودية) صيغة أدبية لا تقصد الحكم بالدينونة الفعلية ، بقدر ماهى تشجيع على الإيمان والاعتماد (المعمودية) ، وتحذير لمن لا يؤمن ولا يعتمد .. ان كلامه من باب الحث والتحذير ، لا الحكم والقضاء ، لأنه يريد خلاص البشر بأجمعهم " [٥٧٢]

توضيح : لا يوجد لا تناقض حقيقي ولا ظاهري فى أقوال الكتاب المقدس ، ولا ثمة مشكلة ولا حيرة ، لأن الأمر ببساطة شديدة أن الله احبنا رغم آثامنا وشرورنا ، وبيَّن محبته لنا إذ ونحن خطاة مات المسيح لأجلنا لكيما يخلص الجميع ، وكرز الرسل الأطهار فى كل الأقطار ببشرى الخلاص للجميع بدم الحمل وليس على الإنسان إلاَّ قبول النجاة والخلاص والحياة عن طريق الفادى والمخلص الوحيد ، فهوذا يوحنا الحبيب يخبرنا " من له الإبن فله الحياة ومن ليس له ابن الله فليست له الحياة " (ايو٥: ١٢) فكيف ينادى المجمع الفاتيكاني بأن الإنسان يمكنه نوال الحياة بدون إبن الله ؟! وهوذا السابق الصابغ يشهد بالحق " الذى يؤمن بالإبن له حياة أبدية . والذى لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الآب " (يو٣: ٣٦) فكيف يُطمئِن المجمع الفاتيكاني من لا يؤمن بإبن الله بأنه سينال رضى الآب ويدخل الملكوت مادامت إرادته صالحة ؟! ألا يسمعون قول الرب يسوع الذى يرن فى الآذان " الحق الحق أقول لكم أن من يسمع كلامي ويؤمن بالذى أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتى إلى دينونة بل قد أنتقل من الموت إلى الحياة " (يو٥: ٢٤) ؟!

وأيضاً لا يمكننا قبول الرأى القائل بأن أقوال الرب يسوع بشأن ضرورة الإيمان والمعمودية أنها مجرد صيغة أدبية القصد منها الحث والتحذير ولكن بدونهما يستطيع غير المؤمن أن يخلُص ، فإن كان الرب يقول لنا صراحة " الحق الحق أقول لكم من يؤمن بي فله حياة أبدية " (يو٦: ٤٧) ، " من آمن وأعتمد خلص .ومن لم يؤمن يُدَنْ "

---

[٥٧٢] المرجع السابق ص٧٧، ٧٨ .

(مر١٦:١٦) فهل يقول أحد : حاشا يارب أن يكون هذا لأن من لا يؤمن وأعماله حسنة لا يمكنك أن تدينه ؟! ، وعندما يقول " الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله " (يو٣: ٥) هل يقول أحد : الحق الحق أقول لك يارب أن من لا يعتمد سيدخل الملكوت لأنك إله رحيم ورؤوف ؟!

لقد " كنا بالطبيعة أبناء الغضب " (أف٢: ٣) لماذا ؟ لأننا بالطبيعة ورثنا الخطية الجديَّة وقد فسدت طبيعتنا البشرية ، وكل ما يصدر من الفاسد هو فساد ، وصلاة الخاطئ هى مكرهة للرب لأنه يستحيل أن يلتقى الخاطئ بالله القدوس بدون دم الفادى ، ولا يمكن أن يترآى الإنسان المُدنَّس بالخطية أمام الله لأن "عيناك أطهر من أن تنظرا الشر" (حب١: ١٣) ولكى تتصورَّ ياصديقي وضع الإنسان غير المؤمن عليك بالعودة إلى أقوال الكتاب المقدس عن الظلمة التى عاش فيها الأمم قبل معرفتهم بالنور الحقيقى " أنتم الأمم .. كنتم فى ذلك الوقت بدون مسيح أجنبيّين عن رعوية إسرائيل وغرباء عن عهود الموعد لا رجاء لكم وبلا إله فى العالم . ولكن الآن فى المسيح يسوع أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح لأنه هو سلامنا .. " (أف٢: ١١-٢٢) .
ثم بدأ الأب الفاضل يطرح الطرق الأخرى التى تُخلِص الإنسان بعيداً عن الإيمان والمعمودية فيقول :

" خلاص الإنسان بحسب شريعته أو ضميره وبحسب محبته : رغم وجود تصريحات ليسوع قد يخال للبعض أنها للدينونة ، غير أن الوحى الإلهي يقر بأن المقصود بالإيمان – لغير المؤمنين بيسوع المسيح – هو شريعتهم أو ضميرهم ، وقد تنبَّه بولس إلى ذلك عندما كتب " العاملون بالشريعة (الموسوية) هم الذين ينالون البر . الوثنيون الذين بلا شريعة إذا عملوا بالفطرة ما تأمر به الشريعة كانوا شريعة لأنفسهم ، مع أنهم بلا شريعة ، فيدلون على أنَّ ما تأمر به الشريعة من الأعمال مكتوب فى قلوبهم وتشهد لهم ضمائرهم وأفكارهم . فهى تارة تشكوهم وتارة تدافع عنهم " (رو٢: ١٣-١٦) فكلام بولس واضح وضوحاً لا يحتمل الدينونة لمن يعمل بموجب شريعته – إن كانت له شريعة – أو بموجب ضميره وفطرته .. ويمكن تسمية هذا " المستوى الطبيعى " غير أن هناك " المستوى الفائق –الطبيعة " الخاص بالمعمَّدين ، فالروح لا يعمل فيهم فحسب ، بل يسكن فيهم أيضا فيصبحون هيكله . فما يميِّز المعمَّدين من غير المعمَّدين هو سكنى الروح فيهم ، إذا اعتبرنا أنه يعمل فى الجميع بدون استثناء ، ولاسيما فى ضميرهم

وفطرتهم ، فى قلبهم وعقلهم ، أو من خلال شريعتهم .. فعندما سُئل يسوع " من يقدر أن يخلص ؟ أجاب بوضوح أن ما يُعجز الإنسان لا يُعجِز الله القادر على كل شئ (مر١٠: ٢٧) القادر على خلاص جميع البشر حتى أن لم يؤمنوا بابنه يسوع المسيح ولم يعتمدوا باسمه ولم ينتموا إلى الكنيسة " [٥٧٣]

توضيح : شرائع الوثنيين شرائع فاسدة ، وعبادتهم عبادة دنسة ، وفى معابدهم تمارس الرذيلة إذ تزنى كاهنات الأوثان مع مقدمى العبادة كنوع من طقوسهم الوثنية لكيما يرضوا آلهتهم الشيطانية ، كما كان يحدث فى هيكل ديانا (ارطاميس) بأفسس .. فهل يقبل الله القدوس هؤلاء الزناة ويحاسبهم بحسب شرائعهم الفاسدة ؟! ، وأيضاً كثيرون لهم شرائعهم التى تحض على القتل وسفك الدماء باسم الدين ، وتبيح لهم السرقة والسلب باسم المغانم ، وتسمح لهم بالزنا باسم المتعة وتشجعهم على الكذب للهروب وقت الخطر ، فهل هؤلاء أيضا يحاسبهم الله بحسب شريعتهم هذه فنجد سكان الملكوت من القتلة والزناة واللصوص والكذابين ..إلخ . فأين يذهب القديسين الأبرار الأطهار ؟!

ثم إن قولك ياسيدى بأن " القادر على خلاص جميع البشر حتى أن لم يؤمنوا بإبنه يسوع المسيح ولم يعتمدوا بإسمه ولم ينتموا إلى كنيسته " لن تجد آية واحدة فى الكتاب المقدس تسند هذا القول بينما تجد عشرات الآيات التى تشجب هذا الفكر .. أن المجمع الفاتيكاني الثاني نجح فى إراحة ضمائر غير المؤمنين ، ولكنه فشل فى جذب أحد منهم للمخلص لأن فى عرفه لم تعد هناك ضرورة للمخلص ، فالحل موجود فى لاهوت التحرر الكاثوليكي الذى ينادى بخلاص الوثنيين واليهود والوجوديّين وغيرهم .

ثم يعود الأب فاضل ويحاول إظهار أهمية الإيمان والمعمودية ، وكأنه يقف فى مفارق طرق تنتابه الحيرة ولا يدرى أى طريق يسلك ؟! فيقول " أن خلاص غير المؤمنين غير المعمَّدين غير المنتمين إلى الكنيسة لا يعنى على الإطلاق عدم ضرورة الإيمان بالمسيح والمعمودية والانتماء إلى الكنيسة . فوصية يسوع واضحة ولا تقبل أى تنصل عن المسئولية " اذهبوا .. وعمدوهم .. " (مت٢٨: ١٩-مر١٦: ٥ - أع١: ٨) .. فمن الخطأ إذاً طرح سؤال عن ضرورة الإيمان والمعمودية والانتماء إلى الكنيسة بعبارة { ماهى منفعتها ما دام الجميع يخلصون ؟ }.. فالمعمودية إمتياز لعلاقة مميزة

---

[٥٧٣] سرَّا المعمودية والتثبيت ص٧٨-٨٠ .

مع الله ، وحق فى الانتماء إلى شعب الله المخلَّص ، فشتان بين هذه النظرة الإيجابية إلى المعمودية ، ونظرة الفاترين الذين يتساءلون : لماذا المعمودية إن كان الجميع يخلصون ؟ .. أن الكنيسة " آية " لخلاص العالم أجمع ، فإن كان الله قد خلَّصها فلكى تشترك معه فى خلاص المسيح نفسه للعالم .. أن الكنيسة ضرورية لخلاص العالم . بهذا المعنى يمكن القول " لا خلاص فى خارج الكنيسة " لا بمعنى أنه لا خلاص للذين لا ينتمون إلى الكنيسة . بل الخلاص يصل إلى جميع البشر من الله عن طريق الكنيسة كمجرى وقناة للخلاص .. فإن كان غير المؤمنين وغير المعمَّدين يخلُصون فلان الكنيسة " آية " لهذا الخلاص أى عربون له وباكورة لهم " [٥٧٤]

توضيح : من يطلع على الأقوال السابقة يلمس حيرة الكاتب ، فهو يريد أن يتمسك بأقوال السيد المسيح الواضحة والصريحة وفى نفس الوقت لا يريد أن يرفض أقوال المجمع الفاتيكاني الثاني ، والكاتب يريد أن يجزم بضرورة الإيمان والمعمودية والانتماء للكنيسة لخلاص الإنسان ولا يريد أن يرفض قرارات المجمع المعصوم من الخطأ التى تنص على خلاص !الإنسان بدون كل هذا ، والكاتب يريد أن يصرخ من عمق قلبه " لا خلاص خارج الكنيسة " وإن من لا تكون الكنيسة أمه لا يمكن أن يكون الله أباه وفى ذات الوقت لايريد أن يكذِّب المجمع الكاثوليكي المقدس الذى يعلن بأن غير المؤمنين يمكنهم أن يخلصوا خارج الكنيسة وبدون المسيح .

وكأنني أتصوَّر الكاتب مثل المعلم الذى وقف يسدى النصح لتلميذه لكيما يكد ويجد ويجتهد فى تحصيل دروسه فيكون النجاح حليفهُ والتفوق نصيبه . ثم يعقب نصيحته هذه بخير يشبه القنبلة إذ يقول له : ولو أنني يا ابنى أنني متأكد تماماً بأن محبة السيد وزير التربية والتعليم لكم بلا حدود ، فكلكم أولاده ، ولن يسمح قط برسوب أحد منكم .. فلتثق يا ابنى أن جميعكم ستجوزون الإمتحان بتفوق وتدخلون كليات القمة ، وعموماً لا تنسَ أن تذاكر وتسهر وتتعب وتجد وتجاهد .. تُرى هل هذا التلميذ النجيب يصدق مثل هذه الأقوال ؟! وهل يثق فى معلمه هذا ، ويوليه الثقة والطاعة والاحترام ؟! ، ولو حدث هذا ومني الطالب بالرسوب عن جدارة ألا يكون معلمه مسئولاً عن رسوبه هذا وضياع العلم منه ؟ فما بالك لو ضاع العمر كله وفقد الإنسان الملكوت ووقف منذهلاً أمام بوابات جهنم هل يتبرَّر مثل هذا المعلم أمام الله ؟!

---

[٥٧٤] المرجع السابق صـ٨٢-٨٥ .

وأخيراً يذكر الأب فاضل ثلاثة مواقف للمسيحيين إزاء قضية خلاص غير المؤمنين فيقول " وخلاصة لحديثنا عن مصير غير المعمَّدين نورد ثلاثة مواقف ظاهرة فى الكنيسة إزاء هذا الموضوع ، فهناك فئة تدين من هم فى خارج الكنيسة ولا يعتمدون ولا يؤمنون بيسوع المسيح ، فتجعلهم يستوجبون النار . أن هذا الموقف لمخطئ كل الخطأ ، وهو منافٍ تماماً لقصد الله الخلاصي الشامل البشر بأجمعهم ، ولمعاملة يسوع مع الخطاة وبحثه عنهم .. ثم أن روح الإدانة هذه لمنافية تماماً للمحبة الأخوية ، فمن الأسلم ترك الدينونة لرحمة الله المُحبَّة المخلِّصة ، خاصة وقول يسوع صريح " لا تدينوا لئلا تدانُوا ، فكما تدينون تدانون " (مت٧: ١-٥) وإن هؤلاء سيفاجأون يوم الدينونة عندما يرون إين الإنسان يدين البشر لا بحسب انتمائهم الديني ، بل بحسب أعمال المحبة أساساً ..

وهناك فئة تتساهل فى الإيمان والمعمودية والانتماء إلى الكنيسة ، فلا تجد لها ضرورة بما أن الجميع سيخلصون أن هذا الموقف أيضاً لمخطئ كل الخطأ لأنه نابع من روح نفعيَّة لا تؤمن إلاَّ بما هو نفعى ومفيد ، ملموس ومحسوس ، من روح مسيحية فاترة فقدت معنى الرسالة .

وهناك الموقف السليم وهو يتحاشي الموقفين المتطرفين السابقين ، آخذاً بمحمل الجد قصد الله فى خلاص جميع البشر ، وفى الآن نفسه ضرورة الإيمان بيسوع المسيح والمعمودية والانتماء إلى الكنيسة (كإمتياز وكرسالة) تاركاً لرحمة الله مصير غير المعمَّدين .. هذا هو - كما يخال لنا - الموقف السليم تجاة قضية بل وسرّ خلاص البشر من مؤمنين بيسوع المسيح وغير مؤمنين به ، من معمَّدين باسم الآب والابن والروح وغير معمَّدين من منتمين إلى الكنيسة وغير منتمين إليها "[٥٧٥]

توضيح : الأب الفاضل فاضل يُخَطِئ الذين يحكمون على الوثنيين وعبَّدة النار والوجوديّين ، فهل معنى هذا أن الأنبياء الذين أعلنوا حكم الله بهلاك الأمم كانوا مخطئين ؟! وما رأيك عندما أوصي الرب نبيه حزقيال " أن لم تتكلم لتحذر الشرير من طريقه فذلك الشرير يموت بذنبه . أما دمهُ فمن يدك أطلبه " (حز٣٣: ٨) ؟! وهل وصايا الرب يسوع بضرورة الإيمان والمعمودية والتناول لا لزوم لها لأن الجميع سيخلصون ؟ وكيف تفسر موقف الكنيسة الكاثوليكية المتشدّدة خلال مئات السنين مع البروتستانت ما

---

[٥٧٥] المرجع السابق صـ٨٥-٨٦ .

دام الجميع سيخلصون ؟! ..

كما أن قول الرب يسوع " لا تدينوا لكى لا تدانوا " ينسحب على الأخطاء الشخصية فقط ، فليس لنا أن ندين الخطاة ونُشهر بهم ، ولكن إن لم يحذرهم الرعاة فالله يطلب دمهم من هؤلاء الرعاة .. إن مقاومة الهراطقة وفضح الأفكار الخاطئة الهدامة التى تقود للهلاك هو عمل عظيم لا يدخل فى دائرة الإدانة .. ما أجمل قول مخلصنا الصالح لملاك كنيسة أفسس " عندك هذا أنك تبغض أعمال النقولاويّين التى ابغضها أنا أيضاً " (رؤ٢: ٦) .

ورد فى وثائق المجمع الفاتيكاني الثانى " ونعتقد أن الديانة الحقيقية الوحيدة تقوم فى الكنيسة الكاثوليكية الرسولية التى عهد إليها السيد المسيح بمهمة نشرها بين الأمم عندما قال لرسله " اذهبوا الآن وتلمذوا كل الأمم معمدين إياهم .." (مت٢٨: ٩) " [٥٧٦] .. " والكنيسة الكاثوليكية وفقاً لإرادة المسيح هى معلمة الحقيقة " [٥٧٧]

فإن كان ذات المجمع الفاتيكاني الثاني يحصر الديانة الحقيقية فى الكنيسة الكاثوليكية ، فمعنى هذا أنه يعترف ان الديانات الأخرى باطلة ، فكيف يخلص من يؤمن بديانة باطلة ؟!

ثانيا : حجج الكاثوليك فى خلاص غير المؤمنين

من أهم الأسانيد التى إعتمد عليها الأخوة الكاثوليك فى عقيدة خلاص غير المؤمنين الأسانيد الأربعة التالية :

١-" فى كل أمَّةٍ الذى يتَّقيه ويصنع البر مقبول عنده " (أع١٠: ٣٥) .

٢- " الذين ليس عندهم ناموس ..هم ناموس لأنفسهم " (رو ٢: ١٤) .

٣-الذين لم تصلهم الكرازة كيف يهلكهم الله وهو الرؤوف الرحوم المحب ؟

٤-فى حديث بولس الرسول عن مذبح الإله المجهول فى أثينا أشاد بتدين الوثنيين (أع١٧: ٢٢-٢٨) .

---

[٥٧٦] وثائق المجمع الفاتيكاني الثانى – بيان فى الحرية الدينية رقم (١) صـ٢٢١ .

[٥٧٧] وثائق المجمع الفاتيكاني الثانى – التعاليم العامة حول الحرية الدينية رقم (١٤) صـ٢٣١ .

١-" فى كل أمَّةٍ الذى يتَّقيه ويصنع البر مقبول عنده " (أع١٠: ٣٥) :

فيقول الأخوة الكاثوليك بموجب هذه الآية يصبح غير المؤمنين مقبولين لـدى الله فيخلصون ولا يهلكون .

توضيح : قال معلمنا بطرس الرسول فى بيت كرنيليوس الذى يعتبر باكورة الأمم الذين دخلوا للإيمان " بالحق أنا أجد أن الله لا يقبل الوجوه بل فى كل أمَّةٍ الـذى يتَّقيه ويصنع البر مقبول عنده . الكلمة التى أرسلها إلى بنى إسرائيل يبشر بالسلام بيسوع المسيح هذا هو رب الكل " (أع ١٠: ٣٤-٣٦) ثم بدأ يبشرهم بالفادى الديان (أع١٠: ٣٧-٤٢) ويدعوهم للإيمان به لينالوا مغفرة الخطايا الجديَّة والفعلية فيتلاقوا مع الله القدوس " كل من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا " (أع١٠: ٤٣) وهذا هو الموضوع ككل فلماذا نختار آية ونفصلها عن مجرى الحديث وعن موقع الأحداث ونبنى عليها عقيدة ؟! ولو أن كرنيليوس الوثني سيخلُص مع أسرته بدون الإيمان والمعمودية ، فلماذا بشره بطرس وعمّده ؟! .. أن بطرس الرسول يريد أن يوضح من قوله السابق أن الله لا يحابى اليهود على الأمم بل كما أعطى اليهود الفرصة للإيمان هكذا منح الأمم أيضا الفرصة للإيمان به " إذا أعطى الله الأمم أيضا التوبة للحياة " (أع١١: ١٨)

فكل من يؤمن بالسيد المسيح فادياً ومخلصاً ودياناً هو مقبول عنده ، ومن يقبل إليه لا يخرجه خارجاً سواء كان يهودياً أو وثنياً أو وجودياً .

وقال معلمنا بطرس الرسول عن الإنسان الذى يخلص هو " من يتَّقيه ويصنع البر " .. فمن هو الذى يقدر أن يصنع البر إلاَّ الذى له بر المسيح ، فالإيمان هو البر " فآمن إبراهيم بالله فحُسب له برَّاً " (رو٤: ٣) فالإيمان هو الخطوة الأولى لنوال برّ المسيح " فإذا قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح (رو٥: ١) .. " ويبرّر من هو من الإيمان بيسوع .. لأن الله واحد هو الذى سيبرّر الختان بالإيمان والغرلة بالإيمان " (رو٣: ٢٦-٣٠) أما برّ الإنسان الذاتى فلن يقدر أن يخلّصه " ولكن حين ظهر لطف مخلصنا الله واحسانه . لا بأعمال فى برّ عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلّصنا بغسل الميلاد الثاني (المعمودية) وتجديد الروح القدس .. بيسوع المسيح" (تي٣: ٤-٦) .

٢-" الذين ليس عندهم ناموس ..هم ناموس لأنفسهم " (رو ٢: ١٤) :

فيقول الأخوة الكاثوليك أنه بموجب هذه الآية فإن الله يدين الأمم بحسب شريعتهم.

توضيح : كان الأمم يسيرون حسب الشريعة الأدبيَّة الطبيعيَّة ، وبموجب هذه الشريعة كانوا ينفذون وصايا العهد القديم " لأنه الأمم الذين ليس عندهم الناموس متى فعلوا بالطبيعة ما هو فى الناموس فهؤلاء إذ ليس لهم الناموس هم ناموس لأنفسهم " (رو٢: ١٤) فكان الجميع يهود وأمم مطالبين بتنفيذ الوصية ، فالوصية التى تُحرِم القتل على اليهودي بموجب الشريعة الموسوية يُطالب بها الأممي أيضاً بموجب الشريعة الأدبية ، ولكن لا الشريعة الموسوية ولا الشريعة الأدبيَّة الطبيعيَّة قادرة على تبرّير الإنسان بل يتبرّر الإنسان بدم المسيح " وأما الآن فقد ظهر برّ الله بدون الناموس .. برّ الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون . لأنه لا فرق . إذ الجميع اخطأوا واعوزهم مجد الله " (رو٢: ٢١-٢٣) .

٣-الذين لم تصلهم الكرازة كيف يهلكهم الله وهو الرؤوف الرحوم المحب ؟

توضيح : الله يعلن ذاته للجميع فهو " لا يترك نفسه بلا شاهد " (أع١٤: ١٧) وهو يعلن ذاته للذين لديهم الاستعداد لقبوله " لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة إبنه .. والذين سبق فعينهم فهؤلاء دعاهم أيضاً والذين دعاهم فهؤلاء برَّرهم أيضا " (رو٨: ٢٩-٣٠) فالمعيَّنين للملكوت حسب علم الله السابق يدعوهم إليه ولو عن طريق ملائكته مثلما فعل مع كرنيليوس ، وحقاً قال الكتاب عن الملائكة " أليس جميعهم أرواحاً خادمة مُرسَلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص " (عب١: ١٤) ، ولا أحد يستطيع أن ينكر أن الكون الذى نعيش فيه يحدثنا عن الخالق العظيم ، فالكون كتاب مفتوح للجميع يعلن عظمة الخالق وقدرته ومحبته للبشرية لذلك لا يوجد أى عذر للإنسان ، وهذا ما أوضحه معلمنا بولس الرسول عند حديثه عن الأمم " إذ معرفة الله ظاهرة فيهم لأن الله أظهرها لهم . لأن أموره غير المنظورة تُرى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته حتى أنهم بلا عذر . لأنهم لما عرفوا الله لم يمجدوه أو يشكروه كإله بل حمقوا فى أفكارهم وأظلَّم قلبهم الغبيُّ . وبينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء . وأبدلوا مجد الله الذى لا يفنى بشبه صورة الإنسان الذى يفنى والطيور والدوابّ والزحافات . لذلك أسلمهم الله أيضاً فى

شهوات قلوبهم إلى النجاسة لإهانة أجسادهم بين ذواتهم . الذين إستبدلوا حــق الله بــالكذب واتقوا وعبدوا المخلوق دون الخالق الذى هو مبــارك إلــى الأبــد أميــن (رو١: ١٩-٢٥) وقال المجمع الفاتيكاني الثاني " أن المؤمنين جميعاً من أى ديــن كــان قــد فطنــوا أو استوعبوا حوار المخلوقات ولغتها وسمعوا من خلاله صوت الله وشعروا بوجوده " [٥٧٨]

٤- فى حديث بولس الرسول عن مذبح الإله المجهول فى اثينا أشاد بتديــن الوثنيين (أع١٧: ٢٢-٢٨) :

ويقول الأخوة الكاثوليك بأن بولس الرسول عندما تحدث عن مذبح الإله المجــهول أشاد بتدين الاثينيون ، ولذلك اعتمد المجمع الفاتيكاني على هذا النص عندما قال " أمــا الذين يتلمسون الإله المجهول من خلال الظلال والصور ، فالله عينه ليس ببعيد عنــهم لأنه يعطى الجميع حياة ونفساً وكل شئ " .

توضيح : عندما دخل بولس الرسول مدينة أثينا كان هدفه الأول والأخير هو نشر نور المسيح وسط ظلمة أثينا ، وإذا أراد أن يكسبهم إليه أشاد بتدينهم ولو أنــه تديــن باطل إلاَّ أنه يخفى ورائه رغبة لمعرفة الإله الحقيقى ، لذلك مدَحَهم الرسول بحكمة لكيما يربحهم للمسيح ، ولكنه لم يمتدح آلهتهم الوثنية بل قال لهم " لأننى بينما كنــت أجتــاز وأنظر إلى معبوداتكم وجدت أيضاً مذبحاً مكتوباً عليه لإله مجهول فالذى تتقونه وأنتــم تجهلونه هذا أنا انادى لكم به " (أع٧: ٢٣) واتخذ هذا سبيلاً ومدخــلاً لكيمــا يبشّــرهم بالإله الحقيقى ، ولك أن تلاحظ أن المذبح المكتوب عليه لإله مجهول والذى أشــاد بــه بولس الرسول ودعاه كأنه مذبح الرب الإله لم يكن يحوى داخله لا صنماً ولا وثنــاً ولا صورة ما لأحد المخلوقات . ثم أن بولس الرسول بدأ يضع أمامهم بطريق غير مباشــر الفروق العظيمة بين الإله الحقيقى والآلهة التى يعبدونها ، وذكر من هذه الفروق الآتى :

أ- الإله الحقيقى هو " الإله الذى خلق العالم وكل ما فيه " (أع ١٧: ٢٤) أما الآلهــة الأخرى فلا قدرة لها على خلق أى شئ .

ب- الإله الحقيقى " هو رب السماء والأرض " (أع١٧: ٢٤) أما الآلهــة الأخــرى فليس لها سلطان على أى شئ لا فى السماء ولا على الأرض .

---

[٥٧٨] وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني – الدستور الرعوي (٣٦) صـــ ٦٩ .

حـ- الإله الحقيقى " لا يسكن فى هياكل مصنوعة بالأيـادى " (أع ١٧: ٢٤) أمـا الآلهة الأخرى فإن الإنسان يصنعها ويصنع هياكلها التى تسكن فيها .

د- الإله الحقيقى " لا يُخدَم بأيادى الناس كأنه محتاج إلى شئ " (أع١٧: ٢٥) أمـا الآلهة الأخرى فهى صنعة الإنسان التى تعجز عن رفع الأتربة المتراكمة عليها .

هـ- الإله الحقيقى " هو يعطى الجميع حياة ونفساً وكل شئ " (أع ١٧: ٢٥) أمـا الآلهة الأخرى فهى فاقدة الحياة والحس .

و- الإله الحقيقى هو الذى " به نحيا ونتحرك ونُوجَد " (أع ١٧: ٢٨) أمـا الآلهـة الأخرى فهى عاجزة عن الحركة ولا حياة فيها .

ز- الإله الحقيقى هو فوق الأوصاف البشرية والتصورات العقلية " لا ينبغى أن نظـنّ أن اللاهوت شبيه بذهب أو فضة أو حجر نقْش صناعة واختراع إنسان " (أع ٢٧: ٢٩) .

وأخيراً أفصح بولس الرسول عن هدفه وهو أن " الله الآن يأمر جميع الناس فـى كل مكان أن يتوبوا متغاضياً عن أزمنة الجهل (أع١٧: ٣٠) ، وواضح جداً أن بولـس الرسول لم يرَ فى هذه الأصنام أى طريقاً لمعرفة الله بل إذا عدنا إلى نفـس الأصحـاح فإننا نتلامس مع بولس الرسول الذى احتدَّت روحه فيه من أجل عبادة الأصنـام التـى تقود إلى الهلاك الأبدي " وبينما بولس ينتظرهما (سيلا وتيموثاوس) فى أثينـا احتـدَّت روحه فيه إذ رأى المدينة مملوءة أصناماً " (أع١٧: ١٦) فلو كانت هذه الأصنـام تعتـبر طريقاً للخلاص فلماذا احتدَّت روح بولس الرسول ؟!

وفى رسالة معلمنا بولس الرسول لأهل كورنثوس ربط بين عبـادة الأصنـام وعبـادة الشياطين ، وبين ما يُذبَح للأصنام وما يُذبَح للشياطين فيقول " أن ما يذبحه الأمم فإنمـا يذبحونه للشياطين لا لله . فلست أريد أن تكونوا أنتم شركاء الشـياطين . لا تقـدرون أن تشربوا كأس الرب وكأس شياطين . لا تقدرون أن تشتركوا فى مائدة الـرب وفـى مائدة شياطين " (١كو١٠: ٢٠،٢١) ، وجاء فى سفر أخبار الأيام الأول " لأن كل آلهـة الأمم أصنام أما الرب فقد صنع السماء " (١أي١٦: ٢٦) وتكـرَّرت نفـس الآيـة فـى (مز٩٦: ١٥) وفى الطبعة البيروتية جاءت الآية " لأن كل آلهة الأمم شياطين " ، وقـد أرسل الرب يسوع كاروز الأمم ليفتح عيونهم لأنهم يعيشون فى الظلمات تحت سـلطان الشياطين وخطيتهم كامنة داخلهم " أنا الآن أرسلك إليهم لتفتح عيونهم كي يرجعوا مـن

ظلمات إلى نور ومن سلطان الشيطان إلى الله . حتى ينالوا بالإيمان بى غفران الخطايا ونصيباً مع القديسين " (أع٢٦: ١٧،١٨) .

ثالثاً : تاريخ عقيدة خلاص غير المؤمنين

فى حديثنا عن تاريخ عقيدة خلاص غير المؤمنين نستعرض فى عجالة النقاط الآتية :

١- لاهوت الأديان من وجهة نظر كاثوليكية .

٢- خروج عقيدة خلاص غير المؤمنين إلى حيز الوجود .

٣- قرارات المجمع الفاتيكاني الثاني الخاصة بعقيدة خلاص غير المؤمنين والرد عليها.

١-لاهوت الأديان من وجهة نظر كاثوليكية :

يعتقد الأخوة الكاثوليك بأن الله محور جميع الديانات حتى الوثنية وبذلك يمكن لأي إنسان سواء مؤمناً أو غير مؤمن أن يخلُص لأن الله يشاء خلاص الجميع ، فيقول الأب عزيز الحلاق اليسوعي فى مقاله عن التعدُّدية الدينية وعلم لاهوت الأديان : " أن لاهوت الأديان فى الفكر المسيحي (يقصد الكاثوليكي فقط) يستند إلى مقولتين اثنتين يجب التوفيق بينهما . المقولة الأولى هى تأكيد إرادة الله الخلاصية التى تشمل كل البشر والتى تجلت بتجسد الكلمة فى يسوع المسيح بكونه وسيطاً أوحد بين الله والإنسان .. والمقولة الثانية تقول بأن الله بداعي إرادته الخلاصية الشاملة يستعمل طرقاً أخرى نجهلها كى يحقق الخلاص للبشر فى أوضاعهم الخاصة . صحيح أن يسوع هو المخلص الأوحد ولكن كل إنسان يستطيع نيل الخلاص هذا مهما كان وضعه وانتماؤه الديني أو الثقافي . غرس الله فى الأديان والشعوب حقيقته وإرادته اللتين أودعهما الكنيسة . لقد عبَّر المجمع الفاتيكاني الثانى عن هذا الموقف عندما قال " فالكنيسة الكاثوليكية لا تنبذ شيئاً مما هو حق ومقدس فى هذه الديانات ، بل تنظر بعين الإحتَرام الصادق إلى تلك الطرق طرق المسلك والحياة .. " [٥٧٩]

[٥٧٩] هل من خلاص لغير المؤمنين – مؤتمر حول " لاهوت الأديان " صـ٣٤٤

ومن الأشخاص الذين يعتبرهم الكاثوليك أنهم من لاهوتي الأديان أرنست ترولتش ، كارل بارت ، وكارل راهنر ، وهانس كونغ ، وجاك دوبرى ، وكلود جفرة الذين نعـرض لأفكارهم فى لمحات سريعة:

أ- أرنست ترولتش Ernst Troeltch : وهو لاهوتى بروتسـتانتي ألقـى سـنة ١٩٠٢م محاضرة بعنوان " المسيحية فى صفاتها الكونية وتاريخ الأديان " فـأعلن رفضه فى " أن تنسب المسيحية إلى نفسها صفة الأبدية والإطلاق التى تعـود إلـى الله ، كما ترفض (نظرة ترولتش) إدّعاء هيغل أن المسيحية تمثّل قمة التطور الديني لدى البشرية ، فالأديان الأخرى ، وفق التطور التاريخي ، لا تقل فى نظره شأناً عن المسيحية كمكان لتجلّى المطلق .. يجب أن تتخلى المسيحية عن قولها بأنها تمثـل الحقيقة الأبدية الشاملة كليّة التاريخ .. وعندما يقارن ترولتش بين الأديان يعتـبر المسيحية من أرقى أنواع الحياة الدينية المعروفة ويقر للمسيحية بشئ من المطلقية ، ولكن هذه المطلقية لا تعنى شيئاً آخر سوى المفاضلة علـى مسـتوى الاختيـار الشخصي والتجربة الذاتية .

ولكن بعد إثنين وعشرين عاماً يعيد ترولتش صياغة موقفه بصورة أوضـح مركـزاً هذه المرة على الإطار الثقافي فى كل ديانة ، مقرّاً بشمولية المسيحية فى القضـاء الأوربي ، إذ يصعب تصور أوربا من دون المسيحية فهى جزء لا ينفصل عن الثقافة الأوربية ، لذلك هى الديانة المطلقة للإنسان الأوربى .. أن المطلقية مسألة شـخصية ، مما يجعل المقارنة بين الأديان أمراً مستحيلاً ، وإن كان لابد من المقارنة فهى بين الثقافات ، وفى نهاية المطاف فإن الله وحده قادر أن يقارن بين الأديان لأنه هو الذى سمح بتعدديتها " [٥٨٠]

ب- كارل بارت Karl Barth (١٨٨٦-١٩٦٨) : وهو لاهوتي ألماني تأثر بـالأجواء السياسية التى كانت تسود ألمانيا فى خلال الفترة بين الحرب العالمية الأولى والثانية ، فقد كان كثير من البروتستانت الألمان يعتبرون المسيحية مجـرد نتـاج بشـرى والوحي عبارة عن محصلة للمعرفة التاريخية التى جمعها الإنسان عن ذاتـه وعـن الله ، فهاجم كارل بارت هذه الأفكار واعتبرها هرطقة وكارثة لاهوتية ، وميّز كـارل بين الدين والوحي فقال أن الدين يمثل الجهد الإنسانى لمعرفة الله ، أما الوحى فـهو

---

[٥٨٠] المرجع السابق صـ٣٤٥، ٣٤٦ .

المعرفة التى يكشفها الله عن ذاته " أن كلمة الدين مشحونة فى نظريات بعناصر سلبية تدعو إلى الالتباس باعتبار الدين جهداً ونشاطاً إنسانيين للوصول إلى الله وإدراكه ، ويتمثل هذا الخطر بأن يستعيض الإنسان عن صورة الله الحقيقية بصورة من صنعه وبنات أفكاره ويرى بارث فى كل ديانة أصناماً تبعد عن الله الحقيقي . لا يستثنى بارث المسيحية من نقده الدين .. أن المسيحية كسائر الأديان ليست فى مأمن من هذا التشويه ، لذلك ينفى بارث وجود ديانة حقيقية " [581]

حـ- كارل راهنز اليسوعي Karl Raher (١٩٠٤- ١٩٨٤) : وهو لاهوتي ألماني ساهم فى صياغة قرارات المجمع الفاتيكاني الخاصة بخلاص غير المؤمنين ، وقد قال عنه الأب عزيز الحلاق " من أبرز الذين ساهموا فى تحقيق الإنعطاف الحاسم فى موقف الكنيسة الكاثوليكية من الأديان الآخرى ، إذ اضطلع بدور مهم فى بلورة وصياغة قرارات المجمع الفاتيكاني الثاني حول هذا الموضوع .. ينطلق لاهوت راهنز من حيث ينتهى بارث ، فهو يقر استناداً إلى تعاليم المجمع الفاتيكاني الثاني بالقيم الأخلاقية والروحية والثقافية لدى الأديان الأخرى ، بل يؤكد أن الأديان غير المسيحية يمكن أن تكون طريق لخلاص إتباعها ، وهذا معناه أن نعمة الله تصل أيضاً خارج الكنيسة وأن غير المسيحيين يمكن أن يخلُصوا بطرقهم الخاصة حتى إذا لم يعرفوا المسيحية .. يقر راهنز أنه من المستحيل حتى من الناحية اللاهوتية الحكم على الملايين بالهلاك لمجرد انتمائهم إلى ديانة غير المسيحية .. فهناك وسائل مختلفة للخلاص " [582]

د- هانس كونغ Hans Kang : وهو لاهوتي ألمانى أراد وضع مشروع إخلاقي شمولي تقبله وتخضع له كل الأديان ، وقد قال عنه الأب عزيز الحلاق " فبعد أن نشر كونغ سنة ١٩٨٥م كتابا يجمع عرضا لعقائد البوذيَّة والهندوسيَّة والإسلام كما يفهمها اصحابها ، أصدر سنة ١٩٩٠ كتاباً يحمل عنوان " مشروع لأخلاق شمولية " كمحاولة لإيجاد قاسم مشترك بين الأديان التى أصبحت موجودة جنباً إلى جنب فى المدن الكبرى الأوروبية والأمريكية . يطرح كونغ مشروعه هذا بديلاً من المحاولات السابقة التى طرحت قضية العلاقة بين الأديان .. أن التعايش بين الأديان المختلفة

---

[581] المرجع السابق صـ٣٤٦، ٣٤٧ .

[582] المرجع السابق صـ٣٤٩ .

يجب أن يقوم على أساس قانون مشترك يخضع له الجميع ، ولكن مثل هذا القانون يتطلب وجود قيم وقواعد ومعايير أخلاقية يقر بها الجميع . من هنا الضرورة لمشروع أخلاقي شمولي يقوم على أسس أخلاقية يقبل بها الجميع على الرغم من الإختلافات العقائدية بين الأديان ، بدون أن يلغى ذلك النواحى الأخلاقية بكل دين .. ولكن ردود الفعل إزاء هذا المشروع كانت متباينة ، فقد لاقى استحساناً وتأييداً من بعضهم وقوبل بالاستهجان والتنديد من بعضهم الآخر خاصة من قبل الباحثين غير المسيحيين إذ رأوا فيه مشروعاً امبرياليا جديداً يتستر تحت قناع اللاهوت " [٥٨٣]

هـ- جاك دوبوي Jacques Dupuis : وهو بلجيكي الأصل ، ودرس في الجامعة الغريغورية في روما سنة ١٩٩٦م بعد أن عاش في الهند نحو ثلاثين عاماً أطلع فيها على العبادة الهندوسية وتحاور مع أتباعها ، وأصدر كتابه الشهير " يسوع المسيح في لقائه مع الأديان " حيث يعتبر سرّ المسيح مركز ومنطلق العلاقة بالآخر فيقول " .. توجد أنواع متعددة من لاهوت الأديان لكل واحد بحسب إيمانه ، فهنالك اللاهوت الهندوسي والبوذى ، وهكذا دواليك ، وأى لاهوت مسيحي للأديان يجب أن يكون منطلقه كريستولوجى ، أى أن فهم الأديان الأخرى مفتاحه سر المسيح لكونه محور الإيمان المسيحي .. (يعلق الأب عزيز قائلاً : هذا المنطق يفتح الباب لوجود لاهوت متعدد للأديان يقر بالفوارق الموجودة بينها ويعكس تعددية التقاليد الدينية لدى البشرية يعكس اللاهوت الموحد الذى يسعى إلى لاهوت شامل يجمع جميع الأديان تحت مظلة واحدة .. لأن لاهوت الأديان غايته البحث عن أسس للشمولية .. عندما يطبق دوبوى هذا المبدأ على لاهوت الأديان المسيحى يعتبر سرّ المسيح هو مبدأ الشمولية ، وليس الكنيسة كما هو شائع فى اللاهوت التقليدى ..) فيقول دوبوى : الشمولية تكمن فى المسيح ، فهو يخص كل الأديان ، بل بالحرى كل الأديان خاصته وفاعل بها بقدر ما هو حاضر وفاعل فى كل البشر ..كما يمكن التعرف أيضا فى كتب الأديان الآخرى ، كلاماً إلهياً لا يخاطب فقط أتباع هذه الديانات بل المسيحيين أنفسهم " [٥٨٤]

كما جاء فى كتاب جاك دوبوى " يسوع المسيح فى لقائه مع الأديان " وتحت عنوان :

---

[٥٨٣] المرجع السابق صـ٣٥٠، ٣٥١ .

[٥٨٤] المرجع السابق صـ٣٥١ ، ٣٥٢ .

المسيحانيّة وتعدد الديانات " أن محاورات الحوار بين الديانات تنطلق من وحدانية المسيح ، والتى تجتهد فى أن تفترض بعض الألقاب المسيحانية الثابتة غير القابلة التغيير ، لن تجد مصيراً سوى الإخفاق ...فعلى سبيل المثال ، يعتقد المسلمون أن المسيح هو نبى خاص حقاً ، فى حين يعتقدون أن محمداً هو " النبى " ، ويقول البوذيون أن يسوع هو مجرد " بوذيتافا " (مؤهل للوحي) فى حين " كوتاما " هو البوذا . حتى أن نظرية اللاهوتي كارل راهنز التى تتكلم عن " المسيحيين المجهولين " كان لها توطئة فى الهندوسية بهدف جمع باقى الديانات تحت سقفها المخلّص . وفى هذه الحالة يصبح يسوع ودغوتاما مثالين هندوسين .. أمام هذا الواقع نعود إلى اقتراح " دى جونج " الذى يدعو إلى خلق صور وسرد أمثال وتأليف قصائد جديدة عن شخص المسيح . يتطلب ذلك فى إطار الديانات غير المسيحية الإنغماس فى الثقافات والتقاليد الدينية المتعددة والمشاركة فيها " [٥٨٥]

وقد أستمد دُوبوى أفكاره " من أعمال اللاهوتي الفرنسي كلود جِفْرِه Claude Geffre المعروف بطول باله فى مجال لاهوت الأديان . ونجد فى كتابه " المسيحية عرضه للتأويل " الخطوط العريضة لأفكاره حول لاهوت الأديان والتى لخصها فى مقالة نشرت عام سنة ١٩٨٥م فى مجلة إسلاموكرستيانا Jslama – Christana (المختصة بالحوار الإسلامي المسيحي) تحت علوان " لاهوت الأديان غير المسيحية بعد مرور عشرين عاماً على المجمع الفاتيكاني الثاني " .. ينتقد جِفْرِه بعض توجيهات لاهوت الأديان لدى الكاثوليك ، تنمو نحو التأكيد على الصفات التى تتفرد بها المسيحية عن بقية الأديان ، ويرى فى ذلك نوعاً من الأحتواء للآخر .. " [٥٨٦]

ويخلُص الأب عزيز الحلاق إلى أن الإنسان يمكنه أن يخلُص خارج نطاق الكنيسة فيقول " أن المسيح هو الطريق الوحيد الذى يعطى من خلاله الله ذاته للبشر ، والمؤمنون من الديانات الآخرى يمكنهم تحقيق هذا اللقاء بصورة ضمنية .. أن الله حاضر لمؤمنى الأديان الأخرى فى ممارسة ديانتهم وإيمانهم ... وهكذا يبقى سر الخلاص واحد ، وهو سر المسيح ، ولكن هذا السر هو بمتناول جميع البشر حتى خارج حدود المسيحية.. أن الله يلتقى بالبشر خارَج المسيحية فى المسيح ولكن وجهه الإنساني

---

[٥٨٥] المرجع السابق صـ٣٦٧ .

[٥٨٦] المرجع السابق صـ٣٥٤ .

يبقى مجهولاً ، أما فى المسيحية فإن لقاء الله والبشر يتم فى وجه يسوع الإنساني ، الذى يعكس صورة الآب . فإن كان الله فى كل ديانة يقترب من الإنسان ، فإن هذا الاقتراب يتحقق فى المسيحية فى إنسانية يسوع المسيح .. أن حضور سر المسيح فى الأديان الأخرى يتطلب من المسيحي انفتاحاً واستقبالاً للآخر بروح التمييز .. وإذا أصبح سر المسيح منطلق لاهوت الأديان ، فيجب أن لا نغفل دور الروح القدس الذى يتجاوز تأثيره حدود الكنيسة إن الروح يعمل فى المؤمنين من الأديان الأخرى . ويقر المجمع الفاتيكاني بهذا التأثير وإن كانت دعوة الإنسان الأخيرة هى حقاً واحدة للجميع ، أى أنها دعوة إلهية ، علينا أن نتمسك بأن الروح القدس يقدم للجميع إمكانية للإشتراك فى سر الفصح بطريقة يعرفها الله وحده " (الكنيسة فى عالم اليوم ٢٢/٥) " [٥٨٧]

تعليق سريع : عجباً ثم عجباً ثم عجباً .. ما هذا الذى نقرأه ولا نصدق أن الكنيسة الكاثوليكية تقرّه ؟! وما هذا الذى نسمعه ولا نصدق أن الكنيسة الكاثوليكية تنطق به ؟! .. تمعّن أيها المسيحي فى هذه العبارات المسمّة :

* كل إنسان يستطيع نيل الخلاص هذا مهما كان وضعه وانتماؤه الديني والثقافي (خارج الكنيسة) .(الاب عزيز-الحلاق اليسوعى)
* فى كل ديانة أصناماً تبعد عن الله الحقيقي ، ولا توجد ديانة حقيقية ولا حتى المسيحية . (كارل بارت)
* الأديان غير المسيحية يمكن أن تكون طريق لخلاص اتباعها ، وأن غير المسيحيين يمكن أن يخلصوا بطرقهم الخاصة حتى إذا لم يعرفوا المسيحية .(كارل راهنز)
* المسيح يخص كل الأديان ، بل بالحرى كل الأديان خاصته .
* المؤمنون من الديانات الأخرى يمكنهم تحقيق اللقاء بصورة ضمنية ، وأن الله حاضر لمؤمني الأديان الأخرى فى ممارسة ديانتهم وإيمانهم .. إن الله فى كل ديانة يقترب من الإنسان . (الاب عزيز الحلاق اليسوعى)

حقاً لو أن الشيطان قال ما قيل لكان هذا أمراً مقبولاً لأنه كذاب وأبو الكذاب يُدعَى ، ولايهمه أمراً مثل إهتمامه بتمييع قضية الخلاص ، وصراع الناس وتضليلهم وإيهامهم أن الله الرحوم الرؤوف لا يمكن أن يُهلك أحداً فكيف يهلك ملايين البشر لأنهم فقط لا ينتموا للمسيحية ؟! ، وأيضاً لو صدرت هذه الأفكار الشيطانية من مفكرين غير

---

[٥٨٧] المرجع السابق صـــ٣٥٧-٣٥٩ .

مسيحيين لصار الأمر مقبولاً لأنهم أبناء إبليس وهو ينطق على لسانهم ، أما كون هذه الأفكار تصدر ممن يدّعوا أنهم مسيحيون وتؤيد الكنيسة الكاثوليكية أفكارهم هذه فهذا مكمن الخطورة ، وكأن بالكنيسة الكاثوليكية تصرخ لائمة الله الذى بذل إبنه بدون أى داع لهذا وتقول له :

ياحسرة على آلام الفادى !! يا حسرة على موت الذلة والازدراء !! ياحسرة على صليب الهوان والعار !! ياحسرة على الله الآب الذى بذل إبنه الحبيب الوحيد بدون مبرّر لهذا !! ياحسرة على الله الذى أعوزته المعرفة والحكمة فضحى بإبنه لينقذ البشرية وهو يدرى أو لا يدرى بأن هناك طرق كثيرة للخلاص ، وأن كل الأديان تؤدى للملكوت مثلما تؤدى كل الطرق إلى روما .. نكتفى بهذا ولك أن تطالع بعض أقوال الكتاب المقدس التى تظهر فساد عبادة الأمم ورفض الله الشديد لها (خر٣٢-لا٢٦: ١ ،٣٠- عد٣٣: ٥٢ - تث١٢: ٢ ،٣) .

٢- خروج عقيدة خلاص غير المؤمنين إلى حيز الوجود :

بالاستعانة بمقال الأب لويس بواسيّه اليسوعي عن الأديان فى نظر المجمع الفاتيكاني الثاني- نصوص وقراءات جديدة نرى أن برلمان الأديان فى شيكاغو سنة ١٨٩٣م سبق المجمع الفاتيكاني فى فكرة خلاص غير المؤمنين ، أما القرارات التى صدرت من المجمع الفاتيكاني فيمكن تتبع جذورها وصدورها وما ترتب عليها فى نقاط بسيطة كالآتى:

أ- كان المطران رونكالي (البابا يوحنا ٢٣ فيما بعد) نائباً رسولياً فى إسطانبول أثناء الحرب العالمية الثانية ، ولاحظ الإضطهاد المرير الذى عانى منه اليهود فى العالم ولا سيما ألمانيا ، وموقف المسيحيين السلبى من هذا ، وعندما تولى هذا الكردينال البابوية وعقد المجمع الفاتيكاني الثانى سنة ١٩٦٢م كلف الكردينال " بيا " Bea بوضع خطوط عريضة لإصدار قرار ينصف اليهود ويعيد لهم كرامتهم الجريحة .

ب- وضع الكردينال " بيا " الخطوط العريضة ، وصيغت وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح وقدمت للمجمع الفاتيكاني سنة ١٩٦٢ م ولكن بسبب ردود الفعل الشديدة فى البلدان العربية سُحبت ، وفى نوفمبر سنة ١٩٦٣م وفى الجلسة الثانية للمجمع نُوقِش الفصل الخاص بالحركة المسكونية وعادت الوثيقة للظهور ، ورفض

الكردينال بيا أي تفسير سياسي لتبرئة اليهود وقال أن هذا النص يُؤخذ على مستوى تاريخ الخلاص ، ورغم أن أساقفة الشرق الكاثوليك وكذلك أساقفة آسـيا وأفريقيـا اعترضوا على هذا وقالوا أن هناك أديان كبيرة أخرى في العـالم غـير المسـيحية واليهودية مثل الإسلام إلاّ أن الوثيقة ظهرت إلى حيز الوجود .

حـ- عندما تولى البابا بولس السادس كرسي البابوية الرومانية عوضاً مـن سـلطة يوحنا الثالث والعشرين أصدر " الرسالة العامة " Eccelesiam Suam التى أكـد فيها أنه " من واجبنا أن نُظهِر يقيناً بأن الدين الصحيح هو واحـد ، وبإنـه الديـن المسيحي ، وأن نعلّل النفس بأن نرى جميع الذيـن يبحثـون عـن الله ويعبدونـه يعترفون بأنه الدين الصحيح " وبذلك ظهر رفض البابا بولس السـادس اعتبـار أى ديانة أخرى غير المسيحية . تصلح أن تكون واسطة للخلاص ، ولكن عندما زار هذا البابا الأراضي المقدسة فى يناير سنة ١٩٦٤م ، وتبلورت أفكار وقرارات المجمـع الفاتيكاني فى عقيدة خلاص غير المؤمنين وافق عليها البابا ، وأنشأ فى مايو سـنة ١٩٦٤م أمانة سر الأديان غير المسيحية بهدف الحوار مـع الديانـات الأخـرى ، وصدرت الرسالة العامة فى أغسطس سنة ١٩٦٤م تؤكد على ضرورة الحوار بيـن الأديان ، وبذلك تطورت الفكرة من النظرة إلى الديانة اليهودية إلى النظـرة لكافـة الأديان ، ولا سيما عقب الرحلة التى قام بها البابا بولس السادس فى ديسمبر سـنة ١٩٦٤ إلى بومباى وانفتح فيها على أديان آسيا .

د- فى أكتوبر سنة ١٩٦٥م أقرَّ المجمع الفاتيكاني فى جلسته الرابعة الفصـل الخـاص بعلاقات الكنيسة بالأديان غير المسيحية بموافقة ١٧٦٣ صوتـاً واعـتراض ٢٥٠ صوتاً ، ويعترف الأب لويس بأن هذا القرار جاء نتيجة مسيرة مضطربة (هـل مـن خلاص لغير المؤمنين ؟ – مؤتمر حول " لاهوت الأديان " صـ٣١٨،٣١٩) أما بنيـة النص فجاءت كالآتى : فى المقدمة (ف٢ من الدستور العقائدي للكنيسة نور الأمـم وشعب الله ، يؤكد على " أن جميع الشعوب يؤلفون جماعة واحـدة . فـإن النـاس ينتظرون من مختلف الأديان الجواب عن ألغاز الوضع البشرى المسـتترة" والفقـرة الثانية تشير إلى الإعتراف بألوهة فى تعبير طبيعي أو مادي ، والأديان التى تنـدرج فى حضارت قديمة كالهندوسية والبوذية . أما القسم الثالث فيشير للإسـلام وبـأن أتباعه يؤمنون بالإله الواحد ويسعون بكل قواهم للخضوع لقراراته ، والقسم الرابـع

يشير لارتباط الشعب اليهودى بشعب الله ورفض اتهامهم إجمالاً بالمسئولية عن صلب المسيح ، وفى الفصل (١٦) يتحدث الدستور العقائدي عن الذين لم تبلغهم رسالة الإنجيل بل " هم مُوجَّهون نحو الله " فيرى أن التطلع إلى الخير يعتبر استعداد إنجيلي لهم .

وهكذا بعد أن كان المقصود هو النظر إلى اليهود واليهودية انفتح المجمع على الإسلام والهندوسية والبوذية .

هـ- أنفتح المجمع الفاتيكاني الثاني الانفتاح على الديانات الأخرى ففى سنة ١٩٧٤م انعقد سينودس حول موضوع " إعلان البشرى " أشار إلى الانفتاح على سائر الأديان وتوجه الإعلان بالبشرى إلى أصحاب الديانات الأخرى ، ووصف هذه الديانات بأنها " تحمل فى طياتها صدى ألوف السنين فى إلتماس وجه الله .. والتى زَرَعَ فيها عدد لا يحصى من بذور الكلمة " [٥٨٨] ، وكان الأسقف المسئول عن التقرير اللاهوتي لهذا المجمع هو يوحنا بولس قبل باباويته ، والذى واصل بعد باباويته المسيرة تجاه الانفتاح على الأديان الأخرى ، فقام بعدَّة رحلات وصفها أنها حجّاً إلى شعب الله الذى يمثل جميع أبناء البشرية بغض النظر عن معتقداتهم وأديانهم ، فقال عن هذه الرحلات أنها " حجّاً أصيلاً إلى المعبد الحى معبد شعب الله "

JEAN- PAUL II, Discaurs au Sacre Callege et La Curie) [٥٨٩]
(,28 juin 1980, DC,77,1980,P.670

وبذلك لم يكتف بتوجيه خطاب للأديان المختلفة بل تطوَّر الهدف إلى محاولة الحوار مع هذه الأديان ، وفى ٧ مارس سنة ١٩٧٥م أصدر البابا يوحنا بولس الثاني رسالته العامة " فادى الإنسان " وأشار إلى الأديان المختلفة قائلا " أن أعمق طموحات العقل البشرى يتجه بالرغم من إختلاف الطرق اتجاهاً واحداً ويتجسد فى البحث عن الله وفى الوقت نفسه وبواسطة النزوع إلى الله فى البحث عن بعد البشرية التام ، أى عن معنى الحياة البشرية التام ، " ودعى الشخص المُرسَل للكرازة إلى " إحترام كل ما عمله الروح القدس ، الذى يهب حيث يشاء فى كل إنسان "

(JEAN- PAULII, Éncyelique Redemptor Raminis,13,DC 79,1979,P.307) [٥٩٠]

---

[٥٨٨] هل من خلاص لغير المؤمنين ؟ – مؤتمر حول " لاهوت الأديان " صـــ ٣٢٢ .

[٥٨٩] المرجع السابق صـــ٣٢٣ .

[٥٩٠] المرجع السابق صـــ٣٢٤ .

و- ومازالت روما فى مسيرتها تجاه قضية خلاص غير المؤمنين ففـى سـنة ١٩٨٤م أصدرت أمانة السر لغير المسيحيين وثيقتها " أفكار وتوجيهات " التى تلقى الـضوء على الحوار والإرساليات وجاء فيها " كل إرسالية لا تكون مُشبعة بـروح الحـوار تكون مخالفي لما تقتضيه الطبيعة البشرية وتعـاليم الإنجيـل " [٥٩١] ، وفـى سـنة ١٩٨٥م وبمناسبة مرور عشرين عاماً على ختام المجمع الفاتيكـاني الثـاني عُقِـد سينودس غير عادى دعى إلى ضرورة مراعاة أديان آسيا مثل البوذية والهندوسية ، وفى رسالة رسولية للبابا يوحنا بولس إلى جميع شبان العالم بمناسبة إعلان الأمـم المتحدة إعلان سنة ١٩٨٥م سنة الشبيبة قال البابا " وأنَّا نجد بين أتباع الأديان غير المسيحية على الأخص البوذية والهندوسية والإسلام ، منذ آلاف السنين جماعة من " الروحيين " الذين غالباً ما يتخلون عن كل شئ منذ عهد الشباب ، ليعتنقوا حالـة الفقر والعفة ، بحثاً عن المطلق الكائن وراء المظهر المحسوس ، وهم يسعون إلـى إدراك حالة من الحرية الكاملة ، لاتذين بالله بدافع عن المحبة والشفقة عاملين مـن صميم القلب على الانقياد لأوامره الخفيَّة .. وهم يسعون إلى الهدف بكل قواهم ، عـن طريق الممارسة والتدريب تنقية لنفوسهم بغية وقف حياتهم أحياناً على الألوهيـة.." [٥٩٢]، وفى ١٩ أغسطس من نفس عام ١٩٨٥م تحدث البابا يوحنا بولس الثانى إلـى ٨٠ ألف شاب مسلم اجتمعوا فى ملعب الدار البيضاء بالمغرب بناء على رغبـة الملـك حسن الثاني ، فدعاهم البابا إلى شهادة مشتركة مع المـسيحيين وقـال " علينـا أن نشهد لبحثنا المتواضع عن مشيئته ، فهو الذى يجب أن يُلهِم التزامنا من أجل عالم أكثر عدالة وأشد اتحاداً " (Islama-Christana 11,1985,P.195) [٥٩٣]

"وعدَّت الصلاة الختامية عن إحترام الإله الواحد وعبادته فى ألفاظ تستطيع الـصلاة الإسلامية أن تشارك فيها" [٥٩٤]

وفى ٢٧ اكتوبر سنة ١٩٨٦م وبمناسبة السنة العالمية للسلام التى اعلنتها الأمم

---

[٥٩١] المرجع السابق صــ٣٢٦ .

[٥٩٢] رسالة رسولية إلى جميع شبان العالم صــ٢٨،٢٩ .

[٥٩٣] هل من خلاص لغير المسيحيين ؟ مؤتمر حول لاهوت الأديان صــ٣٢٣ .

[٥٩٤] المرجع السابق صــ٣٢٣ .

المتحدة التقى البابا يوحنا بولس الثاني بابا روما مع ١٥٠ شخصاً يمثلون إثنى عشر تياراً دينياً للصلاة من أجل السلام في أسيزي ، البلدة التي خرج منها فرنسيس الاسيزي ، وصلى كل واحد بحسب عقيدته الخاصة ، وخرج البابا يوحنا بولس واعتبر أن هذه الصلاة نابعة من الروح القدس على فم جميع المؤمنين في جميع الأديان فقال " كل صلاة أصيلة تأتي من الروح القدس الحاضر سرًيا في قلب كل إنسان " [٥٩٥] ويقول الأب عزيز الحلاق عن هذا اللقاء " أن لقاء أسيزي كان لقاءاً صامتاً ، ولكن هذا الحوار الصامت كان ابلغ من كل الخطب لأنه جميع المؤمنين معاً في حضرة الله . مما لاشك فيه أن الحوار بين الأديان له عدة مستويات ، ولكن يجب أن يـ في نهاية المطاف إلى طرح التساؤل عن المصير الإنساني الذي يشغل جوهر رسالة كل دين ، والذي يعبر عنه الفكر اللاهوتي المسيحي بقضية الخلاص ، أي هل هناك خلاص خارج حدود المسيحية ، وهل تقود الأديان الأخرى اتباعها نحو الخلاص ؟ " [٥٩٦]

وفي سنة ١٩٨٨م غيَّر الفاتيكان إسم " أمانة السر لغير المسيحيين " إلى " المجلس البابوي للحوار بين الأديان " ، وفي ٧ ديسمبر سنة ١٩٩٠م وبعد مرور ربع قرن على المجمع الفاتيكاني دعى البابا من خلال رسالته العامة " رسالة الفادى " الكنيسة كلها إلى تجديد التزامها الإرسالي ، وانفتاحها على جميع الثقافات والأديان .

٣-قرارات المجمع الفاتيكاني الثاني الخاصة بعقيدة خلاص غير المؤمنين والرد عليها :

أقرَّت وثائق المجمع الفاتيكاني عقيدة خلاص غير المؤمنين في عدَّة مواضع ، فأعتبر المجمع أن غير المؤمنين يدخلون في تعداد شعب الله سواء اليهود أو المسلمين أو الوثنيين وأن الخلاص في متناول أيديهم فيقول " ووحدة شعب الله الجامعة هذه يسعى إليها بطرق شتى المؤمنون الكاثوليك أو سائر المؤمنين بالمسيح أو جميع الناس بوجه عام المدعوين بنعمة الله إلى الخلاص . بهذا شاء المجمع أن يعلن ما تعلمه الكنيسة بصريح العبارة أن الخلاص هو في متناول جميع من هم من ذوي الإرادة الحسنة ، ومن

---

[٥٩٥] المرجع السابق صـ٣٢٣ .

[٥٩٦] المرجع السابق صـ٣٤٠ .

ينتمون بشكل أو بآخر إلى مجموعة شعب الله وبهذا أراد أن يلفت الإنتباه إلى أن الأخوة المنفصلين عن الشركة التامة مع كرسي روما ، وأولئك الذين ينتمون إلى الديانات غير المسيحية ، هم أيضا يملكون حقائق وعندهم كنوز .. وهناك أناس يتجهون صوب الله من نواحى شتى من بينهم ذلك الشعب (اليهودي) الذى قبل المواعيد وأعطى العهود والذى ظهر المسيح منه بحسب الجسد ، وأيضاً أولئك (المسلمون) الذين يعترفون بالخالق ، ويؤمنون إيمان إبراهيم ، ويعبدون الإله الواحد الذى سيدين البشر فى اليوم الأخير ، وأخيراً يقول المجمع أن الكنيسة ليست بعيدة عن أولئك (الوثنيين) الذين يفتشون عن الله من وراء الصور والظلال ويجهلون بدون قصد إنجيل المسيح وكنيسته . فهؤلاء ليس الخلاص ببعيد عنهم ، وهم يحاولون أن يتمّموا مشيئة الله التى وضعها فى ضمائرهم . وما هو حسن عندهم تعتبره الكنيسة تهيئه لقبول النعمة والدخول فى حوار معها والتجاوب مع ندائها "[٥٩٧]

وفى البند (١٦) من نفس الدستور العقائدي الصادر فى ٢١ نوفمبر سنة ١٩٦٤م ورد الآتى :

" ١٦- روابط الكنيسة مع غير المسيحيين : أما الذين لم يقبلوا الإنجيل بعد ، فإنهم متجهون نحو شعب الله بطرق مختلفة (راجع القديس توما المجموعة اللاهوتية الجزء الثالث السؤال الثامن البند الثالث الإجابة على السؤل الأول) ، وأولهم ذلك الشعب (اليهودى) الذى أعطى العهود والمواعيد وكان منه المسيح بحسب الجسد (رو٩: ٤،٥) ذلك الشعب المختار المحبوب من أجل الآباء لأن مواهب الله ودعوته هى بلا ندامة (رو١١: ٢٨،٢٩) وتدبير الخلاص يشمل أيضاً الذين يعترفون بالخالق وفى طليعتهم المسلمون الذين يعلنون تمسكهم بإيمان إبراهيم ، ويعبدون معنا الإله الأوحد الرحيم الذي سيدين البشر فى اليوم الأخير ، أما الذين يتلمسون الإله المجهول من خلال الظلال والصور (أي الوثنيين) ، فالله عينه ليس ببعيد عنهم لأنه يعطى الجميع حياة ونفساً وكل شئ (أع١٧: ٢٥-٢٨) وبوصفه المخلص يريد أن جميع البشر يخلصون (١تي٢: ٤) فالذين يجهلون بلا ذنب منهم إنجيل المسيح وكنيسته ، ويبحثون عن الله بقلب مخلص ، ويسعون بأعمالهم تحت تأثير النعمة إلى إتمام مشيئته الظاهرة لهم فيما يمليه عليهم ضميرهم ، يستطيعون أن يصلوا إلى الخلاص الأبدي (تعليمات مجمع

---

[٥٩٧] وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني – دستور عقائدى (٢) صـ ٣١٠،٣١١ .

التفتيش المقدس إلى رئيس أساقفة بوسطن ، راجع دانزنجر ٣٨٦٩-٣٨٧٢) والعناية الإلهيَّة لا تحرم من العون الضرورى للخلاص الذين لم يبلغوا بعد ، بلا ذنب منهم إلـــى معرفة الله معرفة واضحة ويسعون بنعمة إلهية إلى حياة قويمة . فكل ما كان عندهم من خير وحق تعتبره الكنيسة بمثابة تمهيد للإنجيل (راجع أوسابيوس القيصرى الإعداد الإنجيلي ، آباء الكنيسة اليونانية ٢١،٢٨، أ-ب) وهبة من لدن من ينير كل إنسان حتى ينال الحيـاة أخيراً لكن البشر وقد خدعهم إبليس كثيراً ما سفَّهوا فى أفكـــارهم وابلـــوا حقيقـــة الله بالباطل ، إذ عاشوا أو ماتوا فى هذا العالم بدون الله ولذلك فالكنيسة إذ تهتم بمجـــد الله وخلاص كل البشر وتتذكر وصية الرب " اكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها " (مـــر١٦: ١٦)- تعمل بهمة فى سبيل تشجيع الإرساليات ومساندتها " [٥٩٨]

وفى تصريح عن علاقة الكنيسة مع الديانات غير المسيحية الصادر فى ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٦٥م جاء فيه :

" ١- تمهيد : فى عصرنا الذى يتزايد فيه يوماً بعد يوم ، إتحـــاد الجنـــس البشـــرى ، وتتوثق بإطراد علاقات الشعوب ، تمعن الكنيسة النظر فيما ينبغى أن تكـــون عليـــه علاقتها بالأديان غير المسيحية .. فالشعوب كلها جماعة واحدة ، أصلـــها واحـــد ، أسكنها الله وجه الأرض كلها (اع١٧: ٢٦) تتجه نحو غاية واحدة قصوى هـــى الله ، الذى يشمل الكل بعنايته وبآيات لطفه وتدابير الخلاص (حكمـــة٨ : ١-أع١٤: ١٧- رو٢: ٦،٧- اتي٢: ٤) حتى يجتمع المختارون فى المدينة المقدسة التـــى يضيئـــها مجد الله ، وفى نوره تسلك الشعوب جميعاً (رؤ٢١: ٢٣) ..

٢- الديانات غير المسيحية : منذ أقدم العصور حتى يومنا ، وعند كل الشـــعوب وُجـــد بعض من أدراك حول القوة الخفية التى تتصل بأحداث الحياة الإنسانية ، وقد يصـــل الإدراك أحيانا إلى معرفة الكائن الأعظم – أو الآب- ومن ثمَ بدت الـــروح الدينيـــة خلال السعى لهذا الإدراك وهذه المعرفة وتمت فى شئ من التعمق .. ففى الهنوكيـــة (الهندوسية) يجتهد الناس لسبر أغوار السر الإلهي معبّرين عن ذلـــك بفيـــض مـــن الخيال والرموز والأفكار الفلسفية فالناس تتوق إلى التحرر من واقع الحياة حيـــث الخوف والقلق حيناً بالاعتزال فى أنماط الزهد والتجرد ، وحيناً بالغوص فى التـــأمل العميق ، أو باستسلام لله فى حب وثقة . والبوذيَّة فى صيغها المتعُددة تعترف بنقص

---

[٥٩٨] وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني – دستور عقائدى " نور الأمم " (١٦) صـــ٣٣٦، ٣٣٧ .

جوهري يشوب كيان عالمنا المتغير ، وترسم طريقاً ليسير عليه الناس بقلب ملــــؤه التقى والثقة للوصول إلى تحرر كامل أو بلوغ ذروة الإشراق السامي بجهد شــخصي أو بعون من فوق ..

والكنيسة الكاثوليكية لا تنبذ شيئا مما هو حق ومقدس فى هذه الديانات ، وبــاحترام صادق تقدر مبادئ العمل والحياة والتعاليم ، تلك التى تحمل قبسا من شعاع الحقيقــة التى تنير لجميع الناس وإن إختلفت فى أمور كثيرة مع ما تقول بـــه وتعلمـــه هــذه الديانات ، غير أنها تبشر وينبغى أن تبشر بلا انقطاع بالمسيح .. مــن أجــل ذلــك تحرّض الكنيسة أبناءها على قبول القيم الروحيَّة والأدبيَّة والاجتماعية والثقافية التى توجد لدى إتباع الديانات الأخرى والمحافظة عليها وإنمائها وذلك بالحوار والتعــاون بكل فطنة ومحبة مع الشهادة للإيمان والحياة المسيحية .

٣-الدين الإسلامي : تنظر الكنيسة بتقدير إلى المسلمين الذين يعبدون الله الواحد الحــي القيوم الرحمن القدير فاطر السموات والأرض (البابا اغريغوريوس السابع ، الرسالة ٢١ إلى الناصر ملك موريتانيا : راجع " الآباء اللاتين ١٤٨ عامود ٤٥٠ .. إلـــخ) الذى كلم الناس .

أنهم يجتهدون فى التسليم بكل نفوسهم لأحكام الله وإن خفيت مقاصده ، كما سلم الله إبراهيم الذى يفخر الدين الإسلامي بالأنتساب إليه ، ورغم أنهم لا يعترفون بيســـوع إلهاً فإنهم يكرّمونه نبياً ويكرّمون أمه العذراء مريم ويذكرونها فى خشوع ..

٤-الدين اليهودي : والمجمع إذ يعلن الفكر فى سر الكنيسة تتراءى له الأوامر الروحيَّة التى تصل شعب العهد الجديد بذرية إبراهيم ، فكنيسة المسيح تعترف بــأن بــاكورة إيمانها ودعوتها لسر الخلاص الإلهي تمتد إلى الآبــاء وإلـــى موســـي والأنبيــاء ، وبأن جميع أتباع المسيح هم أبناء إبراهيم بحسب الإيمان (غل٣: ٧) قـــد شــملتهم دعوته.." [٥٩٩]

وفى أخر الدستور الرعوي عن الكنيسة فى العالم المعاصر الذى صدر سنة ١٩٦٥م أن سر الفصح والاتحاد بالمسيح لا يقتصر على المؤمنين بالمسيح فقط بــل يشــمل جميع الذين لهم إرادة صالحة مهما كانت دياناتهم فيقول " أنه من المؤكـــد علــى المسيحي بحكم الضرورة والواجب أن يحارب الشر على حســـاب متــاعب عديــدة

[٥٩٩] وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني – تصريح عن علاقات الكنيسة مع الديانات غير المسيحية صـــ٤٧١،٤٧٣ .

وتذوق الموت ، ولكنه بوصفه مشتركاً فى سر الفصح ومتحداً بالمسيح فى المـــوت ومُنتشعاً (مُزوَداً) بالرجاء يسير قُدماً نحو القيامة (راجـع فـي٣: ١٠ ، رو٨: ١٧) وهذا الأمر لا يقتصر فقط على المؤمنين بالمسيح ، بل يشـــمل أيضــاً جميــع ذوى الإرادة الصالحة الذى تعمل النعمة فى خفاء قلوبهم (راجع مجمع الفاتيكاني الثـــاني) الدستور العقائدى " نور الأمم " ، الفصل الثانى رقم (١٦) : أعمال الرسل الكرســـي الرسولي ٥٧ (١٩٦٥، صــ٢٠) فيما أنَّ المسيح قد مات للجميع (رو٨: ٣٢) وبمـــا أن الدعــوة الأخــيرة للإنسان وحيدة بل وإلهيَّة فى الواقــع ، فعلينـــا أن نعــى أن الروح القدس يقدم للجميع بطريقة يعلمها الله وسيلة الإشتراك فى سر الفصح "[٦٠٠]

توضيح : دعونا نعيد قراءة بعض العبارات لندرك قصد المجمع الفاتيكاني الواضح فـــى عقيدة خلاص غير المؤمنين :

* " الخلاص هو فى متناول جميع من هم من ذوى الإرادة الحسنة " .
* " أولئك الذين ينتمون إلى الديانات غير المسيحية هم أيضـــاً يملكـــون حقـــائق وعندهم كنوز " .
* " تدبير الخلاص يشمل أيضا الذين يعترفون بالخالق وفى طليعتهم المسلمون " .
* " الذين يتلمسون الإله المجهول من خلال الظلال والصور (الوثنيين) فالله عينـــه ليس ببعيد عنهم " .
* " فالذين يجهلون بلا ذنب منهم إنجيل المسيح وكنيسته ويبحثون عن الله بقلـــب مخلص .. يستطيعون أن يصلوا إلى الخلاص الأبدي " .
* " وقد يصل الإدراك أحياناً (بدون المسيح) إلى معرفة الكائن الأعظـــم .. ففـــى الهندوسية يجتهد الناس لسبر أغوار السر الإلهي .. أو البوذية .. نرسم طريقاً ليسير عليه الناس بقلب ملؤه التقى والثقة للوصول إلى تحرر كامل او بلـــوغ ذروة الإشراق السامي " .
* " والكنيسة الكاثوليكية لا تنبذ شيئا مما هو حق ومقدس فى هذه الديانات " .
* سر الفصح والاتحاد بالمسيح " لا يقتصر فقط على المؤمنين بالمسيح بل يشـمل أيضا جميع ذوى الإرادة الصالحة .. أن الروح القدس يقدم للجميـــع بطريقـــة يعلمها الله وسيلة الإشتراك فى سر الفصح "

---

[٦٠٠] وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني – الدستور الرعوي رقم (٢٢) صـــ٥٨ .

ودعونا بعد قراءة هذه العبارات أن نتساءل :

- كيف نوفق بين العبارات السابقة وبين الآيات الصريحة التي تشترط ضرورة الإيمان للخلاص " الذى يؤمن بالإبن له حياة أبدية والذى لا يؤمن بالإبن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله " (يو٣: ٣٦) ؟
- وكيف نوفق بين العبارات السابقة وبين إعلانات الرب يسوع انه بدون المعمودية لا يقدر أحد أن يعاين أحد ملكوت الله (يو٣ :٥،٣) ؟
- كيف نوفق بين العبارات السابقة وبين إعلانات الرب يسوع بأن من لا يأكل جسده ويشرب دمه فلن يرى حياة أبدية (يو٦: ٥٣) ؟
- ومادام الجميع سيخلصون فما الداعى للكرازة بالإنجيل ؟ ولماذا تحمَّل الآباء الرسل الأسفار والأتعاب وسفك الدماء ؟ وما الداعى للآلام التى تعرض لها بولس كاروز الأمم من ضرب وجلد ورجم ومخاطر الطريق والبحر .. إلخ (٢كو١١: ٢٣-٢٨)

وما معنى قوله " الذى فيه أحتمل المشقات حتى القيود كمذنب لكن كلمة الله لا تقيد . لأجل ذلك أن أصبر على كل شئ لأجل المختارين لكى يحصلوا هم أيضاً على الخلاص الذى فى المسيح يسوع " (٢تي٢ :٨-١٠) .

- وكيف نوفق بين العبارات السابقة وبين الآيات العديدة التى تدين عبادة الأصنام المرذولة :

* على جبل الشريعة فى الوقت الذى أعلن فيه الرب عن نفسه أنه إله رحيم ورؤوف بطئ الغضب وكثير الأحسان ، جاءت وصيته لموسى حازمة قاطعة " إحترز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض التى أنت آتٍ إليها لئلا يصيروا فخاً فى وسطك .. إحترز أن تقطع عهداً مع سكان الأرض فيزنون وراء آلهتهم ويذبحون لآلهتهم فتدعى وتأكل من ذبيحتهم . وتأخذ من بناتهم لبنيك . فتزنى بناتهم وراء آلهتهنَّ ويجعلن بنيك يزنون وراء آلهتهنَّ " (خر٣٤: ٦-١٦) .
* " يخزى كل عابدي تمثال منحوت المفتخرين بالأصنام " (مز٩٧: ٧) .
* " اختلطوا بالأمم وتعلّموا أعمالهم . وعبدوا أصنامهم فصارت لهم شركاً .. وتنجسوا بأعمالهم وزنوا بأفعالهم فحمى غضب الرب على شعبه وكره ميراثه " (مز١٠٦: ١٩-٢١ ، ٣٥ : ٣٩) .

* " لا تضلوا لا زناة ولا عبدة أوثان ولا فاسقون ولا مأبونون .. يرثون ملكــوت الله " (١كو٦: ٩ ، ١٠) .
* "وأيه موافقة لهيكل الله مع الأوثان .. لذلك إخرجوا من وسطهم واعتزلوا يقول الرب ولا تمسوا نجسا فأقبلكم " (٢كو٦: ١٦) .
* " وأعمال الجسد ظاهرة التى هى زنى عهارة نجاسة دعارة عبادة الأوثان سحر .. أن الذين يفعلون مثل هذه لا يرثون ملكوت السموات " (غل ٥: ٢١) .
* " أيها الأولاد احفظوا أنفسكم من الأصنام " (١يو٥: ٢١) .
* " وأما الخائفون وغير المؤمنين والرجسون والقــاتلون والزنــاة والــسحرة وعبَّــدة الأوثان وجميع الكذَبة فنصيبهم فى البحيرة المتقدة بنار وكبريت الذى هــو المــوت الثاني " (رؤ٢١: ٨) .

وبهذا منع مجمع أورشليم ليس عبادة الأصنام بل الأكل مما ذُبح للأصــنام " فقــد رأى الروح القدس ونحن أن لا نضع ثقلا أكثر غير هذه الأشياء الواجبة أن تمتنعوا عما ذُبح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنى .. " (أع١٥: ٢٨ ، ٢٩) ومــن أجــل رفــض عبادة الأصنام ضحى ملايين الشهداء بدمائهم ليحفظوا لنا الإيمان المستقيم ، فهل يصل الإنفتاح بالكنيسة الكاثوليكية إلى هذه الدرجة التى تعتبر فيها أن الوثنيين سيخلصون ؟!

وما مفهوم الإرادة الصالحة عند الوثنيين ؟ وما هى الكنوز التــى لــديهم ؟ وهــل عبادتهم للأصنام الشيطانيَّة تدخل ضمن الإرادة الصالحة ؟ ولو أن الروح القدس يعمــل فيهم للاشتراك فى موت المسيح فلماذا لا يقودهم للإيمان بالمــسيح ليخلــصوا وينــالوا مغفرة الخطايا ؟!

ولا أدرى كيف نقدر أن نقبل قول المجمع الفاتيكاني بأن الإنسان يُمكّنه بالإدراك أن يصل إلى معرفة الكائن الأعظم ، وبالهندوسيَّة يسبر الإنسان أغوار السرّ الإلهى ، وعن طريق البوذيَّة يبلغ ذروة الإشراق .. بينما كلام السيد المسيح واضح وقاطع وصريح أن الإنسان يستحيل عليه معرفة الآب إلاَّ بالابن " قال له يسوع أنا هــو الطريــق والحــق والحياة . وليس أحد يأتى إلى الآب إلاَّ بي " (يو١٤: ٦) .

وما أعجب العبادات الهندوسيَّة التى تؤمن بتعدد الآلهة وتناسلها وأن هناك آلهــة للخير وأخرى للشر لا تكف عن الصراع معا وبعض هذه الآلهة نصفها ثعابين ونــصفها إنسان ، فيؤمنون بالإله براهما ذو الأربعة وجوه وامرأته ، والإله جبــشنا وامرأتــه ،

والإله شيفا إله القحط والدمار وغيرهم ممن تدور حولهم روايات خيالية ، فمثلا يعتقدون أن الزمن قد دار للآن عشر دورات ، وفي كل مرة تعود أرواح الكائنات التي ماتت وتتجسد مرة أخرى (تناسخ الأرواح) وبناء على حصيلة الأعمال التي قامت بها الروح في الدورة السابقة تُنقَل إلى حالة أفضل أو أدني ، فقد ترتقى الروح من روح كلب إلى روح حصان ، وقد تتدنى من روح إنسان إلى روح حمار أو صرصار .. ومن قصص عائلة الآلهة الهندوسيَّة أن الإلهة يرفانا أحبت شيفا إله القحط والدمار ، فأرسلت إليه إله الحب لكى يضربه بسهم الحب لكى يسقط في حب يرفانا ، فاغتاظ شيفا من إله الحب وأحرقه ، فغضبت يرفانا لأن محاولتها لحب شيفا قد باءت بالفشل وحزنت ، وأخذت تبكى ، ثم ارتدت ثياب راهبة ناسكة وعاشت فى الجبل المجاور لشيفا الذى رآها فى ثياب الرهبنة فسقط فى حبها ، وتزوجها ، وانجب منها جنيشا واخيه ثم أوصت يرفانا إبنها جنيشا أن يقف على باب حجرتها ولا يسمح لأى رجل بالدخول إليها ، فعندما جاء أبوه شيفا وأراد الدخول إلى يرفانا منعه إبنه جنيشا فغضب عليه أبوه وأحرق رأسه فمات ، فحزنت يرفانا وخاصمته ، ولكيما يصالحها شيفا أرسل خدامه وأوصاهم أن يحضروا له رأس أى كائن حي متجه للشمال ، فوجد الخدام فيل إندرا متجها للشمال فقطعوا رأسه وأحضروها للإله شيفا الذى أخذها ووضعها على جسد إبنه جنيشا وأعاده الحياة ثم قام بتعيّينه إله الحظ والحكمة .

ولكيما يثبت البابا يوحنا بولس الثانى قبوله وإيمانه بأقوال المجمع الفاتيكاني الثانى الخاصة بخلاص غير المؤمنين يقول نيافة الأنبا بيشوى مطران دمياط وسكرتير المجمع المقدس ورئيس دير القديسة دميانة " أن بابا روما يوحنا بولس الثانى وضع تمثال " بوذا " على المذبح فى روما فى الفاتيكان ، والكهنة البوذيون كانوا يصلون على مذبح الكنيسة الكاثوليكية فى روما .. فى الهند أخذ بابا روما علامة شيفا بواسطة كاهنة من كهنة شيفا ، وهو فى طريقة إلى صلاة القداس ومعه الكهنة والشمامسة وحوالى ٣٠٠ ألف يصلون فى القداس فى الهواء الطلق . لقد أخذ بركة الإله شيفا على جبهته بعد أن أخذ مسحة الميرون المقدس وهو طفل فى فنلندا !!! " [٦٠١]

[٦٠١] محاضرة الكلية الاكليريكية الإسكندرية في ١٩٩٨/٣/١٩ لنيافة الأنبا بيشوى .

رابعا : هل توافق الكنائس الأخرى على عقيدة خلاص غير المؤمنين ؟

لا توجد كنيسة مسيحية غير كاثوليكية تؤمن بخلاص غير المؤمنين خارج دائـرة المسيح سواء من الكنائس الأرثوذكسية ، أو الروم الأرثوذكس ، أو أحد من الطوائـف البروتستانتية المختلفة وإليك حوار بسيط [٦٠٢] أجراه الأب فاضل سيداروس اليسوعي مع كاهن من الأرمن الأرثوذكس (يشار إليه بحرف أ) وآخر من السريان الأرثوذكس (يشار إليه بالحرف س) وثالث علمانى قبطى أرثوذكسي ملتزم لاهوتيًا فى كنيسته (يشار إليـه بالحرف ق) حيث عرض الأب فاضل الحوار على شكل اسئلة ، وكانت النتيجـة إجمـاع الطوائف الثلاث على رفض عقيدة خلاص غير المؤمنين ؛ فرداً على السؤال الأول بشأن خلاص غير المؤمنين جاءت الإجابات كالتالى :

(أ) : الحق يقال أننا لا نشد على عدم خلاص غير المسيحيين بقدر مـا نركـز علـى الخلاص بيسوع المسيح وهذا ما نُعلّمه فى عظاتنا وفى مدارسنا .

(س) :١- أن اليهود يرشّون الشعب بدم الذبائح الحيوانية لمحو خطاياهم ، وأمّا نحن فنخلص بدم المسيح . أن خلاصنا بصليب المسيح ، ويقـرُّ المسـلمون أن المسيح لم يُصلب بل صُلب أحد تلاميذه .

٢- بدون الإيمان بالمسيح إبن الله الحي لا يمكن دخول ملكـوت الله ولا نيـل الحياة . وأما اليهود والمسلمون فلا يعترفون بأن المسيح إبن الله .

٣- أن حياة المسيح تُمنح من خلال الأسرار التى تهب نعم المسـيح والـروح القدس : المعمودية والميرون والأفخارستيا " إن لم تأكلوا جسد إبن الإنسان وتشربوا دمه فلن تكون فيكم حياة " (يو٦: ٥٣) وكذلك من لا يعتمد ..

٤- غير أن الخلاص للجميع [يقصد لكل من يؤمن بابن الله] .

(ق) :١- المسيح هو الطريق الوحيد إلى الخلاص . ولا يتطرق الكتاب المقدس إلـى وسيلة أخرى أو طريق آخر يختص بالذين لايؤمنون بالمسيح .

٢- لابد من الإيمان ، لا الإيمان النظري ، بل ممارسة الأسرار ولا سيما

---

[٦٠٢] هل من خلاص لغير المسيحيين – مؤتمر حول " لاهوت الأديان " –خلاص غير المؤمنين فى نظر بعض اللاهوتيين الأرثوذكس صـ٣٢٩-٣٣٨ .

المعمودية والتوبة .

وبشأن السؤال الثانى عن دور شريعة غير المسيحيين وضميرهم حسب قول معلمنا بولس الرسول " . فالوثنيون الذين بلا شريعة إذ عملوا بحسب الطبيعة ما تأمر به الشريعة ، كانوا شريعة لأنفسهم ، هم الذين لا شريعة لهم فيدلون على أن ما تأمر به الشريعة مكتوب فى قلوبهم أو تشهد له ضمائرهم وأفكارهم ، فهى تارة تشكو وتارة تدافع عنهم .. " (رو٢: ١٢-١٦) جاءت الإجابات كالتالى :

(أ) : المشكلة الاعتماد على آية وترك سائر الآيات . ثم لا ننسَ أن بولس أراد أن يكون " يهودياً مع اليهود ، ويونانياً من اليونانيين " ليربحهم للمسيح فيخلصوا . فلا عجب بالتالى إذا تقرب إليهم .

(س) : .. اليهود أيضا فسدوا .. فأنزل الله عليهم الشريعة الموسوية – أى الوصايا العشر – وهى شريعة طبيعيه ، وأما الوثنيون فضميرهم بمثابة الشريعة ، ومن جهة أخرى كتب بولس ذلك عندما لم تصل البشارة بعد إلى الجميع ، فهم بالتالى يُدانون بحسب شريعتهم أو بحسب ضميرهم . وأما الآن فقد وصلت البشارة إلى جميع الناس .

(ق) : لم يقصد بولس فى هذا النص خلاص غير المسيحيين بل إدانتهم ، فالشريعتان – اليهودية والطبيعية – لا تستطيعان أن تُوصّلا إلى الخلاص ، فكل ما بوسعهما أن تقوما به أن تُعِدّا للإيمان – لا للخلاص – شأنهما شأن الطبيعة التى خلقها الله ، أو الكرازة التى يكرزها الكارزون . فليست هناك وسيلة للخلاص إلاّ عن طريق المسيح .

وبشأن السؤال الثالث عن قيام غير المسيحيين بأعمال الرحمة ألا تكفى لخلاصهم بدليل قول الرب يسوع " رثوا الملكوت المُعَد لكم منذ إنشاء العالم . لأنى جُعتُ فاطعمتونى .. كل ما فعلتم لأحد هؤلاء الصغار إخوتى فلي قد فعلتم .. " (مت٢٥: ٣٤-٤٠) وجاءت الإجابة كالتالى :

(ق) : لا يمكن أن تكون الأعمال سبباً للخلاص إن لم تقترن بالإيمان . إن لم يُذكَر هنا الإيمان ، فلأنه لا يُذكَر فى جميع الآيات بل هو ضمني . إن الأعمال هنا هى إيمان عملى (وبوجه عام) يمكن القول أن الأعمال لا تؤدى إلى الخلاص إنما تُعِد للإيمان ، شأنها شأن الشريعتين والطبيعة والكرازة .

وبشأن السؤال الرابع عن مصير أربعة مليارات من البشر غير المسيحيين لا يعرفوا المسيح ولا ينتموا إلى الكنيسة بالمعمودية هل يهلكون هلاكاً أبدياً رغم أن الله يريد خلاص جميع البشر وحياتهم ، وجاءت الإجابات كالتالى :

(أ) : لا يحق لنا أن نحكم عليهم ، فالدينونة لا تخصنا بل تخص الله الذى يفعل ما يشاء ، فعدله لا يكفى بل هناك رحمته أيضاً . وربما سنفاجأ فى يوم الدينونة (بخلاصهم) فالباب مفتوح ، وإن أغلقنا (عليهم باب الخلاص) اغلقناه على أنفسنا . فنحن لا نعرف ما وراء الحائط وما وراء البناية .. وقد يكون (فى السماء) أناس (غير مسيحيين) أكثر منا (نحن المسيحيين) . لن يُفهم ذلك إلاّ فى اليوم الأخير .

[تعليق : هذا أسلوب تشكيك يتعارض مع آيات الكتاب ومع عقيدة الروم الأرثوذكس ، بل ومع أقوال هذا الأب الأرمني التى قالها منذ قليل]

(س) : أن الله لا يُريد موت الخاطئ بل خلاصه .. وفى سبيل ذلك :

١- أحبَّ البشر حتى إشترك فى طبيعتنا (متجسده) ليُشركنا فى طبيعته (الإلهية)

٢- نزل إلى الهاوية (بعد موته وقيامته) ليُخلّص الموتى الذين كانوا فى قبضة الشيطان .

[تعليق : السيد المسيح نزل إلى الهاوية بعد موته وقبل قيامته . نزل بروحه البشرية المتحدة بلاهوته وحرّر نفوس الأسرى الذين ماتوا على الرجاء]

٣- يدين الناس الذين لم تصل إليهم البشرى – الصينيين مثلاً –إدانة خاصة (مختلفة عن سائر المسيحيين) .

أما الآن فقد وصلت البشرى إلى جميع الناس ، وفى جميع اللغات ، وذلك بفضل التكنولوجيا والعلم والثقافة

فالمسيحية معروفة فى جميع أنحاء العالم ، لذلك سيذهب الأشرار إلى جهنم والأبرار إلى الملكوت ، والبرهان على ذلك أن أريوس ونسطوريوس حُرِما لأنهما انكرا المسيح ولم تلغ الكنيسة إلى اليوم الحرمان (الذى استوجباه) فهما إذاً من الأشرار.

(ق) :١- أن يوم الدينونة يخص الله ، فالله يعمل ما يريد ، وليس ومن حقي أن أجعل نفسي (قاضياً) كأنى الله .

٢- (وعلى نقيض ذلك) لا (أستطيع أن) أستنتج شيئاً بعيداً عما أوضحه الإنجيل (مثل خلاص غير المسيحيين).

٣- (وإذا جمعنا ما سبق يجب الإعتراف أننا) نعيش فى لغز (ونرى حقيقة هذا الموضوع) كان يرى فى مرآة فالمسيح لم يكشف لي (مصير غير المسيحيين) ولكن السؤال ليس : هل يهلكون ؟ (لأنهم بالفعل يستوجبون الهلاك ، وهذا أمر لا يستدعى السؤال عنه لأنه واضح فى الإنجيل) وقد أكون مُقصّراً أو مسؤوليتي كبيرة (لعدم الكرازة بالمسيح) .

وأخيراً تسأل الأب فاضل عن عدم إهتمام الكنائس الأرثوذكسية بخلاص غير المؤمنين وتطوع هو بالإجابة مُرجِعاً الأسباب إلى :

١- سبب اجتماعى : .. كون معظم الكنائس الأرثوذكسية تعيش كأقليات فى وسط أغلبية إسلامية (أو شيوعية) فتشعر بانها مهدَّدة لأنها كنائس وطنية لا تحظى بمساندة الكنائس العالمية .. فإن شعورها بهذا التهديد لا يتيح لها الجو الملائم لطرح مثل هذه القضايا ، ولا لكتابة معتقدها فى كتب أو مقالات قد تقرأها الأغلبية .

٢- سبب رعوي : .. وإن لهذا الجو أثر آخر ، وهو التخوف من الإرتداد إلى الإسلام ، ولا سيما فيما يتعلق بالقضايا الزوجية حيث لا يستطيع مسيحى أن يتزوج من مسلمة بدون أن يُشهر إسلامه . ففى هذا الجو ، قد يؤدى الإعتراف بخلاص غير المسيحيين إلى الإكثار من التحويل إلى الإسلام بطريقة طبيعية .

٣- سبب إيمانى : وثمة سبب آخر ، وهو أن الإقرار بخلاص غير المسيحيين قد يُفضى بالمسيحيين إلى الاعتراف بنسبية الأديان ، فإن كان جميع البشر من جميع الأديان يخلصون ، فلماذا يكون أو يظل أو يُصبح الإنسان مسيحياً ؟ ولماذا على المسيحي أن يُعلن يسوع المسيح ربّاً وإلهاً ومخلصاً .

ثم ينتهى الأب فاضل بالنتيجة الآتية : على اللاهوتيين الشرقيين أن يأخذوا بعين الإعتبار جديًا قصد الله الخلاصي الشامل ، وإمكانية خلاص جميع البشر بما فيهم الذين لا يؤمنون بيسوع المسيح ولا يعتمدون بإسمه ولا ينتمون إلى كنيسته (وذلك بموجب مت ٢٥: ٣٤-٤٠ - رو٢: ١٢-١٦ وغيرهما من النصوص الكتابية) .

كما أنه على اللاهوتيين الغربيين أن يأخذوا بعين الاعتبار جدياً ضرورة الإيمان

بيسوع المسيح والاعتماد بإسمه (وذلك بموجب مر١٦:١٦ – يو ٣: ٥ وغيرهما من النصوص الكتابية) .

توضيح :

١- الكنيسة الأرثوذكسية كنيسة إنجيلية رسولية ، ولأن الإنجيل لم يصرح بخلاص غير المؤمنين بل أعلن أن كل إنسان بعيد عن دائرة المسيح هو مرفوض بل يمكث عليه الغضب الإلهى ، ولأن الآباء الرسل فى قوانينهم لا توجد أى إشارة إلى خلاص غير المؤمنين ، ولذلك فإن الكنيسة الأرثوذكسية ترفض رفضاً باتاً هذه العقيدة المضادة لروح الإنجيل وللروح الرسولية .

٢- بحسب تحليل الأب فاضل بأن الكنائس الأرثوذكسية لم تهتم بهذا الأمر لأن أتباعها يعتبرون أقليات يعيشون فى بلاد إسلامية أو شيوعية ، نقول أن العكس صحيح لأن هذه العقيدة لو قبلتها الكنائس الأرثوذكسية وأعلنتها فإن الأغلبية سترضى عنها ، ولكن أيهما أهم رأى أغلبية الناس أم الرأى الإلهي المُعلَن فى الكتاب المقدس ؟!

٣- ربما لا يدرك الغرب والمتمسكون بعقائد الغرب صلابة الإيمان الأرثوذكسي ، فإن دماء ملايين الشهداء الأقباط التى سُفكت بأيدي الوثنييّن تصرخ فى وجه كل إنسان يبرئ الوثنييّن ويعدهم بالخلاص بإرادتهم الصالحة أو بأعمالهم الحسنة بدون دم المسيح .

٤- وكيف يخلص الهراطقة الذين أضلوا الكثيرين ؟! وما رأيك فى أريوس هل سيخلص أيضاً ؟! .. لقد ظهر ابن الله مرتدياً ثوباً مشقوقاً للبابا بطرس خاتم الشهداء فى سجنه ، وعندما سأله البابا : من شق ثوبك يا سيدى . أجابه إبن الله : بأنه اريوس لأنه يريد أن يفصلني عن أبى ، فإياك أن تقبله .

٥- إن كان عبدًة الأوثان سيخلصون رغم عبادتهم المرذولة ، وما يرتبط بها من سحر وزنا وكذب .. إلخ ألا يقودنا هذا الفكر إلى فكر أوريجانوس الذى قال أن الشيطان نفسه سيخلص بل سيصبح فى شكل الله ؟!

٦- ما رأيك فى ملكوت إزدحم فيه اليهود المعاندين وعبدًة الأوثان والزوانى وغيرهم ، فهل يجد القديسون مكاناً وراحة لهم فى هذا الملكوت أم أنهم يطلبون الخلاص والفكاك منه ؟!

٧- النتيجة التى وصل إليها الأب فاضل بأن على اللاهوتيين الشرقيين مراعاة أن غير المؤمنين سيخلصون بدون الإيمان بالمسيح والمعمودية ، وعلى اللاهوتيين الغربيين مراعاة ضرورة الإيمان بالمسيح والمعمودية لخلاص الإنسان . هذه النتيجة هى جمع الشئ ونقيضه وطلب التوحيد بينهما ، فكيف يمكنك جمع النور مع الظلمة ؟ وكيف يمكنك أيها الأب الفاضل توفيق المسيح مع بليعال ؟ .. حقيقة أن النتيجة التى انتهيت إليها ما هى إلاَّ تعبيراً عن حيرتك بل حيرة أى إنسان يؤمن بالإنجيل ولا يقدر أن يرفض قرارات المجمع الفاتيكاني الثاني التى هى ضد روح الإنجيل .

٨-عندما يتساءل البعض هل من المعقول أن الله يُهلك هذه الأعداد الضخمة ؟ ولماذا خلقهم إن كان ينوى هلاكهم ؟ .. نقول له أن الله عادل وعدله كامل ، وهو لا يهلك الأشرار إنما يهلك الشر ، وكل من يتمسك بالشر فإنه يهلك بشره أما القصد الإلهي هو الوصول إلى الكنيسة المكمَّلة المفديَّة بالدم الثمين ، ولو أخذنا مثالاً مبسطاً لهذه الحقيقة لو أن ملكاً فكَّر فى بناء مدينة رائعة الجمال ولكن الله كشف له بأن بعض سكانها سينحرفون للسرقة والكذب والخداع وسفك الدماء ، فهل هذا الملك سيكف عن تنفيذ إرادته فى بناء المدينة المنيرة ؟! .. كلا أنه سيبنى المدينة وسيضع القانون العادل لمعاقبة كل من هو عاصي . ومثال آخر لو أن الله كشف لأحد آباء الرهبنة بأنه لو أنشأ ديراً فإنه سيرتد بعض رهبانه ويسيئون للرهبنة ، وسيخرج منهم من يهرطق ويجذب الكثيرين خلفه للهلاك ، فهل يا ترى أن هذا الأب بسبب هذه المرارة يتوقف عن إنشاء ديره ؟ كلا .. لأن هناك نظرة أخرى وهى أن هذا الدير سيجتمع فيه أبناء الملكوت المتشبهين بالملائكة فيحولون الأرض سماء ويعبقون المكان بالصلاة والتسابيح فكم سيكون المنظر رائعاً وهم مجتمعون بمحبة يسبحون الله !!

وأخيراً نشكر الله كثيراً الذى أعاننا على هذا البحث المتواضع والذى استغرق من العمر نحو سنتين . إياه نسأل أن يجعله بركة ورشداً للباحثين عن الحقيقة ، ويغفر لنا خطايانا ، ويحفظنا فى زمن غربتنا ، ويقبلنا فى ملكوته .

الإسكندرية فى ١٨ يونيو سنة ٢٠٠٠م

١١بؤونه سنة ١٧١٦ ش

عيد حلول الروح القدس

المراجع

م	اسم المؤلف	اسم الكتاب
١	قداسة البابا شنودة الثالث	لماذا نرفض المطهر ؟
٢	قداسة البابا شنودة الثالث	مرقس الرسول .
٣	قداسة البابا شنودة الثالث	محاضرات اكليريكية الإسكندرية سنة ١٩٩٩/٢٠٠٠م عن الخلافات بيننا وبين الكاثوليك
٤	فى عهد قداسة البابا شنودة الثالث	القرارات المجمعية .
٥	نيافة الأنبا بيشوى مطران دمياط	مسكونيات .
٦	وسكرتير المجمع المقدس	محاضرات باكليريكية القاهرة . والإسكندرية عن الخلافات مع الكاثوليك .
٧	الأنبا غريغوريوس اسقف البحث العلمى والدراسات اللاهوتية	القيم الروحية فى سر المعمودية .
٨	الأسقف ايسيذورس	تنوير الأذهان بالبرهان إلى ما فى عقائد الكنيسة الغربية من الزيغان .
٩	الأسقف ايسيذورس	البرهان القاطع فى الرد على القبطى التابع .
١٠	الأسقف ايسيذورس	البيانات الوافية والبراهين الثاقبة .
١١	الأسقف ايسيذورس	المطالب النظرية فى المواضيع الإلهية .
١٢	كيرلس مقار	الوضع الإلهى فى تأسيس الكنيسة .
١٣	القمص اثناسيوس ميخائيل	محاضرات فى تاريخ الكنيسة اكليريكية الإسكندرية سنة ١٩٩٨م .
١٤	القمص تادرس يعقوب ملطى	المجامع والمجمعية .
١٥	القمص تادرس يعقوب ملطى	المجامع المسكونية والإيمان الثالوثي .
١٦	الايغومانس فيلوثاؤس عوض	الحجة الأرثوذكسية ضد اللهجة الرومانية .
١٧	الايغومانس فيلوثاؤس عوض	نفخ العبير
١٨	القمص ميخائيل مينا	علم اللاهوت حـ١ ، والقسم الخاص .
١٩	القس بولس عطية باسيليوس	بطرس الرسول هل هو رئيس الكنيسة ؟
٢٠	القس يؤانس كمال	الحبل بلا دنس .

٢١	ابن المكين	الموسوعة اللاهوتية الشهيرة جـ٢ .
٢٢	حبيب جرجس	الصخرة الأرثوذكسية .
٢٣	وجيه غالى	اضواء على المطهر .
٢٤	وجيه غالى	هل أقام السيد المسيح رئيساً على التلاميذ ؟
٢٥	الشماس اقلاديوس ابراهيم	عيد الميلاد المجيد ٢٥ ديسمبر أم ٧ يناير .
٢٦	بشارة بسطوروس	الكنيسة القبطية فى مصر واثيوبيا ترفض الوثيقة الفاتيكانية لتبرئة اليهود من دم المسيح
٢٧	كنيسة القديسين (للمؤلف)	ياأخوتنا البروتستانت .. هلم نتحاور جـ١ .
٢٨	كنيسة القديسين (للمؤلف)	عبادات الشيطان وسلطان القديسين .
٢٩	ف . ب . ماير	حياة بطرس الرسول .
٣٠	وليم باركلى	تفسير العهد الجديد رسائل بطرس ويعقوب.
٣١		مجلد الكرازة سنة ١٩٩٦م .
٣٢	الأنبا ساويرس بن المقفع	تاريخ البطاركة جـ١،جـ٢،جـ٣،جـ٤ .
٣٣	الأسقف ايسيذورس	الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة جـ١،جـ٢
٣٤	المتنيح الأنبا يؤانس مطران الغربية	محاضرات التاريخ الكنسي .
٣٥	القس منسى يوحنا	تاريخ الكنيسة .
٣٦	ايريس حبيب المصرى	قصة الكنيسة القبطية جـ١-جـ٩ .
٣٧	الارشمندريت جراسيموس مسرة	تاريخ الانشقاق جـ١، جـ٢ ، جـ٣ .
٣٨	الارشمندريت حنانيا الياس كساب	مجموعة الشرع الكنسي .
٣٩	د.ق حنا جرجس الخضرى	تاريخ الفكر المسيحي جـ١،جـ٢،جـ٣،جـ٤
٤٠	المطران الكسندروس حجا	تاريخ الكنيسة المسيحية .
٤١	موسهيم	تاريخ الكنيسة مجلد ١، ٢ .
٤٢	ميرل دوبينياه	تاريخ الاصلاح فى القرن السادس عشر .
٤٣	اندرو ميلر	مختصر تاريخ الكنيسة جـ١، جـ٢ .
٤٤	جون لوريمر	تاريخ الكنيسة جـ١- جـ٥ .
٤٥	د. عزت ذكى	المسيحية فى عصر الاصلاح جـ٣ .

٤٦	جاد المنفلوطى	المسيحية فى العصور الوسطى حـ٢.
٤٧	رفيق حبيب – محمد عفيفى	تاريخ الكنيسة المصرية .
٤٨	بدون	خلاصة تاريخ الكنيسة – مطبعة الأباء اليسوعيين
٤٩	ق . دى روزا	التاريخ الأسود للكنيسة .
٥٠	مؤسسة الاهرام	تقرير الحالة الدينية سنة ١٩٩٥،١٩٩٦م .
٥١	ميخائيل مكس	القدس عبر العصور .
٥٢	الشماس جورج باقى	القديس كيرلس عمود الدين .
٥٣	دياكون ملاك ابراهيم يوسف	دور وعلاقات الكنيسة القبطية خلال العصر القبطى حـ٢ .
٥٤	امير نصر	القديس العظيم مارمرقس بين كرسي الإسكندرية وكرسي روما .
٥٥	د. اسد رستم	كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى حـ١ .
٥٦		وثائق المجمع الفاتيكانى الثانى .
٥٧		الدليل العام للكنيسة الكاثوليكية فى مصر سنة ١٩٨٩ ، ١٩٩٨ .
٥٩	دار الشرق بيروت	دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة حـ٢
٦٠	هير بيرجون تعريب الخورى باخوس الفغالى	مختصر اللاهوت الأدبى الكاثوليكي .
٦١	رسالة الحبر البابا يوحنا بولس	أمّ الفادى ؟
٦٢	رسالة الحبر البابا يوحنا بولس	فادى الإنسان .
٦٣	رسالة الحبر البابا يوحنا بولس	ارشاد رسولى .
٦٤	رسالة الحبر البابا يوحنا بولس	فى الرحمة الإلهية .
٦٥	رسالة الحبر البابا يوحنا بولس	الألم الخلاصي .
٦٦	رسالة الحبر البابا يوحنا بولس	إلى جميع شباب العالم .
٦٧		توجيه لتطبيق المبادئ الليترجية الواردة فى " مجموعة قوانين الكنائس الشرقية " .
٦٨	الأب انطون صالحانى اليسوعي	الحقائق اللامعة فى عقائد الكنيسة الجامعة

٦٩	الأب بولس نصير	الرئاسة البابوية طبعة ١٩٣٨م .
٧٠	سيادة الأنبا اغناطيوس برزى	قيام الأرثوذكسية الحقيقة على الاعتصام بكاتدرا بطرس الرومانية .
٧١	الأنبا الكسندروس اسكندر مطران الأقباط الكاثوليك اسيوط	مرشد الأرثوذكس الكاثوليكي .
٧٢	القس جيمس	علم اللاهوت .
٧٣	الأب شكر الله	كذلك جميل .
٧٤	الأب نعمة الله مطر	منشورات جامعة الروح القدس -الكسليك(لبنان) - فتاوى لاهوتية .
٧٥	الأب موريس بيارمارتان اليسوعي	موسوعة المعرفة المسيحية .
٧٦	الأب سليم بسترس	اللاهوت المسيحى والإنسان المعاصر حـ٢ .
٧٧	الأب اوغسطين دُوبره لانور	خلاصة اللاهوت المريمي .
٧٨	الأب اوغسطين دُوبره لانور	دراسة فى الاسكاتولوجيا الموت والقيامة السماء والمطهر وجهنم .
٧٩	الأب بولس الفغالى	الروح القدس روح الله .
٨٠	الأب جبرائيل فرح البولسي	شهود يهوه فى الميزان .
٨١	الأب د. مترى هاجى اثناسيو	فضح بدعة شهود يهوه .
٨٢	رسالة عامة	" الشيوعية والالحادية " ترجمة عربية الطبعة الكاثوليكية بيروت سنة ١٩٣٧م .
٨٣	الكتاب الثالث لرابطة الكتاب المسيحيين بالشرق سنة ١٩٥٧م	ضحى المسيحية فى الشرق الادنى
٨٤	مؤتمر حول "لاهوت الاديان" مُستل من مجلة الشرق اليسوعية ١٩٩٦م	هل من خلاص لغير المؤمنين ؟
٨٥	الأنبا يوحنا قلته	قرية غرب النيل .
٨٦	الأنبا يوحنا قلته	الإنسان هو القضية الإنسان هو الحل .
٨٧	الأنبا مكسيموس كابس	إيماننا القويم حـ١ الأرثوذكسية وضع متوسط بين تطرفين .

٨٨	الأنبا مكسيموس كابس	إيماننا القويم جـ٢ اماذا نؤمن بالمطهر ؟
٨٩	القمص باسيلى فانوس	مريم العذراء المنزّهة عن الخطية الأصلية .
٩٠	الأب فاضل سيداروس	سر المعمودية والتثبيت .
٩١	الأب فاضل سيداروس	سر المصالحة .
٩٢	الأب فاضل سيداروس	سر الأفخارستيا .
٩٣	الأب فاضل سيداروس	سر الزيجة .
٩٤	الأب فاضل سيداروس	سر مسحة المرضى .
٩٥	الأب لويس سيفين	المطهر .
٩٦	القس منصور سيمور	الخدمة الشيطانية بدعة الطلاق فى المسيحية .
٩٧	الأب جيرموه تعريب الأب لويس نصرى	القديس اغناطيوس والرهبنة اليسوعية .
٩٨	الأب لويس برسوم الفرنيسكانى	سيرة العجائبى القديس انطونيوس الباروى .
٩٩	الأب جميل السقلانى اللعازرى	مارى منصور .
١٠٠		اصدقاء دانيال كومبونى .
١٠١	مطبوعات رسالة القديسة تريزا ليسوع الطفل	رهبنة الكرمل .
١٠٢	جورج حليم كيرلس	دليل الأماكن الأثرية فى روما وايطاليا .

١٠٣- بعض الاعداد من مجلة الاصلاح عدد ١٢ لسنة ٢٧ مايو ١٩٥٦م ، يونيو ١٩٩٠- ابريل ١٩٩١، ديسمبر ١٩٩١م

١٠٤- بعض الأعداد من جريدة حامل الرسالة .

١٠٥- بعض الأعداد من مجلة الشباب سنة ١٩٩٨م .

١٠٦- بعض الأعداد من مجلة روزاليوسف ٣٦٨٩ فى ٢٢ فبراير سنة ١٩٩٩م ، ٣٧٤٢ فى ٢٦ فبراير سنة ٢٠٠٠م .

107 - V.C.SAMUEL THE COUNCIL OF CHALCEDON RE-EXAMINED

108- WILLIAM.R CIARK,M.,A A HISTORY THE CHRISTIAN COUNCILS





قداسة البابا شنودة الثالث يحمل رأس شهيد من أخميم

مجموعة استقامة كنيستنا تشمل على :

١. البدع والهرطقات فى القرون الخمسة الأولى .

٢. يا اخوتنا الكاثوليك .. متى يكون اللقاء ؟ .

جـ١ بين الماضي والحاضر. جـ٢ أضواء على أراء .

٣. يا اخوتنا البروتستانت .. هلموا نتحاور .

جـ١ فى الماضي . جـ٢ طوائف شتى محتجة .

جـ٣ احتجاجات وردود .

٤. الأدفنتست .. ظلمة الموت .

٥. شهود يهوه .. هوه الهلاك .

٦. المذاهب المنحرفة .